شعارنا الوحيد !
إلى الإسلام من جديد

العدد ١ – المجلد ٣١ رمضان ١٤٠٦هـ – مايو و يونيو ١٩٨٦م

# البعث الإسلامي

تصدرها مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣ – لكهنؤ (الهند)
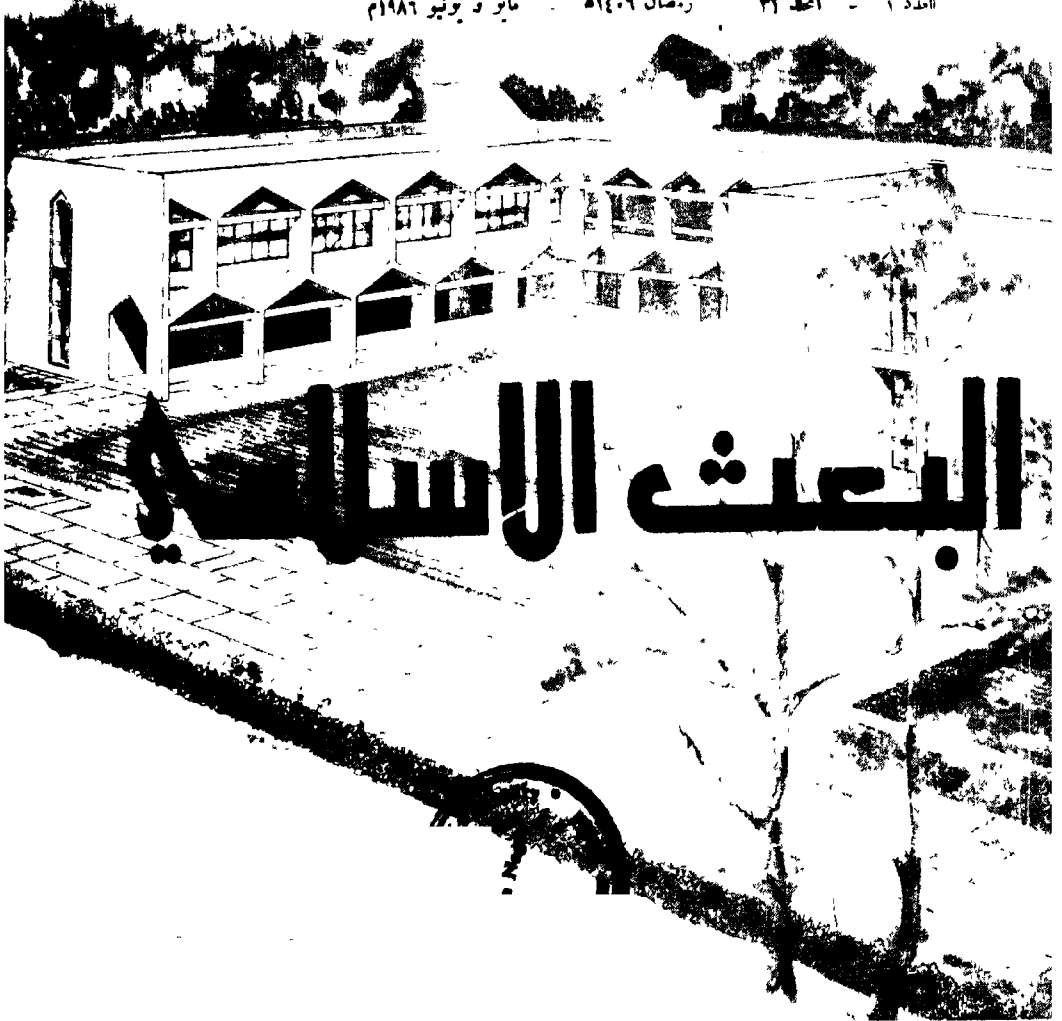
حضرة الأخ الكريم، حفظه الله تعالى.

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد:

فإن مجلتك «البعث الإسلامي» تستهل بهذا العدد عامها الحادي والثلاثين، وهي ماضية في جهادها المتواصل منذ أمد بعيد، رغم ضآلة وسائلها و قلة إمكاناتها، و قائمة بواجبها الإسلامي على جبهة معادية مليئة بالأحداث و الكراهية و مشحونة بوسائل الهدم و التخريب، و في بلد علماني ليس الإسلام دينه الرسمي، و ليست اللغة العربية لغته القومية.

فهنا نرجو منك - أيها القارئ الكريم - أن تشعر ببعض واجبك نحو مجلتك هذه و تكرم [illegible] في سبيلها و ذلك أن تكسب لمجلتك هذه عدداً من إخوانك المشتركين و تبعث إلينا بإرسال اشتراكاتهم حسب التفاصيل المذكورة أدناه، أو تقوم بإنشاء مكتبة للمجلة في [illegible] او مجمعات الذي تعيش فيه وتعدنا بذلك في أول فرصة ممكنة — نرجو أن لا ينسيك الاهتمام بهذا الموضوع الإسلامي في أي حال [illegible] وأجرك على الله الذي لا تنفد خزائنه

---

## الاشتراكات السنوية :

- ★ في الهند [illegible] من النسخة خمس روبيات.
- ★ في البلاد العربية ١٥ دولاراً بالبريد السطحي، /٣٠ دولاراً بالبريد الجوي
- ★ في بريطانيا و أمريكا و إفريقيا، ١٥ دولاراً بالبريد العادي، /٥٠ دولاراً بالبريد الجوي
- ★ في باكستان و بنغلاديش و جنوب شرق آسيا /١٥ دولاراً بالبريد العادي. /٣٠ دولاراً بالبريد الجوي

المراسلات: مكتب البعث الإسلامي، مؤسسة الصحافة و النشر

ندوة العلماء ص ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI P O. BOX 93, NADWA, LUCKNOW IN⌡IA)

[illegible]

[illegible] ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

# البعث الإسلامي

## أخي القارئ

استكملنا معك ـ بعون الله و توفيقه ـ ثلاثين عاماً كاملاً ،

على درب الحق و الدعوة إلى الاسلام من جديد ،

على جادة الهدف و الرؤية الواضحة للاسلام ،

و على المحجة الواضحة البيضاء لشريعة الله ،

و ندخل معك اليوم :

في العام الحادي و الثلاثين بمجرد توفيق الله و رعايته ، حتى نواصل الجهاد بالقلم المؤمن الصريح ، والبيان الواضح القوي ، و بالأسلوب الموضوعي ، و الأدب الاسلامي ، والتعبير الجميل ،

و نعتمد في أداء رسالتنا :

على تأييد من الله و توفيقه ،    و تعاون من القراء و المشتركين ،

و مناصرة أصحاب الفكر السليم ، ورجال الأقلام المؤمنة الواعين ،

و على الله قصد السبيل ، وهو المولى و نعم النصير ،    [ التحرير ]


المجلد الحادي والثلاثون رمضان ١٤٠٦هـ ـ مايو ويونيو ١٩٨٦م العدد الأول

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المراسلة :

البعث الإسلامي ندوة العلماء ، ص ب ٩٣ لكهنؤ الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93,

LUCKNOW (INDIA)

## الافتتاحية



## التوجيه الاسلامي



## الدعوة الاسلامية



## الادب الاسلامي



## دراسات و أبحاث



## الفقه الاسلامي



## دراسات



## صور و أوضاع

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــة :

# الأمة الاسلامية وشريعة الله

## و المسلمون « التقدميون »

لا نعرف أمة على وجه الأرض أغنى بتعاليم الأخلاق الفاضلة و لا أثرى بتوجيهات الاجتماع الشاملة من أمة الاسلام ، لقد كان الانسان الجاهلى - بمفهومه الواسع - يعيش أحوالا شاذة من الأدواء الخلقيـــة يدعمها الصلف و الاعجاب بالنفس، مما جر عليه ألوانا من الشقاء دون أن يسعفه شئ من بقايا تعاليم الديانات السماوية السابقـه ، أو يمسك بيده وازع من الضمير الحى ، كان الافلاس الخلقى عاماً فى الأفراد و القبائل والمجتمعات ، يشمل الكبير والصغير، و الملاك والرعية ، تجاذب الناس الأهواء ، و تصارعهم شهوات من المال و الحكم و المتـاع و العزة الكاذبة ، كل إنسان همه الكبير فى خدمه مصالحه و إرضاء نفسه بما تحن إليه من تطلعات بعيدة المدى ، ومن آمال معسولة ذات أرجاء واسعة ، ولا أبلغ لتصوير الانسان فى ذلك الحين وتفسير حياته الحالكة العاتية ، من تعبير الوقوف على شفا حفرة من النار و الدمار ، و من ثم فلا صعوبة - بالاطلاق - فى تقدير الأوضاع القلقة الحرجة التى عاشها الانسان من العداوة و التفرقة و الاعتماد على المفاخر الزائفه .

تجمعت جميع هذه المعانى المنكرة التى التصقت بالحياة و بدت كأنها امتزجت باللحم والدم فى كلمة قالها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه للنجاشى حينما سأله عما إذا كان قد فارق قومه و تركهم من غير أن يدخل فى دينه أو دين أحد من

الملل المعروفة آنذاك : « أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام و نأكل الميتة ، و نأتي الفواحش و نقطع الأرحام و نسيئ الجوار ، و يأكل القوى منا الضعيف » فلما جاء الاسلام ركز رسول الله ﷺ - بإذن من الله - أول ما ركز ، على جمع شملهم و بعث الرحمة فى قلوبهم ، و إشعارهم بمعانى المساواة و الأخوة و الاحسان ، وفوق كل ذلك ربط مصير الحياة بخالق الحياة فأراد أن يزكى قلوبهم عن جميع الأفكار و الأوضار التى أورثتها عبادة الأصنام والأوثان ، لكى يحل فيها تصور الاله الواحد و يتمكن من القلوب و النفوس و يخالط الايمان بالله كل خلية من حلايا التفكير و العمل ، فلا رياء و لا شرك و لا إثم و لا سيئة ، و لا ظلم و لا قسوة و إنما الحياة تابعة لتقوى الله ، و كل عمل ونشاط نابع من الايمان و دافع من الطاعة و الحب فى الله و حرص على تنفيذ أحكامه و تحكيم شريعته و إعلاء كلمته .

لقد بذل رسول الله ﷺ مجهوداته الخالصة فى بناء الانسان و رفع منائر الحق و العدل و الطاعة و الايمان ، و تمكين عقيدة التوحيد من جميع مواقع العقل و القلب و المشاعر و الأحاسيس حيث إنها اختلطت بكل طاقة من طاقات المؤمن الروحية و المادية و لم تفارقه حتى فى أرفه حالات الرخاء والهدوء و فى أقسى مواقف الشدة و العطش و الاضطرار ، فى كل حال من السراء و الضراء و فى الشدة و الرخاء يتمثل الورع بأروع أشكاله ، و لا تكاد المغريات من الأموال و المناصب و الأهواء و لا الظروف المواتية والأجواء الهادئة ، ولا شدائد الأوضاع و محن العيش و مصاعب الرزق و المال ، تنزلق بأقدامه ، و تضعف إيمانه ، و تزحزح موقفه الايمانى عن صموده على جادة الورع والتوكل على الله قيد شعرة .

ذلك هو الجيل المؤمن القوى الذى رباه رسول الاسلام عليــه الصلاة و السلام على قواعد الايمان و الفضيلة و أحسن تنميته على الخلال الايمانيــة الربانية فتأصلت جذور تربيته فى النفوس ، و شهد العـالم البشرى نموذجاً واقعياً من أبناء الاسلام الذين ضربوا أمثلة رائعة فى جميع مجالات العلم والعمل والخلق و السلوك و العبادة و السياسة ، و اللين ، و القوة ، و العقل و الذكاء ، والحب و الايثار ، والأخوة و الطاعة ( محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ) و هل تم إبراز هذا النموذج المثالى إلا برعاية من الله خاصة، ومن أجل ما قدره الله تبارك أن تخرج أمة من بين هذه الأجيال البشرية المنبثة على أكتاف الكون و هوامش الأرض ، التى كانت فى آخر رمق من حياتهـا و كادت تلفظ نفسها الأخير ، أن تخرج أمة فتأخذ بيد الانسانية الواقعة على شفـا حفرة من النار ، وتعود بها إلى ساحة الأمن والاستقرار و تتكفل بارواثها وسقيها بماء الحياة فتنتعش من غمرات الموت وتحظى بلذة الحياة ، شأن الزرع الذى تعانى من عدم المبالاة بالسقى و الرعاية وكاد يموت بين ساعة و أخرى إذ تمتد إليــه يد من الرحمة و تقوم بالرى وتتعهده بالرعاية فاذا به تعود إلى الحياة من جديد و يزهو و يربو ، ثم يؤتى أكله باذن ربه .

وسوف لا ينتهى هذا الجيل المؤمن العظيم الذى أخرجه الله لاعلاء كلمته، و إظهار دينه ، و تغليب شريعته فى أى حال ، أما إذا وجــدت هناك عوامل سلبية طارئة أثرت على هذا الجيل و وقفت فى طريقــه تعرقل سيره نحو الغاية البعيدة فليس يعنى ذلك أن أمة الاسلام ذهبت ضحيــة المؤامرات العدائية التى تنسج خيوطهـا فى السر و الاعلان أو فى النور و الظلام كل القوى المنـاوئة

الحاقدة على النعمة العظيمة التى أكرم الله بها هذه الأمة على طول الخط ، و خصها بالقيادة العالمية و الزعامة الأممية من كل نوع ى جميع الأزمان و الأمكنة و فى جمع الأوضاع و الظروف ، إن هذه الأمة خالدة مع خلود هذا الدين و باقية مع بقاء هذا العالم ، و كلما واجهت هذه الشريعـــة البيضاء عداوات عمياء حاولت قطع هذه الأمة عن مصدرها الأصل وحشدت قواها لتجفف هذا السوع الثر ، وحشرت حودها لكبح طاقاتها المتفجرة ، تهب أمه الاسلام من رقدتها ، و تضرب على جميع هذه القوى الشريرة بيد من حديد ، و قد وعد الله سبحانه المؤمنين الصالحين بالاستحلاف و التمكين ، و بالتكريم و التأمين ( وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم لستخلفنهم ى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، و ليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ) .

ولكى تقوم الأمه الاسلاميه ى مواجهه الخوف والشر و الطغيان ، وتسد سبل العداء و الانحراف والمناوءة ، وتخيب محاولات الكافرين و المنافقين ى تجميد نشاطات الدعوة إلى الله وتحديد مفاهيم الدين ، يجب أن تعود الأمة إلى منصبها العظيم من الايمان بالله و التركيز على العمل الصالح ، و الاقبال الكامل على عبادة الله الواحد ، و التحاشى من كل عمل أو فكرة أو شعور تشوبه شائبـــة من شرك ، فان الله تعالى لا يبغض دنباً مثل ما يبغض الشرك ، و قد صرح وكرر بأنه يغفر - بفضل منه - كل ذنب إلا الشرك ، فلا رجاء ى غفران الشرك فى أى حال ( إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً ) .

و مع وجود شائبة من شرك أو ما يشاكله من ذنب أو شعور فيـه شئ

مما يماثل الشرك أو أهل الشرك فلا رجاء فى النهوض بالأمة إلى منصبها العظيم من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و نشر الخير و الفضيلة فى المجتمعات البشرية ، ولا أمل فيما يؤهل الأمـــة بمحاربة الأوضاع الفاسدة وصد تيار الظلم و الاباحية والهوى ، فضلا عن القيام باعلاء كلمة الله على كل كلمة ، والاستنكار لكل عمل أو قضاء أو إرادة تحاول النيل من شريعة الله والنقص فى دينه أو تغيير جزء من هيكله المتكامل ، أو الاقتناع بأن العصر الحاضر يطـــالب ـ نظراً إلى التطورات والتغييرات الكثيرة ـ بتعديلات من شأنها أن تمهد الطريق لهذا الدين نحو العمل و التنفيذ ، ووضعه مع الأنظمة الحاضرة المتداولة فى المجتمعات العالمية.

اى قيمه لهذه النظرات أو الفلسفات و الأساليب و الأنظمة التى تتمخض بها الحضارات المادية اليوم بازاء ذلك المنهج الخـالد القويم الذى ليس من نتاج العبقريات والأفكار البشرية «الخصبة» غير أن طبقة كبيرة من المثقفين المسلمين ترى إليها بعين ملؤها الاعجاب والتقدير وتزعم أن دين الاسلام بحاجة ماسة إلى الاستعانة بهذه الأفكار و النظرات ، أو أنه لا يكاد يستغنى عن الافادة منها فى هذا العالم الحديث و المجتمعات المتطورة المتغيرة التى لها تأثيرها العميق فى مسار الحياة الانسانية و مرافقها المتجددة .

من خلال هذه الفكرة التى تغزو القلوب بوجه عام وقلما ينجو من رواسبها أى شخص لم تنضج عقليته الدينية و لم ترسخ فكرته الايمـانية ، يتسرب شك نحو بعض الزوايا الصغيرة من النفس أو تخامرها خوالج شك حول دين الاسلام فتثور فيها تساؤلات عديدة عما إذا كان الاسلام يستطيع أن يتكفل بحل جميع تلك المشكلات و القضايا التى تقلق عمالقة العلم و الفكر ، وتقض مضاجع القادة و الزعماء الذين يتملكون زمام الحياة فى العالم المعاصر ، فقد يفكر المسلم ـــ مهما

كان على مستوى عال من العلم والفكر — فى الاعتماد على الفكر الانسانى الحديث بحجة أن إضافة بعض زوايا الفكر الحديث إلى قواعد الدين الاسلامى تزيد من تأثيره وقوة فاعليته فى مجال التوفيق بين العلوم المعاصرة والعلوم الدينية، وقد تنفتح بذلك أبواب وطرق لتفجير طاقات الدين فى صالح الانسان والحضارة الانسانية

بمثل هذه التعليلات و التبريرات تتطرق إلى النفوس شبهات قد تتفاقم وتحول الفكر السليم إلى نظرية إسلامية جديدة لا ترى أى بأس فى إدخال تعديلات أو نقص أحكام أو تحريف نص أو تفسير حكم قطعى بغير ما أنزل الله . ولعل أصحاب هذه النظرية الخاطئة الجديدة يعتبرون أنفسهم — إعجاباً منهم بما يقولون — فى القمة العالية من الفكر المعاصر، ويزعمون أنهم فى رأس قائمة المجددين الاسلاميين، الذين يتولون إنقاذ الاسلام من براثن الرجعية والاعتماد على الأساس البالى المنهار، ويسمون أنفسهم بشئ كثير من التيه والكبر : ( المسلمون التقدمون ) .

الاسلام برئ عن كل مسلم يسمى نفسه - تقدمياً - فيستسيغ العبث بدين الله ووحيه، ويحسب أنه يسدى بذلك إلى الاسلام وأهله، و الله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله العظيم محمداً ﷺ ويأمره بأن يعلن عن الخاسرين الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً :

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا ، و اتخذوا آياتى ورسلى هزواً ﴾ و صدق الله العظيم .

سعيد الأعظمى

التوجيه الاسلامي

## محـــــة

# عن المدرسة الأدبية الاسلامية الهندية
# كيف نشأت و تكونت ، و بماذا تميز ؟

« كلمة افتتح بها سماحة الشيخ العلامة أبى الحسن على الحسنى الندوى المؤتمر الأول للادب الاسلامى الذى عقدته رابطة الأدب الاسلامى العالمية فى رحاب ندوة العلماء بقاعة مكتبة شبلى العامة فى ٦/٤/ ١٤٠٦هـ ٨/ يناير ١٩٨٦م ، نهديها إلى قرائنا الكرام » التحرير

سادتى و إخوانى ! فكرت طويلا فى الحديث الذى أتقدم به إليكم فى هذه المؤتمر الأول لرابطة الأدب الاسلامى الذى ينعقد فى رحاب ندوة العلماء فى مدينة كانت لها القيادة الأدبية الشعرية زمنا طويلا ، و منهـــا انبثق منهج تعليمى طبق الهند و تخطى إلى حدود أفغانستان و تركستان ، و كانت و لاتزال مدرسة مستقلة مميزة فى اللغة الأردية و الشعر الأردى ، يحتج بها و يرجع إليها فى صحة التعبير ونقاء اللغة ، و كانت تلى مدرسة دهلى العاصمة ، ثم أصبحت فى القرن الثـالث عشر الهجرى ( القرن التاسع عشر الميلادى ) تضارع مدرسة دهلى و تنافسها ، ثم تغلبت عليهـــا حين نبع فيها شعراء مبتكرون فى كثير من ضروب الشعر ، و سلمت لهم الزعامة فى الشعر و حكموا على كثير من التعبيرات القديمة ، و الكلمـات التى جاءت فى شعر فحول الشعراء ، بأنها أصبحت من الكلمات المهجورة ، و استبدلوا بها تعبيرات و كلمات حديثة .

و ينعقد هذا المؤتمر فى الهند التى استقلت و انفردت فى كثير من أنواع الثقافة الاسلامية و العلوم الدينية ، و أساليب الحكم و الادارة ، و اللغة والأدب و الشعر حتى أصبحت ذات شخصية إسلامية متميزة ، ففضلت أن يكون حديثى

اليوم عن المدرسة الأدبية الاسلامية التى تكونت فى الهند ، وهى خليقة بأن تذكر مع المدرسة الأدبية الاسلامية الأندلسية ، و مع المدرسة الأدبية الاسلامية المغربية و مع المدرسة الأدبية الاسلامية الايرانية ، وقد كانت لذلك أسباب طبعية تاريخية ، نذكر بعضها على سبيل الاجمال :

لقد تفاعلت فى الهند عوامل ثقافية ، و عنصرية ، و حضارية ، و سياسية ، وقد كانت مهد اللغات و الثقافات و الفلسفات القديمة ، و كان من الطبيعى أن يتأثر الشعب المسلم بكل هـذا فى قليل أو كثير ، فتكونت مدرسة مستقلة ذات نفسية خاصة و طابع خاص فى الأدب الاسلامى ، تمتاز بقوة العاطفة ، ورقة الشعور ، و الدفق و العمق ، و القدرة على الضرب على أوتار القلب ، و إثارة الحب و الحنان ، و التفنن فى الأنغام و الألحان ، و الحماس الاسلامى ، وشدة التعلق بشخص النبى ﷺ ، وبلديه المشرفين ، و الجزيرة العربية الحبيبة ، و ابتكار معانى و أخيلة و تعبيرات لم يسبق إليها .

و قد أفاد هذه المدرسة الأدبية كون المسلمين فى هذه البلاد فى قلة دائماً ، و كونهم قد حكموا هذه البلاد ثمانية قرون على الرغم من كثرة عدد المحكومين من غير دينهم ، و اعتزاز هؤلاء المحكومين الزائد بفلسفاتهم و علومهم التى لا يعدلون بها علما وفلسفة ، و حضارتهم القديمة التى يعتبرونها فى قمة الحضارات القديمة ، و ساعدت على ذلك أيضاً عنصرية أهل الهند المتطرفة ، التى تنظر إلى المسلمين دائماً أنجاسا أجانب ، و تميز — حتى فى المجتمع الهندوسى — بين طبقة و طبقة ، و إنسان و إنسان كالتميز بين أشرف انسان و أخس حيوان .

أفاد هذا الواقع المسلمين بصفة عامة ، والشعراء والأدباء منهم بصفة خاصة مميزات نفسيـة عميقة ، فى مقدمتها قوة الصمود أمام الهجمات و التحـديات

ــ سياسية كانت أو فكرية و فلسفية أو أدبية ــ لأنهم بغير ذاك لا يستطيعون أن يحافظوا على إسلاميتهم و بقائهم كأمة ذات عقيدة خاصة ، و شريعة معينة ، و شخصية متميزة ، و أفادهم ذاك الولاء الزائد للاسلام ، و افتخارهم به ، و التغنى بأمجاده و أبطاله و عظمائه ، و ألهمهم ذاك توجيه القريحة الشعرية الأدبية و الكتابية ، و المقدرة البيانية ، إلى شعر الملاحم الاسلامية ، فنظمت أقوى ملاحم إسلامية شعرية (١) و أطولها و أجملها فى أردو لغة المسلمين و لغة الهند الشعبية الأرقى ، و انتشرت فى ربوع الهند انتشاراً لم يعرف لأى منظومة

(١) من أكبرها «صمصام الاسلام» للسيد عبد الرزاق الحسنى ، نظم فيها «فتوح الشام» للواقدى ، فى أردو ، و هى منظومة طويلة تشتمل على خمسة و عشرين ألف ( ٢٥٠٠٠ ) بيت ، و هى فى غاية القوة و العذوبة وصدق التصوير وبراعة التعبير ، كانت تنشد بمناسبات مختلفة فى الأسر الاسلامية ، فتحرك الحمية الدينية و تلهب العاطفة الاسلامية ، راجع مقال « الكتب التى عشت فيها » للكاتب .

و منها مزدوجة مد الاسلام و جزره ، المعروف بـ « مسدس حالى » للشاعر الاسلامى الكبير ألطاف حسين « حالى » ، وفيها تصوير العصر الجاهلى ، و وصف البعثة المحمدية ، و وصف صحابة الرسول ﷺ ، و ما قاموا به وقام به أتباعهم من دور إصلاحى ثورى بناء رائع فى التاريخ الانسانى ، و ما اتصف به الجيل الاسلامى الأول ، مع ذكر ما أصيب به المسلمون أخيراً فى تقهقر وانحطاط ، و المجتمع الاسلامى من تدهور و انتكاس فى أسلوب شعرى ساحر .

و منها « شاهنامه اسلام » للشاعر حفيظ الجالندهرى ، و هو فى قمة الملاحم الاسلامية المشهورة فى شبه القارة الهندية ، و من الدواوين الشعرية المقبولة الشعبية .

تاريخية أو قصصية فى بلد من بلاد الاسلام ، و كان لهـــا فضل كبير ، و دور حاسم فى إثارة العاطفة الاسلامية و تنمية النخوة الدينيـــة ، و تحمل الصدمات العنيفة ، و الحوادث العائلية ، و الكوارث الفردية ، فى إيمان و احتساب ، فانها تذكر بحكايات البطولات الاسلامية الأولى ، و استماتة المسلمين فى سبيل الله ، و ما ظهر من البطولات من السيدات المسلمـات فى بعض المواقف ، ثم تحمل المجاهدين الغزاة والأسر والبيوتات ، شهادة إخوانهم و أبنائهم ، والسيدات بمصاب أزواجهن و أبنائهن ، فى صبر و شكر ، و إيمان و احتساب .

و من أسباب هذا الواقع الجغرافى التاريخى السياسى ، تدفق شعر المـــديح النبوى وقوته وتأثيره ، ورقته وعذوبته ، فقد ابتكر هؤلاء الشعراء معانى و أخيلة . و جاؤا بنبويات ، لا مثيل لها فى الأدب العربى عبر القرون ، فقد ضعف هذا الصنف فى الشعر العربى — بعد قصيدة بوصيرى الميمية و بعد نبويات سيدى عبد الرحيم البرعى — ضعفاً شديداً ، و لا يزال سر هـــذا موضوع تفكير الباحثين و علماء الأدب ، و علله بعضهم بالبعد و الهجر ، فلها تأثير كبير فى تفجير ينابيع القلب و الحب ، و توليد المعانى الغريبة و إثارة الكنوز الدفينة ، و قد استعاض كثير منهم عن الرحلة الطويلة المملوءة بالأخطار ، فى أطول مدة قضاهـا المسلمون ، فقد كان الزمن زمن القراصنة البحريين ، و زمن السفن الشراعية ، و الطرق غير آمنة ، و الانتقال من مكة إلى المدينة لم يكن مأموناً ، وقوافل الحجاج تتعرض للخطر والغارة ، استعاضوا عن كل ذلك بالشعر و التعبير عن حنينهم و أشواقهم و لم يزل الشعر بريد القلب و الشوق ، و هو الحمام الزاجل الذى لا يزاحمه شىء ولا يعوقه شىء ، و إذا امتلأت الكأس طفحت ، و إذا طفحت فاضت ، و لا بد أن يعقب الرى السكر ، و لا بد أن يعقب السكر التغنى ، و ما أجمل ما قاله الشاعر العربى :

سقونی و قالوا لا تغن و لو سقوا جبال سلیمی ما سقیت لغنت

ثم جاء دور الحكم الانجلیزی الغاشم الحاقد علی المسلمین، فقد كانوا منافسهم الأكبر فی قیادة الركب الانسانی و توجیه الفكری و الحضاری ، و هم الذین قادوا الثورة علیهم سنة ١٨٥٧م و تولوا كبرهـا ، و زاد الطین بلة و الطنبور غنة ، الشعور بالحاجة إلی مواجهة الغزو الثقافی العقائدی الخلقی و الحضاری ، و الاستعمار الداخلی الباطنی وهو أضر بكثیر من الاستعمار السیاسی و الاداری، فنبع جیل جدید من الأدباء و الكتاب و الشعراء و المؤلفین ، یقبلون هذا التحدی و یعارضون الحكم الانجلیزی و ما یحمله من مخططات رهیبة دقیقة ، لانشاء جیل جدید من المثقفین یحقق مآربهم و ینفذ مخططاتهم منسلخ ، عن الاسلام ، بل ثائر علیه مزدر به .

هنالك نهض شعراء عصامیون عبقریون مثل لسان العصر السید أكبر حسین « أكبر » الاله آبادی ، و العلامة الدكتور محمد إقبال ، والشاعر المبتكر ظفر علی خان ، فلم ینشئوا فی الجیل المثقف الجدید نخوة إسلامیة فحسب ، بل قوة المقاومة للتحدیات الجدیدة، وكراهة للحضارة الوافدة الدخیلة المستعبدة ، وتارة فی أسلوب شعر لاذع متهكم ، و تنكیت قارص ، كما فعل أكبر الاله آبادی (١) و طوراً فی أسلوب جدی و شعر بلیغ یتدفق قوة و حماسا ، و یسیل رقـة و عذوبة ، و قد أحدثت فیهم الثقافة الغربیة موجة رد فعل عنیفة فی مشاعرهم و تفكیرهم ، حولت شعرهم إلی شلال یتدفق بقوة و ینحدر بقوة .

(١) لیرجع للتفصیل إلی كتابنا « الحضارة الغربیة الوافدة ، و أثرها فی الجیل المثقف ، كما یراها شاعر الهنـد الكبیر لسان العصر السید أكبر حسین الاله آبادی» طبع مكتبة الصحوة فی القاهرة ومطبعة ندوة العلماء فی الهند.

و حقيقة تاريخية غريبة أخرى تحتاج إلى دراسة أمينة محايدة ، و تحليل نفسى تربوى ، أن عدداً كبيراً من الشباب المسلم الذكى من العواصم العربية ذات المركز القيادى فى العلوم الدينية و الآداب الاسلامية يمم الغرب و مكث فى الجامعات الغربية الرئيسية خصوصاً فى انجلترا و فرنسا ، لم يرجعوا إلى أوطانهم بالروح الحرة المنتقدة الثائرة على أسس الحضارة الغربية ، ومثلها و قيمها ، الواعية لأهداف الاستعمار الغربى البعيدة و مخططاته الدقيقة الرهيبة ، لصياغة الشرق الاسلامى ، صياغة غربية إلحادية ، متنكرة للاسلام و مع ثقة بصلاحية الاسلام لا للبقاء فحسب ، بل للقيادة العالمية ، و مع الحماس الزائد للاسلام ، كما كان الشأن مع فيلسوف الشرق و شاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال ، و زعيم حركة الخلافة الأكبر و زعيم حركة التحرير الكبير مولانا محمد على دفين القدس ، و لا أزيد على ذلك بتسمية طائفة من كتاب مصر و سوريا و المغرب العربى ، و الأدباء و المؤلفين منهم ، و الذين كادوا يحتكرون القيادة الفكرية و الأدبية فى الشرق العربى الاسلامى فترة غير قصيرة ، و كانوا القدوة و المثل الكامل ، ليس للشباب الجامعى فحسب ، بل للشادين فى اللغة العربية ، و النقاد و الأساتذة ، فانهم معلومون لدى السادة الحاضرين .

أما الدكتور محمد إقبال فاسمحوا لى أن أنقل هنا قطعة من مقدمتى لـ « روائع إقبال » فانها تصور فى قوة و إيجاز أعظم ما اتصف به من سمات و مميزات .

« إن أعظم ما حملنى على الاعجاب بشعره هو : الطموح ، و الحب و الايمان ، و قد تجلى هذا المزيج الجميل فى شعره و فى رسالته ، أعظم مما تجلى فى شعر معاصر ، و رأيت نفسى قد طبعت على الطموح و الحب ، و الايمان ،

وهى تندفع اندفاعا قويا إلى كل أدب و رسالة يبعثان الطموح ، وسمو النفس ، و بعد النظر ، و الحرص على سيادة الاسلام ، و تسخير هذا الكون لصالحه ، و السيطرة على النفس و الآفاق ، و يغذيان الحب و العاطفه و يبعثان الايمان بالله ، و الايمان بمحمد ﷺ ، و بعبقرية سيرته ، و خلود رسالته ، و عموم إمامته للأجيال البشرية كلها .

إنى أحببته و شغلت به كشاعر الطموح و الحب و الايمان ، و كشاعر له عقيدة ، و دعوة و رسالة ، و كأعظم ثائر على هذه الحضارة الغربية المادية ، و أعظم ناقد لها وحاقد عليها ، و كداعية إلى المجد الاسلامى . و سيادة المسلم ، و من أكبر المحاربين للوطنية و القومية الضيقتين ، و أعظم الدعاة إلى النزعة الانسانية و الجامعة الاسلامية .

و اشهد على نفسى أنى كلما قرأت شعره جاش خاطرى ، وثارت عواطفى، و شعرت بدبيب المعانى و الأحاسيس فى نفسى ، و بحرك للحماسة الاسلامية فى عروقى ، و تلك قيمة شعره و أدبه فى نظرى (١) .

أما محمد على فقد تجلت عبقريته فى مقالاته الانجليزية التى كان يحلى بها صدر صحيفته الأسبوعية الانجليزية (Comrade) و التى كانت تعتبر مثالا بليغاً رائعاً للأدب الانجليزى المتهكم اللاذع ، الذى لا يقدر عليه إلا من تذوق اللغة كأبنائها و أبنائها ، ونوع التهكم و التنكيت فى لغته ، من أدق أنواع الأدب التى يصعب تقليدها ، و كانت مقالات ملتهبة بالحماس الاسلامى ، و النقد اللاذع للحكم الانجليزى ، يحرص على قراءتها الحكام الانجليز ، و يتلقفون كل عدد

(١) « روائع إقبال » طبع دار القلم الكويتية و المجمع الاسلامى العلمى بندوة العلماء الهند ، ص / ١١ و ٢٥ .

بلهف و شوق ، و كذلك افتتاحياته لصحيفة « همدرد » الأردية التى خلفت « كومريد » فكانت قوية جريئة ، و له شعر قوى فى أردو أبدى فيه عواطفه الاسلامية وميوله الجهادية ، والحب للنبى ﷺ ، وحب الموت للاسلام و الشهادة فى سبيله ، حفظته الصدور وفاضت به الألسنة و الأقلام .

أما ظفر على خان منشىء صحيفة « زميندار » السيارة ، فكان من كبار شعراء عصره ينظم القصائد الطوال عفو الساعة، فيض الخاطر، وله اقتدار عجيب على القوافى الصعبة و البحور العويصة ، و شعره حداء مثير للركب الاسلامى الناعس ، و رجز مطرب للجيش الاسلامى المرابط ، يمتاز بجزالة اللفظ و حلاوة الجرس ، و تدفق كتدفق العين المتفجرة ، و ما قاله من شعر فى المديح النبوى من أقوى و أبلغ ما قيل فيه فى العصر الذى أدركته ، وقد كانت أعداد صحيفته تصادر وتمنع بين آونة و أخرى ، و كانت صحيفته تغرم بغرامات باهظة ، و هو لايمتنع عن النقد اللاذع للحكومة وللهندوس المتطرفين المهاجمين للاسلام والمسلمين .

لقد كان للحرب الكونية الثانية ( ١٩١٤م — ١٩١٨م ) وحملات الحلفاء ، و تضعضع الخلافة العثمانية آثار سيئة على البلاد الاسلامية لا سيما الهند الاسلامية التى هب شعبها المسلم يدأ واحدة لمناصرة الخلافة العثمانية وتأييد قضيتها، و جعلها قضية الموت و الحياة و شغله الشاغل ، و كادت الخلافة العثمانية تنهار أمام الحملات الشرسة التى كان يشنها الحلفاء، دب الحماس فى قلوب مسلمى الهند، و اشتعلت العاطفة الاسلامية و الجذوة الايمانية بصفة عامة .

هنالك طلع على أفق القيادة الاسلامية — فضلا عن الصحافة الاسلامية — هلال جديد أصبح بدراً فى مدة قريبة ، وهو صحيفة « الهلال » لمولانا أبى كلام آزاد، زعيم حركة الخلافة الكبير ، و رئيس المؤتمر الوطنى العام ، و وزير التربية الأول فى الجمهورية الهندية المستقلة ، فكانت مقالاته فى هذه الصحيفة فى غاية

القوة و البلاغة الأدبية ، كأنها تكتب بقلم من نار ، و هو الذى أدخل فى اللغة الأردية الكلمات و التعبيرات القرآنية فامتزجت بها وزادت فى قوة اللغة والبيان ، و ألفها الأدباء و الكتاب ، و يصح أن يقال إنه انتهج أسلوبا إسلاميا قرآنيـــاً أدبياً أردياً جديداً ، فكان أدب « الهلال » السحر الحلال ، و الماء الزلال ، و فى القوة الشلال النازل من مكان عال .

و كان من حسن حظ الشعب المسلم الهندى ، و من تيسير الله تعالى الدعوة الاسلامية و الأدب الاسلامى ، أنه لم يتحـــه الشعراء فى تلك الفترة اتجاها سلبياً ساخراً من الاسلام هازئا بقيمـــه و مثله ، بل كان لفحول الشعراء ، و أصحاب المدارس الشعرية المتميزة غلب عليهم الايمان بالله و الحب للرسول ، فكان الأئمه للشعر الأردى فى الزمن الأخير شعراء مسلمين محتشمين ، عدد منهم يلتزمون التزاما إسلامياً ، فى مقدمتهم و على رأسهم الشاعر فضل الحسن حسرت موهانى ، وشوكت على فانى بدايونى ، وأصغر كوندوى ، وسيد على سكندر جگر مراد آبادى ، و خواجه عزيز الحسن مجذوب ، و أمجد الحيدر آبادى ، و حفيظ جالندهرى ، و إقبال أحمد سهيل ، و ماهر القادرى ، و على سكندر وجد الاورنك آبادى ، و نشور واحـــدى (١) و آخرون يطول ذكر أسمـائهم ، فلم يبتل الأدب فى الهند بمثل ما ابتلى به فى الشرق العربى بالفوضى الفكرية ، وتحرر من جميع القيود و الآداب (٢) .

ونبغ بجوارهم كتاب فى أردو يعتبرون منشىء مدارس أدبية ممتازة وأساليب مرموقة نموذجية ، كلهم إسلاميون فى فكرهم و عقيدتهم يجمعون بين الدراسات

(١) الكلمات الأخيرة فى الأسماء يتلقبون بها فى الشعر على طريقة شعراء الفارسية .

(٢) يستثنى من هذه الكلمة شاعران متحرران من ربقة الدين، هما شبير حسن جوش ، و فيض أحمد فيض .

العميقة الواسعة ، و الأفكار الناضجة المختمرة ، و الأهداف المعينة الصالحة ، و الأقلام الرشيقة البليغة ، نخص بالذكر منهم العلامة السيد سليمان الندوى ، و مولانا عبد السلام الندوى و الأديب الكبير مولانا عبد الماجد الدريابادى ، و مولانا مناظر أحسن الكيلانى ، و مولانا عبد البارى الندوى ، و الشيخ معين الدين الندوى ، و الأستاذ خليق أحمد النظامى ، و الأستاذ سعيد أحمد الأكبرآبادى ، و السيد صباح الدين عبد الرحمن ، و ذلك على سبيل المثال و الاجمال ، لا الاستيعاب و التقصى .

هـذا فيما يختص بالكتابة الاسلامية و البحوث العلمية ، أما فى مجال التحقيق و الدراسات ، والتحليل العلمى ، والدراسات المقارنة ، التى قد يكون لها من التأثير على الناشئة ، و الشباب المثقف ، ما لا يكون فى أكثر الأحيان للأدب والشعر ، لخضوع الفكر و العقلية يكون أكثر عمقا و أبعد أثراً من خضوع الشعور و العاطفة و الحاسة الأدبية ، فقد نبغ فى الهند فى آخر القرن التاسع عشر المسيحى ، و أوائل القرن العشرين كتاب محققون و مؤرخون نوابغ دونوا التاريخ الاسلامى و أبرزوا السيرة النبوية ، و عرضوا الحضارة الاسلامية ، و أرخوا لعدد من نوابغ المسلمين و مفكريهم وقادتهم فى أسلوب جذاب ، وفى دراسة تاريخية دقيقة واسعة وفى تحليل علمى موضوعى ، و ألبسوا كل ذلك ثوباً قشيباً براقاً ، وعنوا بصفة خاصة بما وجهه المستشرقون من مطاعن فى الاسلام ، واتهاماتهم للمسلمين و ما أثاروه من شكوك و ريب فى الشريعة الاسلامية و حضارة الاسلام ، و تدوين العلوم الاسلامية و تاريخها ، و حول حكام المسلمين و سياستهم و مواقفهم ، فى مقدمتهم و على رأسهم العلامة شبلى النعمانى صاحب السيرة النبوية المعروفة فى مجلدين ضخمين و صاحب كتاب « الفاروق » الذى هو من أقوى الكتب التى ألفت فى سيرة الخليفة الراشد

و الحـاكم الاسلامی العادل عمر بن الخطاب رضی الله عنه ، بل عن بطل من أبطال أی أمة فی أی بلاد ، هـذا عـدا مؤلفاته القيمـة عن سيرة الامام أبی حنيفة النعمان ، و عن سيرة الامام الغزالی ، و مولانا جلال الدين الرومی ، و المأمون الخليفه العباسی ، أما كتاباه : « مكتبة الاسكندرية » و « الجزية فی الاسلام » فقد كان لهما فضل كبير فی إزالة مركب النقص عن النفوس الناشئة المسلمة ، و فی إنشاء الاعتزاز بتاريخهم فی نفوسهم ، و كذلك كتاب « الانتقـاد لتمدن الاسلامی » للكاتب المسيحی المعروف جرجی زيدان ، و قد أدی بذلك فرض كفاية عن العلماء المسلمين فی العالم الاسلامی ، ليس عن علماء مصر فقط الذين كانوا أحق بذاك ، و اعترف بذلك العلامـة السيد رشيد رضا الذی نشر هذا الـكتـاب فی مصر .

و قد أكمل هذه السلسلة فی البحث الاسلامی و توجها بكتب لا يوجد نظيرها فی المكتبة الاسلامية المعاصرة تلميذه النابغه العلامة السيد سليمان الندوی الذی أكمل السيرة النبوية لأستاده ، وضم إليها خمسة مجلدات ، أصبحت بهـا موسوعة فی السيرة النبوية ، وفی علم التوحيد ، والعقائد ، والعبادات ، والأخلاق ، و السياسة ، و المعاملات ، و كتابه الفريد « خطبات مدارس » الذی نقل إلی العربية بعنوان : « الرسالة المحمدية » ، و كتابه « أرض القرآن » يعنی أرض النبوات ، و « صلات الهند بالعرب » و « الخيام » و « سيرة أم المؤمنين عائشة » و « الامام مالك » و « الملاحة عند العرب » ، نموذج من الطراز الأول فی التحقيق و الدراسات الطويلة المضنية ، و المجهود العلمی المستنفد للطاقة ، و كلـه فی أسلوب أدبی بليغ ، و كتابة عالية رشيقة .

و يضاف إلی هذه القائمة المشرقة ، اسم الكاتب الاسلامی الكبير والداعية الشهير الأستاذ السيد أبو الأعلی المودودی ، منشیء الجماعة الاسلامية ، و صاحب

الكتابات الاسلامية القوية و الكتب القيمة ، ككتاب « الجهاد فى الاسلام » و « تنقيحات » و « تفهيمات » و رسائل كثيرة أخرى فى القضايا الاسلامية المعاصرة ، و هو رئيس تحرير مجلة « ترجمان القرآن » التى كانت مدرسة فكرية إسلامية مستقلة ، و هو صاحب أسلوب خاص يخلو عن الاعتذار و الدفاع و يمتاز بالثقة و الاعتزاز مع سلاسة و انسجام ، و تعبير أدبى علمى ، هذا مع الاحتفاظ ببعض نقط الخلاف التى لا محل لها هنا .

ومن صنع الله تعالى بالجيل المسلم الصاعد أنه قيض له فى هذه الفترة الحالكة من الحكم الانجليزى – الذى كان يحمل معه منهجا تعليميا يصوغ الجيل الجديد صياغة غربية – مؤلفين للكتب الدراسية لتعليم اللغة الأردية – المعترف بها رسميا – حاذقين لبقين مسلمين فى العقيدة و السلوك ، كان لهم فضل فى وقاية الجيل الجديد من الافلاس الاسلامى الثقافى ، و الانحراف الدينى العلمى ، و قد أسندت وزارة التربية و لجنة المقررات الدراسية تأليف سلسلة من الكتب لتعليم لغة أردو إلى الأستاذ محمد إسماعيل الميرتهى ، و هو من كبار الأدباء و المؤلفين و الشعراء الذين يراعون نفسية الأطفال و مداركهم و يستطيعون تطعيم اللغة بالدين ، وحب الأخلاق الفاضلة ، و يقتدرون على الشعر السلس البليغ المحبب للأطفال ، فألف سلسلة من الكتب يبلغ عدد أجزائها إلى سبعة كتب ، كانت كما يقول العلامة السيد عبد الحى الحسنى فى تاريخ شعراء أردو « كل رعنا » أنه لم توفق وزارة التربية بالهند لتأليف كتب أفضل منها للأطفال ، و لا يزال كثير من الكتاب والأدباء والأساتذة فى مثل سنى ، يحفظون الشئ الكثير من الشعر البليغ المنسجم الذى جاء فى هذه السلسلة ، و الذى يغرس الايمان و إجلال الله تعالى وتقدير نعمه ، وحب الأخلاق القويمة فى قلوب القراء .

زد إلى ذاك أن أبناء البيوتات ، و كثيراً من أطفال المنادك فى الطبقات الارستقراطية والمثقفة ، كانوا يدرسون اللغة الفارسية ، وكان من الكتب المقررة للدراسة ، و العمود الفقرى ، فى هذا المنهج كتاب « كريما ما مقيمان » و « كلستان » و « بوستان » للشيخ مصلح الدين الشيرازى الملقب فى الشعر بـ « سعدى » ، و هما من الأدب العالمى لتعليم الأطفال وتعليم الأخلاق والحكم و تجارب الحياة فى القمة ، و قلما ألفت كتب فى لغات أخرى — فى حد معلوماتنا — أرق أسلوبا و لغة ، و أكثر تأثيراً فى النفوس ، من الكتابين المذكورين ، و كان لكل ذاك أثر عميق ، باق فى نفسية المتعلمين ، أقل مظاهره الاحترام للدين و لأهل الفضل و الاحتشام و التماسك .

و يلى كل ذاك مجال الروايات التاريخية ، و القصص الأدبية ، و كل منا يعرف تأثيرها و سحرها على العقول و القلوب ، و قدرتها على قلب الحقائق ، و تصوير القبيح جميلا ، و الجميل قبيحاً ، و قد وفق الله عدداً من الكتاب القديرين و المنشئين المترسلين لتأليف كتب فى الروايات التاريخية الاسلامية ، و فى التعليم للسلوك الانسانى الشريف ، و الحياة العائلية الكريمة ، و حسن العشرة ، كان فى مقدمة كتاب الروايات التاريخية الأديب الكبير الشيخ عبد الحليم « شرر » اللكهنوى ، و من رؤساء الطبقة الثانية ( الكتاب فى الحياة العائلية الكريمة وحسن العشرة ) الأديب الكبير والعالم الضليع الشيخ نذير أحمد الدهلوى وبعده الأستاذ راشد الخيرى ، وكانت لكتبهم رواج كبير فى الأسر المسلمة الواعية .

و هناك حقيقة تاريخية أخرى لا يمنع الحياء عن تقريرها و تسجيلها ، فانها أمانة تاريخية ، و هى أن من سمات علماء الهند البارزة ، أنهم قادوا الحركة الأدبية الانشائية فى شبه القارة الهندية ، و كانوا من الدعائم القوية السامقة التى

قام عليها قصر الأدب الرفيع و النثر الفنی بعد ثورة ١٨٥٧م ، و كان كل واحد منهم مؤسس مدرسة أدبية خاصة لا يزال لها أنصار و أتباع و مقلدون ، و كان كثير منهم رائد نشاط جديد فی الانشاء و التحرير و النقد و تاريخ الأدب و الشعر ، و لا تزال مؤلفاتهم هی المرجع الأصيل و العمدة فی هذا الموضوع ، فلم يكن فی الهند ذاك الفصام النكد بين علوم الدين و الأدب العصری ولغة البلاد ، و لم تكن تلك الفجوة التی وقعت فی بعض البلاد بين علماء الدين و الشادين بالأدب و الشعر ، و الهائمين بهما ، الفجوة التی جنت علی الدين و الأدب فی وقت واحد .

فی ضوء هـذه الخلفيات و المراحل التی مر بها الشعب المسلم الهندی ، و العوامل التاريخية و النفسية التی خضع لها بحكم الطبيعة و سنة الله تعالی فی خلقه ، تكونت مدرسة إسلامية أدبية هندية لها ميزاتها و طابعها ، لا يسوغ لمؤلف فی تاريخ الأدب العربی و الثقافة الاسلامية العامة أن يغض الطرف عنها و يبخس حقها ، و بسبب كل داك اختلفت نظرة المعنيين بالآداب و اللغات ، و المدرسين و الدارسين للغة العربية و آدابها — بصفة خاصة — إلی الأدب العربی و تقويمه ، فلا يستطيعون — بحكم ارتباطهم بالاسلام و نظرهم إلی اللغة العربية كلغة القرآن و الحديث و السيرة و مفتاح مكتبة الاسلام — أن يفصلوا بين الأدب العربی و الدين ، بل إنهم أصبحوا يعتقدون بعد دراستهم الأمينة المخلصة لثروة اللغة العربية و كنوزها الأدبية ، أن الأدب العربی يستمد من الدين القوة و الحيوية و الجمال و التأثير ، و كما قلت فی مقدمة كتابی « مختارات من أدب العرب » :

« و قد كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة ، و يكتبون لأنفسهم يكتبون إجابة لنداء ضميرهم و عقيدتهم ، مندفعين منبعثين ،

فتشتعل مواهبهم ويفيض خاطرهم، ويتحرق قلبهم فتنثال عليهم المعانى ، وتطاوعهم الألفاظ ، و تؤثر كتاباتهم فى نفوس قرآئهم لأنها خرجت من قلب فلا تستقر إلا فى قلب » (١) .

كل هذا حمل أبناء هذه الدار التى تلتقون فيها - أيها السادة - على أن يؤلفوا لأطفال المسلمين الذين يدرسون اللغة العربية فى المدارس الهندية مقررات دراسية على هذا المنهج التربوى الاسلامى، من المرحلة الأولى إلى المرحلة الأخيرة ، من قصص للأطفال ، إلى سلسلة من القراءة العربية ، إلى مجموعات « منثورات » و « مختارات » إلى رسائل عرض ونقد، للأدب العربى إلى كتاب فى تاريخ الأدب العربى ( مع إشادة بالمدرسة العربية الهندية) لايزال فى دور التكوين والتأليف .

و بذلك نادى الكتاب و الباحثون فى هذه المؤسسة بالنظر الجدى ، و التأمل الفاحص فى هذا الموضوع ، و استعراض المكتبة العربية من جديد ، ذلك مع عدم إنكار قيمة أدب الفن و أدب التسلية و الترفيه ، و أدب الغزل و المدح ، و الذى ظهر لتحقيق أغراض مؤقتة شخصيه و جماعية ، فلكل قيمته ، و مكانه الفسيح فى مكتبة الأدب و فى قلوبنا ، بل نتمتع به و نتذوقه ، و نراه حاجة من حاجات الحياة ، و مطلباً من مطالب الفطرة البشرية السليمة المرحة ، و لكنها محاولة لاعطاء الأدب الهادف المفبد حقه ، و إحلاله المحل اللائق و الاهتمام به الاهتمام الجدير به .

و نحمد الله على أن هذا النداء لم يكن صيحة فى واد ، و نفخة فى رماد ، و لقد تجاوبت له الأوساط الأدبية فى مهد اللغة العربية ، و كبار الأساتذة و النقاد

---

(١) « مختارات من أدب العرب » ص / ١٥ ، دار الشروق ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

فی الجامعات العربیه ، و قد سبق بعضهم إلی تبنی هـــذه الفکرة و احتضانها ، و الدعوة إلیها نذکر تقـــریراً للواقع ، و اعترافا بالفضل أستادین جلیلین ، هما الدکتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، و معالی الشیخ السید عبد العزیز الرفاعی و الأستـــاذ محمد حسن بریغش ، فقد أنشأوا مکتبة عامرة من قصص التـــاریخ الاسلامی و تعریفاً بأبطال المسلمین و زعمائهم ، و المغمورین من الأدباء والشعراء من الطراز الأول یستحقون بذلك شکر علمـــاء التربیة و أصحاب الدعوة للفضیلة و عشـــاق الأدب .

و علی هذه الفکرة و المبدأ ، انعقدت ندوة عالمیة للأدب الاسلامی فی ١١ - ١٣ من جمـــادی الاخری ١٤٠١ھ ( ١٧ - ١٩ من ابریل ١٩٨١م ) فی جامعه ندوة العلمـــاء حضرها لفیف من کبار الأدباء و الکتاب و أساتذة الأدب العربی فی الجامعات السعودیة ، و الخلیج العربی و مصر ، و علی هـــذه الفکرة ، و لتمدیدها و توسعها ، و ترسیخها و تدعیمها ، تألفت رابطه الأدب الاسلامی فی شعبان عام ١٤٠٤ھ ( شهر مایو من ١٩٨٤م ) فی مکة المکرمة بدعوة من عدد من کبار الأساتذة فی جامعة الامام محمد بن سعود ، و جامعة الملك عبد العزیز فی الریاض ، و الجامعه الاسلامیه فی المدینه المنورة ، « والبلد الطیب یخرج نباته باذن ربه » فها هی الندوة الأولی لهذه الرابطة الحبیبة ندعو الله تعالی و نرجوه أن تکون بدایة عهد جدید ، و انتفاضة أدبیه إسلامیة ، فی فجر القرن الخامس عشر الهجری ، فیکتب المؤرخون فی المستقبل أنه کان قرن النهضة الأدبیة الاسلامیة ، کما کان قرن الصحوة الاسلامیـــة فی العالم الاسلامی بالمعنی العـــام - و بالله التوفیق .

# معركة التراث و المعاصرة

الدكتور محمد توفيق شاهين

و كان الانسان أكثر شيء جدلا ، ويبدو كأن الجدل من خصائص الانسان الأصلية . و كان الجدل لمخ الانسان كالحركة لجسم الانسان . و ربما وجد المخ في الجدل متعة كمتعة الرياضة البدنية و اكثر . . كأنه جمنزيوم فكرى أو جهاز ذهنى . . خاص بالمثقفين .

بل قد نرى كثيراً من الفرق الدينية و الأحزاب السياسية لا يعدو ما يكون بينها من اختلاف وتحجيج عن ان يكون جدلا صرفاً ، ولم ينج من داء الجدل أئمة كبار في الدين و لا سياسيون فحول في الدنيا .

لقد تعرض وجود الله الخالق لجدل مع أن الفطرة فى الطفل الحدث توحى له وتقود ، و تعرضت الأرض فى كرويتها و مدارها للجدل . و تعرض الانسان فى أصله الأول للجدل ، وتعرض القرآن فى هل هو « قديم أو حادث » للجدل ، و زعم أهل الجدل فى مثل هذه الأمور أن هناك فائدة منها وأن مثل هذا الجدل ينتج مولوداً فكرياً .

و كان هناك جدل عقيم أو نراه عقيما : كالجدل حول من سبق الآخر البيضة أم الفرخة ؟ بل كان هذا الجدل سبباً مباشراً فى سقوط الدولة البيزنطية صرف مشاركيه عن غزوة دبرها العدو ، ولدرجة أن وصف أى جدل عقيم بأنه جدل بيزنطى .

و ربما كان شبيها به فى العقم أو قريباً منه هذا الجدل الساخن عن التراث و المعاصرة ، و هو جدل قديم جديد مستقبلى ، جدل دائم على مر العصور ، جدل بين جيل يتحمس للقديم وجيل يتطلع للحديث ، و مع ذلك ما من تراثى إلا و يمارس العصرية فى مسكنه و ملبسه و طعامه و حركته و ما من مستحدث إلا و فيه دم من القديم و عادات من القديم ولمة من القديم ويحمل كل القديم مركزاً غاية التركيز داخله ، ـ و خطورة هذا الجدل عن التراث و المعاصرة أنه شق الأمة إلى « رجعيين » و « تقدميين » و وصل هذا الشرح و الشق العطولى إلى طبقة السياسيين والصفوة ، وأصاب الأمه بالفالج وكرهت يد الأمه اليمنى يسارها وتمنت قطعها، وكرهت يد الأمه اليسرى يمينها وتمنت قطعها. وانتقل الحرب والضرب من عدو خارجى إلى صميم الداخل و إلى أساس البناء .

و تحت مستوى القادة و الصفوة و الساسة أدى هذا الجدل بين القديم و الحديث إلى انقسام فى الأسرة و داخل خلية الأمة ذاتها ، وصل هذا الأمر إلى درجه قتل الابن لأمه وابيه أو الأم لوليدها قتلا فعليا و أكثر منه قتلا روحياً أو دماً أو معاشياً ، بل إن هذه الصورة من انفجار الخلية ـ خلية الأمة و وحدة المجتمع ـ لم تكن موجودة فى العصور الوسطى المظلمة ولا حتى فى عصر الانسان الحجرى ، كانت أول جريمه فى تاريخ آدم قبل أن يتهذب حضارياً ، هى قتل بين أخوين بدافع الغيرة و لكن أبداً لم يكن هناك قتل بين أب و أم وبين والدهما أو العكس بدافع أن هذا قديم أو تراث أو رجعية و هذا حديث أو معاصرة .

فالغيرة شعور يجرى فى الدم ويدخل فى تركيبه وهو ظاهرة للحيوية وللحرص على الحياة ، أما جدل التراث والمعاصرة فانه مستحدث مصطنع وافد ، يزداد مع تتابع الأجيال و مرور العصور و توالد الأيام و الليالى ، و إذا سكتنا عليه اليوم

ازداد أمره غدا . و ربما صارت عاقبته أسوأ من عاقبة بنزنطه فى جدلها حول البيضة و الفرحه أيهما أسبق للوجود .

فللنظرة الأولى يبدو هدا الحدل اشبه بأن سجادل الليل والنهار ، أو الصيف و الشتاء فى أيهما أفضل مع اصرار كل منهما على الانفصال و السيطرة بالكامل على اليوم الكامل أو السنه الكاملة . وهو أمر كما يبدو ليس مجنوناً فحسب و لكنه مانع للحياة مبيد لها .

وإذ أن الحياة هى ليل يتبعه نهار يتبعه ليل وصيف يتبعه شتاء يتبعه صيف فلا بد إذن من اقتناع ، ثم توحيد بين أهل التراث ، فأهل المعاصرة على تعايش بنهما ، تعايش أساسه هو كف كل منهما عن هدا الحدل الذى لا يبدو عقيماً فحسب و لكنه مبيد أيضاً .

و خارج نطاق الأسرة ( حليه المجتمع ) و فى نطاق الحياة اليوميه نرى هذا الحدل بين التراث والمعاصرة يؤدى إلى قتال بين الطبيب الحديث والطبيب القديم ، وبين المعيد والاستاذ . وبين المدير والمرؤوس وبين الضابط والقائد وبين المعلم والناظر ، كله على أساس أن هدا يحمل فكراً حديداً و أن داك يتحجر على فكر قديم ، و قطعاً لو أن هده الخلافات انتهت لكانت المحصلة أوفر عائدا مما لو احتدمت .

فالحدل حول التراث والمعاصرة إدن تحد شق الامه إلى رجعيين وتقدميين يود لو يبيد كل منهما الآخر بدل أن يبيد العدو الخارجى ، و شق الأسرة إلى حيل الأب و حيل الابن ، وحعل بينهما بحراً يمتلئ من وقت لآخر بالدم ، وشق كوادر الحياة اليومية كلها إلى صفوف تواحه بعضها بالكيد و الكبت و الايذاء ، و ضيق نطاق الحياة بحيث حعلها لا تتسع للحيل القديم مع الحيل القادم ، وإنه بمجرد وصول القادم لا بد أن يرحل القديم و إلا أجبره القادم على الرحيل .

حدود و أبعاد و طبوغرافيه النزاع :

قد يبدو النزاع بين التراث والمعاصرة للشخص العادى كأنه نزاع على الموضه ،

هل الأليق أن يلبس لباساً حديثاً أم يتمسك بالقديم ، فاذا انتقلنا إلى الشخص الدارس يبدو الخلاف بين الطرفين على : هل الأوفق الدراسة من الكتب الصفراء « القديمة » أم من الكتب الحديثة و وسائل التعليم البصرية والسمعية و الالكترونية .

فادا انتقلنا إلى طبقه المتأملين فالحكماء فالفلاسفة يرعنا أن نجد أن الموضوع قد صار هو « هل الحقيقة من عند الله أم من عند عقل الانسان » .

هكذا هى ابعاد الشرخ فى موضوع التراث والمعاصرة إدا تدمناه بين طبقات البشر المختلفه ، فالخلاف حول الحديد والقديم عند رجل الشارع قد وصل باعند الصفوة إلى العلاقه بين الوحى والعقل ، أو العلاقه بين الآخرة و الدنيا ، أو العلاقه بين النقل ( عن القديم ) و العقل ( أى الجديد ) .

فعنوان التراث و المعاصرة ، هو عنوان مهذب ، خافت هامس عن مشكلة كبيرة ، هم فى الحقيقة أو فى نهاية الحدل يقصدون بالتراث الدين ويقصدون بالمعاصرة الدنيا ، أو بما نسميه هنا : هل الحقيقة هى من عند الله أم من عد عقل الانسان .

وبعض المتكلمين يخافون التصارح المكشوف فيقولون : هو نقاش حول العلمانية ( المعاصرة ) و الدولة الدينية ( التراث ) ، و يكتبون فى دلك كتباً و مقالات و يعقدون مؤتمرات ، كلها ملتهبة .

و قد سبق لمفكرين كبار أمثال ابن رشد و الفارابى و الغزالى سبق لهم أن أنفقوا ليالى طويلة بلا نوم فى البحث عن هده العلاقة ، وما فعلوا هذا إلا لأنهم أدركوا أبعاد هذا الشرح الذى يمتد من رأس الدولة إلى الخفير .

و لكننا نقول باطمئنان : أن النبى محمداً ﷺ و الصحابة قد نظروا إلى هذا الموضوع نظرة أبسط كثيراً و واقعية جداً إلى سؤالنا « هل الحقيقة هى من عند الله أم هى من عند عقل الانسان » بأنه لا تناقض و لا قضية لأن عقل الانسان هو من عند الله .

و إذن فليس هناك فجوة بين التراث و المعاصرة بل يجب أن يكون هناك وصل كامل و مستمرة وصل كوصل الأمس باليوم بالغد .

إنه ما من علمانى إلا و الاسلام فى أعماقة وإن لم يفصح ، بل وحتى وإن لم يدر ، و ما من مسلم إلا و يجب عليه أن يتعلم كل علوم العلمانيين لا لمجرد أن يبذهم فيها فقط ، ولكن أيضاً ليعيد اكتشاف الاسلام ذاته من خلال العلمانية و لكى يؤكد ذاته هو كمسلم يؤكدها بلغة العصر و ليس بلغة الامس الدارس أو بلغة عفى عليها الزمن .

فالقرآن يتحدى المسلم لكى يعيد اكتشاف معانى جديدة فيه بعد أن يكون قد استوعب ثقافات الأمم الأخرى ، لأن القرآن موجه إلى الأمم و كل الثقافات .

إن الحفيد ممكن أن يكون فى نفس إيمان الجد حتى لو اختلف ملبس الحفيد ومسكن الحفيد وركوبة الحفيد عن جده ، فجوهر الحقيقة موجود عبر أجيال وعبر صور مختلفة ، و بذلك فالحقيقة ثابتة ولو تجددت مظاهرها ، كالجلد يتقشر و لكن ما تحت الجلد لا يتغير تشريحه .

إن الحقيقة هى كالماء المتدفق عبر الأجيال و عبر مناطق مختلفة من النهر ، لا تتغير طبيعة الماء و إن تغيرت مظاهر شواطئ المياه

لا بد إذن أن يكون هناك ربط فسيولوجى طبيعى غير مصطنع بين العقل وبين التراث و المعاصرة وبين الوضع والوحى ، ربطاً حياً متدفقاً مستمراً متصلا .

إن التراثيين الذين لا يعترفون بالعلمانية إنما يدعون إلى ركود المياه لاجريانها ، حرروا المياه ، اطلقوا المياه تجرى .

إن التراثيين الذين يخافون من لفظ التغيير و يتخذونه حجة يدرأون بها أن يلحق بالقدسية درن أو أذى ، مثلهم كمثل الذى لا يريد أن تتغير الشمس من ضحى إلى ظهر إلى عصر إلى مغرب ، هل هذا التغيير يغير من طبيعة الشمس ؟ أبداً ،

الشمس تتغير و جوهرها واحد ، و القمر يتغير وجوهره واحد ، و الطفل ينمو و يتغير و جوهره واحد .

إن تجميد الشمس والقمر و الانسان ليس تصرفاً عقلانياً ولا هو تصرف إيمانى أيضاً ، لماذا ليس إيمانياً ؟ لأن كل شئ يتغير ، إلا الله ، ما عـــدا الله ، فلا بد إذن أن يتغير كل شئ حتى نبعده عن تقديسا الذى يجب أن نقصره على الله تعالى وحده .

معنى التغيير أن نهضم المخترعات الحديثة ، ومهمة التراثيين أو المحافظين إعادة اكتشاف معانى الايمان من جديد فى ظل هذه المخترعات ، يجب أن يفهم الايمان فهماً جديداً متجدداً كل يوم و كل سنة و كل حقبة .

عملية الفهم الجديد تستلزم الاجتهاد .

الاجتهاد :

أجملت البلاغة القرآنية المعجزة وصف المؤمن بأن له جنتين، جنة فى الدنيا و جنة فى الآخرة ، أى أنها وصلت جنة الدنيا ، و هى المعاصرة ـ بجنة الآخرة ، و هى التراث ، هذا الوصل بين الجنتين يتم بالاجتهاد ( و الجنة بصفة عامة هى حالة السعادة القصوى بأى صورة تتصورها حسية أو خيالية ) .

فعن طريق الاجتهاد يعاد اكتشاف محاسن الدين عن طريق ما استجد من أساليب المدنية ، وعن طريق الاجتهاد يعاد تطويع كل جديد من أساليب المدنية لجوهر الدين .

الاجتهاد هو وصل الحضارة الحديثة بالأصول الأولى للدين ، وبهذا يتجدد مفهوم الدين ساعة بساعة ويوماً بيوم ، ويتحرك الدين مع الناس ويتحرك الناس ويتمدنون فى نطاق الدين .

الالحاد قد يكون سببه قلة الاجتهاد :

إن الله هو مفهوم كونه الانسان لنفسه بنفسه عبر التاريخ ، إن الانسان يحس

بحاسة مجهولة وخاصة به و ركبها الله فيه بأن هناك خالقاً أو حكمة كبرى ، ليس الانسان مجرد تراب فقط .

هذا الاحساس الانسانى بوجود خالق زكاه فيه الله برسالات الانبياء، ومع ذلك كانت الوسائل التى كانت متاحة للانبياء تعتبر قليلة و ضعيفة بالنسبة للوسائل المتاحة الآن للتعرف بالله ، عندنا الآن وسائل معملية وفلكية و سمعية وبصرية - استعمالها فى التعرف بالله هو نوع من الاجتهاد .

إن الملحد قد لا يلحد إلا لأن الصورة المقدمة إليه لم تقنعه ، ولكنه مع ذلك فى أعماق نفسه يحس أن هذا الكون لا يمكن أن يكون عبثا فالجاحد ها يساهم فيه إغلاق باب الاجتهاد ، أى أن عدم وصل الدين بالدنيا تمادى إلى درجة أن أعطى فرصه للالحاد .

الخلاصة أنه بلا إنسان . لا إله ، و الانسان هنا هو الانسان المجتهد الذى يربط الدنيا بالدين أى المعاصرة بالتراث أى العقل بالعمل أى حب الدنيا بجنة الآخرة ، و المقصود بعملية ربط التراث بالمعاصرة أو الاجتهاد هو المعنى الواسع الذى لا يقتصر على استصدار فتاوى دينية بمشاكل المجتمع نتيجة تطور المدنية بما تستحدثة من بنوك وعمليات استثمار أو من عمليات زرع أعضاء و تلقيح صناعى و حلاقه، ولكن المقصود بالاجتهاد هو أوسع كثيراً ويشمل التأقلم اليومى للرجل الذى يريد أن يعيش فى عامه هذا مثل أى متمدن على سطح الأرض، و لكن فى نفس الوقت لا ينكر أو يتنكر لأبيه و أمه الفكريين و العقائديين و التراثيين من فلسفه و دين و تقاليد و يريد ان يحتفظ بتدفق ماء الحياة فى عروقه لا أن تركد وتأسن وتتعفن وفى نفس الوقت دون أن تختلط هذه المياه العذبة بما لا يعتبره مياهاً عذبة أوصافية .

هذا التأقلم التلقائى للرجل البسيط هو قمة الاجتهاد ، وهذه العملية التى يقوم بها بدون جعجعة هى قمة التفلسف ، و هى هدف الاصلاح و هدف اليوتوبيا و هدف الرسالات السماوية .

لا اجتهاد فی غیبة الدیموقراطیة :

إن الاجتهاد معناه المباشر هو الدیموقراطیة ، الدیموقراطیة أساس الاجتهاد ، لأنه لا یتم اجتهاد بدون حوار ، حوار مع الغیر و حوار مع النفس ، ولا یتم حوار بدون حریة ، لأن الحریة معناها إطلاق الأفكار فی كافـــة الاتجاهات أی فی الاتجاه و عكسه .

و كما أنه لا مولد مولد إلا من تزاوج كذلك لا تولد فكرة إلا من تزاوج فكرتین ، و الاجتهاد أوسع مدى من الدیموقراطیة و إن نتج منها ، فالدیموقراطیة هی البذرة و الاجتهاد هو الشجرة الناجمة من هذه البذرة .

الدیموقراطیه قد لا تتعدى لحظة التصویت فی صندوق الانتخاب أو الاستفتاء مرة كل كذا سنه ، و الكل یدعی الدیموقراطیة حتى الفـاشستیین و حتى الحزب الواحد و حتى الزعیم الأوحد ، و لكن الاجتهاد هو ممارسة الحریة بصفة دائمة و مستمرة و تطبیق عملی للحریة الفكریة فی التصرفات العملیه ، و لا یمكن ادعاء الاجتهـاد إلا إذا أمكنك ادعاء إنجاب ولد دون أن تنجب ، بینما الدیموقراطیة المدعاة اكثر كثیراً من الدیموقراطیة العملیة .

و ما من زعیم و لا من صاحب رسالة إلا ویقاس أثره بما اجتهده للناس بأن یجعل حاضرهم سعیداً و دنیاهم رابحه مع ضمان غدهم و آخرتهم سلیمة ونقیة .

الخلاصه :

أن جوهر الحكمة و جوهر كل حكومة صالحه هو وصل الدین بالدنیا و العقیدة بالتصرف والفعل بالقول : حتى یكون هناك جنتان موصولتان ، و بالتالی فكل تقوقع حول التراث وحده او المعاصرة وحدها یتنافى مع الحكمة والحكومة .

و إن عملیة الوصل هذه هی كل شیء فی الاجتهاد ، و إن بذرة الاجتهاد هو الحریة ، و إن أی حریة لا تثمر اجتهاداً جدیداً هی حریة عقیم و ربما كانت حریة مدعاة بالاسم فقط .

## الدعوة الاسلامية :

# مفاتيح الدعوة إلى الله

محمد بن إبراهيم الادريسى بخات

إن مفاتيح الدعوة إلى الله والتفرغ لها قلما يملكها شخص واحد فتلتقى عنده، وهى : ( الطبع و المنشأ والعلم و الأصل والعادة والعمر والشوق والتوفيق . . . ) وليس عدم توفرها كلها فى شخص بقائم له كعذر للتحلى عن مسؤولية الدعوة إلى الله ، أو حتى التهاون فيها إذ أن أغلب هذه المفاتيح مكتسبة ، لا يعذر مؤمن فى تخليه عن اكتسابها إلا لأسباب قهرية لاطاقة له بالتغلب عليها .

و ليست الدعوة إلى الله مهنة للارتزاق يستوجب إتقانها الالمام بأصولها و أسرارها . . و إنما واجب أو على الأصح فرض كفاية - قد يتحول فى ظروف خاصة إلى فرض عين - على كل مؤمن أن يعلم حق العلم أنه آثم كل الاثم إن تراخى أو توانى فى اكتساب أسبابه ومفاتحه بعضها أو جلها . . . ولعل هذا يقودنا إلى التساؤل عن مــدى تأثير الطبع الموروث و الاكتساب المأخوذ بحكم النشأة و المحيط والتعلم فى توفق الداعى إلى الله .

والحق أن عاملين اثنين لهما أبلغ التأثير فى كل داع إلى أى مذهب ( الوراثة و الاكتساب ) و ممــا لا يمارى فيه أحد إلا مكابر عنيد أن الداعية إلى الله الموفق ترجع أسباب نجاحه و توفيقه بعد تسديد الله سبحانه و تعالى لخطاه إلى قابلية موروثة يرثها إلى جانب قابليات أخرى متعددة تحدد الكثير من صفاته العقلية و الجسمية .

والعامل الاكبر - فى رأيى - الذى يؤثر فى الداعية إلى الله ، ومدى ما يلقاه

فى مهمته من نجاح وتوفيق، هو الاكتساب بحكم المنشأ فى محيط معين له أبلغ الاثر فى نموه وسلوكه وصفاته و قابلياته ومواهبه ، والدعوة إلى الله تتوقف - لنجاحها - على عدة أركان :

١ــ الداعى إلى الله المؤمن العامل .

٢ــ العقيدة المدعو إليها ، و فى هذه لا بد أن تتوفر لدى الداعى درجة من الصفاء و الفهم و العلم و الحب لهذه العقيدة ، و بذلك نصل إلى الركن الثالث وهو :

٣ــ وسائل الدعوة ، و فيها لا بد من أن تتوفر لدى الداعى بالضرورة الطرق المنظمة المدروسة للتأثير والدعوة إلى الله،والتصميم الدائم على بلوغ الهدف ، رغم المصاعب و العضات ، فالداعى الجبان لا يستطيع لخوفه و شذوده أن ينفذه خشيه الوقوع فى المزالق ،وكذلك الداعى المهمل الذى لا يعتبر الدعوة إلا قضاء وقت أو واجباً ثقيلا مفروضاً ، وأغلب هؤلاء من العلماء - أو على الأصح أشباه العلماء - الذين لا يرون فى الدعوة إلا وسيلة للوصول إلى مكانة مرموقة أو استدرار رزق من ذوى مال أو جاه أو سلطان .

٤ــ الأشخاص الذين هم محل الدعوة ، وهنا لا بد من مراعاة مكان الدعوة وزمانها ومستوى من يتقبلها حتى لا يكذب الله و رسوله حين ينتهز الداعية أى فرصة ، حتى لو كانت غير مواتية يخاطب الناس على قدر عقولهم ، إن أول واجبات الداعى أن يألف الناس و أن يعمل على أن يألفوه و أن يوسع دائرة علاقاته الاجتماعية و أن يزور و يستزير ، و أن يشارك فى حياة الناس الاجتماعية ويساهم فى حل مشاكلهم ، ويعمل على إزالة همومهم وكل ما يجعل حياتهم غير راضية ولا هينة . . . لا أن يقبع فى عقر داره

أو يستقر فى مركز مسجده ينتظر أن يأتى إليه الناس ولا يسير إليهم مترفعاً عنهم مستكبراً أو خائفاً مما قد يلحقه على أيديهم من أذى أو متحاشياً ما قد يصيبه من رداد ألسنتهم . . . وله فى رسل الله عليهم الصلاة والسلام أحسن الأسوة ، وكذلك فى كل الدعاة إلى الله الذين سبقوه بالايمان والعمل .

بعد هذه المقدمة سيكون حديثى فى موضوع دعوتنا الخالدة من العمق ، ملقياً الأضواء على أن دعوة الاسلام مسؤوليه ومنهجية وحركية ، مشيراً إلى أن دعوة الحق هى دعوة هذا الاسلام ، فهو الدين الذى ارتضاه الله لنا ، لأنه جمال وكمال ، فأقول وبالله التوفيق :

إن دعوتنا الخالدة فى عصر جاهلية هذا القرن فى حاجة ماسة إلى التزام المسلمين ووعيهم واعتصامهم ، وهو التزام ضرورى وأساس يجعل المتشبث به ومن يتحلى به يعيش فى قمة بديعة ، وينظر إلى هذه الجاهلية نظرة شزراء ، فهى عنده فى الحضيض ، إنسانها قزم يحاول أن يتعملق ، وإنسان الاسلام هو النموذج الأسمى والمثل الأعلى للانسان الكامل ، حلم فلاسفة الغرب الذى لم يتحقق منذ أقدم العصور ، وحققه سيدنا محمد ﷺ فى أقل من ربع قرن ، إنسان الجاهلية الحديثة يحاول أن يتعملق قمة الكمال إلى سعادته المنشودة على سلالم عرجاء من ديموقراطية جوفاء مزيفة ، فيتربع على عرش الكمال الموهوم ، حتى إذا شاء شياطين الانس إحياء ماضيه هووا به إلى الحضيض فى أسرع من لمح البصر ، وكلنا سمع وعلم بقضايا وفضائح تدل على فسقهم وفجورهم ، والجهة مليئة بالأخبار عن فسق رجالاتهم الكبار ، طافحة بالكثير المتنوع عن نفاق حضارتهم .

المثل الأعلى للحضارة الغربية فى ممثلى السينما والراقصات وأنصاف المتوهمين من الرسامين ، والعته الذى فيهم وفى غيرهم من الفنانين ليس طبيعياً بمعنى أنه ناتج

عن حالة مرضية ، وإنما هو أصلا انحراف فى التعبير الفنى والتجسيم الفنى الخبيث لا علاقة لهم البتة بأى صورة من صور الصدق الفنى ، و بصراحة فانتاجهم الفنى فى ضوء التحقيق لا يمت بالصلة إلى حقيقة من حقائق الأصالة الفنية ، و على هذا الأساس ، فالفن كما يؤكد الواقع ويشهد به عندهم يساوى العفن ، فهو فى عالمهم لا يجسد ويحقق إلا المسخ و التزييف و الاسفاف و الانحراف و التميع .

فالعته بهذا المفهوم عند إنسان الغرب صنو للعمه الذى يعانيه ، و من باب وضع النقط على الحروف : عتهه ليس ناتجاً عن نقصان عقل و إنما عن نقصان إيمان ، و هو نقصان تجاوز الحد مما جعله لا يؤمن حقيقة و لا يهتدى أصلا ، إذن ، ليس غريباً أن يكون عمهاً ، وليس غريباً أن يتحول إلى معتوه ، لأن ما به من عته وعمه من ضروريات حضارته العرجاء و من حتميات جاهليته الجهلاء ، و ما حضارة الغرب إلا مادية طاغية هى الغاية ، و ما جاهليته ؟ أليست ضلالا فى ضلال و كفراناً فى كفران ؟ ( إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ) (١) ( و من يضلل الله فلا هادى له و يذرهم فى طغيانهم يعمهون ) (٢) .

أما إنسان الاسلام فمثله الأعلى الأنبياء عليهم السلام هداة البشرية وأساتذة الحياة الذين كانت دعوتهم : ( إن الدين عند الله الاسلام ) (٣) فهم عليهم السلام و خاتمهم هو الأولى و الأجدر بالاقتداء لدوام الاهتداء :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (٤) وعلاوة على هؤلاء الأمثلة الحية التى هى قمم البشرية ، فهناك تلاميذهم الأوفياء من الصديقين و الشهداء و الصالحين الذين اقتدوا بهم و التزموا هديهم و اعتقدوا وتيقنوا بأنه لا قيمة للحياة ولا قيمة لانسانها إلا بالايمان وعمل

الصالحات ، و بدونهما لن ينظر هذا الانسان ولن يلقى إلا الخسر فهو مصيره و هو جزاؤه :

( و العصر ، إن الانسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر ) .

و الايمان وعمل الصالحات كما يريد هذا الدين و كما بين و أكد القرآن الكريم ودعا إليهما ، وبرهن عنهما هما الحل .

إن ما وصلت إليه هذه الجاهلية من خسر نابع من واقعها الأليم ، ينذر بساعة الخطر التى أزفت و التى تؤكد أنها فى تهافت و اندحار و أفول ، و إنسانها الشقى يعانى بسببها شتى أنواع الحرمان واللعنة و الزيغ ، وحدث و لا حرج ، و أعود لأقول محللا وموضحاً بأن بيت القصد بالنسبة لنا هو أن نلتزم التزاماً كلياً بديننا ، لحديث الرسول الكريم التالى حجة علينا :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ولا يزيغ عنه » (٥)

فحيثما كان التزام هذا الدين فهو بحق دليل الايمان به وحيثما انعدم هذا الالتزام فمعناه إدعاء باطل ، و كذب صراح و خيانة سافرة و إجرام فى حقه وتنكر له وزهد فيه وفصل بين مادئه و أحكامه و انفصام مفروض عليه بيده - وهو الدين المهجور - وبين المنتسبين إليه ، وهم فى واقع كله زور و هجران هذا الدين والتخلى عنه و اتهامه وتشويهه و الاعتداء عليه وظلمه ، كل هذه المآخذ والعيوب ما أعظمها من ذنوب ، كلها صدرت ممن يحسبون على الاسلام نتيجة سبب واحد وهو الهوى المتبع الضال الذى يضلل و يردى ، و هذا الهوى الذى أدى إلى كل هذه النتائج و الأخطار و يقوض صرح الانسانية المهتدية ويجعلها فى جاهلية ، إنما يكمن خطره وضرره الأكبر فى كونه مخالفاً لمنهج الله كلية ، و استغناء صريحاً عن متابعة دين الله فى كل صغيرة و كبيرة مما أتى به ودعا إليه ، و أمر به ونهى عنه ، وحكم به

و أقره ، وحلله وحرمه ، و هدى إليه دوماً : منهج الاسلام هذا عبر عنه القرآن أصدق تعبير و أوضحه ودل عليه ودلل :

(إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ) (٦) هذا القرآن من يؤمن به و يلتزمه لا يمكن أن يهديه إلا إلى الخير فيعيش بخير ويكون من مفاتيح الخير،وتتيسر دونه مفاتيح الدعوة، و بذلك يكون من أهل الدعوة لهذا الدين ، لأنه آمن بهذا القرآن و أخلص له و اهتدى به وهدى غيره ، وكيف لا يبشر به و الله يبشره، وما أعظم تبشير الله له فهو تبشير كله صدق وحق من لدن أصدق القائلين .

كيف بشر الله هذا المؤمن به و بقرآنه ؟ و لماذا هذا التبشير ؟ لأن هذا المؤمن تابعه ، و متابعته هذه تجلت فى الايمان وعمل الصالحات ، فعمل الصالحات من هداية القرآن : و هذه الحقيقة إنما هدانا إليها قول الله كما جاء فى الآية التاسعة من سورة الاسراء التى استشهدت بها قبل قليل، فأعظم به من أجر كبير يبشر به الكبير المتعال ! و لماذا الالتزام ؟ و لم التركيز عليه ؟ وهل له كل هذا الاهتمام ويستحقه على الدوام ؟ .

إى و ربى ، لأنه نقطة الانطلاق من الأعماق ، أعماق هذا المسلم الملتزم المتدين بهذا الدين الذى ينطق عليه الأثر المشهور :

( ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل و إن قوماً غرتهم الامانى حتى خرجوا من الدنيا و لا حسنة لهم وقالوا : نحسن الظن بالله و كذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ) (٥) .

ذلك أن الالتزام إن لم يتجسم فى المتدين بهذا الدين فمن أين يتحقق وجوده ونهتدى إلى أصله ، فالالتزام الحق قعده هذا الدين ، وهو كله محاسن و فضائل ،

و بتوجيــــه منه وتعليم تظهر هذه المحاسن و الفضائل على صعيد الواقع وتتحقق بأجلى الصور فى باقى ميادين الحياة ، وكل دعوة للالتزام وكل داعية إليه إن لم يظهر سمو فى دعوته أو لم يظهر عليه صلاح فدعوته انحطـاط و ادعاء و هو وسيلة شر لأنه من الذين ينطبق عليهم : ( أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ) .

إن الالتزام الحق يجعل صاحبه ينطلق إلى آفاق الدنيا الرحيبة يدعو فى الرفق وصدق مما يجعل دعوته محببة للناس تستقطب كل الجماهير لصفائها الواضح ولإخلاص صاحبها البين ، ويقبل عليها الناس لأنها برهنت على أنها حق و داعيها على حق مما يرغب الناس فيها و تتوفق من الله يحبب إليهم الايمان ويزينه فى قلوبهم ويكره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان . وهذه النتيجة الايجابية ما هى فى الحقيقة إلا بركة من بركات الايمان و دليل على واقعية الاسلام و برهان على صدق الالتزام به ، فلمت الناس من المتكبرين له يحاولون و يعملون ليصلوا إلى هذه الحقيقة، وياليت من لا ملتزم يدرك هذه الحقيقة و يعمل للوصول إليهـا و استشعارها ، و ليت المحسوبين على الاسلام يعلمون بأن عدم اتباع دين الله هو عدم التزامه يعتبر عبادة للهوى و عمالة للشيطان و طاعة للنفس الامارة بالسوء ، و متابعة صريحة للباطل و انسياقاً تاماً مع تيار الجاهلية ، كل هذا التحذير و التخويف من انعدام المتابعة و الالتزام، لأن فى النص السوى نلمس بوضوح نفياً جذرياً لكمال الايمان وصدق الانتماء وصحة المتابعة و دوام الالتزام عن كل من يدعى أنه مسلم و واقعه يخالف هذا الادعاء ، فهو ادعاء كاذب . و كذبه يتمثل فى الانحراف الذى يعيش فيه هذا المسلم : انحراف فى التصور و التحاكم ، انحراف فى التوجيه و التعامل ، انحراف يقضى بتقبل كل ما هو جاهلى ، و رسول الله فى حديثــه عن الالتزام يشترط

لکی نکون ملتزمین بأن لا نزیع، وهو اشتراط خطیر یضع النقط علی الحروف، ولماذا اشترط ﷺ بأن لا نزیع ؟ حتی لا نکون أو نعد من الجاهلین أو التبعیین، أو المقلدین، أو الامعة، أو العملاء، أو الخونة، أو الأدعیاء.

صدق الرسول الکریم، الصادق فی توجیهه، المخلص فی تعلیمه، یعلمنا و یوجهنا کیف نصمد و کیف نواجه، وکیف نثبت علی الحق و ندوم ملتزمین، و لذلک أرشدنا إلی أن ندعو الله بأن یلهمنا التوفیق، و یثبتنا علی دینه کما علمنا القرآن و کما علمنا علیه الصلاة و السلام : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدیتنا و هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »، « یا مقلب القلوب ثبت قلبی علی دینك »، « یا مصرف القلوب صرف قلوبنا علی طاعتك » هذا هو حدیث الالتزام عن رسول الله ﷺ لأن به ـ مع التضحیة والاخلاص والصبر والصمود ـ انتشر الاسلام و نجح دعاته و ساد أهاله، و لا داعی للسؤال عن القدوة الصالحة و المثل الحی فهما ناجحان قطعاً و بالضرورة عن الالتزام، وعلینا ألا نمل أو نیأس لقلة العمل الاسلامی، و إعراض الناس عنه وضیق نطاقه، حتی إن هناك من یقول بانعدام وجوده أو یکاد، وبدون تعلیق أقول فی ضوء التحقیق : بأن دعوة الحق فی عهد البعثة المحمدیة کانت تدریجیة، یعنی لدحر الباطل لا بد من أن یکون الاصلاح تدریجیاً، و طبعا لکی یکون جدیاً لا بد من أن یکون جذریاً بتصحیح عقیدة المؤمن وتجدید إیمانه و تکوینه کما یرید هذا الدین، وبذلك یتجدد العمل الحیوی بالاسلام بانبعاث القاعدة الصلبة التی تفرض وجود الاسلام وتحتم عودة حاکمیته، وبغیر هذه الجذریة الاسلامیة إن صح التعبیر یستحیل أی تغییر، و بصراحة أقول: إن من یکتفی باصلاح الظاهر و یحاول التغییر طفرة فهو یطلب ما لا یجدی ولا یفید، لأن دعوته عبث فی عبث لأنها علی غیر أساس ربانی،

فیزید الفساد تعقیداً و الفتنة جسامة ، و الوضع إفلاساً و الشر انتشاراً و المنكر سیادة، و هكذا فالافساد الجاهلی دوماً یكون بالتخطیط وكذلك یكون الاصلاح، هذا ما علمتنا مراحل الدعوة الاسلامیة بمكة أولا و بالمدینة أخیراً ، ففی مكة كانت آیات القرآن تتعلق بشئون العقیدة من حیث التصحیح و التكوین و بالمدینة المنورة نزلت آیات التشریع من أجل مجتمع یعیش واقعاً نظیفاً شریفاً، ولا غرابة ولا مغالاة فدیننا دین الواقع و للواقع .

ومن أعدائنا نتعلم إعادة التخطیط و سلامته و جدیة العمل من أجل باطلهم لنشر حقنا و سیادته ، و الواقع یؤكد أنهم حینما تخفق لهم طریقة فانهم یعاودون الكرة، وحینما ینجح لهم تخطیط یحاولون ویعملون لیحققوا نجاحاً أكثر و مستمراً .

و بلاد الاسلام كم غیروا واستعملوا من وسائل و بذلوا و اتخذوا من شتی الأسلحه ، و لكن كان نجاحهم الأكبر و الأخیر فی اتخاذ تلامذة (٨) بمثابة ورثة لهم ، یخلصون لهم و ینوبون عنهم فی أرض الاسلام لاستمرار الاستعمار بشكل آخر و قیادة عالمنا الاسلامی فی ركاب الجاهلیه دوماً و أبداً .

إن الدعوة إلی الله تحتاج إلی الكثیر الطیب و الكثیر المتنوع من الأعمال و الوسائل باخلاص، و منهجیه و حركیه دائمة كما علم و وجه قرآننا ، و كما علمت و وجهت السنه النبویة مع مواكبة الجهود لها وإقبال الأفراد علیها: « و جاهدوا فی الله حق جهـاده هو اجتباكم » (٩) « واعتصموا بالله هو مولاكم » (١٠) « و اعتصموا بحبل الله جمیعا و لا تفرقوا » (١١) « و قل اعملوا فسیری الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١٢) «جاهدوا المشركین بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (١٣) « الدین : النصیحة » (١٤) « بلغوا عنی » (١٥) .

لا مناص من التخصیص لأوقات الدعوة والتفرغ لها ، و أقصد اغتنام فرص

الدعوة و إيجادها مع التطليق للراحة ، ذلك أنه لا راحة فی مثل عصر كعصرنا هذا ، فالركون إلی الراحة فی عهد جاهليات القرن هذا يعد غفلة كبيرة بل خيانة كبری بلا مبالغة أو مبالاة ، وصدق الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضی الله عنه ـ حينما أعلن عن هذه الحقيقة منبهاً و موجهاً جنود الدعوة و رجال الاصلاح : « الراحة للرجال : غفلة » (١٦) و التخصص مع الاخلاص فی ميدان الدعوة ما أعظمه و كم يحقق من إيجابية ! ! و لكن مع معرفة لغات الغير للاستفادة العلمية عموماً والمجادلة الحكيمة خصوصاً ، فهذه المعرفة تمكنه من دعوة الغير بلغته وإقامة الحجة عليه ورد شبهاته والمقارنة بين جاهليته وإسلامنا ، إلخ ، ولكن بشرط أن تكون دعوة المسلم له وهو فی موقف القوة علی أساس أنهم المتهمون و أن الاجرام لجاهليتهم و النقص فيهم والضعف فی ماديتهم ، والانحلال فی حضارتهم و التهافت لعلمانيتهم ، فالمسلم بحكم قوة عقيدته و صحة شريعته و سلامة قيمه يجب أن يكون دوماً فی مركز القوة فی كل مناسبة و علی أية حالة ، يدعو لحقه بصفـــة مباشرة و غير مباشرة ، وخلال دعوته يمضی قدماً ، ونصب عينيه شعار القرآن وهو شعار المؤمن الحق : « و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » (١٧) .

و هذا المؤمن و هو فی ميدان الدعوة و الدفاع عن الحق ، يتحين الوقت المناسب لكيفية الدعوة و لوسيلة دفاعه فيبرز عند الضرورة و ينتهز الفرصة ، فان دعا فلفرض حق و لقضاء علی باطل كيفما كان ولكن بكل حكمة ، و إن دافع فلفضح العدو و لاظهار باطل الغير والتشهير لخوائه ومواطن الضعف فيه ، فيكون قد طبق المفصل و أصاب المحز : عرف بالاسلام و فضح الجاهلية و برهن علی فراغها و بين ما وصلت إليه من تهافت و بأن إنسانها فی الحضيض ، وما نجح فی الدعوة و الدفاع و الهجوم إلا لأنه فی مستوی مسؤلية الدعوة .

و هكذا يكون قد ضرب العدو و أجهز عليـــه ، فاسلامنا لا يمكن أن يكون فى قفص اتهام ، فهو دين الحق الذى أظهره الله على الدين كله و لو كره الكافرون ، و لو كره المشركون فى الماضى و الحاضر و المستقبل ، حتى يأتى أمر الله ، فهو يعلو و لا يعلى عليه و إنسانه له أعلويتـــه و قوته ، فقوته من قوة دينه و عزته من ربه : « ولله العزة و لرسوله و للمؤمنين » (١٨) « و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » (١٩) إن أعلوية المسلم تجسمها بصراحة الآية الكريمة رقم ١٣٩ من سورة آل عمران التى تجعل المؤمن فى القمة و الكافر فى الحضيض و هى قوله تعـالى : « و لا تهنوا ولا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » أما ان نتقاعس و نحجم ، و نتملص و نبرر بدعوى عدم تخصصنا فى الدعوة فسيكون تصرفنا هذا ، وفهمنا بهذا الشكل علينا لا لنا ، لأن التخصص المقصود لا يتحقق إلا للقليل المستعد ذى القابلية ، ومن ناحيـة أعدائنا فهم لن يسمحوا لنا بالوقت الكبير و لن يتركونا نعمل لهذا التخصص الذى يستحيل فى أوسع نطاق ، ولا حتى أن نحاوله لأنهم اكتشفوا فينا نقطة الضعف ، و هى الخيانة مع التقصير ، وأدركوا حقيقة الخطر الذى يتعرضون له لو ثبنا إلى رشدنا ، وذلك بالعودة لديننا ، على هذا الاساس فهم يعملون ليل نهار للحيلولة دون ذلك ، وهم مطمئنون من النجاح و نحن مقصرون بنجاح ، و تقصيرنا لا نحسد عليه ، ويظهر أكثر فيما نستطيعه ، أما أن نتجشم تكاليف ما لا نستطيع ، فهذا سيكون منتهى التحريف و التصنيع و التخبط و التنطع

و فى موضوع ما نستطيع و ما لا نستطيع يجب أن نبين حقيقة ، و هى أن الكثير من المسلمين وحتى الحركيين منهم يدعون و يتذرعون بعدم الاستطاعة فى ميدان الدعوة و العمل ، و الاصلاح و التغيير قبل أن يخوضوا و يحاولوا ، أو قبل أن يجربوا و يعملوا ، وهذا تصرف منهم حجة عليهم و يشجعهم ، فعليهم

أن یجربوا أولا فی حدود الطاقة و کل له طاقة و فی دائرة المسؤلیة ، وکل له مسؤلیته فی حدود ، وبعدها فان لم یستطیعوا وإن لم ینجحوا فهم مخلصون ما قصروا ، أبریاء لاخونة فی حق دینهم ، یؤیدهم و یوجههم قول الله علی لسان نبیه شعیب لا تتوقف لهم محاولة و لا ینقطع لهم أمل ، یداومون الحرکة و یعیدون الکرة تحملا لعبء الدعوة و واجب التضحیة و النصیحة قصد الاصلاح : « إن أرید إلا الاصلاح ما استطعت و ما توفیق إلا بالله ، علیه توکلت و إلیه أنیب » ٢٠ ، و عودة للدعوة و التخصص تدعونی إلی البوح بحقیقة هی مفتاح الدعوة ، ومن عمق الدعوة و هی : أن التخصص الوحید بالنسبة للمسلم یکمن فی الاخلاص لهذا الدین مع صدق الانتماء إلیه ، فهذا هو التخصص الذی ینقصه ، و انعدامه سهل علی اعدائنا العمل الکثیر فی یسر لتحریفنا عن دیننا و تحویلنا إلی جاهلیتهم .

هذا النوع الفرید العجیب الفذ من التخصص ، به حقق سلفنا الصالح ما حقق من دعوة و نصر ، وهدایة و إنقاذ لأنه عرف دوره فی الحیاة وقدر وظیفته کما علمه رسول الله « بلغوا عنی ولو آیة » و لو آیة : هی جوهر الدعوة الحتمیة فی الاسلام فهی نقطة الانطلاق للمسلم الحرکی الملتزم ، هــذا المسلم الفذ الذی دری و وعی ، فکر و قدر ، فأقل و تقدم فبلغ عن رسول الحق و الخیر القلیل من أمر دینــه الکافی الهادی ، أما الکثیر منه فما کان لیبخل به ، لأن هذا الرسول الکریم الحکیم وجهه إلی ضرورة الدعوة فی حالة ما قل و کثر ، فهو کما رباه ﷺ یدرک حقیقة وطن إلیها فآمن بها و تشبع منها ، لها علاقة وثیقة بالدعوة وهی أن المسلم بحکم إسلامه الصحیح ، داعیة بالفطرة والضرورة ، و بالحال والمقال فی ضوء التزامه لا یعرف التناقض سبیلا إلی واقعه بین قوله و فعله .

و لهذا فهو دائماً یجول و یجتهد ، یکد و یجاهد فی سبیل الحق ، و هــذا خیر دلیل و هو الوحید علی إیجابیة إنسان الاسلام الحق و منهجیة دعوتنا الخالدة التی تنم عن واقعیة إسلامنا الخالد .

(١) الآية ٤ من سورة النمل . (٢) الآية ١٨٦ من سورة الأعراف .
(٣) الآية ٨٩ من سورة آل عمران .
(٤) الآية ٢١ من سورة الأحزاب ، وجاء فى سورة « الممتحنة » من الآية ٤ حتى الآية ٦ قوله تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم و الذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم و مما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم و بدا بيننا و بينكم العداوة و البغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه : لأستغفرن لك و ما أملك لك من الله من شئ ، ربنا عليك توكلنا و إليك أنبنا و إليك المصير ، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا و اغفر لنا ، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ، لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، و من يتول فان الله هو الغنى الحميد » .
(٥) رواه البخارى باسناد صحيح و الشيخ أبو الفتح المقدسى فى كتاب : ( الحجة على تارك المحجة ) والحافظ أبو نعيم فى كتاب ( الأربعين ) ورواه الطبرانى بزيادة ( و لا يزيغ عنه ) .
(٦) الآية ٩ من سورة الاسراء . (٧) أورده البخارى فى تاريخه .
(٨) ( محاضن الجيل المسلم ) للاستاذ يوسف العظم .
(٩) الآية ١٨ من سورة الحج (١٠) الآية ١٨ من سورة الحج .
(١١) الآية١٠٣ من سورة آل عمران . (١٢) الآية ١٠٥ من سورة التوبة .
(١٣) حديث صحيح . (١٤) رواه مسلم .
(١٥) أخرجه القضاعى فى المسند عن عبد الله بن عمرو، أخرجه أحمد والبخارى و الترمذى عنه بزيادة .
(١٦) كتاب : ( أدب الدنيا و الدين ) للماوردى .
(١٧) الآية ١٣٩ من سورة آل عمران . (١٨) الآية ٨ من سورة المنافقون .
(١٩) الآية ٦٠ من سورة الأنفال . (٢٠) الآية ٨٨ من سورة هود .

# الأدب الاسلامى

## المفهوم الاسلامى المتميز للأدب

بقلم الأستاذ محمد حسن بريغش

### المفهوم الاسلامى المتميز للأدب :

لا يزال الحديث عن الأدب الاسلامى فى هذا القرن غريباً عند كثير من الناس ، بل إن كثيراً من الداعين إلى تحكيم شرع الله عز و جل فى حياة الناس لا يستسيغ الدعوة إلى الأدب الاسلامى ، و يخشى أن تكون دعوة تؤدى إلى التضييق على الأدب ، أو إبعاد الأدب العربى و نسيان أهميته ، و لكن الأمر ليس هذا ولا ذاك ، وإنما هى دعوة إلى أدب أوسع مدى ، وأشمل و أرحب ، دعوة إلى وضع الأدب ـ كله ـ فى مساره الصحيح ليشمل الحياة كلها و يتجاوز الحدود الضيقة ، و الحواجز المادية المصطنعة بين بنى الانسان .

و الأدب العربى جزء من الأدب الاسلامى فى عمومه ، بل هو عموده الفقرى لأنه ـ منذ ابتداء الرسالة وإلى اليوم ـ ترعرع فى ظل الاسلام ، وعاش فى رعايته و أصبح فى كثير من موضوعاته و آثاره فيضاً من نور الاسلام و شعاعاً من أشعته .

و إذا انحرف أناس ـ قديماً و حديثاً ـ بهذا الأدب ، و خرجوا به إلى مسارات شاذة فان الدعوة إلى الأدب الاسلامى كفيلة ـ إذا اشتد عودها

وتعمق تيارها ـ أن تعيد الأدب كله ليكون أنصع مثال على الأدب الاسلامى، لأنه يتأثر بكتاب الله المعجز و يمتح من بلاغة النبوة الشريفة إلى مدى العصور.

و لعل بعض الناس لم ينتبه إلى شمولية الاسلام و كماله ، و كونه منهج حياة ، مما يستدعى أن يكون لهذا الدين الكامل أدبه وفنه المنبعث من عقيدته و منهجه ، و تصوره للكون و الحياة ، و العلاقه بين الخالق و المخلوق و بين الانسان وغيره من مخلوقات الله فى هذا الكون من طبيعه و حيوان ، ولا غرابة فى هذا ، فها هى ذى المذاهب الوضعيه و قد حاولت أن تصبغ الحياة بصباغتها ، وتصوغ كثيراً من الجوانب فق نظرتها فى الحياة ، فالمذاهب الرأسمالى و المذاهب الاشتراكيه و الماركسيه كانت لها طرقها و مدارسها . و نظرتها للأدب ، و ليست المدارس الأدبيه ـ القديمه و الحديثه ـ إلا نتيجه لهذه النظريات و المعتقدات ، و ليس تعددها و أساليها إلا انعكاساً لتخبط هذه الفلسفات و النظريات و تصوراتها المختلفه ، فهذا يضيع النظرية ، و ذاك يعدلها ، و ذاك يثور عليها و يرميها بالتخلف و النقص فيضيف أو ينقص منها و هكذا . .

ومادام الأمر كذلك ، افلا يحق للمسلم ان يكون له منهجه الأدبى وتصوره الخاص فى الفن ؟ .

ألا يحق للمسلم أن ينتج أدبا ينسجم مع عقيدته و سلوكه ، و يعبر عن حياته و مطامحه و آماله ؟ .

أليس من واجب المسلمين أن يصبغوا أدبهم بالصبغة الاسلامية «صبغة الله، و من أحسن من الله صبغة و نحن له عابدون» البقرة ١٣٨ .

هذا الأدب الذى يحمل سمة الاسلام عقيدة و فكراً و عاطفة و سلوكاً ، ويعبر عن مجتمع الاسلام ، الانسان المكرم، هو الأدب الاسلامى الذى نريده.

دور الكلمة فى الحياة :

و المسلم يدرك أهمية الأدب بداهة ، لا سيما و إن أول كلمة نزل بها الوحى على رسول الله ﷺ كانت توحى بالقراءة التى هى وسيلة من وسائل الأدب : « إقرأ باسم ربك الذى خلق » .

ألا توحى لنا هذا الآية الكريمة بما للكلمة من تأثير ، و ما للأدب من أهمية ؟ .

ألا تثير عند المسلم تساؤلا مهما : لماذا لم تكن الكلمة الأولى التى يخاطب بها رب الناس — سبحانه وتعالى — عاده غير كلمة « اقرأ » ، و الموقف موقف وحى و دعوة و دين ؟ .

إنها حكمة الله و فضله ، و علمه الواسع الذى أوحى بهذه الآية لينهض بها رسول الله ﷺ ، يقرأ باسم الله رب العالمين ، يتلقى أمر الله و وحيه و يحمله بقوة و يقين ، و يتمسك بحبله المتين ، ثم يدعو الناس إلى هذا الدين وحده ، يدعوهم ليكون لهم عقيدة و فكراً و دوقاً و تاريخاً و أدباً و حياة كاملة ، لهذا خاطب به الناس جميعاً ، و خاطب الكينونة الانسانية بكل ما تشمله ، لم يخاطب العقل وحده ، و لم يخاطب القلب وحده ، و لم يخاطب جيلا و لا أمة ، و إنما خاطب بنى الانسان ، وخاطب كيان الانسان ليسير على المنهج السوى ، ويتمسك بمنهج الله القويم .

فالقراءة سماع و إدراك وفهم و يقين و اعتقاد ثم صدور عن هذا الاعتقاد بوعى ، و تبليغ عنه بيقين و طمأنينة و ثبات .

و القراءة ليست أمراً جديداً ، بل هى قديمة قدم الخلق ، و لكن القراءة تختلف باختلاف العقيدة و المبدأ ، و الاسلام يريد من أتباعه أن يقرأوا الحياة

قراءة جديدة ، قراءة تنبع من حقائق هذا الدين ، و حقائق الفطرة التى خلقها الله سبحانه و تعالى .

و الأدب الاسلامی جزء من الحياة الاسلامية ، و ينبعث عن التصور الأصيل ذاته ، و هو التصور الذى حدده لنا كتاب الله و سنة رسوله ، و يسير فى حدوده و ضمن شرعه .

و هو وسيلة من الوسائل التى تكشف عن قراءة الأديب المسلم الواقعية و فهمه للحياة المتجددة من منظار إسلامى ، للتعبير عن النفس ، و الأحداث بصورة تميزه عن غيره ، و تطبعه بطابعه الخاص

و يتسع ذلك أن الأدب الاسلامی يرتبط بفهم المسلم للحياة و يرتبط بتصور المسلم فى الحياة ، و ليس الأدب الاسلامی هو الأدب المحدود بقضية خاصة ، أو المقتصر على لون معين ، أو المتحدث عن فئة معينة من الناس ، و هنا ينبغى أن تصبح غاية الأديب المسلم و هدف الأدب الاسلامی قراءة الحياة قراءة جديدة ، و التعبير عنها تعبيراً يصطبغ بصبغة التصور الاسلامی ضمن الأطر الأدبية المختلفة .

ميزات الأدب الاسلامی :

مهما قيل عن ميزات الآداب الأخرى وشمولها، فانها تظل قاصرة ضيقة ، تقيدها عوامل كثيرة من داخل النفس الضيقة التى خرجت عن طاعة الله ، فراحت تتخبط وسط الحياة ، وقد زينت لها الشياطين الآمال والغايات ، فنشدت الوصول إلى ما تريد ، و وقعت فى المتناقضات و المتاهات ، وشدتها نوازع الحقد أو الحب أو البغض ، و الفردية أو الجماعية ، لكن ذلك كله فى حدود المادة لأن حدود الدنيا فانية و آمالها واهية .

و أى أديب يستطيع أن يتخلص من هذه الحدود الضيقة ، و المشاعر الهابطة ، يقترب من حدود الأدب الاسلامى ، أياً كانت لغته أو لونه ، أو جنسه ، مسلماً كان أو غير مسلم .

و حين نربط بين مفهوم كلمة الأدب ، و مفهوم كلمة الاسلام نصل إلى ميزات الأدب الاسلامى التى نجملها بما يلى :

١- الأدب الاسلامى هو أدب الانسان :

ولا أعنى بهذا ما تعنيه المذاهب الوضعية لكلمة الانسان ، بل يشمل الأدب الاسلامى على أمور أشمل و أكبر مما تشتمله المذاهب الوضعية جميعاً ، لأنه الأدب الوحيد الذى يهدف إلى حيز الانسانية عامة ، و يخاطب الانسان أينما كان . و يتوجه إلى الكينونة الانسانية التى تشتمل على جوانب الحياة الانسانية كلها ، من مادية و معنوية ، و من خاصة و عامة ، و من فكرة و عاطفة ، ومن مشاعر الفرد و مشاعر الجماعة ، و من دغدغات الأحلام و ترانيم الطفولة إلى طموحات الشباب و آمال الكبار و تجربة الشيوخ و المجربين .

إنه الأدب الذى يتجاوز حدود الأعراق و الألوان ، و حواجز اللغات والقوميات ، و فواصل الأزمان و الدول ، ليعبر عن الانسان ، و عن الحياة الانسانية ، و يخاطب الانسان أينما وجد و حيثما كان و بأية لغة نطق و على أية أرض عاش .

و الأدب الاسلامى هو الذى يعبر عن الانسان عن فطرته السوية ، وعن أشواقه و حواسه ، يعبر عن المخلوق المهتدى بهدى الله و المستظل بظل الله ، يعبر عن المخلوق المكرم الذى جعله الله خليفة فى الأرض ، يأخذ بيده إلى حيث السلام ، ويمده بالأمل دوماً ليسعى نحو النور ، لايميز بين هذا و ذاك ، ولا يفصل

الانسان عن أخيه الانسان بحد من حدود المادة .

و هو الأدب الذى ينظر إلى الانسان المخلوق نظرة التكريم التى أكرمه الله بها ، فيعلى من مكانة الانسان ، ويكرم خلقه ، و يرعى حقه ، و يحترم مشاعره ، و يأخذ بيده إلى الخير ، و يثنى على حسناته ، و يضئ جوانب الخير عنـــده ، و يمنحه العزيمة للمضى فى الطريق الصحيح ، و يضيئ له الطريق ليتجاوز مصاعب الحياة ، و يتخلص من وساوس الشيطان .

ولا أتصور أدباً يعطى جانب الانسان ما يعطيه الأدب الاسلامى، لأن المسلم يفهم الكينونة الانسانية فهما صحيحاً متكاملا ، مستمداً من تصور الاسلام للانسان و لدوره و مكانته بين الخلق ، و لأن هـــذا التصور جزء من عقيدته ، بل إن الاسلام يكشف للأديب جوانب من النفس الانسانيه لا يكشفها غيره ، و يحدد خطوطهـــا الأساسية فيبين الجوانب الثابتة فيها . و الجوانب التى تخضع للتأثير و التغيير ، و كذلك يوضح طاقاتها و منازعها ، و بصورة واقعية ، فيعطى الأديب المسلم حقائق واضحة ويضئ له دروب النفس ، فلا يضرب فى تيه كما يفعل غيره ، مما يجعله قادراً عـــلى تصوير هذه النفس و التعامل معها على هدى و بصيرة ، فيعرف سبل التقوى و سبـــل الفجور ، و يدرك جوانب الضعف و جوانب القوة ، فلا تضلله الأهواء و لا يبرر السقوط .

هذه الميزة تذكرنا بظاهرة خطيرة و هامة تبدو فى الأدب المعاصر و تتعلق بنظرة هذا الأدب إلى النفس و المذاهب الفكرية المختلفة التى يمثلها ، والتى تفترض أن النفس الانسانية تقوم على الخطيئة ، وتلازم هذه الخطيئة ، و لهذا نراها تلح على السلبية ، و تغرق فى تصوير لحظات الضعف الهابطة .

و أكثر هـــذه المذاهب أيضاً ، تنظر إلى النفس من خلال الجنس ، كما

ادعى فلاسفتهم — من يهود و نصارى — و يجعلون الجنس أساساً و حافزاً للسلوك البشرى ، و الحياة فى نظرهم فرصة لاشباع النفس من المتعة الجسدية و الغريزة الجنسية .

و من الغريب أن يتأثر أدباء مسلمون بالأدباء الغربيين فى تصوير النفس الانسانية ، و ينسون أن أولئك الأدباء يصورون مجتمعات انسلخت عن الدين ، و أخلدت إلى المادة ، و تخلت عن قيم الأخلاق و الشرف و المحافظة على العفة ، و لهذا أصبح الجنس عندهم مبذولا ، و المتعة الجسدية غاية يقتنصها الانسان أينما وجدها مادامت حياتهم مرتبطة فى الأرض وحياة الانسان عليها ـ كما يعتقدون ـ فلماذا التأجيل ؟ و لماذا القيود ؟ و لماذا ترك الفرص ؟ هؤلاء هم الغربيون فى فى حياتهم الاجتماعية ، فلا غرابة أن ينعكس هذا الوضع على أدبهم و يبدو فى قصصهم .

فاذا كان العالم الاسلامى بحاجة إلى ما فى الغرب من تقدم علمى و صناعى فانه يستطيع ان يستفيد من ذلك مع المحافظة على عقيدته و ذاتيته بعيداً عن التأثر بالمعتقدات و الأوضاع الغربية .

و لكن الملاحظ أن أدباء مسلمين تتلمذوا على أساليب الغربيين ، قرأوا أدب الغرب بشغف و إعجاب ، و تعرفوا على أساليب الأدباء فى التعبير ، و طرائقهم فى طرح الأمور و معالجتها ، ثم ظهر أثر ذلك فيما كتب هؤلاء ، بل أصبحت الدعوة إلى أدب الغرب على ألسنتهم ، و فى كتاباتهم ، بحجة الاطلاع و ضرورة الاستفادة مما وصلوا إليه من طرق فنية ، و أساليب مبتكرة .

هذه الدعوة فى ظاهرها مقبولة و طبيعية ، و لكنها تحمل أخطاراً كبيرة من الناحية العلمية ، لأن الذى وصل إليه الأدب الغربى ليس أسلوباً و طرائق

فقط ، بل هو روح و فلسفة و معتقدات ، تنعكس فى هذا المظهر و الطريقة الفنيه ، فالأسلوب يمثل الشخصية الفنيـة بكل أفكارها و عاداتها و تصوراتها ، و الطريقة تحمل سمـات المجتمع الذى انبثقت منه لتعبر عما يسرى فى داخله ، و لهذا من الصعب أن نجرد أدبهم ببساطة ، فنأخذ ما نريد و ندع ما نريد ، لا سيما إذا كنا فى مرحلة التأسيس و البناء ، و بحـالة من الضعف لا تحتمل أى ريح قادمـة .

و الواقع يدل أن أثر الأدب الغربى أصبح واضحاً فى أدبنا المعاصر بل فى الأسلوب و فى الفكر أحياناً .

و السبب فى ذلك أن أديبنـا الاسلامى الذى أراد الاقتباس من أدب الغرب ، قـد دخل إلى حلبة الصراع بلاسلاح ، و أراد أن يبنى نفسه فنيـاً بلا تدبير و لا تهيئة ، ذهب إلى أدب الغرب معجباً ، و قرأه مشغوفاً فاذا به يصبح تلميذاً يقلد الأسلوب ويقتبس كثيراً من الأفكار و العبارات . . إنه دخل إلى دنيا الفتن و الجنس و المخدرات و الفلسفات ، و هو ضعيف التفكير أحياناً ، ضعيف الاعداد ، لم يتسلح بسلاح العقيدة بوعى و إدراك ، و لم يفهم حقائق الحياة من دينه فهماً صحيحاً و لم يستسلم بكل حياته إلى شريعة ربه ، حتى تصير كينونته خلقاً إسلامياً متكاملا ، بل حمل فكراً إسلامياً ، و ترك نفسه و سلوكه لرياح الشرق و الغرب ، يتأثر بهذا و ذاك ، ثم راح يدخل حلبـة الصراع بلاسـلاح .

فكيف يصح ذلك ، ألا يحتاج الأديب المسلم إلى دراسة واعية مستفيضته لاسلامه ، كجزء من فنه ، و سلاح من أسلحة فكره و أدبه ؟ .

ألا يحتاج إلى فهم تراثه و تاريخ أمته ، و حقائق دينه ، و أحكام شرعه

حتى يتعرف إلى الحلال و الحرام ، و يعرف حدود الخير و الشر ، و يتحصن بتصور واضح متكامل لكي لا يخضع لمقـــاييس الغرب ، و لا يتأثر بنظرات الفلسفة دون أن يدرى ؟ .

كيف يريد أن يمثل أدبه الاسلامى و هو جاهل بهذا الدين ؟ .

و كيف يرى ضرورة الاطلاع على مذاهب الغرب و مدارسه ، و فلسفاته ثم لا يرى ضرورة الاطلاع على شرع الله . و منهجه فى شتى شؤون الفكر و النفس و المجتمع .

ثم هل عرف الأديب المسلم نظرة الاسلام إلى النفس البشرية ، قبل أن يقرأ عنها فى القصص و المسرح الغربى ، أو فى الدراسات النفسية الغربية ؟ .

الأديب المسلم ـ اليوم ـ بحاجة إلى قراءة إسلامه من جديد ، قراءته من كتاب الله عز وجل و سنة نبيه محمد ﷺ ، قراءة مؤمن يشعر بتبعة المسؤوليـــة و ثقل الأمانة .

و الأديب المســـلم الذى يريد أن يخوض الغمرات وسط الثقافات المختلفة و المجتمعات المتنوعة بحاجة إلى أن يحيا حياة إسلامية حقيقة فى نفسه و بيتـــه و مجتمعه ، حتى يحس بحلاوة الايمان ، و فضل الاسلام ، و يدرك حقائق هذا الدين فى مجال التطبيق ، و يشعر بأثر الايمان فى النفس و الضمير ، و فى البيت و المجتمع ، و ليحصل على الطمأنينة الداخلية و السعادة الروحية ، و ليحقق فى ذاته التوازن الحقيقى ، و الاستعلاء بالايمـــان . فاذا به يخوض التجربة بوعى ، و قد تفتحت بصيرته ، و زادت ثقته .

إن هذا الشرط ضرورى ، لأن الأديب حينذاك ينقلب مخلوقاً آخر ، يحس فيح جهنم ، و يتصور ظلمة القبر ، و رهبـــة الآخرة ، كما يرى حلاوة البشرى

و طمأنينة الصدق ، و جمال الحياة النظيفة ، و نعيم الآخرة الذى لا يدانيه نعيم ، و لا يبلغ شأوه خيـــال ، إنه يعيش فى ظلال عرش الرحمن مع أنه يخوض غمرات المحن و الفتن فى هذه الحياة الصاخبة .

الأديب المسلم - فى الواقع - يؤمن باسلامه دون أن يتسلح حقيقة بهذا الاسلام ، و إنما سلاحه الحقيق فهم الاسلام من مصادره ، لا من الاستشراق أو الأدب ، و كذلك سلاحه أن يعرف هذا الدين معرفة اعتقاد و منهج حياة لا معرفة تراث و فكر فحسب .

و لا أدرى كيف يستطيع الأديب المسلم أن يبدع أدباً إسلامياً ، دون تحقيق هذا الشرط ؟ .

و كيف يريد أن يتحدث عن الانسان ، و للانسان فى كل مكان ، وهو محصور بقيود الفلسفات الضيقة ، بعيد عن تصور الاسلام و فهم الاسلام ؟ .

و إذا عدنا إلى آثار عدد من أدبائنا رأينا وقد امتلأت بنظرات الغربيين ، كما انطبعت حياتهم بسلوك الغربيين ، و اختلطت مفاهيمهم بمفاهيم الغربيين ، و هم يحسبون أنهم مازالوا على خير، وأنهم يبنون بما يفعلون دعائم الأدب الاسلامى ، ومع أن هؤلاء لا تنقصهم سلامة النية و عزيمة الطامحين ، لكن هذا لا يكفى ، لأن الغاية التى نريد ليست أدباً أياً كان لونه ، و إنما نريد أدباً إسلامياً ، و بمعنى أوضح ، لا بد من شرط الاسلامية مع الشروط الفنية ، لأن شرط الاسلامية يمثل المضمون والمحتوى ، والشروط الفنية تمثل الأسلوب و الطريقة أو الشكل .

إن من يفهم الاسلام و يعرف حدوده ، و يعيش فى أجوائه يستطيع أن يسير على هدى وبلا تخاوف ، وقد يجد من الأبعاد مالا يجد غيره ، وربما يكتشف سبلا و طرائق يخالف بها كثيراً من الناس .

# الالحاد ـ و علاقته باليهود و النصارى

الدكتور محمد بن سعد الشويعر

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد و آله و صحبه أجمعين، و بعد :

فمنذ خلق الله الانسان والصراع قائم بينه و بينه الشيطان ، ثم ازداد الأمر مع ذريته ، الشيطان و أعوانه من الجن والانس ، يريدون إغواء بنى آدم وصرفهم عن المنهج القويم ، و نصب الحائل لابعادهم عن أمر الله و شرعه ، و عن طاعة رسله و اتباع كتبه التى أنزل ، و المؤمنون من بنى آدم يأتمرون بأمر الله ، ويتبعون رسله و كتبه التى أنزل ، فهم عباد الله المخلصون له ، الذين حماهم الله من الشيطان و حبائله .

و أشد النـاس عداوة و حسداً للسلمين هم اليهود ، و ذلك لعداوتهم لله وتحديهم لرسالاته ووقوفهم ضدها ، و كراهيتهم لأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ، يقول الله تبارك و تعالى مخبراً عن اليهود و عدائهم للسلمين ، و أنهم متلازمون فى هذا يعنى اليهود مع الملاحدة و عبدة الأوثان : « لتجدن أشد النـاس عداوة للذين آمنوا اليهود و الذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصـارى ذلك بأن منهم قسيسين و رهباناً و أنهم لا يستكبرون ، و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممـا عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (١) .

---

(١) سورة المائدة الآية ٨٢ـــ٨٣ .

و يقول تبارك و تعالى مخبراً عما حل بهم بعد أن تجاوزوا الحد فى المعصية و المعاندة : « و ضربت عليهم الذلة والمسكنة و باؤا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، و يقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون » (١) .

و كما حرص اليهود فى بث السموم و العداء للديانة النصرانية ، وفى وقوفهم ضد عيسى والحواريين ، فان مواقفهم مع محمد ﷺ فى المدينة معروفة فى كتب السير ، وسجلها التاريخ ، بل أبان القرآن نماذج من حوارهم و عنادهم فى أكثر من موضع كما رصدت من قبل كثير من كتب النصارى وتاريخهم مواقف للعداء المستحكم بين اليهودية والنصرانية .

و بدأوا أسلوباً جديداً فى حربهم للاسلام على يد عبد الله بن سبأ اليهودى الذى دخل الاسلام ظاهراً ، أما باطنه فكان الاضلال و المباعدة بين المسلمين و دينهم ، فأنشأ الفرقة السبائية ، و كان مما فتن الناس فيه قوله : بأن على بن أبى طالب رضى الله عنه لم يقتل وإنما هو حى فى السحاب ، ولو أتيتمونا بدماغه فى سبعين صرة ما صدقنا موته ، و لا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً (٢) .

حرك اليهود الجدل فى تاريخ الاسلام منذ حل محمد ﷺ المدينة مهاجراً ، بل إن هناك أخباراً تعطينا الدلالة على اتصال اليهود بالمدينة - و اسمها ذلك الوقت يثرب - بكفار مكة وأخبارهم ببعض الأمور التى تطرح أسئلة على رسول الله للتعجيز و الحجاج لا للفائدة و الوصول للحقيقة ، كالأسئلة التى و ردت إجاباتها

---

(١) سورة البقرة الآية ٦١ .

(٢) انظر : الفصل فى الملل و الأهواء و النحل لابن حزم ج ٥ ص ٣٦ .

فی سورة الکهف و هی مکیة ، لأن عرب الجزیرة قبل البعثة المحمدیة لم یکونوا أهل علم و لا معرفة بأحوال الأمم السابقة .

ولذا یؤدب الله جلت قدرته أمة محمد ﷺ ، بعد الهجرة للمدینة ، التی یسکنها قوم من أهل الکتاب فی طریقة الحوار معهم ، والنقاش فیما یطرح من مسائل ، و هو اللین و الرفق ، لینجذب طالب الحقیقة ، وتقوم الحجة علی المعاند والمکابر فیقول سبحانه و تعالی : « و لا تجادلوا أهل الکتاب إلا بالتی هی أحسن إلا الذین ظلموا منهم ، و قولوا آمنا بالذی أنزل إلینا و أنزل إلیکم وإلهنا و إلهکم واحد و نحن له مسلمون » (١) .

و لما کان الیهود یضمرون العداء لمحمد ﷺ و رسالته ، فانهم سلکوا طرقاً ملتویة لاضلال الناس ، لحرکوا فی الأمم المغلوبة کالفرس و الروم جذور دیاناتهم السابقة ، لیأتوا بطرق ظاهرها الاسلام ، و باطنها محاربته للتشکیک فیه .

فظهرت الزندقة فی العهد العباسی ، کما تحرك النصاری وبدأوا یطرحون شبههم و یحاولون الظهور علی المسلمین ، و کان أول رد جدلی حسب ما وصلنا خبره ، رسالة الجاحظ فی « الرد علی النصاری » ، و ما ذکره المسعودی من جدل بین الرشید و ملوك الروم (٢) .

و فی الحروب الصلیبیة حول النصاری الناحیة الجدلیة إلی قوات عسکریة ناوأت المسلمین ، حتی هیأ الله لهم قائداً رفع رایة الاسلام عالیة فی بلاد الشام ومصر ضد عباد الصلیب ، إنه صلاح الدین الأیوبی رحمه الله ، [ ٥٣٢ - ٥٨٩ ] الذی حرص أن یبنی قاعدة و عقائد المسلمین ، قبل أن یحارب بهم أعداءهم ،

(١) سورة العنکبوت الآیة ٤٦ .

(٢) راجع مروج الذهب للمسعودی ج ١ ص ٣٦٥-٣٧٤ .

لحرص رحمه الله على القضاء على دولة الفاطميين فى مصر ، لأنها نشرت البدع وأقامت فى المسلمين حب الجهاد فى سبيل الله ، وقد حول مصر من التشيع - الذى اهتمت به الدولة الفاطمية - إلى السنة عند ما استقدم علماء من الشام و وزعهم فى أنحاء مصر لاصلاح عقائد أهل مصر قبل أن يدخل بهم المعركة ضد النصارى.

و قد نشط الجدل بين النصارى و المسلمين فى العراق و الشام و مصر ، و لكنه بلغ الذروة فى الأندلس لكثرة النصارى و اليهود فى تلك البلاد خاصة وأن اليهود يحركون الشبه لدى النصارى ليجعلوهم فى الصورة الجدلية وإلقاء الشبهات فى فهم الاسلام

ومن الرسائل الجدليه القصيرة التى كتبها علماء الاسلام فى الأندلس :

الرد اليهود للرقيلى

الرد على النصارى لأبى القاسم القيسى .

و كتاب ابن أبى عبيد فى الرد على النصارى .

كتاب الفصل فى الملل و الأهواء و النحل لابن حزم وهو من أقواها (١).

فالصراع بين الحق و الباطل قائم إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، و قد أخبر الصادق المصدوق فى حديث رواه عوف بن ماالك الأشجعى الأنصارى رضى الله عنه ، بأن رسول الله ﷺ قال له : « أعدد يا عوف ستاً بين يدى الساعه : أولاهن موتى ، و الثانية فتح بيت المقدس ، والثالثة موتان يكون فى أمتى يأخذهم مثل قعاص الغنم ، و الرابعة : فتنه تكون فى أمتى و عظمها ، و الخامسه : يفيض المال فيكم حتى إن الرجل ليعطى المائة دينار فيتسخطها ، و السادسة : هدنة تكون بينكم و بين بنى الأصفر، فيسيرون إليكم على ثمانين غاية ، قلت: و ما الغاية قال : الراية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً (٢) .

---

(١) راجع الفصل ج ١ ص ١٥ .

(٢) راجع هذا الحديث بكماله فى الفتح الربانى فى ترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل ج ٢٤ ص ٢٤-٢٥ .

ولعل من تلك الرايات موجة الالحاد التي حرص أعداء الاسلام على نشرها بين المسلمين لتشكيكهم فى قدرة الاسلام على مسايرة الحياة الحاضرة من مالية و تربوية و علمية و أمنية و غيرها ، بعد أن خسروا الحوار الجدلي بين الاسلام و النصرانية التي يدعون إليها .

إذ بدأ رجال خدموا الكنيسة و فى مناصب قيادية ، يندسون فى بعض المجتمعات الاسلاميـــة لاظهار أولا تمردهم على الكنيسة التي وجدوا تعليماتهـــا و طقوسها لا تتفق مع منطق العقل و لا مع متطلبات العصر ، و ما فيـه من مستحدثات .

و ثانياً : وهذا هو هدفهم الأساسي لصرف المسلمين عن دينهم ، بالمعادلات التي لمسوها فى عقائد أصحاب الديانات الأخرى ، فينصرف إليهم من لاخلفيات عقائدية أو علمية لديه فى أمور دينه الاسلامي .

و سوف أضرب فى هذا الموقف مثالا واحداً ، من الأمثلة الكثيرة التي تنتشر فى العالم الاسلامي بأسره ، و لدى الأقليات الاسلاميه فى أوروبا ، أميركا و استراليا .

مما يوجب اتخاذ عمل جماعي و موحد . لتعبير أبناء الاسلام بما يراد بهم ، و توضيح تلك الشبهات المطروحة أمامهم لصرفهم عن دينهم ، و شـاهده من كتاب الله تعالى : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » (١) .

و مما لا شك فيه أن العالم الغربي و الشرقي يمر بمرحلة إلحادية عارمة نشأت عن الشيوعيـة ، و العلمانية ، حيث التمسوا فى متاهاتهم الفكرية ، ما يحل قضاياهم

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠ .

المتشابكة ، فأصبحوا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، حيث التجأوا للالحـــاد للتمرد على الكنيسة و ظلمها ،

و مصداقاً لقول الله تعالى : « و لن ترضى عنك اليهود و لا النصـارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ، و لئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ، ما لك من الله من ولى و لا نصير » (١) .

أحد أن الحالة التى سأذكر هنا ، و هى نموذج لحالات كثيرة تخرج هنـا و هناك عن أولئك القوم ، تعطى فكرة عن الجهود التى تبذل لإفراج المسلمين عن جادة الصواب التى هو منهج الاسلام، إلى متـاهات فوضوية . لكى يقولوا لبنى جلدتهم بلسان الحال والمقال : إن المسلمين أيضاً قد شعروا بالفجر الذى مر بنا ، فتركوا دينهم ، فتغتنم داك الكنيسـة لتكثيف التبشير ، و حذب أولئك الشر روحانياً و عقائدياً إليها ، لأن النفس البشرية مهما ابتعـــدت بالالحاد و الانصراف ، فهى فى حاجة إلى الانتماء العقائدى لأى شىء يطرح أمامها .

و هى والله مكيدة يمكرون من ورائها بالمسلمين . « و يمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين » (٢) ليخرجوهم من الاسلام بالبعد عن مصدرى التشريع فيه ، ثم جذبهم لتعاليم الكنيسة .

فلقد وصلتنى من أحد الاخـــوة الغيورين على دينهم من دبى - بدولة الامارات العربية المتحدة - رسالة أرفق معها كتاباً باللغة المليبارية بالهند و اسمه : « القرآن دراسـة انتقادية » من تأليف : جوزف ايداماروك ، و قد صدر هـذا الكتاب فى شهر يوليو عام ١٩٨٢م .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

يقع الكتاب فى ١٧٤ صفحة باللغة المليبارية ، أما ترجمته إلى اللغة العربية فتقع فى ٧٩ صفحة .

و قد نشرت هذا الكتاب جمعية النشر الالحادية الهندية ، و دار الكتب الزندقية هناك برقم « ١ » واحد ، مما نستنتج منه أن هذه الجمعية جديدة التكوين و جديدة النشاط أيضاً ، و أنها مركزة عملها فى منطقة إسلامية فى الهند ، و بلغة أكثر من يتكلمها المسلمون .

و قبل أن نعطى فكرة من الكتاب و مداخل المؤلف فى التلبيس ، فان القارىء المسلم يجدر به أن يعرف شيئاً عن المؤلف و أعماله حتى يتقى شره ، و يسعى بما أعطاه الله من جهد و علم للتعريف به فى أوساط المسلمين للرد على شبهاته ، و توضيحها للسلمين فى كل مكان لمحاربة هذا المعاند لله ولرسالاته ، فالمؤلف هو جوزف ـ يوسف ـ ايداماروك ، ولد فى أسرة من الأسر المسيحية السورية بمقاطعة « أيدوكى » « كيرالا » فى عام ١٩٢٤م ، و كان أول أمره معروفاً بتدينه و تمسكه بالنصرانية ، و كان خطيباً من خطباء التبشير ، و معلماً فى إحدى مدارس الأحد ، و قد قام بخدمات سياسية ، و كان عضواً للجنة المركزية الشيوعية و أميناً لفرع كيرالا .

و ألف فى عام ١٩٥٢م كتاب « إنما عيسى بشر » فغضبت عليه الكنيسة ، و أخرج من مجلس : « مهارون شول » و هو مجلس من مجالس المسيحية فى الهند .

تزوج بامرأة هندوكية فى كيرالا عام ١٩٥٤م ، فبدأ من ذلك التاريخ نشاطه الالحادى و أصدر : مجلة إلحادية شهرية باسم اسكيرا أى « شرارة النار » و قد انقطع إصدارها ، و كان حظه كبيراً فى إصدار المشورات الالحادية مثل «يترالى» و « يوكتى » و غيرهما .

كما كان مديراً للتحرير لكل من المجلات العلمية : « مجلة سينماء » و «حولية منو راما » و « منو راجيم » ، و هو الآن مراسل دلهی لمجلة « كيرالا شبدم » أى « صوت كيرالا » الأسبوعية .

و كانت له اليد الطولى فى تأسيس « جمعيــة كيرالا الالحادية » منذ عام ١٩٥٦م ، و كان من المؤسسين للظمـة التى انتشرت فى الهند للتحضيض «الحث» على ماكحـة أهل الأديان المختلفـة فيما بينهم ، و هم يريدون فى ذلك أن تتزوج المسلمات من غير المسلمين لسهل تضليل المسلمين .

و لعل نشاط جوزف ايداماروك هذا فى الهند و فى المناطق الاسلاميـــة بالذات فى كيرالا - أى خير الله - و فى الدخول على المسلمين من ناحيـــة التزاوج و الانصهـــار العرقى ، و فى طباعـــة كتب و نشرات الالحاد فى المناطق الاسلامية فى الهند ، وباللغات التى يتكلمها المسلمون بالذات ، مع جهوده المكثفة لتضليلهم و تشكيكهم فى دنهم .

كل هذه الاعتبارات و غيرها لعلها هى التى أهلته لأخـذ الجائزة الالحادية العالمية عام ١٩٧٨م ، حيث يعتبر أول من نالها من آسيا .

و مع هذه النذة عن حياته المليئة بما يغضب الله تعالى نذكر كلمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قوله : عجبت لأهل الباطل و حرصهم على باطلهم .

و هذا ليس بغريب ، فعدو الله إبليس يعرف عن نفسه أنه على باطل و مع هذا مصر على السير فى طريقه وإغواء الناس ولذا أذكر هنا مضامين هذا الكتاب لأنه من أوله إلى آخره مليئ بشبهات وأحقاد على الاسلام والرسول الأمين ﷺ بآراء غير مركزة و لا مرتبة ، و فى جملتها هى من الشبهات التى يطرحها اليهود ، و يثيرها النصارى فى هجومهم على الاسلام و القرآن الكريم الذى يصفونه دائماً

بأنه من وضع محمد ، ثم بما یعرضون له من آراء ، حول الحدود الشرعیة التی یصفونها بالقسوة ، و عن حیاة الرسول ﷺ العائلیة ، وغیرها من الأمور ، فی مخرجها الأساسی شبهات من الیهود رددها النصاری ، و أثارها غیره من اصحاب الملل و النحل .

بل إن المبشرین و دعاة الکنیسة فی کل مکان و زمان ، یثیرون هذه الشبه التی تعرض لها هذا المؤلف . . من باب التشکیك فی صحة القرآن الکریم ، و إیهام الآخرین أنه من وضع البشر و لیس من عند الله ، و هم یأخذون هذا من طریقة الجدل بین الیهود و النصاری ، التی تشکك کل طائفة فی الأخری ، و تصف کتابها بالتعدیل و التغییر ، و أنه من وضع أحبارهم و رهبانهم و زعماء الدین فیهم .

و إذا کانت المجتمعات غیر الاسلامیة قد ظهرت فیها مظالم ، و تسلط القوی علی الضعیف ، و نتج عن ذلك أمور عدیدة : من تفکك الأسرة ، و فقدان الرابطة الاجتماعیة ، و خلع القلوب من الوازع ، و انتشار الجریمة ، و اضطراب النفوس ، و کثرة القلق ، و الحقد علی الآخرین ، و غلبة الأنانیة ، وغیر هذا من النوازع التی تسعی إلی تخریب المجتمعات ، وضیاع الرابطة الأسریة .

فان الاسلام فیه الحل لکل ما یعترض من مشکلة ، و ما مر أو یمر بالعالم من اضطراب لتخلیص أبناء الاسلام أولا من الغزو الالحادی الموجه إلیهم ، و لاشعار الأمم الأخری بقدرة الاسلام علی تخلیصها من المشکلات التی تعانی منها ، لما فی شریعته وحدوده من قضاء علی تلك المشکلات بالقضاء علی مسبباتها .

فبالنسبة لأبناء المسلمین الذین غزوا فی عقر دورهم ، و بلغاتهم القومیة ، فان الحل یکمن فی تعاون المسلمین علی الأمور التالیة .

١ـ تعليم أبناء المسلمين منـــذ صغرهم أمور دينهم حتى يتسلحوا ضد أعدائهم و أعداء دين الله .

٢ـ و إذا كانت دراساتهم النظامية فى مدارس علمانية لا تهتم بالدين الاسلامى فان المسئولية تقع على الآبا و الأمهات بتعليم الأولاد فى المنزل ما يصلح شأنهم و عقائدهم .

٣ـ تنظيم مجموعات لأبناء المسلمين لتعليمهم فى المسجد أو فى المراكز الاسلامية، و أن يتطوع القادر بتخصيص جزء من وقته اداء لحمد الله الذى منحه القدرة و الكفاءة و لا يبخل من لديه قدرة و متسع من الوقت بالتعاون معه امتثالا لقول الله تعالى : « و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان و اتقوا الله » (١)

٤ـ تعميم الحجاب لدى المرأة المسلمه ، و تشجيع الانفصال فى التعليم عن الرجل، لايجاد الشخصيه الاسلامية من البداية حسب أمر الله «ذلك أطهر لقلوبكم و قلوبهن » (٢) .

٥ـ تنظيم الندوات و المحاضرات الاسلامية للرجال و النساء و تشجيع النقاش و طرح الأسئلة ، و الاجابة على الشبهات و توضيح اختلاف نظرة الاسلام لكثير من الأمور عن النصرانية و اليهودية ، حتى تتسع مدارك أبناء المسلمين لأن الاسلام يخاطب العقل .

٦ـ تقوية الرابطة فى المجتمعات الاسلاميه و خاصه عند ما يكون المسلمون فى بلاد بها معتقدات مختلفة .

---

(١) سورة المائدة الآية ٢ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٣ .

٧ـ الاهتمام فيما بينهم بالمناسبات الاسلامية كالأعياد ويوم الجمع ، وشهر الصوم و تشجيع التزاور و النقاش فی الفوارق بين مناسبات المسلمين و غيرهم ، و نبذ المناسبات الطارئة علی المجتمع الاسلامی التی دخلته من أصحاب الأهواء و البـــدع .

أما بالنسبة للمسلمين عموماً ، فان هناك أموراً إذا أخذ بهـا ، كانت خير سلاح للوقوف بحزم وقوة ضد ظاهرة الالحاد التی برزت فی هذا العصر بصورة أكثر مما كانت معروفة به من قبل فی مثل .

١ـ تمكين عقيدة التوحيد من القلوب ، فالالحاد لم ينشأ إلا من خراب القلوب حيث حلها الشيطان و استوطنها .

يقول الله جلت قدرته « و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (١) .

فالفرد إذا امتلأ قلبه بمعرفـــة الله ، و أخلص له سبحانه بالعبادة و الوحدانية له يجد هؤلاء الملاحدة منفذاً يدخلون معه ، و لا تجد أفكارهم إلی نفسه سبيلا .

٢ـ ترابط المسلمين و اهتمامهم باخوانهم ، ليكونوا كالجسد الواحـــد كما جاء فی الحديث الشريف ، فيعرفوا ما يحاك ضد إخوانهم فی أی مكان من مكائد ، وما يطرح من شبهات ، فيعينوهم فی الوقوف ضد ذالك حتی لايقعوا فيه .

٣ـ العناية بالتعليم الاسلامی لتنمية العقيدة الصحيحة ، ونبذ الخلافات التی دخلت المجتمعات الاسلامية و غذاها أعداء الاسلام من باب « فرق تسد » .

٤ـ بذل المساعدات المالية و العلمية لأبناء المسلمين حتی يزدادوا علماً و معرفة .

---

(١) سورة الذاريات الآيات ٥٦-٥٨ .

لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، ومن ثم ترشيد الثقافة والتعريف بالنافع من الضار.

٥ـ التصدى لشبهات الملاحدة التى تثار ، و توضيحها بالدليل العقلى ، و الدليل المقول ، لأنها شبهات باطلة تتهاوى أمام التوضيح و المناقشة ، و صدق الله إذ يقول : « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (١)

٦ـ العناية بالتوجيه الاعلامى من مسموع أو مقروء أو منظور ، وربط الأمور بمنطلق العقيدة الاسلامية ، فوسائل الاعلام فى العصر الحاضر مدرسه للتوجيه بأفراد المجتمع على اختلافهم ، و تبصيرهم بما يجب عليهم و ما لهم ، لانها تدخل كل بحث تتحدث بكل لغه .

٧ـ الاهتمام بالتربية الخلقيه والتأدب بآداب الاسلام . فالاحسان إلى الآخرين من آداب الاسلام ذات التأثير العميق ، والعدل بين الناس ، و الصبر على أذاهم ، و غير هذا من الأمور التى تجذب الكافر و أصحاب النحل الآخرين إلى حظيرة الاسلام ، هذه بعض الامور التى تعين فى التغلب على ظاهرة الالحاد ، و الكيد للاسلام و أهله ، ويحضرنى فى هذا الموقف واقعتان حصلتا فى العهد العباسى ، منها نجد أسلوب علمائنا الأفاضل فى معالجة مثل هذه الظاهرة بأسلوب مقنع .

الاولى : حصلت لأحد علماء بغداد عندما طلب إليه مناظرة أحد الملاحدة فى ميدان عام بالرصافه ، و قد تجمع الناس و العلماء ، فتأخر هذا الشيخ عن الحضور و الناس ينتظرون ، و جاء بعد طول انتظار ، فابتدر الجميع قائلا : و هو يعنى الملحد الذى سوف يناظر ، لقد تأخرت لأننى منذ وقت طويل و أنا جالس تحت تلك الشجرة انتظرها تقطع نفسها ثم تصنع لى قارباً من جذرها فاركبه إليكم زورقاً ، فضحك الملحد قائلا : إن الشجرة لابد لها من عمل من فأس يقطعها ، ثم نجار ينشر خشبها ، ثم مسامير و مطرقه ليجمع من أعوادها قارباً ، ثم عمال يحركون المجاديف لتجتاز بك النهر حتى تصل إلينا .

فقال الشيخ : إذاً كيف تقول : إن المصنوع فى هذه الحياة ليس له صانع

(١) سورة النجم الآية ٢٣ .

یوجده من العدم ، فمادام لابد من عامل یعمل ، ونجار یصنع من أجل إصلاح قارب ، فلا بد إذاً لهـــذا الكون من خالق یدبره و هو الله جـــل و عـلا ، فالأشیاء لاتوجد نفسها ، فسكت الملحد و انخذل .

أما الثانية : فهی قصة أبی حنیفة رحمه الله مع جاره الیهودی الذی آذاه بفتح بیت الخلاء علیه لیؤذیه بالرائحة الكریهة ، فصبر الامام أبو حنیفة علیـــه خمسة عشر عاماً أداءاً لحق الجوار ، مع أنه قادر بكلمة واحدة لأمیر المؤمنین أن ینتقم من هذا الیهودی شر انتقام ، وكان أن مرض أبوحنیفة، فزاره الیهودی من جملة من زاره ، و قد تعمد ان یضع یده علی أنفه إظهاراً للاشیاء مما یشم ، و بعد أن جلس عند أبی حنیفة ، قال له : منذ متی و هذه الرائحة الكریهة عندكم ؟ ، فقال : منذ جاورتنا ، منذ خمسة عشر عاماً .

فقال الیهودی : و قد صبرت من ذلك التاریخ ؟ ، قال : نعم ، لأن دیننا یأمرنا بحسن الجوار ، فبهت الیهودی ، ثم قال : دین هذه أخلاق علمائه فانه خیر دین أشهدك أنی أسلمت و نطق بالشهادتین .

و من هذا كله ندرك علاقة النصرانیة و الیهودیة بموجة الالحاد السائدة فی هذا العصر ، وحرصها علی مباعدة المسلمین عن دینهم ، نسأل الله السلامة و العافیة لأمة الاسلام و أبناء المسلمین ، و أن یرزقهم التفقه فی دینهم ، ومعرفة الحق حقاً و یرزقهم اتباعه ، والباطل باطلا ویرزقهم اجتنابه ، إنها لأمانة ملقاة علی كاهل العلماء فی توضیح حقیقة الاسلام ، و شرح تعالیمه ، و التصدی لكل شبهة تطرح علی أی مستوی ، و فی أی مكان بالتفنید و الایضاح ، و تبصیر المسلمین بما یجب علیهم ، و هذا من نصر دین الله ، و أداء حق ما تحملته النفوس من علم بالدعوة و التوجیه ، و الله كفیل بتأییدهم و نصرهم ، قال تعالی : « یاأیها الذین آمنوا إن تنصروا الله ینصركم و یثبت أقدامكم ، والذین كفروا فتعساً لهم و أضل أعمالهم (١)

و الله الهادی سواء السبیل ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمین .

---

(١) سورة محمد الآیة ٧ - ٨ .

## الفقه الاسلامى :

# طفل الأنبوب و الشريعة الاسلامية

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلى
أمين مجلس الدراسات الشرعية لندوة العلماء - لكناؤ -
تعريب : الأخ نعمان الدين الندوى

إنه موضوع حديث يشغل الأفكار ، و يلفت الأنظار منذ بعض الوقت ، ذلك أن الرجل و المرأة إذا كانا محرومين بالطبيعة من قوة الانجاب و لكن لديهما رغبة شديدة فى الأولاد ، فيمكن تحقيق رغبتهما هذه بطريقة صناعية ، و يستخدم لذلك : التلقيح الصناعى بواسطة الأنبوب ، وقد نجحت هذه التجربة ، و تم إنجاب « طفل الأنبوب » . . . ، لذلك فكان طبعياً أن يطلع الناس خاصة وعامة على الحكم الشرعى لهذه الظاهرة ، وفعلا قام المعنيون بالفقه الاسلامى لدراسات فقهية نحو هذه المسألة ، وفيما يلى جهد متواضع قام به هذا العاجز ( فان أصبت فمن الله ، و إن أخطأت فمنى و من الشيطان ) .

قبل البحث فى حكم هذه المسألة يجب أن نعرف أو نقدر أشكالا وصوراً ممكنة لهذه المسألة ، يبدو بالنظر فيها أن لها صورتين ممكنتين على الأقل ، وهما :

(١) تلقيح مادة الرجل بمادة امرأة اجنبية
(٢) خلط مادة الرجل بمادة زوجته .

« تلقيح مادة الرجل بمادة امرأة أجنبية حرام »

الشكل الأول - زرع مادة الرجل داخل رحم امرأة أجنبية - حرام قطعاً ( سواء تزرع المادة داخل الرحم - مباشرة - فى المرحلة الأولى ، أو بعد خلط

مادتهما فى العمل و تنشئتهما - فى حضانة خاصة لبعض الوقت - ثم إعادة حقنها داخل الرحم حيث يتم الاخصاب تلقائياً ) فكلتا الصورتين محرمـة ، فقد نص الحديث الشريف على حرمة إدخال مادة الرجل فى غير المحل :

قال رسول الله ﷺ : لا يحل لامرىء يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره » ( رواه أبو داؤد والترمذى و قال حديث حسن (١) ) .

بناء على هذا الحديث الشريف حرم نكاح الحامل و وطئ الحامل بالزنا بعد النكاح ، و عليه - أى أن الوطئ وسيلة لادخال المادة المنوية إلى الرحم -

استخرج العلماء أحكاماً فقهيـــة كثيرة من هذا الحديث فقد ذكروا أنه - الوطئ - السبب الأصلى لحرمه المصاهرة ، فى الهداية : ( الكتاب المعروف فى الفقه الحنفى لبرهان الدين المرغينانى ) .

« أن الوطئ سبب الجزئية بواسطة الولد ، و الوطئ محرم من حيث إنه سبب الولد » .

قال شارح الهداية الشهير الامام أكمل الدين محمـــد بن محمود البابرتى فى العناية ( شرح الهداية ) :

« الولد جزء من هو من مائه . . . أما أن الولد جزء من هو منه فلأن السبب للجزئية بين الوالدين و الولد لا محالة » (٢) .

روح الشريعة الاسلامية فى هذه المسألة :

لقد ثبت مما مضى - أيضاً - دلالة أن المرأة التى يحرم للرجل وطيهـــا يحرم - أيضاً زرع مادته داخل رحم تلك المرأة - وكذلك يحرم تلقيح بويضة

(١) فتح القدير ج٢ ص ٣٨١ طبع مصر ، الترمذى ج ١ ص ١٢٤ طبع الهند .
(٢) العناية ج ٢ ص ٣٦٥ ( الطبعة المصرية ) .

المرأة بمادة رجل أجنبي .... لكن تلقيح بويضة المرأة ، بنطفة زوجها يجوز ، ( إذا لم يكن هناك محظور شرعي آخر ) .

هذا هو محل النظر و التدبر ، فان الشريعة التي تنهى - للمرأة - أن تشرب سور رجل أجنبي (١) و ما ذلك إلا لاختلاط لعاب الرجل بلعاب المرأة الأجنبية ، وكيف يمكن أن تبيح تلك الشريعة خلط المادة المنوية بمادة أجنبي أو أجنبية .

ثبت من هذا الكلام أنه لا يباح شكل يتم فيه تلقيح مادة الرجل بمادة أجنبية ( غير الزوجين ) و تزرع مادة الرجل داخل رحم أجنبية (٢) ، - بأي طريق كان ( سواء تزرع المادة بالأنبوب أو غير ذلك ) و هذا الحكم المذكور - بقطع النظر عن أن كشف العورة - حلال القيام بعملية التلقيح - يكون في المحل المنهي عنه أو لا ؟ و ان انتزاع المادة المنوية و طريقة الانتزاع جائز أم لا ؟ و وضع كشف العورة و طريقة انتزاع المادة بعين الاعتبار يؤدي إلى تقوية لامكان تاكيد الحرمه و تعدد أسبابها لا إلى إقلالها .

تلقيح مادة الزوجين !

أما الصورة التي تلقح فيها بويضة المرأة بحيوان منوي من زوجها ( سواء

---

(١) رد المحتار ، لابن عابدين الشامي ج ٢ ص ٢٧٤ ( طبع ديوبند ) .

(٢) من أشكال أطفال الأنبوب : تلقيح نطفه الرجل ببويضه جنين امرأة ثم زرعها - نطفة - داخل رحم امرأة أخرى ، و يستخرج حكم هذه الصورة - أيضاً - من الكلام السابق أن المرأة التي أخذت بويضتها - إذا كانت زوجة للرجل الذي لقحت بمائه بويضتها ، ثم إن الرحم التي يزرع فيها هذا الخليط لا بد أن تكون - الرحم - رحم زوجة ذلك الرجل كان هناك وجه للجواز و إلا فلا .

يتم هذا التلقيح فى المعمل ، أو تنزع مادة الرحل - بأى طريق كان - ثم تزرع فى رحم الزوجة ) فادا لم تكشف عورة واحد منها أمام غيرهما ، و قد اختير لذلك - عملية الانتزاع و الزرع - طريقة لا تؤدى إلى قبح شرعى . . . . - لم تكن هده العمليـــه - مبدئياً - حراماً ، لأنه ليس هنـاك سبب قوى لتحريمها ، أو - على الأكثر - يمكن القول بكراهتها ، لكونها مخالفة للسه و الطريقة المتوارثة المعروفه ، - على أن إنجاب الطفل إدا كان متوقفـاً على هده الطريقة - لم يستبعد ارتفاع الكراهية أيضا ، ويثبت من هذا - أيضاً - أنه لمعرفة حكم طفل الأنبوب - يجب معرفه طريقه تختار - عموما - لعمليه انتزاع المـادة ؟ ثم كيف تزرع فى رحم المرأة ؟ إدا انتزع الرحل مادته بالعزل ، ثم يزرعهـــا - نفسه - بالأنبوب أو الاحتقان فى رحم زوجته جار هذا الشكل » .

لكن الجلق محظور - باتفاق العلماء - فى عامة الأحوال (١) » إلا أن بعض الفقهاء رخصوا إدا لم يكن هناك وسيلة جائزة يسكن بها شهوته ، وكان هناك خوف - حقيقى - للوقوع فى الاثم (إدا لم يستخدم الجلق ) كما قال ابن حجر فى فتح البارى :

« و قد أباح الاستمناء باليد طائفة من العلماء . . . و هو عند الحنابلة و بعض الحنفية لأحل تسكين الشهوة » (٢) .

و لكن إدا لم يمكن الاستمناء - استخراج المادة - بالعزل لعدم القدرة على الجماع ، أ فهل يجوز الاستمناء - قيـاساً على تسكين الشهوة - بالجلق ؟ جواب

(١) ناكح اليد ملعون ، فتح القدير ج ٢ ص ٣٦٦ ، و فى الدر المختـار ج ٢ ص ١٠٠ بين حكمه أنه مكروه تحريمى .

(٢) فتح البارى ج ٩ ص ٩٧ و الدر المختار مع رد المحتار ج ٢ ص ١٠٠ .

داك عند هذا العاجز بالنى،لأنه لا يباح عمل بجمع على حظره للرغبة فى الأولاد أو بناء على رجاء ضئيل (١) فقط ، ( و العلم عند الله ) و لكن لا نكاد نهتدى إلى صورة يمكن فيها انتزاع مادة المرأة بدون أن تؤدى إلى قبح شرعى . إذا أمكن داك جار - أصولا - إجراء تجربة لانجاب الطفل ، و إلا فلا ! وينسب الطفل - المولود بهذه الطريقه - إلى زوج أمه (٢) لا إلى غيره ،و تعتبر هذه المرأة - التى نما و استقر فى رحمها الطفل و ولد - أما شرعية لهذا الطفل حسب ما قال جل شانه ( إن امهاتهم إلا اللائى ولدنهم ) وإذا استعين ببويضة امرأة لكنها لم يكن الجنين فى بطنها لم تكن أمه .

الخلاصه ان خلط مادة الرجل - غير الزوج - ببويضه المرأة ( سواء يتم الخلط مباشرة أو بالعمل ) حرام البته ، أما إذا كان خلط مادة الرجل ببويضة زوجته - بشرط أن لا تؤدى هذه العمليه إلى كشف عورة أحدهما أمام شخص آخر و لا إلى أى عمل يكون مخالفاً للشرع - جائز . . نعم ! إنها - أى عمليه التلقيح رغم شروطها المذكورة - قد لا تستحسن و لا تشجع لكونها لا تنسجم و طبيعة الاسلام و أصالته روحه .

(١) أما إذا كان الرجاء قويا جاز ، ويرتفع سبب منع الخلق - ضياع النطفة - لأنه ليس هناك تضييع للنطفة ، بل هو استثمار لها ، فلا يمنع نظراً إلى هذا الغرض .

(٢) حسب أصل شرعى « الولد للفراش » .

# دور الأقليات المسلمة المنشود

## فى ضوء الكتاب و السنة

## ( الحلقة الثانية )

الأستاذ سلطان أحمد الاسلاحى
عضو معهد التحقيق والتصيف الاسلامى ، على كره (الهند)
تعريب محمد رضى الاسلام الندوى

تعليم الوحدة و الاجتماعة :

ليس فى وسع الأفراد على الانفراد أن يودوا هذا الواجب من الأمر بالمعروف و النهى عن المكر و الشهادة على الناس بهذا الشمول ، و لا بد لذلك أن يجتمع شمل الامه و يكون تضامنهم و اتفاقهم نموذجياً و مثالياً ، و هذا هو السبب فى ان المسلمين لقبوا بلقب « الأمة » الذى يختص باجتماعية متحدة فى الفكر و العمل من حيث معناه اللغوى (١) فى الآيتين السابقتين بمناسبة تذكيرهم بهذا الواجب .

وبالاضافه إلى ذلك اكد للأمة مع إلقاء واجب «الشهادة على الناس» عليها أن تعتصم بالله أى بدينه ، الأمر الذى هو أساس الاجتماعيه الاسلامية وأصلها .

« و اعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى و نعم النصير » الحج : ٧٨ .

و أوضح هذا الأمر فى سورة آل عمران قبل حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بهذه الكلمات :

« و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا » ( الآية : ١٠٣ ) ثم ذكرت الأمة المسلمة واجبها :

---

(١) تفسير المنار ج ٤ ص ٣٦ .

« و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر » ( الآية : ١٠٤ ) .

و بعد ذلك مباشرة أمر بالتجنب من طريق أهل الكتاب الذين تفرقوا إلى طوائف لأجل تركهم دين الله ، فكتب لهم الخلاف و النزاع فيما بينهم إلى يوم القيامة :

« و لا تكونوا كالذين تفرقوا و اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، و أولئك لهم عذاب عظيم » ( الآية : ١٠٥ )

و بعد هذه الآيات تأتى تلك الآية الكريمه الدستورية التى توضح هدف إخراج الامه المسلمه ، و التى ذكرت مفصلة من قبل :

« كنتم خير امة أخرجت للناس . . . الآية ( آل عمران - ١١٠ ) .

و ذلك يدل بوضوح على أن الامه لا تتأهل أن تفرغ نفسها و تكرس حياتها للقيام بهذه المهمه بين امم العالم و تؤدى حقها إلا إذا قامت بهذا الواجب مع هذه الشروط ، و حينما نرى فى هذه الخاصيـه بجـد أن ما قبل فى الآية ١٠٤ من الدعوة إلى الخير و الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يشمل الاصلاح الخارجى و الاصلاح الداخلى معاً ، و هذا ما تؤيده الأحاديث التى تقرر الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر واجباً لكل مسلم ، و ليكن هذا العمل مستمراً فى المجتمع الاسلامى بدون انقطاع (١) .

وإذا ضعفت صلة الأمه بالدين فلا يمكن أن تبقى اجتماعيتهم ، و بعث هذه الروح يسمى بـ « الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر » ، و من أعلى صوره

---

(١) ليراجع للتفصيل ، مشكاة المصابيح . باب الأمر بالمعروف ، المكتبة الرشيدية دهلى .

و أمثله أن يقوم فى الأمة نظام الخلافة، لأنه لا يمكن أن ينتفع بدونه من ثمرات الاجتماعية الحقيقيـــة ، و لذلك أكد المفسر العظيم لهذا القرن الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى وجوب الخلافة من هذه الآية ، يقول :

« يثبت من هذه الآية وجوب إقامة الخلافة فى الأمة ، فأول عمل قام به المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ امتثالا لهذا الحكم كان إقامة الخلافة على منهاج النبوة و كان الهدف الأساسى لاقامتها أن تتعهد أن لا ينحرف المسلمون من الاعتصام بالله ،والطرق التى استخدمت لذلك كانت ثلاثاً مبدئياً : الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ومنها وجدت فى عهد الخلافة الراشدة جميع الأقسام التى أصبحت وسيلة لأداء جميع الواجبات الداخلية و الخارجية للأمة » (١) .

ولا نظن أن الأمر الذى كان مطلوبا من الأمة فى عهدها الأول ، لم تبق حاجته اليوم ، و وجد مبرر اليوم للتفريق بينها باسم الأقلية و الأغلبة .

وجوب نصب الامامة :

يريد الاسلام أن تجتمع الأمة فى شمل الامارة و الخلافة ، بدون أى تفريق بين الأقلية و الأغلبية ، حتى لم تكمل صورة مجتمع إسلامى لدى الاسلام إلا بنظام الامارة ، وتتوقف الطاعة الكاملة لله والرسول على وجود هذا النظام .

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول ، و أولى الأمر منكم » ( النساء : ٥٩ ) .

تؤيد ذلك الأحاديث النبوية المتضافرة التى تؤكد لكل مسلم على أن يرتبط بنظام الامارة ، حتى قال عليه الصلاة و السلام :

« من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة و لا حجة له ، و من مات و ليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية (٢) .

(١) تدبر القرآن : ١ / ٧٥٧ — الطبعة المذكورة .

(٢) رواه مسلم ، ليراجع للتفصيل مشكاة المصابيح كتاب الامارة و القضاء ، الطبعة المذكورة .

و الواقع أنه لا یمکن حمایة مصالح الأمة المسلمة فی الدنیا و الآخرة، سواء کانت فی الأقلیة أو فی الأغلبیه ما لم یقم هذا النظام للامارة و الخلافة ، و لنفس هذا السبب قرر علماؤنا نصب الامارة لهذه الأمه واجباً بدون أی قید ، فقد جاء فی الکتاب الشهیر للعقائد « شرح العقائد » للنسفی .

« و المسلمون لا بد لهم من إمام یقوم بتنفیذ أحکامهم و إقامه حدودهم و سد ثغورهم و تجهیز جیوشهم و أخذ صدقاتهم و قهر المستحلین و المتلصصة و قطاع الطرق و إقامه الجمع و الأعیاد ، و قطع المنازعات الواقعة بین العباد ، و قبول الشهادات القائمه علی الحقوق ، و ترویج الصغار و الصغائر الذین لا أولیاء لهم ، و قسمه الغنائم » (١) .

وهذا الواجب من نصب الامارة یقع علی الأمه بدون قید الأقلیه والأغلبیة کما أشرنا إلی ذلك ، و لذلك قرر الفقهاء إقامة الامارة واجباً علی المسلمین الذین یسکنون فی البلدان و المناطق التی هی فی سلطه الکفار . کما هو شأن الأقلیات المسلمة الیوم بصفه عامه ، ففی « در المختار » الذی یعد من أهم مراجع الفقه الحنفی فی العصر الحاضر :

« و إن فقد وال لغلبه الکفار وجب علی المسلمین تعیین وال وإمام للجمعة (٢) » و یشرح ذلك العلامة ابن عابدین فیقول :

« و أما بلاد علیها ولاة کفار فیجوز للمسلمین إقامة الجمع و الأعیاد ویصیر القاضی قاضیاً بتراضی المسلمین ، فیجب علیهم أن یلتمسوا والیاً منهم » (٣) .

---

(١) صدر الشواهد شرح العقائد النسفیة ، المکتبه الفخریة دیوبند .

(٢) الدر المختار علی هامش رد المحتار ٤ / ٤٢٧ .

(٣) رد المحتار علی الدر المختار .

و يضيف قائلا :

و إذا لم يكن سلطـان و لا من يجوز التقليد منه كما هو فى بعض بلاد المسلمين كقرطبة الآن ، يجب على المسلمين أن يتفقوا على واحـد منهم ، فيجعلوه والياً ، فيولى قاضياً .

ويكون هو الذى يقضى بينهم ، وكـذا ينصبوا إماما يصلى بهم الجمعة (١) .

و أخيراً يقرر نفس الرأى و يقول :

« و هذا هو الذى تطمئن النفس اليه ، فليعتمد » (٢)

و هذا الذى قاله فى مكان آخر :

« و اما فى بلاد عليها ولاة كفار فيجوز للمسلمين إقامه الجمع و الأعيـاد ، و يصير القاضى قاضياً بتراضى المسلمين و يجب عليهم طلب وال مسلم » (٣) .

و أما مسأله قيام الأمه بالواجب و تحقيقها هدف وجودها فضرورة الامارة و الخلافه لذلك أظهر من الشمس فى رابعة النهار كما أشير إلى ذلك آنفاً ، وعليه يشهد القرآن ويجعل الحكم والسلطة لازما مع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

« الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ، و لله عاقبة الأمور » ( الحج ٤١ ) .

هذه الآية الـكريمة لا تختص بطبقه خاصة من الأمـة و لا بزمن خاص - كما فهم بعض المفسرين - بل حكمها عام لجميع الأمة بصفـة عامة ، و قائم إلى يوم القيامة (٤) .

---

(١) نفس المصدر .　　(٢) نفس المصدر .

(٣) رد المحتار على الدر المختار : ٣/ ٣٥٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٧٣ . راجع الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر للاستاذ العمرى / ٦٥ - شركة الشعاع الـكويت .

## مساهمة الأقليات فى قضايا العالم الاسلامى :

هدف إخراج الأمة المسلمة هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما مر، وهو فى طليعة الواجبات الكفائية التى تقع على الأمة ويطالب بها مجموع أفرادها (١).

و قد بين العلماء حقيقة الواجب الكفائى كما يلى :

فالواجبات الكفائية المطالب بها مجموع أفراد الأمه بحيث إن الأمه بمجموعها عليها أن تعمل على أن تؤدى الواجب الكفائى فيها ، فالقادر بنفسه و ماله على أداء الواجب الكفائى عليه أن يقوم به . و غير القادر على أدائه بنفسه عليه أن يحث القادر و يحمله على القيام به . فإذا أدى الواجب سقط الاثم عنهم جميعاً ، و إذا أهمل اثموا جميعاً ، إثم القادر لاهماله واجباً قدر على أدائه ، و اثم غيره لاهماله حث القادر و حمله على فعل الواجب المقدور له » (٢) .

يتضح من ذلك جلياً أن الأقليات المسلمه شريكة فى اداء هذا الواجب مثل الأغلبية على السواء ، لكونها جزءا من الأمه .

و هذا يعنى أن مساهمه الأقليات فى قضايا العالم الاسلامى واجبه كالأغلبيه ، و لهذه المسأله جانب آخر ، كما مر تفصيله آنفاً ، وهو أنه لا بد للأمة لأداء هذا الواجب من أن تقوم بالجهاد و القتال ، فانه لا يمكن أداء حق مقتضياته المتسعة بدونه ،وقد مر أقوال العلماء فى هذا الشأن فى تفسير آية « كنتم خير أمة (١١٠) من سورة آل عمران ، و نص على ذلك العلامــــة ابن جرير الطبرى ايضاً فى تفسير آية « و لتكن منكم أمه يدعون إلى الخير » ( آل عمران - ١٠٤ ) .

و لتكن منكم - أيها المؤمنون - أمة ، يقول جماعه يدعون الناس إلى الخير يعنى إلى الاسلام و شرائعه التى شرعها الله لعباده ، و يأمرون بالمعروف ، يقول يأمرون الناس باتباع محمد ﷺ ودينه الذى جاء به من عند الله وينهون عن المنكر يعنى و ينهون عن الكفر بالله و التكذيب بمحمد ﷺ و بما جاء به من عند الله

---

(١) علم أصول الفقه للخلاف / ١٠٨ . (٢) نفس المصدر / ١٠٩ .

بجهادهم بالأيدی و الجوارح حتی ينقادوا لكم بالطاعة » (١) .

و كون الجهاد واجباً كفائياً معروف لدی الجميع ، ومعنی دلك أنه مطالب بمجموع أفراد الأمة القادرين بدون تفريق بين الأقلية و الأغلبية (٢) .

و هذا ما يسمی « بالقتال » فی تعبير آخر ، وقد نص العلماء فی هذا الصدد علی أنه واجب علی أفراد الأمة من حيث المجموع فی كل زمان و مكان أی لا فرق فی دلك بين الأقلية و الأغلبية .

يقول صاحب رد المحتار :

« ثم اعلم أن الأمر بالقتال نزل مرتبا فقد كان ﷺ مأموراً أولا بالتبليغ ثم أدن لهم بالقتال .. ثم أمروا به مطلقاً و قاتلوا فی سبيل الله ، الآية ، و استقر الأمر علی هدا .. .. يعنی فی جميع الأزمان و الأماكن » (٣) .

و هذا يدل بوضوح علی أنه كما يجب علی العالم الاسلامی أو الدول الاسلامية التی أكثر سكانها من المسلمين ، أن تساهم فی قضايا الأقليات المسلمة ، و تمد إليها يد المساعدة إدا مست الحاجه إلی دلك ، كذلك يجب علی الأقليات المسلمة أن تقوم بتعاون خلقی و تقدم معونة مادية إلی الدول الاسلامية إذا دعت إليها الحاجة ، فادا هاجمت قوة معادية للاسلام علی منطقة من مناطق الأغلبية أوالأقلية ، وجب علی العالم الاسلامی بكامله بدون أی فرق بين الأقلية والأغلبية أن ترد هذه الهجمة و تهزم العدو شر هزيمة ، ولا يسقط هذا الواجب عن سكان منطقة إدا قام بها سكان منطقة أخری ، يقول العلامة ابن عابدين :

« و لا ينبغی للامام أن يخلی ثغراً من الثغور من جماعة من المسلمين فيهم غناء و كفاية لقتال العدو ، فان قاموا به سقط عن الباقين ، و إن ضعف أهل ثغر عن مقاومه الكفرة و خيف عليهم من العدو فعلی من وراءهم من المسلمين

(١) جامع البيان فی تفسير القرآن : ٤ / ٢٤ الطبعة المذكورة .

(٢) رد المحتار علی الدر المختار : ٣ / ٣٠٣ . . . .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ٣٠٢ .

الأقرب فالأقرب أن ينفروا إليهم و أن يمدوهم بالسلاح و الكراع و المال كما ذكرنا أنه فرض على الناس كلهم ممن هو من أهل الجهاد ولكن سقط الفرض عنهم لحصول الكفاية بالبعض فما لم يحصل لا يسقط » (۱) .

ثم يذكر تفصيله بهذه الكلمات و يجعل العالم الاسلامی كله مسئولا عن هذا الواجب :

« إن الجهاد إذا جاء النفير ، إنما يصير فرض عين على من يقرب من العدو ، فاما من وراءهم ببعد من العدو فهو فرض كفاية عليهم حتى يسعهم تركه إذا لم يحتج إليهم ، فان احتيج اليهم بأن عجز من كان يقرب من العدو عن المقاومة مع العدو ، أو لم يعجزوا عنها و لكنهم تكاسلوا و لم يجاهدوا فانه يفترض على من يليهم فرض عين كالصلاة والصوم لا يسعهم تركه ثم و ثم إلى أن يفترض على جميع أهل الاسلام شرقا و غربا على هذا التدريج » (۲) .

و أخيراً لا يفوتن عن أذهاننا أن الشارات التى بشر بها النبي ﷺ هذه الأمة من أنه « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » (۳) .

.. و « بدأ الاسلام غريباً و سيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء » (٤).

هذه الشارات كلها للأمة بأجمعها بدون تفريق بين الأقلية و الأغلبية ، و هذا يدل على أن الأقلية لا تقل أهميتها فى عمل الدعوة إلى الدين و تجديده عن الأغلبية ، و هذا الواجب يقع على كلتيهما على سواء .

---

(۱) نفس المصدر : ۳ / ۳۰۳ .		(۲) نفس المصدر : ۳ / ۳۰٤ .

(۳) صحيح مسلم ، كتاب الايمان باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام الطبعة المذكورة .

(٤) نفس المصدر ، كتاب الايمان باب بيان أن الاسلام بدأ غريباً .

على هامش مهرجان إقبال فى القاهرة :

# ماذا قدم إقبال لحركة اليقظة الاسلامية المعاصرة

الأستاذ أنور الجندى

[ كلمة ألقاها الأستاذ أنور الجندى فى مهرجان
إقبال الذى أقامته دار العلوم بجامعة القاهرة ]

أمران لعلهما أعظم ما يمكن أن يقال عن محمد إقبال :

الأول : إيمانه بما قال له والده : « اقرأ القرآن وكأنما عليك أنزل » .

الثانى : إيمانه بأن قلبه و عطاءه كله خالص للاسلام من أجل الدعوة إلى النهوض بالأمة الاسلامية و إحياء الاسلام .

فهو الشاعر الاسلامى الوحيد فى عصرنا الذى وجه كل شعره إلى الاسلام بمفهومه الصحيح ، و قد جعل من الشعر منطلقاً إلى بناء الأمة الاسلامية المتجددة على هدى التوحيـــد الخالص و الايمان العميق برسالة الاسلام و تبليغ القرآن الكريم للعالمين .

قال الأستاذ الزيات: إذا كان حسان هو شاعر الرسول ﷺ كان محمد إقبال هو شاعر الرسالة .

و مجال الحديث عن إقبال يتجاوز الحدود : كل الحدود .

و قد وجدت مجال القول ذاسعة فان وجدت لساناً قائلا : فقل .

فى مطالع حياته عاش فى الغرب وتعلم فكر الغرب و لكن كانت أمانته للاسلام فى ثقافته و علمه كله ، لم ينبهر بالغرب ولم ينحز إليه كما انحاز الذين خدعهم هذا

الفكر و احتوائهم ، إلا من عصم الله و قليل ماهم ، و منهم غير إقبال : مالك ابن بني ، لقد عرف الغرب وفكره ولكن إصحح موقف المسلمين منه وايدلهم على أن منابع الاسلام هى اكثر أصالة وقوة وإن كان الغرب قد نهل من منابع الاسلام فقد حول ذلك إلى بوتقته اليونانية الرومانية ، لقد أعطانا إقبال النموذج : « نموذج المسلم الذى يذهب إلى الغرب فى حمـــاية من إيمانه فلا تستطيع أى قوى أن تحتويه ، ويستطيع بنفسه أن يفلت من شباك الصيد لأنه كان قد تزود قبل سفره بزاد عميق من القرآن ، فقرأه كأنما أنزل عليه ، غير أن إقبال لم يقف عند هذا الحد و لكنه كشف لنا حقيقة العلاقة بين الغرب والعلوم الاسلامية ، فقال فى كتابه ، تجديد الفكر الدينى :

إن هذا المنهج التجريبى الاسلامى نقل إلى العالم الحديث عن طريق الأندلس و إن آراء روجر بيكون اصدق و أوضح من آراء خلفه فرنسيس بيكون . فقد استمد آراءه من الجامعات الاسلامية فى الأندلس ، و التاريخ على ما يقول شهيد ، فدراسات روجر بيكون للمصادر الاسلامية مسجلة بمواقعها و مصادرها و هو يختمها بمقولات رائعة منها قوله : لو اتيح لى لأحرقت كل كتب أرسطو لأن دراستها يمكن أن تؤدى إلى ضياع الوقت والوقوع فى الخطأ و ازدياد الجهالة ، ذلك لأن كتب ارسطو تعرض منهجاً منطقياً لا يؤدى إلى معرفة الحقـائق التى تمثل الواقع فى حين يمثل المنهج القرآنى حقائق مستمدة من الاستقراء والاستخلاص والتجريب ، وقد اتبعه العلماء العرب و المسلمون فى الفقه و الطب و العلوم الكونية و الطبيعة و الهندسة ، فكانت لهم السيادة العلمية نحو قرون عشرة .

وقد عاش إقبال تجربة قومه رغبة فى ابتعاثهم على أسس صحيحة من مفهوم الاسلام الصحيح . يقول الدكتور سعيد عبد المجيد فى أطروحة عن إقبال :

إن إقبال قد سار فى دعوته إلى ابتعاث مفهوم الاسلام الأصيل على نفس الطريق الذى عرفه المسلمون خلال حركة اليقظة فى العصر الحديث ، فقد تابع خطوات الشيخ ولى الله الدهلوى و محمد بن عبدالوهاب و جمال الدين الأفغانى ، ويرى إقبال أن الدهلوى هو أول من وجه العناية إلى الشريعة الاسلامية وكشف عن أسرارها و غوامضها و بهذا مهد السبيل لدراستها من جديد للقيام بمهمة ( التجديد ) لمسايرة التطورات الحديثه و ملابساتها الطارئة و إزالة الركود فيها لتصبح سهلة مرنة تساير حياتها من حيث إن إقبال يؤمن بتحرير الفكر الاسلامى من جموده و بضرورة التكامل بين العقل و القلب و الفرد و المجتمع و الروح و المادة و الدين و العلم و ذلك فى مواجهة ما يحاوله الاستشراق من تركيز على جوانب معينة من التراث و المبالغه فى إذاعتها و فى مقـــدمتها دراسات الصوفية المتصلة بالمفاهيم المنحرفة و الدخيلة على مفهوم الاسلام الأصيل ، مما كان سبباً فى تحول الاسلام من الايجابية الدافعة إلى عقيدة مشتملة تأملية ، الأمر الذى أدى إلى حالة من التشاؤم و القدرية ، و أن الغرب لم يقبل تحرر العالم الاسلامى إلا على أساس مفروض عليه ، وهو أن يدخله فى دائرة فكره ، فكان التحرر من النفوذ العسكرى علامة على الوقوع فى أزمة سيطرة نفوذ تفكرى من جانب الغرب ، ويدعو إقبال إلى التعارف على الأساس الواضح و الصحيح لفكرنا و ذاتنا و شخصيتنا ، وأن نؤمن بقيمنا الانسانية التى نبنى عليها تصورنا الفكرى فاذا وجدنا هذا الأساس وهو موجود واتفق عليه تحققت وحدة الفكر التى تحول دون البلبلة و الاضطراب فى تيه نظريات الغرب ، فاذا تحققت وحدة الفكر كان من السهل مواجهة تيارات الفكر الوافد كله دون أن تقتلعنا أو تمسخنا ، إلى آخر النص .

و الواقع أنى أعتقد أن هذه هى جوهر فلسفة إقبال و تلك قضيته الكبرى

التى استطاع أن يفجرها والتى قامت عليها تيارات الفكر الاسلامى فى قارة الهند قبل ظهور باكستان و من بعد عن طريق الرجلين العظيمين : المودودى و الندوى بل إننى اعتقــد و قد مضى الآن نصف قرن على هذا الكلام ، إنها قضيتنا نحن العرب و المسلمين اليوم التى نسميها ( التغريب و الغزو الفكرى ) و قد جلاهـا إقبـال فى يسر و بساطة و وضع لها علاجها و حلها ، و هكذا أضاف إقبال إلى الفكر الاسلامى الحديث إضـافتين كبيرتين : ( أولاهما : ) الكشف عن الدور الذى قام به الاسلام حين أنشأ المنهج التجريبى و منهج المعرفة ذا الجناحين اللذين تناهما الغرب ثم أنكر من بعد فضل المسلمين فيما أطلق عليه ( مؤامرة الصمت ) و الأخرى قضية الغزو الفكرى و التغريب ، و هو العمل الذى يجب أن يمضى فيه مفكرو الاسلام لتحرير الفكر الاسلامى من التبعة لمناهج الغرب من ناحية وللتنبه لأخطار الاستشراق فى إحياء جوانب معينة فى التراث مثل إعلانه العقلانية و الاعتزال من ناحية و الفكر الفلسفى الصوفى فى قضايا وحدة الوجود و الحلول وذلك بهدف هدم وحدة الفكر الاسلامى القرآنية المصدر و إبعاد المسلمين عنها .

أما العمل الأكبر الذى قدمه إقبال: فهو منهجه فى بناء الانسان المسلم ، هذا الذى أطلق عليه اسم الذات ( خودى ) و تلك هى نظريته الاجتماعية الأساسية التى وجه إليها فكره فى مواجهة التحديات التى تواجه المجتمع المسلم فى بيئة الهند ، نتيجة ظروفه ، و هى نفس الظروف والتحديات التى واجهت المجتمع الاسلامى فى كل بلاد المسلمين نتيجة الاحتلال الاستعمارى و النفوذ الأجنبى كانت فكرته عن الذات ترى إلى هدم نظرية وحدة الوجود التى فرضها التصوف الفلسفى و تدعو إلى الارادة والمسئولية الفردية التى سلبتها نظرية وحدة الوجود التى أفسدت النفس المسلمة و دفعتها إلى التواكل و الاستسلام ، و كان إقبال يرمى إلى تقديم هــذا

المفهوم عن طريق شعر يهز النفوس و يقرع القلوب بعد أن عجزت كتابات المصلحين أمثال ابن تيمية و غيره من التأثير فيها لاعتمادها على المنطق و الفقه .

و قد قسم إقبال نظريته إلى عدة حلقات و مراحل متكاملة :

( إثبات الذات ، استحكام الذات ، توسيع الذات ، تكميل الذات ) .

و قد اعتمد إقبال فى كل هذه النقاط على القرآن الكريم الذى يدعو إلى السعى فى الأرض و عمارتها .

و قد هزت أشعار إقبال المثقفين المسلمين الذين كانت مفاهيم الغرب قد اغتالتهم ثمة ، فعادوا يحسون بعظمة الاسلام ومدى فهمه الرفيع للانسان المستخلف فى الأرض ، و الذى دعاه ربه إلى العمل .

و لقد كانت وجهتــه أن يقدم أدباً اسلامياً رفيعاً يهز النفوس ، بديلا للأدب الأعجمى الفلسفى الذى وصفه بأنه يخدر النفوس ويذل طبائع الناس، حيث قال : إن أدب اليأس لا يمكن أن يخلد فى الدنيا أبداً ، و لا بد أن يكون ( الأدب الاسلامى ) داعياً إلى الأمل والرجاء فى حياة الأمة، هكذا كانت دعوة إقبال إلى بناء النفس المسلمة من جديد على الايمان و السعى فى الأرض والتحرر من قيود التبعية و الجمود و الجبرية التى تطلب من فلسفات الهند والفرس القديمة و التى حاولت القوى المحاصرة للمسلمين تجديدها من أجل احتواء المسلم و الحيلولة بينه و بين امتلاك إرادته ، و هى نفس القضية التى نواجهها فى بلاد العرب فى العقدين الأخيرين من القرن الرابع عشر الهجرى .

لقد ركز إقبال على أزمة أمته الصغرى ( مسلمى الهند ) وأزمة أمته الكبرى ( عامة المسلمين ) و حاول أن يخرجهم من التبعية الفكرية و جبرية الصوفيــة من ناحية كما دعا إلى باكستــان و أطلق اسمها قبل إنشائها بعشر سنوات لتحرير المسلمين من التبعية السياسية أيضاً و هداه إلى خطواته كلها إيمانه بأنه يقرأ القرآن

كاثما أنزل عليه، ومن هنا حق للاستاذ الزيات أن يطلق عليه اسم شاعر الرسالة.

كذلك فقد كان حبه لرسول الله ﷺ بالغ الوصف ولكنه حب ليس كحب الآخرين، بل حب نقي يتحرك فى إطار المفهوم الاسلامى الأصيل: مفهوم أهل السنة والجماعه بعيداً عن الشطحات والمبالغات، كان يؤمن بمنهجه الذى أخرج العالم من الظلمات إلى النور، ومن ثم فقد جعل كل ما وهبه الله من علم وفكر وفهم وبيان فى سبيل خدمة هذا المنهج متجرداً له على نحو لم يعرف عن كثير من الشعراء والمفكرين

إن فكرته عن الانسان المؤمن غير مستعارة من كتابات الصوفية القديمة ولا من كتابات الغربيين مثل سورمان بيتشه ولكنها إسلامية الجوهر والأداء.

كذلك فان دعوته إلى أخلاقية الحضارة فكرة إسلامية أصيلة مؤمناً بأن الحضارة التى تفقد بعدها الأخلاقى لا بد أن تسقط وتنهار. وهو يرى أن الأصول الاجتماعيه التى قدمها الاسلام قادر على توحيد الانسانيه.

و أن الاسلام هو أصل البشرية والسبيل الوحيد لتوحيد العالم وهو يؤمن بأن العرب هم مادة الاسلام الأولى وأن تمكنهم فى الأرض هو المطلق الحقيقى لنصرة الاسلام، والحقيقة أن إقبال هو كوكب من مجموعة كواكب الاسلام فى العصر الحديث ما زال يضيئ للانسانية ويهديها إلى طريق الله الحق «وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» (صدق الله العظيم) هذا وبالله التوفيق.

# مشاهدات فى مدينة ( فتن )

الأستاذ محمد أرشد الأعظمى الندوى
مدرس الأدب و اللغة العربية فى جامعة فلاح الدارين ، تركيسر

## نظرة عامة على مدينة فتن :

فتن ( المشهور فى التاريخ الاسلامى بـ « نهروالا » ) مدينة قديمة ذات تاريخ عريق فى شمال غجرات ، جوب غرب الهند ، مدينة شهدت كثيراً من تقلبات الزمان ، و تحول الملك و السلطان ، والملوك الهنادك الجبارين، وجنودهم المجندة ، و شوكتهم الحضارية ، كما شاهدت الملوك المسلمين المتدينين ، و العلماء الكبار ، و الربانيين الصالحين ، و المؤلفين البارعين .

فى هذه المدينة ازدهرت العلوم الاسلامية بعد الفتح الاسلامى ، و تولى الملوك الصالحون المحبون للعلم و العلماء رمام الأمور ، كما احتضنت هذه المدينة الأحبار العصاميين ، و الربانيين المرشدين ، و جذبت الصلاحيات الكبيرة من أقاصى البلدان و أدانيها .

درس فيها العلماء والمدرسون ، وصنف فيها الكتاب والمؤلفون ، وربى فيها الصلحاء و المربون ، فنفقت فيها سوق العلم و المعرفة ، و قامت حركة التصنيف و التأليف ، حتى تأسست المدارس المعمورة ، و قامت المكتبات الغنية ، ونشطت مراكز التربية ، فأصبحت ( فتن ) تشد إليها الرحال ، و تعلق بها الآمال و تعقد بها الأمنيات فى تروية العقول ، و تبريد غلة القلوب .

ورد فيها العلماء من اليمن الميمون ، و بلاد ما وراء النهر ، و مناطق الهند

البعیدة الشاسعة ، درسوا فدرسوا ، تربوا ثم ربوا ، طالعوا الکتب فبدؤا یؤلفون و یکتبون حتی جعلوها مرکزاً لهم .

إلی جانب ما کانت ( فتن ) مرکزاً تجاریاً و بورصة کبیرة مشهورة یرتادها التجار من البلدان و الأقطار تصدر البضائع و تستورد المصنوعات ، حسبک أن تعرف أن ( فتن ) کانت تعج بألوان و أجناس من طلاب العلم ، و أصحاب التجارة و السیاحة ، و کانت تخترق شهرتها الآفاق فی الصنعة والحرفة ، فی التمدن و التحضر . فی العمارة و الفن ، فی المدارس و المکتبات (۱) .

قد أسست هذه المدینة قبل عشرات من القرون بید ملاك هندوسی ( بن راج ) ثم ما زالت عاصمة لأمرائهم و سلاطینهم ، الذین کانوا یتعاقبون علی عرش الحکومة ملکا أثر ملك ، ولکن کانت ( فتن ) فی تلك الفترة فی زاویة الخمول و الانزواء ، مطمورة فی التاریخ ، حتی فتحها محمود الغزنوی ، ثم شهاب الدین الغوری ، و بعد ذلك الأمراء التابعون للدولة الاسلامیة القائمة فی دهلی ، فطار صیتها و لمع اسمها و نبه ذکرها .

ثم استقل أمراؤها عن حکومة دهلی و طوروها وبلغوا بها إلی أوج الکمال علماً و حضارة و مدنیة و تجارة ، و ما إلی ذلك من النواحی ، حتی جاء عهد الانحطاط الاسلامی فی القارة الهندیة مسقطت کغیرها فی أیدی الانکلیز ثم فی أیدی أناس حاقدین علی الاسلام و آثاره ، إلی أن یرث الله أرضه من یشاء .

رحلة إلی فتن :

کانت الساعة سعیدة التی عزمنا فیها السفر إلی ( فتن ) حیث إن هذا السفر قد هیأ لنا فرصة الاستزادة فی المعرفة عن هذه المدینة العریقة التاریخیة .

---

(۱) انظر تاریخ مدنیة غجرات ، أبو ظفر الندوی .

كان فضيلة الشيخ عبد الله بن اسماعيل رئيس جامعـــة فلاح الدارين ، هو الباعث على هـــذا السفر ، فانه شغوف بتاريخ غجرات العلمى و الثقافى ، و كان ولعه الزائد بتاريخ غجرات يلح عليه أن يزور هذا البلد لكى يشاهد مكتباته الغنية بالمخطوطات و المطبوعات القيمة ، و يخلص منها بمعلومات دقيقة مهمة عن تاريخ غجرات العلمى ، و كان من حسن حظى أن طلب منى أن أرافقه فى هذا السفر فانتهزت هذه الفرصة ، واغتنمت السفر لأتعرف على ماضى غجرات المجيد و بالتالى ماضى الهند الزاهر .

وصلنا إلى ( فتن ) بالقطار فى دلالة من طلاب فتن الدارسين فى جامعة فلاح الدارين، و أقمنا فى ( مدرسة فيض صفا ) التى تسمى بكنز العلوم بعد نشأتها الثانية ، والتى هى وحيدة فى فتن فى العهد الحاضر من المدارس الاسلامية العربية، تتنى المنهج الدراسى المتبع فى جامعة ندوة العلماء بلكناؤ .

زيارة الآثار و المكتبات :

قد قمنا بزيارة بعض الآثار فوجدنا أن أرض ( فتن ) تكتنز فى حجرها عدداً لا يحصى ، من العلماء الكبار ، و المؤلفين البارعين ، و الربانيين الصالحين ، كما أنها غنية بآثار الشهداء الغـازين ، البادلين فى سبيل الله أغلى ما كان عندهم ، أمثال الشيخ العلامة محمد بن طاهر الفتنى، والشيخ نصير الدين، والشيخ أحمد الدهلوى و الشيخ حسام الدين الملتانى ، وغيرهم من العلماء والصلحاء و الشهداء الذين لا يعلم عددهم بالقطع إلا الله ، و رأينا مقابر المسلمين تستغرق مساحـــة كبيرة من بلد ( فتن ) القديم، ولا يمشى إنسان فى هذه المقابر حول القبور إلا و يعتبر بضعف الانسان و قدرة الله القادر و يتذكر أبيات أبى العلاء المعرى :

خفف الوطأ ما أظن أديم الأ رض إلا من هذه الأجساد

و قبیح بنا و إن قدم العهد    هوان الآباء و الأجداد

سر إن استطعت فی الهواء رویداً    لا اختیالا علی رفات العباد

و بعد زیارة آثار العظماء و العصامیین توجها إلی زیارة المؤلفات القیمة و المخطوطات الثمینة ، فوجدنا أنها کثیرة و غنیة و جمیلة ، لم أستوعب المخطوطات کلها فی ( فتن ) إلا مخطوطات ( مدرسه فیض صفا ) فانها زادت علی أربع مائة مخطوطة، مع أن حوادث الدهر دهت بکثیر من المخطوطات الکبیرة القیمة ، البالغة الأهمیة ، کما عرفنا من أقوال العلماء هناك .

لا تتعجب ـ أیها القارئ ـ مما إذا مضت العصور علی هذه المخطوطات فان معظم المخطوطات التی تشرفنا بزیارتها لا تزال بهیة جمیلة ، تخلب الأنظار ، وتبعث علی القراءة و الاستفادة ، و هی إن دلت فانما تدل علی عظمة الأسلاف وقصور همة الأخلاف .

جزی الله العلماء الذین جمعوا هذه المخطوطات و جلدوها و حافظوا علیها من الضیاع ، منها ما یتعلق بتفسیر القرآن و أخری بشرح الحدیث ، وبعض أخری تتعلق بالتزکیه و الاحسان إلی جانب الکتب الطبیة .

حبذا لو قام علماء متضلعون فی هذه العلوم وحققوا هذه المخطوطات و أخرجوها إلی نور الطباعة و النشر .

ولیست مکتبة فیض صفا هذه واحدة فی (فتن) بل إنها بقیه من المکتبات الکثیرة الضائعة ، ولا توجد المخطوطات الآن إلا فی صورة منتشرة هنا و هناك فی بعض البیوتات ، کثیر منها ضاعت وبعض منها انتقلت إلی بلدان أخری حیث هاجر أهالیها إلیها مع کتبهم .

المدارس :

وکنا قد قرأنا عن ( فتن ) أنها کانت عامرة بالمدارس و مراکز التربیة فی

حين من الأحيان، لحقاً قد وجدنا الأطلال الباقية عن تلك المدارس فی أطراف ( فتن ) التی تدل علی ماضيها المشرق ، وجمالها الفانی و عماراتها المندرسة ، فان هذه المدارس كانت محط رجال العلماء ، ومضرب أكباد الابل ، من المتنهلين من هذه الينابيع العلمية العذبة ، وكانت فی عدد غير قليل ( كما يقول الشيخ أبو ظفر الندوی) و كان صيت بعضها يطير إلی أنحاء العالم، منها مدرسة الشيخ حسام الدين الملتانی ، و مدرسة الشيخ محمد بن طاهر الفتنی ، ولكنها مع الأسف آثار مندثرة و جدران متهدمة وتلال منتشرة اليوم ، ما أحلی أن يقوم المسلمون الغيارى فی فتن ويمسكوها فی حوزتهم لكی لا تتحول إلی معابد وثنية أو إلی ملاعب طلابية.

هذا إلی جانب ما زرنا هناك من بعض العمائر التاريخية القديمة الهندوكية، والآثار الفنية التی تولی بناءها الملوك و الأمراء الهنادك ، تعبيراً عن ذوقهم الفنی ورؤيتهم الخاصه نحو الحياة والفن ، من العمارة الحجرية، المنقشة المطرزة ، المنحوتة بصور الملكات و العشيقات ، و من البرك المصنوعة بالأحجار المنحوتة الجيدة ، كما رأينا كثيراً من الأحجار المنحوتة بصور الآلهة - وما أكثرها لدی الهنادك - منثورة مهجورة فی كل مكان ، التی كانت تدل علی كثرة عمارة المدينة فی فترة من فترات الزمان .

هكذا ، قضينا ثلاثة أيام فی بلد العلم والتاريخ الاسلامی ، فی بلد الشجاعة الاسلامية و الفروسيه العربية ، ونحن نفكر فی عظمة شأن الأسلاف و مآثرهم ، معتبرين بحياتهم النزيهة و صنائعهم الكبيرة، داعين أن يرد الله إلی الاسلام عزته الضائعة ومجد المسلمين الغابر .

كنا نخرج من هذا البلد و كان إيماننا بقدرة الله القاهر وبضعف الانسان العاجز يزيد ويقوی، لأن التاريخ كان ماثلا أمام العين، وكنت أنشد قول القائل :

ألا كل شیء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

## صور و أوضاع :

# خيانة باسم الثقافة

الأستاذ واضح رشيد الندوى

خلال الحملة الشعبية التى تستمر فى الهند منذ حوالى سنة للاحتفاظ بقانون الأحوال الشخصية للمسلمين وصيانة المقدسات الاسلامية شوهد منظران متقابلان ، أبدى المسلمون بصفة عامة حماساً لم يكن يتصور قبل ذلك بصدد الشريعة وبرزت هذه العواطف، ومشاهد الغيرة أكثر لما ثارت قضية المسجد الأثرى الذى يرجع إلى عهد الملك المغولى الأول بابر ، و قد أصدرت محكمة فرعية حكمها بفتح الأقفال التى كانت قد وضعت عليه أثر حدوث نزاع بين المسلمين والهندوس ، و السماح للهندوس بالعبادة فيه بقبول دعواهم بأنه معبد سابق ، هدمه المسلمون فى عهد حكمهم ، فاحتج المسلمون وأبدوا استعدادهم لكل تضحية فى هذا السبيل ، وحدثت اشتباكات دامية فى عدد من المدن ، والقرى الهندية ، ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين والهندوس ، ولا يزال المسلمون متمسكين بخطهم ، و هم واثقون بعدالة قضيتهم وسدادها تاريخياً ، وعقلياً وعاطفياً ، ومستعدون لمواصلة كفاحهم .

و قد أثبتت هاتان القضيتان أن المسلمين عامة يحتفظون بالغيرة مهما كان وضعهم و حالتهم الاجتماعية ، و الاقتصادية و الثقافية ، و كلما تعرضت مقدساتهم و عقائدهم ، و قيمهم للخطر فانهم يتصدون له بعاطفة جياشة ، ويثور فيهم الحنين إلى الشهادة ،وعاطفة إثبات الوفاء لدينهم ،وأحيانا يتقدم لاثبات الوفاء للدين والتضحية فى سبيله رجال ليس لهم أى دور ملحوظ فى الكفاح الدينى ، و لا سمعة طيبة فى الحياة العامة و لا يلتفت إليهم ، لكنهم فى مواقع الكفاح و التضحية ، و إثبات الوفاء و التفانى فى سبيله يتقدمون بخطى واسعة و كأنهم يريدون أن ينتهزوا هذه الفرصة الغالية لتنقية أنفسهم من أدران الحياة التى كانوا فيها ، فيشتد فيهم الحنين إلى الشهادة و الشوق إلى أن يأتوا فى سويعات بما لا يستطيع غيرهم

من أصحاب افكار و فلسفات و علم و تربية ، فى شهور و سنوات ، و فى مثل هذه الأوضاع تتجدد فى الذاكرة قصص البطولة و الشجاعة ، والحنين إلى الشهادة التى تشتمل عليها كتب السيرة و تراجم الصحابة و الأبطال الذين قطعوا مسافات طويلة بوثبة واحدة ، وثبـــة الفداء ، و فى لحظات تجسد لهم الفوز و شاهدوه فقالوا : فزت و رب الكعبة .

إن هذه الوثبات أو الانتفاضة نابعة من الايمان و اليقين بوعد الله ، والثقة بسداد هذا الدين ، التى تنفخ الروح فى الأجساد ، و العاطفة فى القلوب و تشعل الجمرة الكامنة فى الرماد ، و هى نعمة عظيمة ، تصنع العجائب و تخرق التكهنات و الأرقام و التقديرات ، و تأتى بالمعجزات ، والشعوب الاسلامية فى كل مكان تحمل هذه العاطفة و القوة .

و فى مثل هذه المواضع ، مواضع العمل و الانطلاق ، مواضع التضحية ، والتفانى والغيرة ، ظهر عنصر بأشنع مظهره لتخييب هذه القوى العاملة بروح الدين عنصر بهر عيون رجاله بريق الحضارة ، وسحر نفوسهم العلم المجرد عن التربية الدينية ، والعقل المجرد عن العاطفة و الشعور ، والحب ، و الولاء فتستر هؤلاء العقلاء ، و المثقفون و أدعياء العلم وراء ما تنسجه عقولهم المادية ، لأنهم أحبوا الدنيا ، و أخلدوا إلى الأرض ، فلم يستطيعوا أن يرتفعوا من هذه الحواجز المادية ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، هؤلاء العقلاء المزعومون و أدعياء العلم الذى يعتبرون الدين و الأخلاق و القيم ، حديث الماضى ، و يشعرون بمركب النقص و يؤمنون بالحضارة الغربية و العلم الحديث ، و يتمدون على كل فكر أجنبي ، ويقطعون صلتهم عن جماهير الشعب و مشاعره و يعكفون على خدمة أعراضهم ، هم داء هذه الأمة ، و مصدر الوهن فى صفوفها ، لأنهم عند الكفاح ينضمون إلى صفوف الأعداء و يضمون أصواتهم بأصواتهم ، و إن كانوا فى قلة و منعزلين ، لكنهم يجدون فى الأعداء من يرفع صوتهم ، و يدعمهم ، و يساندهم ، فيتجرأون .

كانت استقالة أحد وزراء الحكومة الهندية الذى ينتمى إلى الجالية الاسلامية من هذا القبيل ، و كذلك أصوات بعض المحامين ، و أصحاب المناصب ، الذين عارضوا الأحوال الشخصية .

إن مثل هذه الطبقة بالذات هى مصدر الوهن ، فى الهند و فى كل بلد إسلامى وهى التى تستغلها الصحافة العالمية وتجعل من رجالها أبطالا ، ورواداً للفكر ، وهم فى الواقع أصحاب مصالح ، و أغراض دنيوية ، و هم بمثابة من يميلون حيث تميل أهواؤهم

إن هذه الطبقه هى التى تحدث المشاكل و الفتن فى العالم الاسلامى كله ، لأنها نشأت فى أفكار الهدامين ، و هى من خريجى مدرسة الغرب ، التى خرجت أجيالا من المتطفلين وترفع لواء الاستعمار فى العالم الاسلامى و تحتفظ بمصالحه ، و تتقدم فى محاربة الحركات الاسلامية ، و قمع العواطف الاسلاميه ، و تحدث خللا فى صفوف المسلمين .

إن الشعب فى كل بلد من البلدان الاسلامية محروم من القيادة الفكرية السديدة لأن التعليم و الثقافه فى هذه البلدان لا يزال يرتبط بمصالح الغرب ، فلا تخرج إلا أعوان الاستعمار ، و أعداء الاسلام و المسلمين ، ولا يستطيع المسلمون أن يتغلبوا على مشاكلهم ، و يحققوا أهدافهم المنشودة ما لم يتم إقصاء هذه الطبقة التى تشعر بغربة فى المسلمين و تأنس و تستريح فى حضن أعداء الاسلام .

إنها أخطر من المنافقين ، لأن المنافقين لم يكونوا مدعمين بالوسائل العلمية و العملية ، و لم تكن لهم حماية من القوى المعادية و إنما كانوا حائرين ، أما هذه الطبقة الجديدة فانها تنتهز انتماءها إلى الاسلام رغم تجردها عن كل ما يمت إلى الاسلام بصلة ، و ترتفع فوق أكتاف الأعداء لتحارب الاسلام باسم الثقافة و الحضارة و التقدم ، و تدعى أنها من المسلمين التقدميين .

# عبرة للمستبدين

كانت نهاية عهد الرئيس الفلبيني ماركوس بصورة درامیتکیة منبهة لكل من غرته قوته ومناعته ، و اتكاله على قوة خارجية ، وقد عرض هذا الحدث التاريخی الذی لم یکن یتکهن به قبل وقوعه مثالا آخر لانتصار الشعب على قوى الطغيان ، و الاستبداد ، إذا غلبــه الشعور بالمهـانة ، والقهر و التضليل ، وتيسر له قيـادة بديلة ، يعتمد عليها ، و قد كان الانقلاب فی إیران مثالا سابقاً صرف انتباه الساسة و الحكام ، الذين كانوا يعتبرون قوة الجيش ، و وسائل الدعاية ، وجماعة المرتزقة من عبـاد القوة و المال ، الذين يلتفون دائماً بمثل هؤلاء الحكام ، وقاية لهم وضماناً لاستمرار حكمهم .

اضطر شاه إيران إلى الفرار رغم ما كان يسيطر عليه من أكبر قوة عسكرية فی الشرق الأوسط ، و ما كان يملكه من الدهـاء السياسی و الخبرة الطويلة فی الحكم و ما حصلت له من تجربة لقمع الحركات المناوئة له ، و سياقته لشعبه ضد رغباته ، ورغم كل تظاهراته للتقدمية والحضارة ، وبناء قوة عسكرية ، و اعتراف العالم بحنكته السياسية ، وتمتعه بثقــه الدول الأوروبيـــة المتحضرة ، فسقط أمام انتفاضة الشعب الذی كان يربيه و يعوده على تقديسه وتعظيمه ، و قد كان العامل الأكبر الذی حرك الشعب ضد الشاه و الذی كان الشاه أغفله رغم ذكائه المفرط و دهائه السيـاسی ، رغبة شعبه المسلم فی أن يكون الحكم للاسلام و أن يكون الدين دستور الحياة ، فتغلب عليه بالاستفادة من هذا الحرص على الاسلام جماعة من العلماء و القادة الساسيين الذين وعدوا شعبهـــم بمنهج الحكم الاسلامی ، فلما انتصرت هذه القوة باسم الاسلام اهتزت أركان كل دولة كانت تحارب الاتجـاه الاسلامی بحماية الدول الأوروبية الكبرى ، بقوة الجيش ، و الشرطة العسكرية ، لأنها كانت تحسب أن هذه القوة أصبحت منعزلة ، لا يحركها إلا شرذمة قليلة من

الأصوليين والمتزمتين أو التشنجيين كما كانت تصفهم صحافتها المؤيدة لكنها علمت بهذه الثورة أن هذه الفئة القليلة المنعزلة تملك قوة وسيطرة على الشعب ، فاتخذت كل دولة إسلامية تدابير عاجلة بايعار القوى الخارجية لمنع حدوث ما حـــدث فى إيران ، وواجه الدعاة و العاملون للاسلام قيوداً جديدة ، وزج بعدد كبير منهم إلى السجون ، وظلت ثورة إيران موضوعاً هـاماً للصحف ، و الاذاعات و تنـاول الكتاب و المفكرون الأحداث فى إيران بالبحث وتعمقوا فى أسبابها و دواعيهـا و محركاتها .

و شعر الحكام و الساسه فى الغرب بخطر الانتفاضة الاسلامية ، و أدركوا أن هذه القوة التى كانوا يحسبون أنهم قد قضوا عليها و عزلوها لا تزال متدفقة و أنه يمكن استغلالهـا لقلب أى نظام ، و صرف المفكرون اهتمامهم إلى حصر هذه القوة التى كانت تهدد كل نظام فحاولوا أن يحصروهـا فى قالب العنصر الفارسى ، والمذهب الشيعى ، وبعله هذين الالترامين فى سياسة القادة الجدد ، و ما حدث من سفك الدماء الذى استمر مدة طويلة ، و التورط فى مشاكل و قضايا أدت إلى شقاء ومحنة للشعب الايرانى فقدت الثورة كثيراً من جاذبيتها و نفوذها و تضاءلت امكانيات توغلها إلى بلدان أخرى ، و لكن رغم كل محنة و شقاء ، و خسائر جسيمة ، لا يزال هتـاف الاسلام يؤلف شمل الشعب ، و يحمله على التضحية و الفداء و لو أزيلت الافتة الدين لهبطت عواطف المقاتلين و المكابدين و تجددت القضايا و المسائل الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية .

كانت هذه هى التجربة الجديدة باحداث انقلاب جماهيرى بينما كان الجيش فى موقف متفرج لم يكن له دور رائد فاستلفت هـــذا الانقلاب اهتمام المحللين السياسيين .

و بعد حوالى خمس سنوات ، حدث انقلاب آخر وهو أيضاً يحمل أهمية للساسة والحكام لأنه يدل على انتصار الشعوب على القوة ، والدهاء السياسى ، وعلى أن الجيش لا يستطيع أن يقف فى وجـه إرادة الشعب الذى ينهض لفرض إرادته ، فقد كان ماركوس من الحكام الذين كسبوا تجربة سياسية ، ودعموا أنفسهم واحتموا بالقوى الكبرى ، وتمكن ماركوس أيضاً من تحويل الانتخاب إلى صالحه بوسائل الدعاية و الأعلام لكن رغبة الشعب كشفت خدعته ، و حاولت امريكا حمايته أولا لكنها أدركت أن عقارب الساعة تشير إلى اتجاه آخر ، فسحبت تأييدها ، و قد بقى ماركوس فى الحكم مدة طويلة و أصبح اسمـه مقترناً بالفلس ، وقـد أريقت دماء ألوف من الأبرياء فى سبيل خدمة مصلحتـة ، و كان يعيش حياة الأباطرة من القرون الوسطى و كانت له سلطة على قوات الأمن لكن سقط كما تسقط أوراق الخريف ، و قد كان فى دهـاب سلطته دخل لرجال الدين الذين أيدوا المسز أكنو ، فثـار الشعب ثورة و وقف كالجدار المرصوص أمام القوة و السلاح ،

إن هذين الانقلابين يدلان على انتصار إرادة الشعوب وعلى أن القوة والدهاء السياسى لا يستطيعان أن يوقفا دائماً انتفـاضة الشعوب كما يدلان على أن الدين له قوة سحرية ، فى توجيه الشعوب ، وحملها على التضحية .

و هناك مثال آخر لانقلاب شبيه بهذين الانقلابين ، و عناصرهما ، و هو وقوف الشعب الباكستانى ضد زعيمه الذى كان يملك نفس الدهاء السياسى و كان يعتقد أنه سيحكم بلاده مدى الحياة ثم يحكم أولاده ، وقام بتزوير الانتخابات ، ولكن انكشفت خدعته ، و هب الشعب بقيـادة رجال الدين ، فقدم الشعب تضحيات جسيمة لمواجهة الجيش الباكستانى و أثبت أن أيديه ستصاب بالشلل باطلاق النار ، لكن عواطف و انتفاضة الشعب لن تهدأ ، فسقط ذو الفقـار على بهتو بدهـائه وقوة سلاحه و باعلامه ، وملأه ، وحماته من الشرق و الغرب .

# الشيخ أبو سلمة شفيع احمد

فى أواخر ديسمبر المنصرم لعام ١٩٨٥م تلقت أسرة المجلة نبأ وفاة الشيخ أبى سلمة شفيع أحمد بغاية من الآسى و الحزن ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كان الشيخ أبو سلمة من علماء الهند الأفاضل فى هذا العصر ، و كان له شغف زائد بالعلم و التحقيق ، و خاصة فانه كان يعتبر من أساتذة الحديث و شيوخه ، و كان يدرس الحديث و التفسير فى المدرسة العالية فى كلكته ، حيث اشتغل بوظيفة التعليم إلى مدة طويلة ، فكانت الأوساط العلمية و الدينية تعرف فضله و مكانته فى مجال التعليم و التحقيق و الدراسة .

أول عمل علمى قام به هو تحقيق كتاب (معرفة السنن والآثار) للامام البيهقى و نشره ، و حقق كذلك كتاب ( أسماء الصحابة و الرواة ) لابن حزم الأندلسى و نشره ، و كذلك كان شغوفاً بجمع النوادر من الكتب و المؤلفات القديمة ، و إحراجها بلباس قشيب ، و طالما كان يخط الكتب بيمينه ويعرضها على المطابع .

وفى أوائل السبعينات أقام مؤسسة علمية باسم ( إرادة الترجمة والتأليف ) و كان يستهدف من ورائها بوجه خاص . نشر و ترجمة الكتب و الموضوعات القيمة التى تتعلق بالسيرة النبوية ، فهو الذى أعاد طبع كتاب العلامة المرحوم الشيخ مناظر أحسن الكيلانى ( النبى الخاتم ) وكان مفقوداً فى المكتبات وكذلك نشر الجزء الخاص بالسيرة النبوية لكتاب ابن قتيبة ( المعارف ) حيث ترجمه نجله الكريم السيد طلحة بن أبى سلمة الندوى إلى اللغة الأردية .

كان الفقيد مثالا للاجتهاد العلمى ، والشغف بالعلم ، يجل أصحاب العلم والدين ويحبهم ، و يكرم وفادتهم كلما زاروه فى كلكتا ، و كان يهتم بالمناسبات التى تجمع أهل العلم و الدين و يفرح بها .

توفى رحمه الله و خلف وراءه مكتبة اسلامية قيمة ، وجماعة من تلاميذه ، و أنجالا أعزاء ، من بينهم نجله الكبير الأستاذ طلحة بن أبى سلمة الندوى، الذى نرجو الله أن يوفقه لسد ذلك الفراغ الذى حدث من وفاة والده المرحوم، رحمه الله واسعة و أدخله فسيح جناته .

« التحرير »

أنشأها
فقيد الدعوة الاسلامية الاستاذ محمد الحسني رحمه الله
في عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

# البعث الاسلامي

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

No- 2 June - July 1986 Vol. 31
المجلد الحادي والثلاثون ★ شوال ١٤٠٦هـ — يونيو و يوليو ١٩٨٦م ★ العدد الثاني

المراسلات.
البعث الإسلامي ندوة العلماء، ص ب ٩٣ ـ لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93,
LUCKNOW ( INDIA )

# في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــة :

## من هؤلاء المسلمين فى المغارات و الجبال فى نيبال ؟!

أ ليس من معجزة الاسلام أن توجد أسر و عائلات و مجتمعات مسلمة فى كهوف و مغارات الجبال الممتدة على مسافـــة بعيدة للجنوب الشرقى لجبال هملايا (Himalayas) و هى سلسلة المرتفعات الجبليه فى نيبال شرقاً و غرباً يتخللها مناطق ميدانية و سهول من المزارع و الغابات ، يعيش فيها ناس مسلمون يسمون بأسماء إسلامية و إن كانوا لا يعرفون عن الاسلام إلا عادات و طقوساً لا صلة لها بتعاليم الاسلام البته .

هناك فى الجبال النيبالية قبائل بدائيه بعيدة عن الآداب الحضارية و غارقة فى عادات جاهلية و وثنيات ذات أشكال و ألوان ورثتها أباً عن جد ، دون أن يكون لديها أى معنى من المعانى الانسانية فهى تعيش كســائر الكائنات الجبلية من الوحوش والضوارى،ولا تعرف شأناً سوى سد الجوع وإشباع الشهوات ، وذلك هو النوع الذى يصفه المتسلقون على قمم الجبال والمغامرون فيها بالوحوش البشرية .

و فى مثل هذا الوسط البشرى يصل صوت الاسلام و تنطلق ألسنة باسم الله ، و يوجد أناس مسلمون لم يصل إليهم الاسلام نقياً كاملا و مباشراً عن طريق العلماء والدعاة ، بل عرفوه بوسائط و وسائط اختفى من ورائها نقاء الاسلام و حيويته و شموله و رسالته العالمية الخالدة ، فهم مسلمون بالاسم لا يعرفون كيف يصلون و لماذا ، و لا يدرون معنى لعبادة الله ، و إذا مات فيهم أحد فلا يعلمون ما يجب عليهم نحو ذلك الميت سوى أن يحفروا له ركناً من الأرض

و يدسوه فيـــه ، يعيشون كسائر بنی جنسهم و لا يتميزون عنهم إلا بانتماء رسمی لحسب إلى قوم هم مسلمون ، أما أن تكون لهذا الانتماء مسئوليته و تبعاته فلا علم لهم بذلك بتاتاً .

مسئولية الدعاة إلى الله و علماء الاسلام والعاملين فی هذا المجال نحو هؤلاء المساكين ، تبلغ من الأهمية والضخامة مبلغاً لا يخفى على أولی البصيرة والاهتمام الدينی . وإن الشعور بهذه المسئولية هو الذی دفع بعض الغيارى من علماء الاسلام و المهتمين بالدعوة و العمل فی مجال التوجيه و التربيه فی المؤسسات الاسلاميه العالمية فی المملكة العربيه السعوديه إلى ابتعاث فوج من الدعاة إلى مثل هذا البلد الذی يوجد فيه هذا النوع من المسلمين ، و ذلك إن دل فانما يدل على اهتمامهم الكبير بدعوة الاسلام و تحرقهم لاعلاء كلمة الله فی كل مكان ، فی الجبال و السهول ، فی المدن و القرى ، فی المراكز الحضارية و فی الغابات و مدحلات الصحارى و الغابات ، و قد كانت لهذه المجهودات الدعوية نتائج ملموسه فی المناطق و البلدان التی اختيرت لهذا العمل ، حتى فی عدد من البلدان الافريقيه التی لم يكن قد وصل إليها نور الهداية اصبح الاسلام معروفاً لديها وأقبلت المجاهيل الافريقيه على الالتزام بالحياة الاسلامية ، نتيجة للجهودات و الاهتمامات التی بذلت فيها من قبل المؤسسات الاسلاميـــه و المراكز الدعوية و الدعاة المبعوثين منها للتبشير بالاسلام و تبليغ شريعته إليهـا .

غير أن الوضع فی المسلمين القاطنين فی سلسلة الجبال و المرتفعات النيـــالية يختلف عن أوضاع البلدان الافريقيه ، ذلك أن الناس فی جبـال نيبال لا يزالون يعيشون على الوضع القديم ، بعيدين عن تعاليم الدين الصحيحة و متمسكين بتقاليدهم الموروثة ، نظراً إلى أن دعاة الاسلام لم يصلوا إليهم و حتى إن المبشرين النصارى لم يتمكنوا من نشر دعوتهم بين هؤلاء البؤساء ، و السبب فی ذلك طالما

يرجع إلى الحد الرسمى الذى تضعه الحكومة النيبالية على كل تبليغ دينى يقوم به ناس بين جماعة أو مجتمع بشرى يدين بغير ذاك الدين ، و من ثم فان تبليغ دعوة الاسلام فى أوساط الوثنيين وغير المسلمين ممنوع رسمياً، و لكنه مسموح به بين أولئك الذين ينتمون إلى الاسلام و يعتبرون مسلمين .

هنا نتساءل عما إذا كان الدعاة المبعوثون إلى نيبال يقومون بواجبهم نحو هؤلاء المسلمين ويهتمون بتعليم وتربية أولئك العائشين فى الظلام، فى سلاسل الجبال و الكهوف و المغارات ؟ بينما نرى أن دعاة الوثنية و الخرافات والبدع والمنكرات ينشطون لكسب هؤلاء الناس و افتراسهم بحبائلهم و أفخاخهم الجميلة بأساليب متعددة خلابة ، دون أن يعوقهم الصعود على الجبال و السير فى الطرق الوعرة نحو مساكنهم و مجتمعاتهم ، فهم يخاطرون بمصالحهم و يغامرون فى سبيل التضليل و الاغواء من غير تعب أو انقطاع حتى بدأت تثمر جهودهم المستمرة و متاعبهم المتتاليه فى المجتمعات الجبلية ، و جعلت البدع و المنكرات تتسرب إلى حياتهم ، و طفقت وثنية القبور و المشاهد تنال إعجابهم و تلفت أنظارهم .

أما نشاطات الجمعيات الاسلامية و العاملين فيها فى نيبال فربما تتحدد بين الشكليات و الشئون التنظيمية أكثر من العمل بين المسلمين المتخلفين دينياً و اجتماعياً ، و لا أعتقد أن هناك اهتماماً مطلوباً من قبل هذه الجمعيات و المراكز الاسلامية بتبليغ صورة الاسلام الواضحة إلى المناطق التى تعيش فى ظلام وجهل و تخلف و خمول ، و هى لا تدرى من تعاليم الدين امراً واضحاً و لا تعرف من صورة الاسلام ملامح نيرة ، إنها تركز فى معظم الأحوال على الأمور التى تأتى فى الدرجة الثانية ، و تتناسى الحاجة الأولية الأساسية للدعوة الاسلامية فى دولة نيبال ، و وضعها فى الاعتبار الاسلامى الأصيل هناك :

إننى لا أنكر الحاجة إلى هذه الجمعيات الاسلامية و المراكز الدينية فى مثل

هذا البلد ، و لا أقلل من قيمتها فى حال ما ، و لكن الحق أحق يقال أن مجال نشاطها و أعمالها محدود وأن اهتمامها بالأولويات والأساسيات قليل يبعث على الأسى ، و يثير تساؤلات فى نفوس أصحاب الاهتمامات و الدعوة الدينيــة فى البلدان الأخرى ، خاصة إذا كانت هذه الجمعيات تنال تشجيعاً و دعماً بين حين وآخر من المراكز الاسلامية وأهلها فى الدول الاسلامية ، وتكون موضع اهتمامهم الكبير بالنظر إلى حالة المسلمين البائسة هناك ، و متطلبات الدعوة المهمــة ذات الخطورة فى مثل هذا البلد الوثنى ، الذى ديانته الرسمية هى الهندوسيه الوثنية الخالصة .

كما أن عناية الدعاة المبعوثين فيها مصرفة فى أغلب الأحوال إلى السهول و المناطق ذات المستقعات ( التى تسمى فى لغتهم « ترائى » ) حيث إن الجبال بسكانها تفوتها المجهودات التى يبذلونها و هى تحرم العمل الاسلامى و الدعوة إلى الله ، اللهم إلا بعض الدعاة المقيمين فى العاصمة والعاملين فى المناطق الوعرة الصعبة والمهتمين بتبليغ كلمة الاسلام بشكلها السليم الجميل إلى مجتمعات المسلمين فى كاتمندو وما جاورها من المناطق ، ولكن مجهودات فرد واحد واهتمامه فى مثل هذا الجو الوثنى الملوث بالجاهليات و الشركيات التى لا يأتى عليها الحصر ، لا يكفى لتحقيق هدف الدعوة الاسلاميه الشاملة ، و طالمــا تذوب فى هذا المستنقع الجاهلى الكافر مع سيل التيارات الجارفه من الالحاد و الانحراف و الزيغ و الضلال و عبادة الأوثان و الانسان و الوحوش .

و لا يخفى على أهل الدعوة و العلم أن نيبال هى الدولة الوحيدة فى العالم كله التى ديانتها الرسمية هى « الهندوسية الوثنية » ، و أن معظــم شعبها وثنى يدين بالهندوسية ويتمسك بالتقاليد الوثنية بألوانها و أشكالها المختلفة ، و لذلك فان الحياة العامة هناك تتسم بالطابع الوثنى فى كل شئ ، و لا يختلف فى ذلك البوذى عن الهندوسى ، وحتى المسلمين الذين يعيشون بينهم من غير وعى دينى لا يتميزون عنهم فى كثير من الأحوال ، بل و ينساقون مع جيرانهم فى تقديس العادات و التقاليد الهندوسية الوثنية و فى عدم التميز بين الحلال و الحرام ، و قد بلغ عدد سكانها

مجموعاً فى الأخير إلى نحو سبعة عشر مليون نسمة ، يشكل الهندوس أغلبية كبيرة ذات أهمية عقائدية ، ويأتى فى الدرجة الثانية البوذيون، وهم موالون مع الهندوس الوثنيين فى كل شئ ولا يميزهم عن غيرهم من الهندوس إلا الانتماء الدينى فحسب ، أما المسلمون فتختلف الروايات عنهم ، وهم إن كانوا فى الدرجة الثالثة من الناحية السكانية ولكنهم كثيرون فى المناطق ذات السهول والمستنقعات ، ومعظمهم قائمون على الاسلام وملتزمون بالتقاليد الاسلامية ، و إن كان أمرهم يختلف من وجهات النظر الدينية و المذاهب الفقهية فيما بينهم ، ففيهم سلفيون و فيهم مقلدون للمذاهب الفقهية ، وفيهم متدعون يؤمنون بالتوسل بالقبور و الأولياء كما يزعمون ، و عندهم مدارس إسلامية فى عدد لا يستهان به ، و لذلك فان شأنهم يختلف كثيراً عن الساكنين فى الجبال و القاطنين فى المغارات و الكهوف الذين هم مسلمون بالاسم فحسب .

ولا يهمنا فى هذه المناسبة التى نتحدث فيها عن الدعوة الاسلاميه بين المسلمين الجبليين فى نيبال إلا أن نعيرهم أهمية كبيرة فى برامج عملنا الاسلامى ونضع وجودهم فى المكان الأول من الاعتبار ، ولا نكتفى بالقدر الموجود من مجهودات التوجيه الدينى فى هذه الدولة الصغيرة التى لها استراتيجية جغرافية مهمه حيث يؤمها السياح من كل بلد ، ويقصدها المستطلعون من جهات العالم المتعددة فلا يتركون شيئاً من الوهاد والأنجاد والجبال والمرتفعات و المغارات و المستنقعات ، والمزارع والغابات ، إلا ويقصدونها و يدرسونها و يستنطقون منها نتائج تاريخية و معلومات ذات قيمة أثرية ، و إن هؤلاء - طبعاً - يخلفون وراءهم تأثيرات سلبية معاكسة فى معظم الأحوال بين سكان البلاد ، و يحيدون بهم عن القصد المطلوب ، حتى يقلدوهم فى الانطلاق عن القيود الخلقية ، و فى العادات الشاذة مما لا يتفق وطبيعة البيئات الانسانية ورسالة الحياة الهادفة .

ثم إنه لا بد من التركيز على الهدف بدافع من التضحية بالنفس و المال

والوقت ، مع توحيد الصفوف والاتجاهات وتعيين الاستراتيجية للعمل والدعوة ، و إيجاد جو من الثقة المتبادلة و الاقتناع بأن كل ما يتم فى هذا إنما مرده إلى تأييد من الله و توفيقه، وما ذلك إلا امتثالا لأمر الله وتحقيقاً لمرضاته ، وقياماً بالواجب الذى نيط بهذه الأمة التى سماها الله تعالى خير أمة أخرجت للناس ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر و تؤمنون بالله) .

هل من المعقول أن نترك المجال واسعاً للفسدين من الناس، يأتون إلى أهل هذه البلاد باسم السياحة و الاستمتاع بالجمال الطبعى ، ثم لا يلبثون أن يخلفوا فى كل مكان أقاموا فيه أو قصدوه للتنزه والانتعاش آثاراً سيئه من جميع النواحى، و لكن دعاة الاسلام و المشرين بعمته إذا خرجوا فى سبيل الدعوة و التوجيه الاسلامى وجدوا مجال العمل ضيقاً لا يتسع لدعوتهم وعملهم فى سبيل بناء الحياة و السيرة ، و رفعهما على أسس خلقية واسعه متينة وصنعهما بصبغة الله و الفطرة الانسانية ، أو واجهوا عقبات و عوائق فى الطريق لا تسمح لهم بالتقدم إلى هذه البيئات من القبائل والأجناس البشرية فى الجبال والمرتفعات و الكهوف والمغارات التى يعيش فيها عدد لا يستهان به من المسلمين ولو بالانتماء فقط .

و كذلك ليس من المعقول أن يتوصل أصحاب الدعوات الباطلة و زعماء البدع و المنكرات إلى أى بقعه من بقاع هذه البلاد ، و يبلغوا دعواتهم إلى من شاؤا من سكانها ، ولا يجد أهل الحق من الموحدين المحمديين، رجال خير الأمة و علماء الكتاب و السنة ، طريقاً إليهم ، فيدعوهم لكى يلعب بهـــم المغرضون و المشبوهون ، و يستغلوهم لتحقيق أغراضهم الرخيصة .

إنها مسئولية دقيقة و ضخمة تعود على علماء المسلمين و دعاتهم ، و على المسئولين عن الدعوة والمؤسسات الاسلامية، فليتفطنوا لها ويؤدوها بأمانة واحتساب ، فسيكون ذلك تجربة رائدة فى مجال الدعوة إلى الله ، وما علينا إلا البلاغ ●

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

# مكانة المرأة فى الاسلام

## و موقفه من حقوقها و حظوظها

سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

نقدم أولا الخلفيات التى لا بد للشعور بعظم الدور الذى قام به الاسلام فى صالح المرأة، من الاطلاع عليها، وهما مقتطعات من كتاب «المرأة فى القرآن» للأستاذ عباس محمود العقاد. فانه يمتاز بالتقصى و دراسه واسعة للموضوع.

يقول المؤلف وهو يذكر مكانة المرأة فى الديانات والمجتمعات القديمة السالفه على الاسلام.

«شريعه «مانو (١) فى الهند لم تكن تعرف للمرأة حقاً مستقلا عن حق

(١) «مانو» (الذى أشار إليه الأستاذ العقاد) هو «منو» الذى يعتبر مصدر القانون الاجتماعى المدنى العائلى فى الهنادك. و هو شخصية يكتنفها الشئ الكثير من الغموض و الخيال و التقديس، ولا يمكن تحديد عصره ولا تعيين شخصيته، وهو يتراءى فى بعض عبارات الكتب المقدسة عند الهنادك «ويدا» إلهاً فوق البشر، و يبدو فى بعض عباراتها جداً للجيل البشرى وممثلا أولا لفاطر الكون، وينطبق هذا الاسم و الوصف على عـــدة شخصيات فى الهند القديمة.

أما «منواسمرتى» الذى هو دستور الهند القديمة الاجتماعى و العائلى، فهو ينسب إلى «بهركو مهاراج» أحد كبار علماء القـانون فى الهند القديمة، و الذى كان ينتمى فى علمه وتشريعه إلى «منو» وقد اعتبر ★

أبيها ، أو زوجها أو ولدها فى حالة وفاة الأب والزوج ، فاذا انقطع هؤلاء جميعاً وجب أن تنتمى إلى رجل من أقارب زوجها فى النسب ، ولم تستقل بأمر نفسها فى حالة من الأحوال ، واشد من نكران حقها فى معاملات المعيشة ، نكران حقها فى الحياة المستقلة من حياة الزوج ، فانها مقضى عليها بأن تموت يوم موت زوجها ، و أن تحرق معه على موقد واحد ، وقد دامت هذه العادة العتيقة من أبعد عصور الحضارة البرهمية إلى القرن السابع عشر ، وبطلت بعد ذلك على كره من أصحاب الشعائر الدينية

و شريعة حمورابى (١) التى اشتهرت بها بابل كانت تحسبها فى عداد الماشية المملوكة ، ويدل على غاية مداها فى تقدير مكانة الأنثى ، أنها كانت تفرض على من يقتل بنتاً لرجل آخر أن يسلمه بنته ليقتلها أو يملكها إذا شاء أن يعفو عنها ، و قد يضطر إلى قتلها لمجرد حكم الشريعة المنصوص عليها .

وكانت المرأة عند اليونان الأقدمين مسلوبة الحرية و المكانة فى كل ما يرجع إلى الحقوق الشرعية ، وكانت تحل فى المنازل الكبيرة محلا منفصلا عن الطريق ، قليل النوافذ ، محروس الأبواب ، و اشتهرت أندية الغوانى فى الحواضر اليونانية لاهمال الزوجات وأمهات البيوت ، وندرة السماح لهن بمصاحبة الرجال فى الأندية

★ « منواسمرتى » أقدم كتاب قانونى فى الهند القديمة ويذهب أكثر الباحثين إلى أنه تم تأليف هذا الكتاب فى القرن الثالث قبل المسيح ، « مستفاد من كتابى الدكتور كسكا ناتهه جها ، و الدكتور جيسوال من كبار علماء تاريخ القانون الهندوسى — « الندوى » .

(١) أشهر ملوك الأسرة الحاكمة فى العراق التى أسست حكومة قوية ، وحكمت قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة « الندوى » .

و المحافل المهذبة ، وخلت مجالس الفلاسفة من جس المرأة ، ولم تشتهر منهن امرأة نابهة ، إلى جانب الشهيرات من الغوانى أو من الجوارى الطليقات .

و قد كان أرسطو يعيب على أهل « اسبرطه » أنهم يتساهلون مع نساء عشيرتهم ، ويمنحونهن من حقوق الوراثة والدائنة وحقوق الحرية والظهور ما يفوق أقدارهن ، ويعزو سقوط « اسبرطه » و اضمحلالها إلى هذه الحرية ، و هذا الاسراف فى الحقوق

و مذهب الرومان الاقدمين كمذهب الهنود الأقدمين فى الحكم على المرأة بالقصور ، حيث كانت لها علاقة بالآباء أو الزوج او الأبناء ، و شعارهم الذى تداولوه إبان حضارتهم ان قيد المرأة لا ينزع و نيرها لا يخلع ، و من ذلك قول « كاتو » المشهور (Nungi am Exuitur servitus Mulie Brio) و لم تتحرر المرأة الرومانية من هذه القيود إلا يوم أن تحرر منها الارقاء على أثر التمرد ثورة بعد ثورة ، و عصياناً بعد عصيان ، فتعذر استرقاق المرأة كما تعذر استرقاق الجارية و الغلام

و بعد ما تحدث الاستاذ العقاد عن الحضارة المصرية القديمه التى تمتعت المرأة فيها ببعض الحقوق و الاعتبارات ، قال :

« بيد أن الحضارة المصرية زالت وزالت شرائعها معها قبل عصر الاسلام ، وسرت فى الشرق الأوسط يومئذ غاشيه من كراهه الحياة الدنيا بعد سقوط الدولة الرومانية بما انغمست فيه من ترف وفساد ، و من ولع بالملذات و الشهوات ، فانتهى بهم رد الفعل إلى كراهه البقاء و كراهه الذرية ، وشاعت فى هذه الفترة عقيدة الزهد و الايمان بنجاسة الجسد و نجاسة المرأة ، و باءت المرأة بلعنة الخطيئه ، فكان الابتعاد منها حسنة مأثورة لمن لا تغلبه الضرورة .

و من بقايا هذه الغاشية فى القرون الوسطى أنها شغلت بعض اللاهوتيين إلى القرن الخامس للميلاد ، فبحثوا بحثاً جدياً فى جبلة المرأة ، و تساءلوا فى مجمع « ماكون » هل هى جثمان بحت ؟ ، أو هى جسد ذو روح يناط بها الخلاص و الهلاك ؟ وغلب على آرائهم أنها خلو من الروح الناجية ، ولا استثناء لاحدى بنات حواء عن هذه الوصمه ، غير السيدة العذراء أم المسيح عليه الرضوان .

و قد غطت هذه الناشية فى العهد الرومانى على كل ما تخلف من حضارة مصر الأولى فى شأن المرأة ، و كان اشتـــداد الظلم الرومانى على المصريين سبباً لاشتداد الاقبال على الرهبانية و الاعراض عن الحياة ، وما زال كثير من النساك يحسبون الرهبانيه اقترابا من الله و ابتعاداً من حبائل الشيطان ، و أولها النساء .

و من المتواتر فى أقوال أناس من المؤرخين الغربيين أن الاسلام ينقل شريعته من الشرائع التى تقدمته ، ولا سيما الشريعه الموسوية ، ولا يتضح بطلان هذه الدعوى من شئ كما يتضح من المقابلة بين مركز المرأة فى حقوقها الشرعية كما نصت عليها كتب التوارة ، ومركز المرأة فى حقوقها الشرعية التى قررها الاسلام بأحكام القرآن .

فالمأثورة عن الكتب المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، أن البنت تخرج من ميراث أبيها إذا كان له عقب من الذكور ، و ما عدا هذا الحكم الصريح فهو من قبيل الهبة التى يختارها الأب فى حياته . حيث لا يجب الميراث وجوب الحقوق الشرعيه بعد الوفاة .

و الحكم المنصوص عليه فى حق الميراث أن تحرم البنات ما لم ينقطع نسل الذكور ، و أن البنت التى يؤول إليها الميراث ، لا يجوز لها أن تتزوج من سبط آخر ، و لا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها ، وجاء هذا الحكم بالنص الصريح فى غير موضع من كتب التوراة .

وننتقل إلى البلاد التى بدأت فيها دعوة القرآن الكريم ، وهى بلاد الجزيرة العربية ، فلا تتوقع أن تكون للمرأة فيها قسمة من الانصاف و الكرامة غير هذه القسمة العامة فى بلاد العالم على تباعد أرجائه وتنوع عاداته و شرائعه ، و لعلها كانت تسوء فى بعض أنحاء الجزيرة فتهبط فى المساءة إلى حضيض لم تهبط إليه فى سائر الأنحاء من الأمم كافة ، و ترتقى فلا يكون قصاراها من الارتقاء ، إلا أنها تكرم عند زوجها لأنها بنت ذلك الرئيس المهاب أو أم هذا الابن المحبوب . فاما أنها تكرم و تصان لأنها من جنس النساء ، يعمها ما يعم ذات جنسها من الحق و المعاملة ، فذلك ما لم ندركه قط من منازل الانصاف و الكرامة ، و قد يحميها الاب و الزوج كما يحميها الأخ و الابن حماية الواجب المفروض عليه بكل ما فى جواره أو كل ما فى حوزته وحماه ، فيعاب على الرجل منهم أن يهان حرمه كما يعيبه أن يعتدى عليه فى كل محمى أو ممنوع . ومنه فرسه ودابته وبئره ومرعاه .

فاذا هانت المرأة فهى عار يأنف منه اهلوه أو حطام يورث مع المال و الماشية ، و من خوف العار يدفن الرجل بنته فى طفولتها ويستكثر عليها النفقة التى لا يستكثرها على الجارية المملوكة و الحيوان النافع ، وكل قيمتها بين الذين يستحيونها و لا يقتلونها فى طفولتها ، إنها حصة من الميراث تنقل من الآباء إلى الأبناء ، و تباع وترهن فى قضاء المنافع و سداد الديون ، و لا يحميها هذا المصير إلا أن تكون عزيزة قوم تعز بما يعز عندهم من ذمار و جوار » اه (١) .

قارن كل ذلك بدور الاسلام الجديد الفريد فى رد الاعتبار إلى المرأة ، و إحلالها مكانتها اللائقة فى المجتمع الانسانى ، والانصاف لها من القوانين الجائرة

(١) المرأة فى القرآن ، للأستاذ عباس محمود العقاد ، طبع دار الهلال مصر ، ص / ٥١ — ٥٧ .

و الأعراف الظالمة و أنانية الرجال ، و لنظرة عابرة فى القرآن تكفى لمعرفة الفرق الهائل بين التقييم الجاهلى للمرأة ، و التقييم القرآنى الاسلامى لها ، والسلوك الفردى و التشريعات و القوانين الاجتماعية دائماً تنشق من هذا التقييم و تقوم عليه .

إن الآيات التى وردت فى القرآن عن نصف المجتمع الانسانى و الجنس اللطيف تثير الثقة فى المرأة بمكانتها فى هذا المجتمع و منزلتها عند الله و القدرة على الوصول إلى أعلى الدرجات فى الدين و العلم وخدمة الاسلام و التعاون على البر و التقوى و تكوين المجتمع الصالح ، و تقرن المرأة دائماً بالرجل فى قبول الأعمال ، و النجاة و السعادة و الفوز فى الآخرة ، ويقول الله تعالى :

« و من يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة و لا يظلمون نقيراً » (١) .

و يقول : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض » (٢) .

ويقرنها به فى منح الفرص والوسائل للحياة الطيبه بل يكفل بها لها و يعدها إياها ، و « الحياة الطيبة » كلمه جامعة عميقه المعانى تعطى معنى الحياة المثالية السعيدة الفاضلة ، وتشتمل على جميع شعب الكرامه و الرضا و هدوء البال و ما لا يأتى فى الحصر :

« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٣) .

---

(١) سورة النساء — ١٢٤ .

(٢) سورة آل عمران — ١٩٥ .

(٣) سورة النحل — ٩٧ .

و يذكر الصفات الكريمة و الأعمال الصالحة وشعب الدين الرئيسية ، فلا يكتفى بقرن الاناث مع الذكور ، و الاشارة إلى أنه لا فرق فى الأعمال الصالحة و الصفات الكريمة بين الذكور والاناث وكفى ، بل بالعكس من ذلك يفرد الصفات صفة صفة ، فاذا وصف الذكور بها وصف الاناث بنفس الصفة و أوردهن بالذكر ، و إن طال البيان ، لأن قاس النساء فى جميع هذه الصفات على الذكور ، الرجال الأقوياء الأعداء ، مما لم تتعوده أذهان الناس ، التى نشأت تحت ظلال الديانات و الفلسفات و المجتمعات و الآداب القديمة ــ سواءاً الدينية أو الأدبية ــ وفرقت بينها دائماً فاستثنت الاناث من مشاركة الرجال ــ فضلا عن مزاحمتهم والسبق عليهم ــ فى كثير من مجالات الفضيلة وعلو الهمة .

إقرأ معى قول الله تعالى :

« إن المسلمين و المسلمات ، و المؤمنين و المؤمنات ، و القانتين و القانتات ، و الصادقين و الصادقات ، و الصابرين و الصابرات ، و الخاشعين و الخاشعات ، والمتصدقين و المتصدقات ، و الصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، و الذاكرين الله كثيراً و الذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة و أجراً عظيماً » (١) .

و لا يكتفى القرآن بأنواع العبادات و القربات ، بل يشرك الأخوات المسلمات مع الرجال الأقوياء العلماء ، أصحاب الارادة القوية و الفتوة و علو الهمة والصبر على المشاق و التعرض للمعارضة ، فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويجعل من المؤمنين والمؤمنات كتلة مترابطة متماسكة متعاونة على البر والتقوى ويقول :

« و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ، و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يطيعون الله و رسوله ، أولئك

(١) سورة الأحزاب ٣٥ .

سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم (١) .

ويجعل المثل الكامل والشرط لبلوغ المنزلة العليا فى الكرامة الانسانية التقوى ، بصرف النظر عن الجنس و النسل و الدم ، فيقول :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » (٢) .

و هذا كله كافل بحفز الهمم وشحذها ، و إثارة الاعتزاز و الثقة فى نفوس الاناث و الابتعاد عما يسمى فى علم النفس الحديث بمركب النقص ( Inferiority ComPlex ) و بفضل ذلك وجد تاريخ — بعد مبعث الرسول ﷺ إلى العصر القريب — حافل بأمجاد السيدات المسلمات (٣) المعلمات المربيات ، المجاهدات الممرضات ، الأديبات المؤلفات ، الحافظات للقرآن ، الراويات للحديث ، الزاهدات الربانيات ، المكرمات المبجلات فى المجتمع ، يستفاد منهن و يتخذن قدوة و يضربن مثلا .

أما الحقوق و الحظوظ التى منح الاسلام المرأة المسلمة من حق التملك و الميراث ، و حرية البيع و الشراء ، و المطالبة بالتفريق إذا لزم ذلك ( و هو الذى يسمى بالخلع ) وحق فسخ الخطبة إن لم ترض بالزواج ، وحضور الأعياد و الجمع و الجماعات ، إلى غير ذلك فهى مما تحويه متون الكتب الفقهية (٤) .

---

(١) سورة التوبة — ١٧ . (٢) سورة الحجرات — ١٣ .

(٣) راجع الكتب الخاصة التى ألفت عن فضليات النساء مثل « أعلام النساء فى عالمى العروبة والاسلام » لعمر رضا كحالة ، وسيرة أم المؤمنين السيدة عائشة للعلامة السيد سليمان الندوى .

(٤) يرجع إلى كتاب « المرأة بين الفقه و القانون » للدكتور مصطفى السباعى عليه رحمة الله .

وقد اعترف المصنفون من علماء الغرب و الباحثون فى علم الاجتماع وتاريخ المدنيات بما تمتاز به تعاليم القرآن و الشريعة الاسلامية ، من الاحترام الممتاز للمرأة و الاعتراف بحقوقها سلوكا و تشريعاً ، ونحن نكتفى هنا بشهادتين ، و نقدم شهادة لسيدة غربية فاضلة قامت فى الهند بحركة تربوية إصلاحية ، و رأست منظمة ثقافية كان مركزها فى جنوب الهند ، وساهمت فى حركة التحرير الهندية ، فلشهادة المرأة قيمتها و وجاهتها ، للحساسية الزائدة التى توجد عندها فى قضية المرأة و الدفاع عن جنسها .

تقول أنى بيسنت ( Mrs Annie Besant ) :

« أن القانون الاسلامى فيما يتعلق بالمرأة من أرقى القوانين التى ظهرت فى الدنيا و أكثرها عدلا ، إنه يسبق التشريعات الغربية فيما يتعلق بالعقار و حقوق الوراثة و قانون الطلاق شوطا بعيدا ، إنه حارس لحقوق المرأة ، إن كلمات « الاكتفاء بزوجة واحدة » و « تعدد الزوجات » قد سحرت الناس و صرفت أنظارهم عن التفكر فى ما تعيشه السيدات الغربيات من هوان وبؤس ، و قد تركها الأزواج الأولون المسئولون عن عصمتهن على الشوارع و قد قضوا منهن لباناتهم و زهدوا فيهن سآمة ومللا ، فلا يلقين بعد ذلك عوناً ولا رحمة » (١) .

و يقول الأستاذ N. L Coulsen :

« إنه مما لا شك فيه أن التشريعات القرآنية فيما يختص بتحديد مركز النساء خصوصاً المتزوجات منهن ، من أمثل القوانين و أعدلها ، إن قوانين النكاح والطلاق فى عدد كبير ، و هى تهدف بصفة عامة إلى التحسين فى مركز النساء فى المجتمع و التقدم بهن ، وقد قامت على تغييرات ثورية فى قوانين العرب التى كانت تسود

1, The Life and Teaching of Mohammad, Madras- 1932, p. 3,

قبل الاسلام ، إن المرأة منحت شخصية قانونية مستقلة لم تكن تملكها فى السابق ، و إن أكبر تغيير أحدثه القرآن فى أحكام الطلاق هو سن قانون العدة للطلقة » (۱) .

و كانت هذه النظرة الجديدة فى المرأة و اعتبارها و معاملتها فى ضوء هذه المبادىء و الآيات القرآنية و التعاليم النبوية (٢) ، ولادة جديدة للجنس النسوى فى العالم البشرى ، إذ لم يكن بينها وبين حيوان داجن ، أو آلة صماء ، أو مؤدة أو رهينة ، أو صورة جميلة و دمية فى القصر ، فرق كبير فى العالم القديم كما وصفناه سابقاً . فكانت مفاجأة مباركة فى عالم الحضارة و الأخلاق والحياة المنزلية والرابطة الزوجية ، تجاوبت لها و تأثرت بها فى قليل و كثير المجتمعات و البلاد الكثيرة ، لا سيما البلاد التى دخل فيهـــا الاسلام عارياً فاتحاً ، أو حاكماً منظماً للامور ، أو داعياً مصلحاً و مثالا عملياً

إن عظمه هذه الهدية فى بلاد كانت السيدات يحرقن انفسهن بالنار على وفاة أزواجهن و لا يرين و لا يرى المجتمع لهن حقاً فى الحياة بعد الأزواج ، واضحة لا تحتاج إلى تعليق .

قام الملوك و رجال الحكم المسلمون بدورهم فى إصلاح الطقوس و العادات المتبعة فى الهند و خاصة إصلاح تقليد ما يسمى « ستى » و هو إحراق الأرملة نفسها أثناء عملية إحراق جثمان زوجها الميت ، وذلك بدون أن يلحقوا بالمعتقدات الدينية و الطقوس الهندية أى إساءة ، أو انتهـاك حرمة ، يقول الرحالة الشهير الدكتور برنير ( Bernier ) الطبيب الفرنسى الذى زار الهند فى عهد شاهجهان :

---

1, Islamic Surveys: The History of Islamic Law ( N, L, Coulsen ( Edimburg, 1971, p, 14 ).

(٢) يرجع فى ذلك إلى كتب الحديث ، أبواب النكاح والعشرة و الأخلاق .

« لقد هبط عدد حوادث « ستى » نسبياً لأن المسلمين الذين يحكمون هذه البلاد ، يبذلون أقصى جهدهم للقضاء على هذا التقليد الوحشى، ولو أنهم لم يسنوا أى قانون لمنع هذه الحادثة من الوقوع ، لأنهم لا يهدفون فى نظام حكمهم إلى التدخل فى شئون العادات الدينية ، بل إنهم يسمحون لهم بالقيام بأداء واجباتهم الدينية و طقوسهم ، و يوفرون لهم كل حرية ، لكنهم يحاولون إيقاف تقليد « ستى » بطرق غير مباشر ، فلا تستطيع أى امرأة أن تقدم نفسها لـ « ستى » إلا باذن من حاكم الولاية ، أما الحاكم فانه لا يسمح لها به إلا إذا تأكد أنها لن تمتنع عن عزمها بأى حال من الأحوال ، و يحاول حاكم الولاية إقناع المرأة وحملها على العدول عن إرادتها ، و يغرها و يوعدها ويمنيها كذلك ، وعند ما تخفق هذه المحاولات و لا تثمر محاولة الاقناع و الوعد يرسلها إلى حرمه ، لكى تنضم إلى عقيلات الحرم ، وتقلع عن إرادتها باقناعهن ، ولكن رغم جميع هذه التدابير لا تزال حوادث « ستى » تحدث بكثرة ، وخاصه فى مناطق الراجوات (الأمراء) و الأماكن الخاصه لهودهم ، حيث لا يحكم المسلمون » (١) .

(١) رحلة الدكتور برنير ، ج / ٢ ، ص ١٧٢ .

# تنويم الاسلام

الدكتور السيد فهمى الشناوى

النائم لا يعرف أنه نائم، إنما يعرف ذلك بعد إذ يستيقظ، وهذا هو الوضع مع كثير من الملأ الآن، و قد يقاوم النائم كل من يحاول إيقاظه و ربما كرهه أو سبه أو ضربه، وقد لا يستيقظ نائم إلا على كارثة كحريق أو انهيار أو صراخ حوله.

وعملية تنويم الاسلام بواسطة الغرب ناشطة منذ أوائل هذا القرن العشرين و هى فكرة انجليزية أو انجلو سكسونية فى أساسها، بينما كان الايطاليون والفرنسيون يعتمدون على مهاجمة بلاد الاسلام بالسيف والنار، ويعتمدون ضم الأراضى الاسلامية إلى الوطن الأم كاعتبار الجزائر قطعة من فرنسا و منع اللغة العربية معا كاملا و تمثيل الجزائر بنواب فى البرلمان الفرنسى، كانت بريطانيا تلجأ إلى ما نسميه تنويم الاسلام، و بعد ذلك أخذ عنها الجميع هذا الأسلوب.

حولوا مثلا المتربع على عرش مصر ـ الخديوى توفيق ـ إلى صنيعـة لهم يستدعى جيوشهم لحمايته، و بدأت عملية اصطناع العملاء تنتشر فى طبقات أدنى من الملك حتى أسماها هتلر بعد ذلك «الطابور الخامس» قدم منا أنفسنا يفتحون الباب الخلفى فى قلعتنا لعدونا.

ولم يكتفوا بهذا ـ على خطورته ـ ولكنهم أردفوه بما هو أخطر بكثير وهو خلق طابور خامس ليس بين الأفراد ولكن داخل نفس العقائد والأفكار والمقدسات وعلى رأسها الدين الاسلامى ذاته، فلماذا لا يكون الدين ـ المغشوش ـ هينا لينا ينام الشعب و يغط فى النوم على نغمتـه بحيث يدخل فى غيبوبة، فلا يدرى الشعب

ما يجری داخله و لا حوله و لا فی العالم ، و بهذا يصبح فعلا أفيوناً لا دينا .

إذا لم يكن أفيوناً و إذا لم نكن فی غيبوبة فقل لی كيف تجری المجازر هنا وهناك و تقتطع أجزاء من الجسد الاسلامی يوماً بعد يوم والشعب يقرأ عنها فی الصحف و يسمع عنها فی الاذاعات و يراها بعينه فی التلفزيون ولا يأتيه شیء من الغضب حيال من يقترفون هذا . بل قد تقوم مظاهرات من بعض المواطنين فی داخل بلاد المعتدی ضد أسلوب الاعتداء ، وقد تتألف فيه لجان للتحقيق ، و قد تظهر كتب تدينه داخل عاصمته نفسها ، و مع ذلك لا يتحرك رمش داخل الجسد الاسلامی .

منذ قرن واحد ولم تكن هناك جرائد ولا إذاعة و لا تلفزيون فی السودان و لا فی الجزيرة العربية و تحركت ثورة المهدی فی السودان و الثورة الوهابية فی الجزيرة العربية عند سماع « إشاعات » الغزو البريطانی لمصر ، و قبل هذا كان هناك استجابة اقوى و اسرع مع انعدام وسائل الاتصال وانقطاع الاعلام كاملا ، فكان يأتی إلی بيت المقدس للدفاع عنه إلی جانب مسلمی مصر مسلمون من سيبريا والمغرب و وسط أفريقيا

كيف حدث هذا التنويم حتی أصبح إسلامنا اليوم هو إسلام انجلو أمريكی أحياناً و إسلام روسی صنع أحياناً .

بدأت عملية التنويم بنزع الجانب الجهادی ، الجانب المقاتل ، الجانب المجاهد من العقيدة ، تقديم العقيدة مبتورة ، كمن يقول لا تقربوا الصلاة ، باستبعاد الجهاد و الكفاح و القتال ، نشروا الهدوء ثم النوم ثم الغطيط .

بدأوا ذلك فی الهند ، اختاروا شاباً مسلماً أنسوا فيه تطلعاً إلی الشهرة والمنصب مع رقة فی الطبع ، أغدقوا عليه ، كان اسمه غلام أحمد ، لاحظ أسلوب اختيار

أفراد وتقديمهم للزعامة والقيادة، هذا يتبعونه فى كل مستعمراتهم ومع كل حلفائهم أوعزوا إليه أن يدعى أنه نبى الله أرسل الله بعد محمد وبشريعة محمد إلا أن الجهاد نسخ منها ( إسلام طبعة انجليزية ! ) كانت الهنـــد يومئذ موغلة فى الفقر والجهل و الخرافة ، و انخدع ناس بهذا الدعى ، واشترى له الانجليز أنصاراً يروجون له، لأنهم فى الحقيقة يروجون للانجليز ، بل لأنهم فى نهاية الأمر يروجون لاعدام الجهاد ، العدو الحقيقى لأى سيطرة أوروبية أو غير إسلامية على الاسلام ، ألف غلام أحمد كتاباً سماه البيان ، قال فيه : أن الله قد اختاره لنسخ الجهاد لا سيما ضد الانجليز ! ! كانت بلدة هذا الرجل الشبه رجل اسمها قاديان ، سميت طريقته إذن القاديانيه أو الأحمدية ، روج لها الانجليز فى مستعمراتهم الأفريقية مثل كينيا وتنجانيقا و ألفوا كتباً فى مدح الأحمدية هذه .

فعل الانجليز مثل ذلك فى إيران والشام وفلسطين ، اختاروا - وإنما يصطادون رجالا - رجلا اسمه بهاء ، ادعى أنه باب الله ، فهو درجة أعلى من النبى و أدنى من الله ! وإن الله بعثه بدين يجمع بين الأديان السماوية الثلاثة الاسلام والمسيحية و اليهودية ، و أيضاً هنا لا جهـــاد ، بل زاد ادعاءه بأنه جاء « بالسلام » لحتى العبادة جاء بها مخففه، فيكتفى من المسلم أن يصلى ركعتين اثنتين طوال حياته، فكفى على المسيحى أن يصلى مرة واحدة فى الكنيسة ، وكذلك اليهودى ، ألقت الحكومة الايرانية القبض على هذا الباب السماوى وأعدمته دون أن تنشق السماء ، وطاردت أتباعه خارج إيران ، تلقاهم الانجليز بالاحضان وافسحوا لهم فى المناصب الحساسة ، و مراكز الاعلام و التعليم داخل حكومة الانتداب فى فلسطين حتى كانت نسبة البهائيين فى حكومة فلسطين أعلى من باقى فرق المسلمين جميعاً ، و هؤلاء البهائيون هم الذين مهدوا لقيام الدولة الصهيونيه ومكنوها من أرض فلسطين ، ومثلما يتناسل

البشر و يتوالدون، تناسلت البهائية فى المراكز الحساسة و القيادية و الاعلامية فى المنطقة كلها .

زرعت الدبلوماسية الانجليزية إذن الأحمدية فى أهل السنة والبهائية فى الشيعة، ثم هم أنفسهم رددوا باستمرار ما يحاولون به إثارة السنة على الشيعة و العكس، ما يصحون باستعمال الجهاد وحمل السيف، أما خارج نطاق الاسلام فلا جهاد ولا قتال بل ولا غضب ولا رمشة عين، و قادت السياسة الانجليزية حملة تسممية لاثارة فتنة شيعية سنيه حتى الآن، وإذا كان الانجليز قد دالت دولتهم الامبراطورية إلا أن سمومهم انتفع بها من حل محلهم من امبراطوريات جديدة امريكية أو إسرائيلية و من الأساليب الانجليزية الدهائيـــة أن استعانوا بأقطاب اليهود فى إنشاء حركات تفكيك المجتمع كالماسونية وأخواتها، لا نريد أن تتسع الفروع حتى لا تنسى الأصول.

أصل الأصول فى الدهاء الاستعمارى هو تقديم الشريعة و العقيدة مبتورة خالية تماماً مما يشير إلى جهاد أوكفاح أو مقاومة، لامانع أبداً من العبادة فى الاطار المحدود و لابأس فى ممارسة طقوس التصوف و الدروشة، و كانوا يقربون أقطاب هذا النوع من التصوف و يمنحونهم السكوية و الباشاوية، و كان رسل باشا حكمدار العاصمة يقف أمام الجامع الأزهر حتى إذا خرج كبار « المشايخ » انحنى أمامهم و قبل أيديهم ! وهو فى نفس الوقت يراقب بعين صقر، أى ملامح تمت إلى الكفاح فى عيون أى أزهرى فيترقبه و يراقبه و يطويه أو ينهيه.

ورغم أن الانجليز يفتخرون دائماً بأن أول من أدخل العقيدة على الجيش وقدمها على السلاح نفسه هو كرومويل إلا أنهم كانوا و لا زالوا يراقبون دائماً أن يبعدوا عن الجيش و السلاح فى البلاد المستعمرة كل ذى عقيدة حتى لو لم يكن عقيـدة دينية، و كانوا حريصين على أن يكون كبار ضباط الجيوش « براميل خاوية » على حد تعبيرهم، و لهم اختبارات دورية و تفتيش للتأكد من ذلك .

وفی مذكرات كرومر ولويدجورج لا یخفی علی القاریء مدی مراقبتهم لكل زعيم وسیاسی، ویصرح كرومر بأنه كان يقوم فكرة الديموقراطية لتحل محل الكفاح الاسلامی ، و إنه صدم من شعور الناس نحو تركيا فی قضية طابا ، و ربما صب جام غضبه فی دنشوای لهذا السبب .

و من أساليب التنويم للاسلام التی ظل يتبعها الانجليز حتی آخر دقيقة لهم فی مصر ، أنهم أرسلوا إلی مصر بعض من ادعی الاسلام . أرسلوا إلی الجامعة بالذات وكانت هی مركز النشاط السياسی فی الأربعينات والخمسينات ، انجليزياً يدعی الاسلام و يعقد ندواته فی كازه التجارة و يسمی نفسه خالداً ، و كان يسحر الطلبة بحديثه عن التهجد والتعبد والانقطاع إلی الله ، و كلما جاء حديث عن القتال أطفأه وأبعده عن الاسلام الذی هو سلام (يقصد فی نفسه أن يكون استسلاماً لا اسلاماً ) حتی إذا اختبره أحد الطلبه بسؤال محرج هو : إذا قامت حرب بين بريطانيا والمسلمين فلمن تنضم ؟ وبعد محاولات لتفادی الاجابة اضطر إلی الاعتراف بأنه يحارب مع بريطانيا ، حينئذ فقط انفض عنه السامر و انكشفت حيلته .

إذا كانت هذه صورة قد تكشفت إلا أن هناك عشرات و مئات الصور استطاعت أن تتغلغل فی الصفوف دون أن تكشف ، تغلغلت علی أنها مسلمة أحياناً و علی أنها استشراق أحياناً و علی أنها بحث عقلی أحياناً أخری و علی أنها تقدمية و حرية علمية إلخ .

هذا كله نرحب به ، نرحب بالاستشراق و العلمانية و التقدمية وكل ما يزعمون و لكن بشرط ألا ينكروا علی الاسلام جانبه الأهم و هو الجهاد ، فاذا تعارضت مزاعمهم مع الجهاد مثلما تعارضت « إسلامية خالد المزعوم » فی حمل السيف فی سبيل الاسلام سقطت كل أقنعتهم هذه .

نحن مع اللبرالية و مع الشيوعية إذا حملت السيف فى سبيل الاسلام بصفة ثابتة ومؤمنة وضد كل شعار مهما طاب رنينه إذا رفضوا القتال فى سبيل الاسلام.

بعد تقديم الاسلام بنزع فكرة الجهاد و تقديم نظريته مبتورة الرأس تمادوا فى عملية البتر هذه ، أو قل أنه بعد نزع الرأس عن الجسد أصبح الجسد لا يحس بأى اقتطاع جديد فيه .

فبدأوا باقتطاع فكرة الوحدة الاسلامية و الرابطـــة الاسلامية بين الشعوب و شمولية الشعب الاسلامى، فمن المعلوم أن الاسلام كان هو ما يكتب أمام خانة الجنسية فى شهادة الميلاد، حتى نهاية الخلافه العثمانيه لم يكن أحد يعرف أنه مصرى أو شامى أو سودانى إنما يعرف أنه رعيه عثمانية ، وفى عهد ازدهار الدولة العثمانية مثلما كان الحال أيام محمد الفاتح كان بزول أى « رعيه عثمانيه » فى أوربا يستدعى دق أجراس الكنائس خشيه أن يعتدى عليه من يجهل حقيقة جنسيته ، فإذا بلغ هذا الاعتداء مسامع محمد الفاتح انتقم من هذه الدولة ، وساق إليها جيوشاً تشمل كل الأجناس و الأوطان الخاضعة للرعية العثمانيه .

بعد نزع فكرة الجهاد وبعد أن أمنوا أى رد فعل مسلح قسموا العالم الاسلامى إلى قوميات عربيه و تركيه و زنجيه وشركسيه إلخ ، ثم فتتوا نفس كل قومية إلى وطنيات أصغر ، فالقوميه العربيه ذاتها تفتتت إلى ٢٢ وطنية، وتستمر عجلة الطحن و التفتيت هذه الآن ، و فى مرحلة قادمه سوف يفتتون الوطن الواحد إلى عدة كيانات طائفيه أو قبليه ، ففى لبنان يريدون خلق كيانات مكرسكوبية مارونيـــة و كاثولوكية ، و و و ، إلخ .

تحول الشرق الأوسط إلى فسيفســاء حسب وصف جاك بيرك و غيره من المستشرقين ذاتهم ، و أصبح كل ما عليهم أن يفعلوه أن يذيبوا الطبقة اللاصقة القائمة بين قطع الفسيفساء فينهار الجدار كله دون أدنى مجهود منهم .

عملية التفتيت هذه ثم الفك والتفكيك بدأت بدعوى شيطانية كبيرة بدأوها، دعوى أنه لا ضرورة للخلافة، لأن الخلافة، فيما بعد الخلفاء الراشدين أو حتى بعد الشيخين فقط صارت ملكا عضوضاً، علاوة على أن الرسول نفسه لم يحدد صراحة نوع الحكم بعده، و هم فى هذا الزعم و تلك النصيحة الغير المخلصـــة و المسمومة لا يقصدون إصلاح الخلافة بدليل أنهم لم يقترحوا حلا يقوم هذه الخلافة التى تحولت إلى ملك عضوض، إنما الذى قصدوه هو قطع الحبل الذى يلم شعث جميع المسلمين سواء كان تحت راية ملك أو إمام أو رئيس قوى أو ظالم، هم قصدوا تفكيك رزمة العصا حتى يمكن تكسيرها، وبعد إسقاطهم لهذه الخلافة التى نعتوها فى عهد عبد الحميد بأقسى النعوت، بعد سقوط الخلافة مباشرة دخلوا كل شبر فى أرض العرب بجيوشهم و دعارتهم و خمورهم و فحشهم و رباهم، و أقاموا دولة إسرائيل أو قل امبراطورية الصهيونية، و بعد أن يقود المسلمين رجل منهم حتى لو كان ظالما أصبح بيجن يقول إن اليهود هم الذين بنوا أهرام مصر و أن ذراعى طويلة طالت من عتبتى إلى بغداد، وأن لى حقوقاً فى يثرب من قديم، وأن على مصر أن تقدم سكانها وعلى العرب أن يقدموا أموالهم و أن على العقل اليهودى أن يقود الكثافة السكانية و المال العربى.

و اتضح أن آخر الخلفاء العثمانيين الذى وصف بأنه فاسق و ظالم و مستبد كان يمانع فى دخول اليهود فى فلسطين ويمنع استقرار الواحد منهم أكثر من ستة أشهر فى مكان واحد ويمانع حتى فى مجرد إنشاء الجامعة العبرية، فما بالك لو لم يكن فاسقاً و ظالما و مستبداً ؟.

وقد جاء هجومهم على الخلافة أثناء الحرب العالمية الأولى عند ما أعلن الخليفة نداء الجهاد المقدس وهم من قبل قد نزعوا من الاسلام فكر الجهاد تاماً، فكيف يسمحون باعادة استخدامها من جديد بعد أن حرموها على المسلمين.

و لكى يهاجموا فكرة الخلافة أو الامامة بنجاح لم يهاجموها هجوماً مباشراً، أوكلوا الهجوم عليها إلى شخص مسلم، كان مارجليوث المؤرخ الصهيونى الخطير

و ارنولد المستشرق صاحب كتاب الخلافة قد تلقيا طالباً مسلماً من خريجى الأزهر لمدة عام عندهما للدراسة ، فزرعوا فى تفكيره هذه البذرة . لم ير الأزهرى الشاب ( الشيخ على عبد الرازق ) إلا ناحيـــه واحدة من القمر ، و هو أن كثيرا من الخلفاء كانوا حكاما ظالمين أو غير ديموقراطيين ، فوجد فى مجرد إبداء هـذا النقد شجاعه أدبيه أو فكرية تقوده إلى صفوف كبار نقاد الفكر أو من يسميهم البعض « المجددين » للاسلام ، لم ير الناحيه الأخرى من القمر ، لم ير أن المقصود بهذه الفكرة هو قطع الحبل الذى يربط العصى ( مهما كان هذا الحبل واهياً أو قديماً أو بالياً ) ولكنه كان يحفظ العصى من أن تنفرط او أن تنتقل إلى أيدى الخصوم ليضربوا بعضها ببعض ثم يحطموا و يحرقوا الجميع .

وقد أعطى الكتاب و هو مائة صفحه صغيرة لصاحبه هـذه الشهرة المطلوبة كناقد ومجدد مزعوم ولكنه سمم تفكير الشاب المسلم حتى اليوم حائلا دون عودة الخلافة أو الامامة أو الرابطه الشموليه للمسلمين فى أى صورة رغم ظهور حركات إسلاميه قوية ، ولو لا هذا الكتاب كانت إحدى هذه الحركات كفيلة أن تشعل فى العالم الاسلامى وحدة إسلاميه عامه

بعد فصل مبدأ الجهاد من الاسلام أو بتره عن الاسلام

ثم بعد فصل مبدأ الخلافة أو الامامة الموحدة عن الاسلام .

أصبح الاسلام أو ما تبقى من الاسلام هو فى تقديرى إسلاماً انجلو إمريكاً لقد هدموا القصر الكبير و لم يتركوا فيه الا الدروم . أزالوا غرف السلاح و أزالوا المكتبة و أزالوا الخزائن حتى المطبخ أزالوه . لم يتركوا الا الدروم و قالوا هذا كاف للصلاة ، و ما زاد عن ذلك ما يكلفكم بما لا طائل لكم قبله ، سوف نقدم نحن لكم بالباقى ، السلاح عندنا ، المال أودعوه عندنا ، المكتبة عندنا أحسن

منها ، الطعام نرسله إليكم .

و لكن حتى هذه الصورة الهزيلة القائمة حالياً لهذا الاسلام الانجلوامريكى يريدون تحويلها إلى صورة أكثر قتامة .

إن هذا الاسلام الانجلوأمريكى هو مدخل إلى إسلام اسرائيلى .

إن الطابع الأكبر للاسلام الاسرائيلى هو ، فصل الدين عن الدولة بالكامل، وهى فكرة اسرائيلية مائة فى المائة رغم أن اسرائيل قامت على الدين وعلى التعصب للدين اليهودى ، بل على القتال فى سبيل الدين و الوحدة اليهودية الشاملة لجميع يهود العالم إلا أنهم ينكرون ذلك على الأجناس الأخرى ، و هذا من خصائص التعامل اليهودى مع بقية الأديان الأخرى فاليهودى يحرم السرقة و الزنا و الربا مع اليهود مثله و لكنه يجعل ذلك كله حلالا مع غيره من غير دينه ، بل إنه يجعل سرقة وربا غير اليهودى واجبة ، بل إنهم يعتقدون اعتقادا أصيلا أن غير اليهودى ليس بشراً ، إنما هو حيوان أو مخلوق أدنى من الحيوان .

المسألة إذن انتقلت من مجرد تويم للاسلام إلى بتر الأجزاء من جسد الاسلام إلى قتل الاسلام بالكامل ، بل إن هناك من يرى فى قتل الاسلام واجباً أو رسالة سماوية قد كلف بها أو قرباناً يقدمه إلى آلهته .

و قد مهد لهذه الخطوات كلها ناس ما خدعوا فيما قاله الخصوم .

ظنوا الوطنية كافيه لطرد المستعمر ، و نسوا أن الوطنية ساعدت الخصم فى تفتيت الوطن الأكبر إلى أوطان صغرى ، و أن عملية التفتيت هذه سوف تستمر داخل الوطن الواحد ذاته .

ظنوا أن القوميـــــة كافية لتخليص أوطـان العرب من النفوذ الاستعمارى و نسوا أن القومـيــــه هى عامل جغرافى أو عامل لغوى أو شعور شوفينى تعصبى و لكنه خال من العقيدة التى تكفى حرارتها لصهر و توحيد هؤلاء العرب .

و نسى الوطنيون و نسى القوميون أننا إزاء عدو قد خدعنا لننام فاذا نمنا بتر ما قطعة إثر قطعة ، و أن نهاية ما يطلبه فينا هو قتلنا بالكامل .

## الدعوة الاسلامية :

# تعددت الأفاعى و السم واحـــد . . . !

بقلم : دكتور غريب جمعة

يعمل اليهود ليل نهار لتحقيق هدفهم المنشود ، و هو احتواء شعوب العالم و السيطرة عليها حتى يصبحوا بين أيديهم كقطعان من الماشية، يفعلون بها ما يفعله أصحاب تلك القطعان من ذبح و تسخير وسوق بالسوط حتى لا يشذ واحد منها ، ولا بأس من إطلاق الرصاص على الجامح منها إذا لزم الأمر .

وعمل اليهود هذا ليس ارتجالياً ولا عشوائياً ، ولكنه يرتكز على « بروتوكولات حكمائهم » و لذلك يتسم بالتخطيط المحكم و الجهد الدؤوب مع الخبث الذكى و النفس الطويل .

و تتعدد صور هذا العمل ، ولكنها لا تخطئ هدفها بل تلتقى فى النهاية عند ذلك الهدف الشرير ، فهم مثلا سلاطين الرأسماليه ، وهم كهان الشيوعية «١» وممولوها ، وهم صناع الكثير من المؤسسات ذات الأسماء البراقه و النشاط المشبوه ، تلك المؤسسات التى لها من الأفاعى نعومة ملمسها وسمها الزعاف ، وهى و إن تعددت أشكالها إلا أن سمها واحد، لا يسرى فى أوصال مجتمع إلا جعله كعصف مأكول، وإليك أيها القارىء شيئاً عن تلك المؤسسات أو تلك الأفاعى سمها ما شئت :

### ١ــ الماسونية :

هى أخطر الجمعيات السرية فى العالم و أقدمها و أبعدها أثراً فى مجرى التاريخ ، ويطلق عليها أحياناً شيعة الفرماسون أو البناؤون الأحرار ، والماسونية حركة يهودية هدفها القضاء على الأديان ( ماعدا اليهودية ) و المجتمعات الانسانية ، تمهيداً لتسلط اليهود على العالم، وهى تستعمل الرموز اليهودية واللون الرسمى للماسونية هو الأزرق

السماوى الذى فرضته اليهودية العالمية على علم الأمم المتحدة، وهو لون علم إسرائيل، و الحزام الذى يلبسه الماسونى فى الاجتماعات الرسمية يصنع من الحرير الأزرق السماوى ، وإليك عينة من « سم » هذه المؤسسة وهو ما يسمى بالرسالة الماسونية الشهيرة الموجهة من محفل « الماسونيون القدامى الأحرار المرضيون» إلى ما يسمى « بأمناء مسجد عمر » بتاريخ ٣٠/٥/١٩٦٨م .

إلى أمناء مسجد عمر :

مدينة القدس — إسرائيل ( لاحظ الربط بين القدس و إسرائيل ) .

أيها السادة :

ولدت جدتى فى مدينه عمان فى الأردن وأنا مواطن أمريكى، أنحدر من أجداد إيرلنديين و أردنيين، وإنى لفحور بأن أكون عربياً كما أنى مسيحى فى الدين، سأصل إلى تل أبيب فى ٧ من حزيران المقبل وحين داك أى فى نحو ٩ من حزيران سأكون فى مدينه القدس، وكلى ثقة بأن أتشرف بمقابلتكم يا سادة الهيكل المقدس بمسجد عمر ، لقد كتبت منذ زمن رسالة بعنوان مسجد عمر ويبدو أنها لم تصل إلى الأشخاص المعنيين ، من أجل داك أحاول إيجاز خبر زيارتى .

إنى وزميلى (أورى مرفى) عضوان فى المحفل الماسونى الذى شعاره « الماسونيون القدامى الأحرار المرضيون » و تعلمون أنتم أن هيكل سليمان كان المحفل الماسونى الأصلى، و ان الملك سليمان كان رئيس المحفل، وقد دمر دلك الهيكل فى سنة ٧٠ ميلادية و أعلم أن مسجدكم هو المالك الحقيق الشرعى لذلك الهيكل و أن مسجدكم هذا واقع على داك الملاك هو و الصخرة التى قرب عليها أبونا إبراهيم ابنه إسحاق قرباناً لله ( هذا من وجهة نظر صاحب الرسالة ، و لكن إسماعيل عليه السلام هو الذبيح فى الاسلام) وأعلم أنكم أنتم معشر العرب أبناء إسماعيل قد قمتم بحماية

تلك الصخرة عبر القرون ولله الحمد على ذلك ، و إننى كمسيحى وعضو فى المنظمة الماسونية أرأس جماعة فى أمريكا ، تطمح إلى رؤية هيكل سليمان وقد أعيد بناؤه، و نقترح مايلى :

إذا سمح أمناء مسجد عمر لمنظمتى بالقيام بذلك المشروع فاننا من أجل ذلك نجمع مائة مليون دولار أو أى مبلغ من المال لاعادة بناء الهيكل ولن يفقد مسجدكم حق الاشراف على الهيكل ، وعندما يكتمل بناء الهيكل ، ينذر لله ! ولللك سليمان و للنظام الماسونى العالمى ويوهب لكم مجاناً ( ما هذا الكرم اليهودى ؟ ) .

وعلاوة على ذلك وبسماح من هيئتكم يمنح كل أخ ماسونى يساهم فى إعادة بناء هيكل سليمان العضوية فى محفل الملك سليمان الماسونى رقم أول فى مدينـــة القدس ، و كل ماسونى العالم يحبون أن يكونوا أعضـاء فى محفل الملك سليمان الماسونى ، و من المحتمل أن يزور أحدهم الهيكل طوال حياته إلا أن عضويتهم تنتقل إلى أعقابهم المـاسونيين و تجدد تلك العضوية كل سنة ، و هذا يعنى أن الهيكل سيرد عليه كل سنة آلاف الدولارات مما يكفى لرعاية الهيكل وتغذية المسجد و مشاريعه الخيرية ويعنى أيضاً أن مسجدكم لن يكون أبداً بحاجة إلى جمع المـال من الأعضاء ، إذ لا عهد لى حتى الآن بمؤسسة دينية تستطيع ان تعيش وتستمر بدون طلب المال من أعضائها .

وإنى أؤكد لكم أنكم إذا تعاونتم معنا فى إعادة بناء الهيكل ، فان هيئتكم ستكون أغنى مؤسسة دينية على وجه الأرض . فاذا كان الأمر يهمكم و هو يوفر لكم الكسب وليس فيه خسارة البتة ، فانا سوافيكم بالمال لانفاقه على بناء الهيكل و تختارون أنتم من شئتم من المهندين على أن يفهم من ذلك أن جزءاً محدداً من الهيكل يكون مقصوراً على خدمة الأغراض الماسونية و يستخدم الباقى فيما يراه مسجدكم ملائماً ، لأن الهيكل لكم ، هو ملككم ، ونكون نحن قد أعدنا بناءه لكم مجاناً .

و إنى أقترح فى أى حال أن يستخدم جزء من الهيكل مستشفى لأولاد القدس العرب و اليهود على السواء يعالج الفقراء مجاناً ، و بعد أن يتم بناء الهيكل سيرد عليه المال بطريق تجديد الاخوة الماسونيين عضويتهم كل سنة فوق ما يمكن أن تحتاجوا إليه ، و يجب أن تفهموا أننى على كونى سأكون ضيفاً على شعب إسرائيل ، لن يكون لى دخل كأمريكى فى سياستكم الداخليه ، و سأقوم و أنا فى الأرض المقدسة بالتقاط شريط سينمائى ثقافى ، و مع هذا الفيلم الذى سيكون بالامكان عرضه شريط دينى لأبينا إبراهيم و اسماعيل و يعقوب متدرجاً حتى بناء الهيكل ، و لقصة مولد المسيح حتى موته على الصليب (هذا أيضاً من وجهة نظر صاحب الرسالة ) ولكن وجهة النظر الاسلامية (وما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم ) .

و إنى لواثق أيها السادة! أنكم ستتدارسون هذه المسألة مع مجالسكم قبل أن أصل إلى مدينتكم المقدسة . و آمل أن يتفضل أعضاء مجلس مسجد عمر ، ويشرفونى بأن أتحدث إليهم شخصياً فى خلال زيارتى القصيرة لمدينتكم ، و أسأل الله يا إخوتى أن يباركم جميعاً .

فى ٢٠ أيار ١٩٦٨م . . المخلص — جريدى تردى — شارع الست هارورد ، يوربانك كاليفورنيا — أمريكا .

و بعد قراءة هذه الرسالة يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى حينما أنظر إلى واقع المسلمين المؤسف ، و أسأل نفسى : كم من أثرياء و زعماء و وزراء المسلمين ينظر إلى المسجد الأقصى كما ينظر المخلص ! ! جريدى تردى ، إلى الهيكل المزعوم و المتهدم باذن الله و إلى ما شاء الله .

٢— الصهيونية :

و هى الحركة الثانية بعد الماسونية التى يستخدمها اليهود ، من أجل السيطرة على

العالم، و هى حركة سياسية عنصرية عنيفة، تسعى إلى تحقيق آمال اليهود فى تخريب دول العالم وقيام دولة اليهود . ولا فرق بين الصهيونية و اليهودية و إن كان بعض الكتاب و الساسة يفرق بينهما مع أن اليهود أنفسهم لا يعترفون بأى فارق بين يهودى و صهيونى باستثناء عدد ضئيل من الكتاب اليهود ، يتظاهرون بعدائهم للصهيونيه وفق مخطط مرسوم .

٣- باى برث ( أبناء العهد ) :

أنشئت تلك المؤسسة فى مدينة نيويورك سنه ١٨٤٣م على نظام الماسونية ولكنها اقتصرت فى قبول الأعضاء بمحافلها على اليهود ، و من نيويورك سرى السم من خلال فروعها فى جميع أنحاء العالم كما فى أوربا ، و خاصة بريطانيا و ألمانيا و فرنسا و فى آسيا و استراليا و أفريقيا ، و لم تسلم مصر منها ، فقد تأسس فيها محفلان ، أحدهما باللغة العربية و الآخر باللغة الألمانية ، و تتظاهر تلك المؤسسة بالانسانية ، ولكن أهدافها الحقيقة تدور حول دعم الماسونية العالمية و مساندتها فى جميع خططها الجهنميه التى ترمى إلى سيطرة اليهود على العالم بعد تدمير الأخلاق و الحكومات الوطنيه و الدين ، و من العجب أن يقول « فوستر دالاس » فى الحفل الذى أقامه محفل هذه المؤسسه بتاريخ ٨ مايو ١٩٥٦م :

إن مدنية الغرب قامت فى أساسها على العقيدة اليهودية فى الطبيعة الروحية للانسانية ، و لذلك يجب أن تدرك الدول العربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد ، من أجل الدفاع عن المدنيه فى معقلها الحالى إسرائيل ! ! ( التعليق متروك لك أيها القارىء على هذا الكلام ) و هكذا نجد أن دالاس و أمثاله من زعماء الغرب البروتستنت قد أعمتهم خطط اليهود عن إدراك الحقيقة المرة ، و هى أن الديانة اليهودية القائمة على همجية التلمود ( كما يمارسها اليهود اليوم ) ليست أساساً لمدنية

الغرب و إنما هی البلاء الأكبر الذی يهدد مدنية الغرب و الشرق علی السواء .

٤ـــ شهود يهوه :

مؤسسة يهودية ترتدی ثوباً مسيحياً مزيفاً ، وهی فی الواقع من أخطر الجمعيات اليهودية فی العالم ، و ذاك لأنها تقوم علی مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة و إدخال نبوءات التوراة المحرفة فی نفوسهم ، وهی النبوءات التی تبشر بعودة اليهود إلی أرض الميعاد ، والمؤسسة تأخذ اسم «يهوه» كما ورد فی التوراة ، وقد تأسست فی ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية فی النصف الثانی من القرن التاسع عشر ( ١٨٧٩م ) ثم انتقلت إلی نيويورك ، و من هناك شرعت توفد المبشرين إلی أنحاء العالم ، وطريقة التبشير عندهم هی اقتحام البيوت بوقاحة عجيبة والبدء بالقاء دروس من التوراة ، وتصدر هذه المؤسسه مجلة تدعی «برج المراقبة» بتسع وسبعين لغه ! ! و توزع منها ما يقرب من عشرة ملايين نسخة فی جميع أنحاء العالم ، وانظر إلی « الصورة » المرفقة فی آخر هذا المقال عن تفاصيل هذا البرج لتعرف حجم السم الذی تنفثه هذه المؤسسه و مدی خطورته .

ويتساءل الانسان فی أسی وحسرة : كم عدد المجلات و بأی عدد من اللغات يصدرها المسلمون ؟ وهم الذين حباهم الله من المال ما يزيد عن كنوز قارون أضعافاً مضاعفة .

٥ـــ نوادی الروتاری :

وهی مؤسسة تتظاهر بالعمل الانسانی من أجل تحسين الصلات بين مختلف الطوائف و تتظاهر كذلك بأنها تحصر نشاطها فی المسائل الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية ، و لهذه المؤسسة نواد فی أكثر عواصم العالم و فی القاهرة ، ولقد انضم إلی هذه النوادی عدد كبير من الشخصيات .

وهى تحقق أهدافها عن طريق الحفلات الدورية و المحاضرات و الندوات التى تدعو إلى التقارب بين الأديان وإلغاء الخلافات الدينية ، وبهذا يختلط اليهود بالشعوب الأخرى باسم الاخاء و الود . ثم يحاولون عن هذا الطريق أن يحصلوا على المعلومات التى تساعدهم فى تحقيق أغراضهم على اختلاف أنواعها ، وذلك لأن المتحدث فى مثل هذه اللقاءات ينطلق على سجيته ثم تدور المناقشات ، وهنا تتكشف النوايا ، و المصيدة أو المضبطـــه اليهودية تسجل وتحصى الاتجاهات المتعددة دون أن يدرك الحاضرون ، و تساعدهم هذه الاجتماعات و الحفلات على نشر عادات معيه تشجع على الانحلال تحت اسم ( الموضة ) و الثورة على القديم ، و بذلك تدوب المجتمعات الاسلاميه التى تتحللهـا هذه النوادى فى غيرها ، فيخف وزنهم و تذهب ريحهم .

و من العجيب أن الفاتيكان تنبه إلى خطر هذه النوادى كما تنبه إلى خطر الماسونية من قبل ، فصدر مرسوم من المجلس الأعلى فى ٢٠ كانون أول ١٩٥٠م قرر فيه الكرادلة مايلى

« دفاعاً عن العقيدة والفضيلة تقرر عدم السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة « بنوادى الروتارى » وعدم الاشتراك فى اجتماعاتها ، و أن غير رجال الدين مطالبون بمراعاة المرسوم رقم ٦٨٤ الخاص بالجمعيات السرية و المشتبه فيها ، وهو يحذر الكاثوليك من مثل هذه الجمعيات على الاطلاق ، ويقول الصحفى التركى « شهاب كان » فى كتابه : فى زنزانة إسرائيل :

« إن أخطر الجمعيات السرية التى تسعى لتقويض أركان الاسلام و خدمة أغراض اليهود ، هى الجمعيات الماسونية المدعمة بالأموال ، والعاملة بحنكة وخبرة وفق أسلوب حديث ، ولكن المحافل الماسونية قد غيرت اسم بعضها إلى جمعيات الروتارى

بعد أن عرفت أسرار الماسونية و أهدافها السرية ، و تعد بيروت مركز جمعيات الروتارى فى الشرق الأوسط .

٦ـ نوادى الليونز :

و معنى الليونز أى الأسود (جمع أسد) وقد اختاروا الاسم كرمز للاقدام والقوة والنشاط ، ومؤسس هذه الحركة هو «ملفن جونس» الذى آمن بان السبيل الوحيد الذى يمكن أن تحققه نوادى رجال الأعمال شيئاً ذا قيمة عن طريقه هو : أن يتم ذلك خلال منظمة وطنية أو عالمية تجمعها كلها ، و بعد مراسلات كثيرة ومساع عديدة برجال الأعمال و نواديهم المختلفة فى جميع أنحاء الولايات المتحدة ، تأسس أول ناد من هذه النوادى فى مدينة سانت انطونيو بولاية تكساس فى صيف ١٩١٥م و فى مايو ١٩١٧م ، ظهرت المنظمة العالميه لنوادى الليونز إلى الوجود ، و عقدت اجتماعاتها الأولى فى مدينة شيكاغو ، الموطن الأم لنوادى الروتارى .

ويتفق هذا النوع من النوادى مع نوادى الروتارى فى الهدف والتنظيم والتقاليد مع بعض الاختلافات البسيطة ، كسماح هذه النوادى بعضوية أكثر من ممثل واحد للمهنة الواحدة ، و من العجائب أن تطالعنا جريدة أخبار اليوم الصادرة يوم السبت ١٩٧٨/١١/١١م بنبأ افتتاح فرع لنوادى الليونز فى القاهرة والآخر فى الجيزة ، و لا ندرى كم من الفروع أو بمعنى أدق كم من الأوكار تم افتتاحـــه فى بقية عواصم العالم الاسلامى ؟

و بعد . . فهل يقف المسلمون حكاماً و جماعات و هيئات و أفراداً وقفة حازمة و يضربون بيد من حديد على أيدى هذه المؤسسات الخبيثة ؟ وهل يرضخون رءوس الأفاعى التى تسكنها ، وقد تعددت أشكالها ، و لكن السم الذى تنفثه واحد . . ألا وهو السم اليهودى الزعاف .

# المفهوم الاسلامى المتميز للأدب

## ( الحلقة الثانية )

بقلم الدكتور محمد حسن بريغش

أما قراءة الأدب الغربى للاستفادة و بلاسلاح ، فانه يدخلنا فى منهجـــه ، لا نستطيع الخروج منه سالمين ، ويدخل إلى أدبنا و أفكارنا كثيراً من التصورات و الأساليب التى تخالف ديننا و يبعدنا عن الحقائق الثابتة .

و من هذا الباب دخل الغربيون إلى حياتنا ، و جروا شابنا إلى حياتهم حينما عرفوا كيف يستغلون ما فى النفس الانسانية من نوازع ، فيثيرون ما فيها من شهوات ، و يبعدونها عن هدى الله . و إن كثيراً من الحقائق عن النفس البشرية أضحت اليوم غريبة أو غامضة بالنسبة للمسلم ، لأن ما أسموه بعلم النفس الحديث انتقل إلينا و تغلغل فى أفكارنا وحياتنا من خلال الدراسات و الآداب ، و باتت نظرتنا إلى النفس تطابق نظرتهم فى بعض الأحيان ، و فهمنـــا للكينونة البشرية ، يماثل فهمهم عنها فى كثير من الأمور ، على الرغم من اعتزازنا بالاسلام ، و حرصنا على تحكيم شرع الله فى كل حياتنا .

إن من بديهيات الأمور أن يكون الأدب الاسلامى فاهماً لأحوال النفس البشرية بوضوح لأنه ـ كما قلنا ـ أدب الانسان ، وهذا ما يؤكد الضرورة الداعية ـ أيضاً ـ إلى معرفة حقيقة النفس البشرية كما أخبرنا عنها الخالق الكريم .

فلمــاذا لا نطيل الوقوف أمام الآيات التى تتحدث عن طبيعة النفس الانسانية و عن أحوالها و منازعها و منحنياتها ؟ .

لماذا لا نتعرف على الانسان من خالق الانسان بدلا من أخذ هذه المعرفة من نظريات يهود ، و فلسفات النصارى و الماركسيين و غيرهم .

و لماذا لا نعود إلى أحاديث رسول الله ﷺ التى اعتنت بهذا الجانب ، و أعطت ملامح أساسية عن النفس الانسانية ؟ .

وهل وقفنا على السيرة النبوية لنزيد معرفة بالنفس الشرية المهتدية بهدى رب العالمين على أرض الواقع ، و فى دنيا الأحداث ؟ .

إننا إذا تسلحنا بهذا السلاح - سلاح المعرفة الحقيقية للاسلام - و إذا فهمنا النفس البشرية كما خلقها الله ، وإذا عرفنا الانسان كما وصفه رب العالمين ، استطعنا أن ننتج أدباً إنسانياً ، أدباً يتجاوز حدود المشاعر الضيقة و الحواجز المصطنعة و الأوهام المسيطرة .

وهكذا ، فان الأدب الاسلامى هو الذى يخاطب الانسان ، ويعبر عن حقيقة الحياة الانسانية على وجه الأرض حاضراً و ماضياً و مستقبلا .

٢- و الميزة الثانية للأدب الاسلامى اتساع مداه الزمانى و المكانى :

حيث إن المسلم يرى الأرض كلها ميداناً لنشاطه فهو خليفة الله فى الأرض .

« و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » البقرة /٣٠ ، و حمله أمانة عظيمة ، هى أمانة الفطرة ، و أمانة الرسالة ، و هذه الأمانة تخص الانسان أينما كان و أنى وجد ، و تهمه فى الماضى و الحاضر و المستقبل « إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان » .

و الله عز و جل أرسل رسوله ليكون شاهداً على المؤمنين ، و جعل المؤمنين شهداء على الناس ، و هى مهمة ثقيلة ، و أمانة عظيمة ، و هى مسؤلية

مستمرة دائمة منذ أن خلق الله الانسان ، و إلى يوم الدين ·

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، و يكون الرسول عليكم شهيداً » ( البقرة / ١٤٣ ) ·

« و جاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم و ما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين ، من قبل و فى هذا ، ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة ، و اعتصموا بالله هو مولاكم، فنعم المولى و نعم النصير » ( الحج ٧٨ ) ·

فهل هناك أكبر من هذه الأمانة و أهم من هذه المسؤلية ، و أوسع من هــذا المدى ؟ ·

ألا يتحمل الأدباء الاسلاميون ـ بما منحهم الله من نعمة الموهبة ، و قدرة التأثير قسطاً كبيراً من المسئولية كما يتحمل غيرهم قسطاً آخر ؟ .

الاديب المسلم يصور بأدبه حقائق الحياة ، و يعبر عن روح الانسانيه كلها كما أنه حر طليق لا تقيده حواجز المكان ، و لا يحصر نفسه و مشاعره فى بقعة من الأرض ، و حيز من المصالح الذاتية .

هــذه الآيات التى تؤكد الميزة الأولى ـ ميزة الانسانية ـ تبين أيضاً سعة المدى و استمرار الأدب عبر الأزمان .

فالأديب المسلم ـ مثلا ـ لا ينتصر للظلوم لقربى أو وشيجة مادية ، و إنما ينتصر له لأن ذلك جزء من مسئوليته ، و لأنه يستحق التكريم كانسان على وجه الأرض ، لهذا يدافع عن الحق ، وينتصر للضعفاء و البؤساء ، ويحافظ على القيم ، و يحب الفضيلة و الخلق ، و يسعى للعلم و المعرفة ، و يتبع الحق أينما كان .

إنه ينقل للانسان ـ عامة شرائح عن الحياة المطمئنة ، و عن الانسان

المكرم ، و عن تجربة الانسان عبر الأزمان ، و هذا ما يجعل الساحة واسعة و الموضوعات متعددة ، و الأمداء بعيدة أمام الأديب المسلم .

الدنيا كلها أرض المسلم مادامت من خلق الله ، و الانسان فى أى مكان موضوعه و هدف من أهداف أدبه ، و القيم غاية يسعى إليها فى كل مكان .

هو ابن آدم ، و أمه حواء أينما عاش ، و فى أى زمان وجد ، و الفضيلة هى الفضيلة ، و الحكمة هى الضالة المنشودة ، و كرامة الانسان هى الغاية المنشودة . و موقف الأديب المسلم مع الانسان ، مع طمأنينته ، مع رفع الظلم عنه ، و نشدان السعادة له و تحقيق الكرامه له .

و المقاييس التى يقيس بها ، و الميزان الذى يزن به ، والذوق الذى يتذوق به ، و التصور الذى ينظر من خلاله ، كل هذا بعيد عن الحيز الضيق و الحدود المحددة التى نراها فى الآداب الأخرى ، لأنه محكوم بشرع ثابت ، و تصور واضح ، بعيد عن الأهواء والتقلبات ، لا يخضع فى ذلك لما خضعت له المذاهب المادية من نقص و قصور ، لأن موازينه و قيمه و تصوراته مستمدة من تصور شامل ، بينه الله لنا فى كتابه الكريم و سنه رسوله ﷺ ، و لهذا فهو فى منأى عن الهوى و النقص و المحدودية و الجهل .

بينما المذاهب الأدبية و الفكرية الأخرى تحدها حدود الفكرة ذاتها ، ويحدها جهل الانسان و عجزه و قصوره الذى يلازم فطرته ، و تخضع لنوازع صاحب الفكرة أو النظرية ، و عواطفه و منازعه الخاصة ، فهى تحكيم إلى الفكرة البشرية و التصور البشرى ، و تتحكم بها الأطر الضيقة ، و الأمداء المحدودة ، و تخضع للعواطف المختلفة و المصالح .

و من ناحية أخرى فان المسلم يرى أن المدى الزمانى أمامه رحب واسع ،

يمتد إلى ما بعد الحياة الدنيا ، و يصل بين الدنيا و الآخرة ، مما يجعل الأديب المسلم أوسع أفقاً و أكثر طمأنينـــه ، و أكبر ثقة ، و تصبح الانسانية فى نظره عائلة واحدة ، و تصبح آماله أوسع مدى ، فلا يستعجل الخطى ، و لا يستبيح محرماً ليحقق أمراً يخشى ضياعه فى مداه القصير ، يقول الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، و خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً و نساء ، و اتقوا الله الذى تساءلون به و الأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً » ( النساء / ١ ) .

ألا يكفى للدلالة على هذه الميزة ، ما للمسلمين من تراث يمتد شرقاً وغرباً ، و يعبر عن أجيال و قرون ، و عن شعوب و جماعات مختلفة ، و يحمل فى طياته عصارة حضارات مختلفة ، و كل ذلك يعبر عن ذلك الشعور الذى تجاوز حـــدود المكان الضيق ، و الزمان المحدود ، كما يعبر عن ميزة الأدب الانســانى فى الوقت ذاته .

و بذلك فان البعد الزمانى فى حس المسلم يتجاوز حدود الحياة القصيرة على وجه الأرض ، ليصل إلى حياة الآخرة ، ليعيش فى ظلال الرحمن ، و ينعم بحياة الرضوان ، و يحن إلى لقاء الأحبة من الرسل و الأنبياء و الشهداء و الصالحين .

و هو يرى أن تراثه ضخم يحمل تجارب البشرية كلهـــا عبر القرون منذ أن خلق الله آدم ، وسارت قافلة الايمان تصارع الكفر والشرك ، و تدعو إلى الله إلى أن يرث الله الأرض و من عليها .

فالمسلم يقرأ فى كل يوم آيات الله الكريمة التى تصور له الآخرة من حياة أخرى : فى القبر و عند الحشر ، و يوم الحساب ، و فى ظلال النعيم أو جحيم العذاب ، و هى حياة تعيش فى إحساسه ، و تمتد به إلى بعيد ، و تمده بقوة فى

التصور ، وسعة فى التفكير ، و تمنحه أملا فى الحياة ، و تعطيه شعوراً أبعد من حدود كعمر محدود و سنوات قصيرة .

هل يستطيع غير المسلم أن يعيش هذه التصورات و الأحاسيس ، و أن يستوعب هذه الأفكار ، و يأخذ من هذه المعطيات التى يتلوها فى كتاب الله ؟

و المسلم الأديب يقف فى موقف لا يكون لغيره ، و يتميز بميزات لا تتوافر لغيره و لكنه يحتاج إلى أن يعيش حياة إسلامية حقيقية ، لتتوهج فى نفسه هذه المشاعر ، و تتفتح هذه الأفكار ، و تزهو الرؤى و الصور و الخيال .

من منا يعيش مع صور الآخرة حقاً حتى ترتعش أوصاله ، و تند من صدره « حشرجة الرهبة و آهة الرعب » ؟

من منا يعيش مع صور العذاب ، أو صور النعيم حتى يتملكه الشوق إلى الجنان ، فيحلق أو يعرج إلى السماء ، فاذا الدنيا صغيرة صغيرة ، و الأمور أمامه مبسوطة أو يلجمه الخوف من الجحيم حتى يستقبح المنكر ، ويستقزز كل حرام؟

إن الأدب الاسلامى - الوليد - مقصر فى هذا و لا شك ، و الأدباء جميعاً - الاسلاميون و غيرهم - يحفلون بكل الذين كتبوا متخيلين حياة أبعد من حياة الأرض ، و يشيدون بآثار تتجاوز أحاسيس البشر الواقعية ، و لكنهم لم يتوقفوا وقفات متأنية حقة ، عند هذه الصور الحقيقية للآخرة ، لكى تلهمهم العزم و الطمأنينة ، فيتجاوزون حدود العمر المحدود ، و الزمن القصير ، و تتفتح بصائرهم فيبدعون و يتجاوزون الحدود الضيقة ، و يملكون ما لا يملكه غيرهم من الذين رانت قلوبهم الضلالات و الأوهام .

فكيف يصح أن نحفل بالأوهام ، و الخيالات الكليلة الضالة التى تنبت من خلالها نفثات الحقد ، و نترك ما لدينا من حقائق لا يلحق بها الخيال و لا يمل منها الفؤاد ؟ .

هذا المدى الواسع من الزمان و المكان يفسح للمسلم حرية واسعة ، و يفك عنه كثيراً من القيود و يبعد عنه كابوس الحدود الضيقة ، و العجز ، و النقص ، و يمده سعة فى الأفق لا يعطاها غيره ، و أجواء من الخيال ، و ألوان من الصور لا يحلم بها أى أديب غيره ، مع ما تمنحه من شعور بالثقة ، و فرحة و اطمئنان قلما ننعم بها غير المسلم .

المسلم لا يتخيل عند ما يواجه الصعاب بإيمانه ، ويشعر أنه أقوى من جيش كامل ، و أرسخ من شاهق الجبال

و المسلم لا يعيش فى وهم حينما يتصور حياة النعيم فى الآخرة التى لا يتصورها بشر .

و المسلم لا يبتعد عن الجادة حينما يتسع صدره لكل الناس ، فيتعاطف مع الانسان أينما كان ، و يتراحم مع كل المخلوقات على وجه البسيطة و المسلم لا يتجاوز الواقع إذا رأى فى الكون أنساً . فكلم النجوم و أصغى إلى ترانيم الفجر ، و ابتسم لأحاديث القمر ، و اعتبر من حكايات الناس .

و لكن متى يستطيع المسلم أن ينطلق إلى هذه الأجواء و الأمداء ؟

إنه يستطيع ذلك عند ما يتخلص من آسار المادة ، عند ما يكون حراً طليقاً وراء القيود يسبح بملكوت الله و لا يخشى إلا الله .

و لكن العجز فينا نحن : فى الذين يرتادون طريق الأدب الاسلامى بلا استعداد ، و الذين يريدون أن يكونوا على الطريق و هم يعيشون حياة البائسين من الجاحدين بدين الله ، أو على فتات موائدهم .

العجز فينا نحن ، لأننا لم نحب حياة القرآن ولم تصبح آيات الله فى إحساسنا حياة ، و فى أفكارنا ضياء ، و فى أعمالنا أخلاقاً و سلوكاً .

العجز فينا نحن، لأننا بقينا على الضفاف البعيدة من حياة الاسلام و خشينا أن ننزل إلى ذاك التيار العذب حتى لا نخسر حياة الخمول و نترك راحة الجسد، و خوفاً من تغيير ما ألفناه.

الأديب المسلم المعاصر لم يعش إسلامه حتى اليوم كما ينبغى، ليزهو على يديه فناً و أدباً حقيقياً، لا يرقع فيه من هنا و هناك، و لا يسير على خطى شرق وغرب، بل تتحرك أشواقه، وتتأرجح مواهبه ليبدع من أصالته ويعطى من ذاته.

الماركسيون، واليهود، و الصليبيون يعيشون تصوراتهم البائسة، فاذا بهم رغم ضلالاتهم — يصورون حياتهم من خلال ذواتهم و أفكارهم و تصوراتهم و سلوكهم مهما كان غريباً و مشيناً.

و كل أمور الحياة ينظرون إليها بمنظارهم الخاص و يرفضون غيرها، و يقبلون الحقائق على الوجه الذى يريدون، حتى يظن الناس أنه الوجه الوحيد مهما كان مظلماً و مشبوهاً و فاضحاً.

فلماذا لانحمل مسؤولية انتسابنا إلى دين الله عز وجل بأمانة وجد، ونقف على هذه الثغرة بشجاعة دون أن نخشى الضياع، أو الفشل؟.

الأديب المسلم — اليوم — يلتمس الوسائل هنا و هنالك، يجرى وراء الأضواء، و يحلم بأن يكون مثل المشاهير فى الآداب الغربية و لهذا يتوهم أحياناً أن ما ينقصه هو السير على هداهم فى هذا الفن أو ذاك، وهو لا ينتبه إلى عجزه وجهله فى فهمه لاسلامه، مادام يتقن التعبير عن فنه.

و الأديب المسلم — أحياناً — لا يرى ضيراً من أن يمضى أكثر عمره و هو يقرأ كل فكر، و كل إنتاج أدبى غربى و شرقى، بينما يعتذر عن عن العودة إلى أصول دينه، ليفهم ما هو ضرورى، و يدرس تلك الكنوز،

و يتعرف إلى حقائق الحياة ، ليقوم من تفكيره ، و يهدى بهدى ربه الرحيم . .

كيف نقبل من الأديب المسلم أن يقرأ فى الفلسفة ، و التربية و الدراسات النفسية ، و الاقتصاد ، و السياسة ، و التاريخ و الأدب . . . و . . من الفكر الغربى (١) ثم يستثقل — عرضاً — أن يقرأ فى الفقه أو الحديث أو التفسير ، أو السيرة ، أو المصادر الكثيرة التى تحوى كثيراً من أساسيات هذه العلوم ؟

فهل هذه هى الموضوعة التى نريدها فى رسم الطريق للأدب الاسلامى ؟ و متى تظهر سمات الأدب الاسلامى واضحة فى كل بيت من الشعر ، و فى كل قصه ، و فى كل مقالة ، و فى كل بحث ؟ .

متى تصبح ذات الأديب المسلم قوية مشعه ، تضىء فى كل أمر و تشع من كل عبارة بلا افتعال ، و بصورة تدعو إلى الاعجاب ، و لا تتنافى مع أصول هذه الفنون ؟ .

الأديب المسلم لا يخرج إلا من بيئة إسلاميه ، و لا يمكن إلا أن يحمل سمات الاسلام و تصوراته ، يتفجر ينبوعاً عذباً صافياً ، يشق الصخر لأنه مع الحياة ، و يتسرب عبر المنحنيات و الأعماق مهما كان البعد وطالت المسافات حتى ينبجس ثراً عذباً ، لأن أدبه أدب الانسان ، أدب الحياة ، أدب الأزمان .

٣- الأدب الاسلامى أدب الحياة .

و من مميزات الأدب الاسلامى أنه يعبر عن الانسان المخلوق و الحيـاة الانسانية كواقع يعيشه على وجه البسيطة و يهدف إلى خدمة الانسان و بناء

---

(١) المقصود بالفكر الغربى مجموعة الفلسفات والأفكار التى صدرت عن الغرب سواء رأسمالياً يتبع المذهب الحر أو ماركسياً يتبع المذهب الشيوعى أو ما بينهما من مذاهب مختلفة .

حياته و ارتقاء واقعــه يخدم فكره و مشاعره ، يخدم حياته المادية و المعنوية ، يخدم واقعه مهما كان لون هذا الواقع ، يخدم مستقبله ، فهو أدب واقعى ، و إيجابى رغم المدى الواسع الذى يعيش فيه و يعبر عنـه ، لأنه الأدب الذى يخدم الحياة و يعالج الواقع ، و يرفض الخيال الزائف ، و الشطط المضيع .

و الأديب المسلم لا يهرب من الحياة إلى عالم الخيال ليتخلى عن المسؤولية ، يستخدم الخيال ، و لكنه لا يستسلم إلى السراب و لا يبرر الوهم و الهزيمة كما فعلت المـذاهب الغربيه ، و المدارس المختلفة « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ( سورة يوسف ) .

لهذا فان السلبية ، والقلق ، والهروب ، والانطواء سمات بعيدة عن الأديب الاسلامى ، و هى ظواهر مريضة ، بعيـدة عن الحقيقة فى وجدان الأديب .

و بهذه الميزة يكتسب الأدب الاسلامى حيوية و تفاعلا و ارتقاء مستمراً لأنه يواكب الحياة ، و يرافق الانسان ، و يعالج الواقع ، و ينشد الخير الذى تسعى له البشرية بطرق إيجابيه واقعية .

و حينما نصف الأدب الاسلامى بأنه أدب الحياة ، و أدب الواقع ، فاننا نعنى أنه يرى الواقع بعين الحقيقة ، لا يزيف ، و لا يمسخ هـذا الواقع ، و لا يغلب جانباً على جانب ، و لا يترك شيئاً و يأخذ شيئاً آخر .

بل يرى الواقع ـ حقيقة الواقع ـ بكل جوانبه ، و يتعرف إلى الحياة كما فطرهـا الله عز و جل ، و حينذاك يرتقى بهـا بطريقة إيجابية ، أو يصورهـا بصورة واقعية .

( يتبع )

# تربيـــــة الشبـاب المســلم
# ودور الجامعات الاسلامية فيها

بقلم الدكتور عبد الحليم عبد الفتاح عويس

## مناهج ردود الأفعال :

ليس شباب الأمة ــ أية أمة ــ عضواً مقطوعاً عن سائر الأعضاء ، إنه مرحلة من المراحل التى يمر بها كل المجتمع ، وهو ــ حين يمر بهذه المرحلة ــ لا يعدو أن يكون عضواً ــ و إن كان العضو القوى ــ فى جسد الأمة .

و عندما نحاول رصد عضو من أعضاء المجتمع ، أو مرحلة من مراحله ــ سواء كنا بصدد قضيه كالطفولة أو الشباب أو المرأة ــ مثلا ــ فاننا يجب أن نكون واعين بالأبعاد الاجتماعيه و الانسانية كلها ، إذ ليس هؤلاء جميعاً إلا أجزاء يتبادلون نوعاً من التاثير و التأثر مع الكل . . أو نوعاً من التفاعل الذى يربط الأفراد بالجماعة

و المنظور الصحيح يقتضى . . ونحن نعالج قضية ما ــ أن نعطى لمجموع العوامل و القوى الفاعلة نصيبها ، و أن يكون تحليلنا قائماً على أساس ( البناء الكلى ) الذى أفرز لنا وضعاً خاصاً تتسم به كل شريحة من شرائح الأمة .

ولقد بقيت كثير من المناهج تنظر إلى بعض الأوضاع نظرة جزئية محدودة ، وتصف لها علاجاً منسجماً مع نظرتها . . فهى تحاول ــ فى مواجهــة ما تراه مثلا ــ من تخلف عقلى ــ أن توصى ( بالتربية العقلية ) . . و فى مواجهــة ما تراه من أنانية فردية ــ توصى بالعمل على إيجاد ( الروح الاجتماعية . . وفى مواجهة الفراغ وما يتبعه من سلوكيات سلبية توصى (بملء الفراغ) ببرامج ترويحية

وتثقيفية و رياضيـــة ـــ و هكذا يمتد العلاج متتبعاً كل حالة ( مرض ) أو (سلبية) . . دون أن يكون لهذا الدور و التسلسل ، والدور و التسلسل المضاد ، أية نتائج إيجابيه تسمح بمردود حضارى ملموس .

إن مثل هذه النتائج العاجزة ، و التى تحاول معالجة أوضاع الأمة الاسلامية الاقتصادية و الثقـافة و النفسية و الاجتماعية بهذه الأساليب . . لم تصل ـــ كما أنها لن تصل ـــ بالأمة إلى ابتعاث حقيقى .

لقد حاولنا علاج تبعيتنا السياسيه للشرق والغرب منطلقين من هذا المنظور .

و لقد بدلنا الكثير ـــ و لا سيما الشباب ـــ حتى وصلنا إلى ما يطلق عليه بعضهم « الاستقلال » السياسى ، الذى انتقل من كونه « ظاهرة صحة » إلى كونه « مرضا » يكرس التجزئة و الحدود المرسومه والأقليمية الجغرافية الانفصالية .

و لقد حاولنا علاج تخلفنا الاقتصادى بالمنظور نفسه . فكان أن تورطنا فى نظريات لاصلة لها بنا ولا بأمراضنا الحضارية . . ولقد استوردنا بهذه النظريات دواء لاعلاقة له بأمراضنا . . لمجرد أن مرضى آخرين استعملوه ، حتى إننا لم نفكر فيما إذا كان هذا الدواء الاشتراكى أو الرأسمالى قد نفع أصحابه الأصليين أو لم ينفعهم . .

و فى المشكلات الثقافيه و الفنية و الجمالية و النفسية وقعنا فى الخطأ نفسه ، و تجاوزنا عن إدراكنا الشامل لحقيقتنا ، و لظروفنا الحضارية الموصولة بتكويننا التاريخى . ورحنا نعالج الأمور بمذهب فنى نستورده من هنا أو ( رؤية جمالية ) نستوردها من هناك . . أو بعض مصطلحات غائمة لا مضمون حقيق لها فى كياننا و وجداننـا الشعورى نبتسرها ابتساراً من الحديقة التى أنجبتها . . و اختلطت فى أيدينا أنواع الأدوية حتى أصبحت مزيجاً لا يصلح لشئ بل أصبحت هذه الأدوية داء جديداً يفسد مرحلة الخروج من الاستعمار السياسى ، ويجعل أعضـاء الجسد

الاسلامى يهدم بعضها بعضاً . . فالقلب يختلف مع العقل . . و الروح تنفصل عن الكيان ، و الكيان الواحد صار عدداً من الكيانات المتناقضة ، حتى و إن بدا فى الظاهر كياناً واحدا .

القضية الأساس : معرفة البداية :

خلال القرنين المنصرمين الثالث عشر و الرابع عشر للهجرة كانت الأجيال المسلمه تعيش عصراً من أشد عصورها قسوة و وطأة . . وكانت مفردات الامتحان صعبه للغاية ، ولعلها كانت أكبر من المستوى الحضارى الذى يعيشه عقل الانسان المسلم . و الغريب فى هذين القرنين أن عوامل الانهيار كانت تلتحم التحاماً كبيراً بعوامل النهوض . فبينما كان الاستعمار السياسى والعسكرى ، وما يتبعه من غزو تغريبي يجتاح العالم الاسلامى ويعرض حلولا تغريبيه و علمانية و مادية و انفصاليه عن الحضارة الاسلامية ، كانت حمائر النهضه الحقيقيه تبرز متألقة فى عدد من المبادىء و الشخصيات فى الوقت نفسه و كما استطاع الاسلام أن يجهض الانتصار التترى العسكرى و السياسى ، ويحول التتار إلى جنود للاسلام فكذلك نجح الاسلام فى أن يجهض الانتصار السياسى الأوربى ، وظهرت على امتداد العالم الاسلامى حركات واثقه تفصل فصلا كاملا بين الانتصار السياسى ، وبين الانتصار الحضارى . و تقدم تصوراً ( بديلا ) نابعاً من التجربة الحضارية الاسلامية لكل ما يطرحه الغرب من مقولات ونظريات . . بل و ترى فى التقدم الغربى العلمى و ( التكنولوجى ) ( سيف جالوت ) الذى سرقه ( الغرب ) من المسلمين ، حين جلس تحت أقدامهم يتتلمذ على علمائهم فى قرطبه و اشبيلية وطليطلة وغرناطه وصقلية ، و بجاية و القيروان و القاهرة ، و فى الحروب الصليبيـة التى استمرت مدة قرنين . ثم جاء ( الغرب ) يقتل المسلمين بهذا السيف الذى سرقه فى غفلة

من أصحابه الذين كانوا يمرون بمرحلة غرور تخديرى حضارى ، فى نفس قرون تفاعل الغرب مع القيم الاسلامية التى نقلها خلال احتكاكه بنا .

و بينما كانت فرنسا تحتفل بمرور مائة عام على احتلالهـا للجزائر ، و كان مندوبها السامى يعلن فى الاحتفالات نعى الجزائر المسلمة العربية إلى الأبد ، فوجئ العالم برجل يلبس العمامة و البرنس المغربيين يتحدى و من ورائه جمعية العلماء المسلمين الجزائرية - كل عمليـات الابادة الحضـارية ، ويعلن من خلال دروس للقرآن فى قسنطينة بالشرق الجزائرى - أن ( الهوية ) الجزائرية الاسلاميـة ما زالت تتحدى ، و أن « شعب الجزائر مسلم و إلى العروبة ينتسب » . ولا تمر بضع عشرات من الجهـاد الفكرى و الدموى حتى تتحول آلاف الكنـائس التى لم يتبعها - و لا جزائرى واحد - إلى مساجد ، و تعود اللغه العربية اللغة الرسمية و لغة الحيـاة . و تعود الجزائر بفضل حركة الثقة فى الذات الاسلاميـة إلى الحضارة الاسلاميه .

ولئن كانت الجزائر مثلا اخترناه لبروزه ، فالحقيقه أن الوعى بحقيقة الذات المسلمه كان وراء كل حركات التحرر ، حتى و إن سرق الثمار بعض المعادين للاسلام الذين زرعهم الاستعمار بعد أن أحس بحتميه خروجه ، وبعد أن امتلأ حقـداً على الاسلام الذى قاد حركة التحرر . . فأراد أن يحول دون أن يجنى الاسلام الثمرة التى غرسها .

ومع ذلك ، فان الأمر كان - كما ذكرنا - يقوم على اشتباك عوامل السقوط بعوامل النهوض . ولئن كان المتنكرون للاسلام و حضارته قد سقطوا فى المعادلة الحضارية السليمة للتقدم ، فان بعض أنصار الحضارة الاسلامية قد سقطوا أيضاً ، حين راحت جماعات منهـم تحاول رفض الحياة فى الحاضر و المستقبل بالجملة ،

و تتعامى عن التحديات الجديدة . و أصبح الماضى ـ بدل أن يكون الطريق المضمون للمستقبل ـ يطرح ـ فكراً وتطبيقاً أحياناً ـ و كأنه البديل للمستقبل .

و عادت إلى الفكر و الواقع كل أمراض الماضى تطرح نفسها ـ مع ثبوت فشلها ـ باعتبارها حلولا للمستقبل . فعادت القوميه ، وعاد الجمود العقلى ، وعادت المعارك الفكرية الوهميه فى القضايا الكلاميه و اللفظية .

و هكذا ـ إما لبواعث التحدير الطارئة بعد الحروب الصليبية ـ أو لعوامل التحدير الذى سببته بعض العلوم المحسوبة على الاسلام ـ راحت جماعه من المسلمين تولى وجهها شطر الماضى بنظرة تكرارية ، و كأنها تريد إعادة الدورة الحضارية الماضية بكل عناصرها و تحدياتها و ابطالها وحركتها و مقدماتها و نهايتها ، و لهذا فهى لا تريد أن تقف من هذا الماضى العظيم ( النموذجى ) ـ كما ينبغى ـ موقف الاحتذاء و التأسى و الاضافة إليه ، و الانطلاق منه نحو المستقبل . . كلا . . بل راحت تلغى ( الحاضر ) و تستكف رصد ( المستقبل ) ولا تلتفت حولها إلى ما يدور على الشاطئ الآخر فى غرب الدنيا من عالم جديد يطرح نمطا جديداً للحياة و تحديات فكرية و معاشيه جديدة . . بل على العكس وجدنا بعض الأبطال الذين اندثروا و فقدوا وجودهم . و انتهت ( المشكلات ) التى ( أحدثوها ) و المشكلات الأخرى التى ( واجهوها ) ، و بليت « الأسلحة » التى حاربوا ـ أو حوربوا ـ بها . . لقد وجدنا هؤلاء ( الأبطال ) يعودون ـ مرة أخرى ـ و كأن الزمان ما زال زمانهم ، و كأن الحياة قد جمدت عند أعتابهم . . مع أن نهر الحياة دافق بالحركة لا يتوقف عند أعتاب أحد .

لقد عاد المنطق اليونانى القديم .

و لقد عادت الماتريدية من جديد .

و عاد الأشاعرة .

و عاد المعتزلة .

و عاد المرحئة . . و بايجاز عاد ( علم الكلام ) كما كان يفرض طابعه ( الكلامى و الجدلى ) على واقع لا تحمله .

و عادت قوافل المتصوفة التى خدرت العالم الاسلامى ردحا من الزمان .
و عاد بعض الفقهاء يحملون معهم ـ إلى جانب التعصب ـ تلك العوامل التى أدت إلى إهمال طريق (السنة الشريفة) الذى هو السبيل الوحيد لادراك حقيقه الاسلام .

وليس ( المنطق اليونانى ) ـ فى الحقيقة ـ ولا علم ( الكلام الجدلى ) و لا ( الفقه التعصبى ) و لا ( التصوف ) إلا صوارف عن هـذا الطريق ، و تمزيقا للرؤية ، و عودة ـ غير حميدة ـ لعصور سيطرت فيها عوامل التخلف على الحقيقة الاسلامية .

السنة و النمودج القدوة :

إن صحابة الرسول عليه الصلاة و السلام لم يفهموا القرآن الكريم ولا سنة النبي على أساس هذا ( المنطق الصورى ) ولا ( علم الكلام ) .

ولم يكونوا بحاجة إلى (تصوف مزعوم) يعلمهم كيف يتفاعلون مع كتاب الله أو كيف يقومون الليل كما أن التفريعات الفقهيــه المصحوبة بتعصب لم تكن من أركان منهجهم ولا من منهج قادة المذاهب الفقهية أنفسهم ( رضى الله عنهم ) . . بل إن أكبر خسارة لحقت بنا هى ربط فهم الاسلام بهذه المعتقدات اليونانيــة أو بالأصول الكلاميه الجدلية المتواضع عليها عند أصحابها . .

إن هذا قد أدى إلى ظهور منهج (فنى) جديد لتدبر الاسلام وفهمه و بيان مسائله ـ مغاير تماماً لمنهج الرسول ﷺ و صحابته الكرام (١) .

(١) أنظر وحيد الدين خان ، تجـــديد علوم الدين ( تحت الطبع بدار الصحوة بالقاهرة .

و هكذا . . تمخض القرنان المنصرمان عن استقلال سياسى ( ناقص ) يكاد يفقد جدواه . . إذ أنه ـ ولا سيما بعد بداية عصر الاستقلال و هدؤ حدة العداء للغرب الاستعمارى ـ بدأت أفكار مفسدة تطرح بقوة . . و بدأ ميزان الحقائق يختل فى عقول الأجيال المسلمة ـ و ضاعت معالم الحق ، ووجد متعلمو الشباب أنفسهم وسط طرق كثيرة متناقضة ، كل طريق له رجاله ودعاته ونماذجه القيادية التى يطرحها ، و حتى نموذج الرسول ( الذى هو نموذج السنة ـ أى طريق الرسول) كدرت منابع التلقى عنه تلك الطريق التى تحدثنا عنها فابتعد العقل المسلم عن منطقه الجادية السوية ، و استقطبتهم إليها (فى رحلة تيه) نماذج أخرى.

إن الشباب ليحس خلال التناقض الذى يعيشه فى عصرنا أنه يفتقد القدوة الصالحة فى القيادات المتعددة ، و تأثير القدوة فى النفوس أقوى من تأثير الأقلام و الخطب ، و تاريخ المسلمين ملىء بنماذج من الرجال الأكفاء الذين كانوا منارات هدى وسبل نجاح للامه ، و على رأسهم الرسول القائد ﷺ الذى خرج جيلا من القادة ما جاد الزمان بمثلهم ، ثم كان فى تاريخ الاسلام رجال غيروا وجه الحياة و عكسوا مجرى التاريخ للأحسن ، وكانت القدوة موجودة فى كل مكان : فى السياسة و العلم ، فى الحرب و الدولة ، فى الدعوة و الجهاد . . وقد دفع هذا النقص الشباب إلى أن يدرس حياة شخصيات زينها الباطل ، و أوجدتها الدعاية ، من علماء و ساسيين ومفكرين ، كفرة ومسلمين ، ولم تكن شخصية من هذه الرموز إلا ولها عداء للاسلام و حرب عليه ، و لذلك يفتقد العالم الاسلامى مثل القدوة التى غيرت وجه التاريخ و حققت الانتصارات الحربيه و العلميه و الأدبيه ، ونقلت المجتمع إلى مصاف المجتمعات التى تنتج و تبتكر ، و تكتشف ، وتضيف إلى التمدن و الحضارة مثل ما أضاف جيل الحضارة الاسلامية الزاهر (١) .

---

(١) د/عباس محجوب : مشكلات الشباب ـ قطر ـ ص ٦٦ .

الشباب يعلم أن الزيف استشرى فى أوجه الحياة ، و أن اليأس من التغيير يكاد يجمد النفوس الضعيفة منها ، و مناهج الدراسة لا تجد فى حياة المعاصرين ما يمثل تلك القـــدوة فتلجأ إلى قادة المسلمين السابقين ، و ربما كانت السلسلة لا تتعدى عهد صلاح الدين الأيوبى إلا قليلا مع تعمد إهماله بعض الرموز التى غيرت من فكر الشباب و اعتزازه بدينه و تاريخـــه و أمته و فكره ، بل بتشويه الصورة الطيبة التى قدموها أنموذجا للاجيـال ، ثم إبراز شخصيات كانت سبباً فى تعاسة الشعوب وتخلفها و هزائمها ، الأمر الذى يقابله الشباب بالسلبية و التعجب ، حيث انقلبت الموازين و أصبح الزيف حقيقة و الباطل حقا ، و الجبـان بطلا و الخائن أميناً ، و البخيل كريما (١) .

إن ( السنة ) ( التى ندعو إليها - أى العودة إلى طريق الرسول ) لا تعنى الالتزام بعض الجزئيات و النضال دونها - بل تعنى التفاعل الكامل مع نسق الحياة التى قدمها - بأقواله و أفعاله و تقريراته - إمام حضارتنا محمد بن عبد الله ( عليه الصلاة و السلام) عبر (دورة) حضارية متكاملة تنتظم سائر الحالات الانسانية . . إنها تعنى الانسياس فى صناعة التقدم الانسانى وفق الصياغه المتوازنة و الايجابيـــة التى قدمها الرسول و صحابته ، بحيث نجح هذا الجيل أن يستجب الاستجابة المثلى للتحديات التى واجهته عندما فتح الله له فارس و الروم .

و السنه - أيضاً - تعنى وجود خريطة واضحة للحياة الانسانية التى يريدها الاسلام و وجود أهداف شاملة محددة لهذه الحياة . . و ذلك على العكس من الطرق الصارفة عن السنة ، تلك التى تنتهى إلى حصر حياة المسلم فى نطاقها ،

---

(١) د / عباس محجوب : مشكلات الشبـاب ، الحلول المطروحـــة و الحل الاسلامى ص ٦٧ .

( متصوفاً ) كان أو ( فقهياً ) أو ( كلامياً ) بل و الذود عن هذا ( النطـاق ) و كأنه كل القضية . . و الاذابة - بالتالى - لمعالم الخريطة الشاملة والمنهج الواضح و الأهداف المحدودة للسلم فى هذه الحيـاة التى استخلف فيها ، و وكل إليه أمر عمارتها - بعون الله . . بل إن (المتصوفة) - مثلا - تجعل الحياة لا معنى لها . . وتدعو إلى (غيبوبة) اجتماعيه ، وتعطى قيمة ( العمل ) و (التغيير) و (الابداع) فى الحياة دوراً ثانوياً لا قيمه له . . و تدعو (الذات الفردية) إلى إماتة نفسها ، ليس استعلاء على المـادية و السباق الحضارى - مع القدرة عليهما - بل انسحاباً من دخول معركتيهما . . وترك مجاليهما لأعداء الحضارة الاسلاميه

احل . . إن البداية هى أن نتجاور كل الصوارف ، ونتفق على النموذج و الامام و الأسوة و نرفض البدائل ، ونحترم كل من قادوا حضارتنا إلى طريق السنه ، حتى و إن بدوا أمام عقول القـاصرين و كأنهم صرفوا الناس عن السنة ( إن صح الحديث فهو مذهبى - الامام الشافعى ) .

إن الرسول الذى رفض إسقاط النزعات الفردية الجامحه على الحقيقة الاسلامية المتوازنة ، و قال لدعاة الاسقاط الفردى : (إنى لأتقاكم لله و أخشاكم له ، لكنى أصوم و أفطر ، و أنام و اقوم ، و أتزوج النساء . . . ) .

هو وحده - دون كل النماذج - الجدير باقتفاء أثره و التآسى به .

إن راعى الغنم ، وتاجر خديجة ، وقائد بدر و أحد ، و المؤتمن على أموال أعدائه ، و القاضى بين الخصوم وهو يخشى أن يلحن أحدهما فيخدعه ، و زوج عائشة و أبا فاطمة و إبراهيم ، ومحتسب الأسواق ، و السمح اللين حين القدرة ، و ليس الحقود الذى يتبـاهى بتصفيه خصومه بطريقة دموية . . و الذى يجوع كما يجوع الناس ، وينام على الحصير حتى يؤثر فى جنبه ، وإمام الناس فى صلاتهم ،

ومعتكف المسجد ، و حافر الخندق ، وحبيب أبي بكر و عمر أكثر من نفسيهما .

هذا الرسول الانسان الذى عاش الحياة بكل أعماقها، و ابتلى بخيرها وشرها ، و قدم لنا ( تجربة كاملة ) للانسان الايجابى . . الذى يحترم ( الانسان ) - فى نفسه - و فى غيره - و يحترم الحياة ( الوقت ) لنفسه و لغيره . . و الذى يؤمن بدور الانسان الرائد فى الحياة . . و بدوره الفاعل فيها حتى ولو لم يكن له نصيب من الحصاد . . « إن قامت القيامه و بيد أحدكم فسيلة فليغرسها » .

هذا ( الانسان ) - الرسول - الذى عامل كل الناس و تعامل معه كل الناس باعتبارهم ( أناسى ) لا باعتبار هوية ( طبقية ) . . ولا مذهبية ( مادية ) ولا جاه اجتماعى ، ولا مركز سياسى . . ولا مصلحة شخصية . . بل وجه الجميع فى ظله المعنى الحقيقى للانسان . . و الأهداف الصحيحه للحياة الانسانيه . .

هذا ( الانسان ) هو وحده - وليس أى بطل آخر فى تاريخنا ، و لا أى صاحب مذهب مادى أو اجتماعى أو فلسفى نستورده من خارج إطارنا الحضارى هو الذى يستحق ان نتأسى به ونترك أزمتنا له .

إن تمثل حياته « سنته » و إن الايمان و السعى نحو الالتزام بما تركه فينا من قيم و عبادات و تشريعات و تجربة عملية . . هى البداية الصحيحة للخروج من معترك الأفكار الضبابيه ، و التمزقات المذهبيه و الاتجاهات الوجدانية و العقلية و الكلامية ، التى شتت رؤانا و مزقت خطواتنا و أضاعت كثيراً من المعالم الصحيحة أمام شبابنا المثقف ، من خريجى الجامعات أو من الذين تعلموا بطرق أخرى فضلت خطواتهم على الطريق ، و اتجهوا إلى الشرق و الغرب ، فى رحلة تيه وضلال .

و لقد كان العامل الأكبر - بالتالى - وراء بروز ( عصر الضباب ) و هو

المصطلح الذى يصح أن نطلقه على مسيرتنا فى القرنين الماضيين - هو أننا سمحنا لذاتنا أن تتبعثر ، وسمحنا لعقلنا أن يتفلت من جاذبية السنة ، ويرنو إلى عدد من التجارب التى انبهر بأضوائها أو ببعض صور التقدم التى أحرزتها . بل إن شباب هذا العصر ، والشباب الذى يعيش آثار مسيرة هذا العصر - لم يجد أمامه طريقا واحداً يمشى فيه بل وجد كوكبة فى كل شئ . .

كوكبة فى الآراء الاقتصادية . . و كوكبة فى أساليب التحرر السياسى .

و كوكبة فى الآراء الاجتماعية . . و كوكبة من النظريات الفلسفية التى تفسر كل منها الحياة بطريقة تتناقض مع الأخرى .

و قد ساعد على هذا الضياع أن جسم الأمة فى هذه المرحلة لم يكن قوياً يتحمل هذه الأدوية المتناقضة ، فلكل مرحلة حضارية قدراتها على الاستجابة للتحديات.. وقد كانت المرحلة تقتضى التشبث بالمنهج القادر على تحقيق الاستقرار ، و توفير مناخ الانطلاق و الابداع ، وليس شرطاً أن يكون ذاك (بستار حديدى) حتى نتجاوز المرحلة - كما فعل الاتحاد السوفيتى - و لا بعنف دموى كما فعل (بسمارك ) فى توحيد ألمانيا - ولا بسلسلة من الحركات الدموية التى تفتقد الهوية و الهدف - كما فعلت كثير من الشعوب الاسلامية التى لم تصل فى النهاية إلى شئ .

كلا . . فنهج التحول الانسانى نحو طريق الحضارة - و لا سيما حضارة كالحضارة الاسلامية لديها الكثير مما تعطيه للعالم و مما يفتقده العالم - كان يحتاج فقط إلى المنهج الذى يتلاءم مع إنسان المرحلة ، ومع طبيعة المرحلة ، و ما التحديات التى تحتاج إلى استجابة تلائم المرحلة نفسها ، ويعبر - كذلك - عن التيار التاريخى والنبض الخاص و الشروط الاجتماعية و طموحات الأمة نحو التميز و السبق الحضارى .

إنسان الجامع و الجامعة :

ثمة مفارقة غريبة يلمحها الناظر المتعمق فی منعطفات مسيرتنا الحضارية . فذات يوم كان ( الجامع ) هو المسيطر على حضارتنا نحو صناعة التقدم ، وحتى مع سبقنا فی بناء ( الجامع الأزهر ) و ( جامع الزيتونة ) و (جامع القرويين) و المدارس النظامية .

كانت صناعة الانسان هي الشاغل للمربين و المعلمين و الدعاة و الجوامع والمدارس و الوعاظ . . و كما كانت الجاهلية تحتفل بميلاد شاعر لاعتبارات خاصة بها ، فقد أصبح ميلاد داعية فقيه أو محدث أو مفكر عملا من أعظم الأعمال . . و لم نعرف - أبدا إلا فی عصور الهوان - تخريج الفقهاء أو علماء الكلام أو المحدثين أو الوعاظ فحسب ، بل كان كل هؤلاء يتخرجون ( دعاة ) قبل أن يتخصصوا فی أی ( فن ) يريدون . . بل حتى مرحلة ( الفنية - الحرفية ) هذه كانت شبه عيب يلحق بمن يوصم بها . . و فی ضوء هذا لم يكن العمل قرين العلم فقط . . بل كان الدليل على صحته و الثقة فيه و إجازة احترامه و بقائه .

وليس أئمة الحديث فقط هم الذين كان يجب أن (يعدلوا) أو أن يجرحوا . . بل حتى علماء الجغرافيا و الرياضيات والطبيعة و التاريخ كان الطعن فی دينهم يحول دون الأخذ عنهم ، و يدفع إلى نبذهم . و مع أن علماء المسلمين أجمعوا على أن تاريخ الأمم و الشعوب يمكن أن يؤخذ عن أهله المتسلسلين ولو كانوا كفاراً - إلا أنهم - فی المحيط الاسلامی - شرطوا العدول والثقة فيمن يسجل تاريخهم ، و نبذوا من عرف بخلة فاسدة أو بممالأة الحاكم . . و وضعوه فی مكان خاص .

و المفارقة العجيبة . . . . هی :

ما ذا حدث فی مسيرتنا هذه ؟ و لماذا أسقطنا كغيرنا من الأمم الربط بين

( العمل و العلم ) وقلنا بنظرية الفصل بين السلوك الشخصى و المستوى العلمى ، و أهملنا التربية و ركزنا على ( التعليم ) بدل ( التثقيف ) الذى هو بمعنى التقويم ( و منه تثقيف الرمح أى تقويمه ) وفتنتنا كلمة ( الدرجات العلمية ) و توسعنا فى ( الكم ) - مع أننا فشلنا فيه - على حساب الكيف . . و احتفلنا فى كل عام بتخريج ( أعداد ) لا بأس بها من الجامعات دون أن نحاول الكشف عن نسبة الـ ( ٩٪ ) من ( النوابغ ) التى وصلت إليها ( اليابان ) فى مقابل نسبة الـ ( ٧٪ ) التى وصلت إليها أمريكا (١) و لم نسأل أنفسنا يوماً كيف جمع البخارى بين هذا المنهج الدقيق فى الاستقصاء والبحث وبين هذا السلوك القويم ؟ ولا كيف كان الأئمة الأربعة نوابغ فى علوم الاسلام مجتمعة . . تفسيراً و حديثاً وفقهاً و تاريخاً ، بينما كانوا على هذا الاخلاص لله و البعــد عن كل الدنايا . . و خريجو (جوامع) الأزهر و الزيتونة و القرويين فى الأجيال الماضية ، ما النسبه بينهم وبين خريجى (جامعات) الأزهر و الزيتونة و القرويين فى العصور المتأخرة ؟ بعيداً - بالطبع - عن الألقاب الكبيرة التى لم يكن يتمتع بها الأسلاف ( ! ! )

إن حضارتنا لم تعرف - فى عصور تألقهـا - سياسة الفصل بين ما هو اجتماعى و ما هو شخصى ، و لا بين العلم و السلوك ، و لا بين المؤهل الفكرى و المستوى النفسى و الخلقى . . إن هذا (الفصل ) ليس من مقوماتنا الحضارية ، بل إن الرسول عليه الصلاة و السلام - وهو أسوتنا و حياته سنتنا - كنا نعرف

(١) فى بعض الاحصاءات أنه لا يدخل الجامعات فى اليابان ما بين ١٠-١٥ ٪ و الصراع شديد فى هذا ( أنظر التربية فى اليابان ) ص ٥٧ طبع مكتب التربية العربى لدول الخليج بالرياض - و وردت نسبة النبوغ هــذه فى دراسات كثيرة .

عنه كل شئ ، وعظمته عندنا تنطلق من أننا نعرف عنه كل شئ . . حتى أخص خصائصه الزوجية و زوجاته التسع ـ اللائى يعتبرن من أظهر الأدلة على نبوته ـ كن يكشفن كل شئ ، وقد عاش بعضهن بعده لأكثر من نصف قرن . . وتحدثن فى كل شئ . . و أثبتن أنه ـ و حده فى التاريخ ـ الرجل الذى قامت أكبر الأدلة من داخل بيته و خارجه على عظمته الكاملة . . و كما أثبت فى بحث آخر لى ، أن قضية زوجاته التسع من أمضى الأسلحة التاريخية فى إثبات حقيقة نبوته . . فهو الوحيد الذى كان عظيما فى بيته و مع زوجات تسع يستحيل تواطؤهن على الكذب (١) . . على امتداد هذه السنوات الطويلة التى عشنها معه و بعده .

« يتبع »

(١) أنظر : عبد الحليم عويس ـ بحث شخصية الرسول أمام المقاييس الانسانية ( ندوة تاريخ الجزيرة الثالثة ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ) .

من علمائنا النوابغ :

# أبو العلا المعرى : المفكر و فكره

بقلم : سامية محمد المغاورى

تقديم :

أبو العلاء المعرى فيلسوف الشعراء أو شاعر الفلاسفة و الحكماء ، لغز حير العالم القديم و الحـــديث ، و ما زال شغل الكثيرين من الباحثين و المفكرين ، و سيكون الشغل الشاغل للاجيال المقبلة ما دام هناك فكر يدرس ، وأدب يبحث.

و الحق أن أبي العلاء نادرة من نوادر الدنيا ، شغل الأجيال و حلق فى الآفاق ، و طوف السماء ، و سافر لكشف المجهول و هو رهين بيته و عماه .

فأى عبقرية هذه التى شغلت الزمان و المكان ، و جعلت منه علماً يرفرف على الحضارة العربيه بخاصه و الاسلاميه بعامه .

ولأنه ظاهرة فذة عنى به الغرب و الغربيون مثل الشرق والمشارقة ، فعكفوا على دراسته فهماً و تقيياً و تمحيصاً و ترجمة .

فلا عجب أن يشغل فرد كفيف البصر ، ذكى البصيرة الحيـــاة و الأحياء ، يعيش حياته و بعد مماته خالداً فى دنياه ، قائداً و هو الضرير ، فيلسوفاً و حكيماً و شاعراً و أديباً خلدته آثاره و نبوغه ، على مر الأزمان كرصيد إنسانى أضاف إضافات بناءة إلى الحضارة الانسانية الرشيدة جعلت للعرب ذكـــرى ، و للسلمين فلاسفة و حكماء .

و غريب أن تلتقى الأذهان و الأفهـــام على إعلاء شأن أبى العلاء بعد أن تختلف الأفهام فى دراسته ، و محاولة سبر غوره .

و إن تهكم عليه مبغض فانما مرجع ذلك لعدم فهمه و قلة بضاعته و قصور آلته عن فهم إلى العلاء فى سموه ، و ذكاء روحه ، وشموخ عقله ، وتوقد قريحته و ذكائه اللاح ، أو لأخطاء وقعت من أبي العلاء كبشر يخطئ و يصيب، وليس لنا أن نجسم أخطاءه فقط ، و نتغافل عن حسناته و أعماله العظيمة .

مولده و نشأته :

ولد أبو العلاء المعرى عام ٣٦٣هـ (٩٧٣م) فى معرة النعمان ، وهى مدينة صغيرة فى سوريا بين حماة و حلب .

و سمى باسم ( أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان : وينتهى إلى النعمان ابن عدى ) نسباً .

و لما خبر الدنيا و ما فيها من آلام و أسقام، و تندر على اسمه أبي العلاء و ود أن لو سمى بأبي السقوط و الهبوط ، و ذاك يقول :

دعيت أبا العلاء و داك مين        و لكن الصحيح أبا النزول

و لعل دلك راجع إلى عزلته وأحزانه و تشاؤمه و احتجابه فى بيته وذهاب بصره وهو الصغير السن بسبب الجدرى الذى أصابه فى الرابعة من عمره .

و لذاك سمى نفسه ( برهين المحبسين ) أى حبسه نفسه فى منزله و كونه كفيفاً لا يبصر الأشياء .

و قد ذكر فى أحد كتبه أنه فى سجون ثلاثة : بيته ، و عماه ، و وجود روحه فى جسمه الخبيث ، نستمع إليه يحدثنا عن دلك فى كتابه اللزوميات ، حيث يقول .

أرانى فى الثلاثة من سجونى        فلا تسأل عن الخبر النبيت

لفقدى ناظرى و لزوم بيتى        و كون النفس فى الجسم الخبيث

و نظراً لفقده بصره درس علوم العربية و الدين على أبيه لأن أسرته كانت أسرة علم وأدب لها شأنها فى بلاد الشام ، و ساعده ذكاؤه على النوغ والاستيعاب و الحفظ و الفهم حتى قال الشعر و هو فى سن الحادية عشرة .

و تتلمذ على يد كبار العلماء فى عصره و برع فى العلم والأدب و بلغ منزلة ساميه فى العلوم اللغوية و الأدبية

و شأن أصحاب العاهات و بخاصه العمى أن يبرعوا فى الحفظ و التذكر .

و بعد أن أخذ أبو العلاء من دالك حظاً كبيراً ، سافر للتلمذة على العلماء فى نواحى بلاده بعد أن أخذ ما أخذ عىد أبه . . غير أنه يىبع فى علوم الدين كما نبع فى علوم اللعة و الأدب ، و من هنا كان امتيازه لغوياً و أديباً ، و شاعراً ، و كاتباً . . ومع هدا و قبل هدا صار فيلسوفاً وحكيماً بسبب انقطاعه لطلب العلم وتبحره فيه ، وبسبب البئه حوله التى تموج بمختلف العلوم والفنون والآداب فى عصره .

و عىد ما بلغ سن العشرين مات أبوه فحزن عليــه أبو العلاء حزناً شديداً لأنه كان الأب والأستاد له تعهد جسمه وعقله وخلقه بالتربيه والصقل والتأديب .

يؤيد ما سبق فى هذا التقدىم ما جاء فى الموسوعه العربيه الميسرة باشراف : محمد شفيق غربال ، المطبوعـــة سنة ١٩٦٥م بالقاهرة ما يلى : نذكره على إيجازه و نفسره بعد دالك فى إيجاز أيضاً ، قالت الموسوعة عن أبى العلاء :

كان فى الطور الأول من حيـــاته يماثل غيره من الشعراء و يعجب بالمتنبى و يحاكيه و يمثل ديوان « سقط الزند » هذا الشعر .

امتنع بعد العزلة عن أكل اللحوم و عاش متقشفاً على مورد مالى ضئيل ، و أخذ يتأمل الحياة الانسانية وخالف أهل عصره فى كثير من أفكارهم ومعتقداتهم الاجتماعية و الدينية ، و نظم ذالك شعراً فى « اللزوميات » التزم فيهــا أن يقيد

نفسه بقواعد فی الصیاغه و القوافی غیر ضروریة ، فسمیت « بلزوم ما لا یلزم » أو « اللزومیات » الف عدة کتب ، أشهرها « رساله الغفران » وأقرب أن تکون حوادثها قصة یوم القیامه و الجنة و النار .

و بین النقاد خلاف حول تأثر ( دانتی ) بها فی « الکومیدیا المقدسة » أو الکومیدیا الالهیه و له ایضاً « الفصول و الغایات » و رسائل فی الرد علی داعی الدعاة الفاطمی حیث یناقشه فی فلسفة الامتناع عن أکل اللحم ، و ما ینتج عن الحیوان .

هذه نبذة موجزة من الموسوعه عن أطوار حیاته الفکریة و الثقافیة ، یجمل بنا أن نذکر ما یلقی ضوءاً من الشرح علیها ، حتی یمکن أن تتضح معالم أبی العلاء الثقافیة و الفکریة .

عصر أبی العلاء :

عاش أبو العلاء المعری عمراً مدیداً ( ٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ ) ، فی ظل عصر زاهر ، حافل بالعلوم و الفنون و الآداب ، فمما لا شك فیه أن العصر العباسی بطوله ـ عدا سنوات قلیلة فی آخره ـ کان عصر الحضارة الاسلامیة الزاهرة ، التی استفادت من ثقافات و حضارات الأمم المختلفة المعاصرة و السابقة : فقد کانت الثقافة الاسلامیة هی السائدة فی عصر صدر الاسلام وبنی أمیة ( ١ - ١٣٢هـ) أیام کان العرب جمیعاً ، و أیام کان کل شئ عربی الوجه و الید و اللسان ، ثم یضاف إلی ذلك شدة تمسك المسلمین باسلامهم و تعالیمه و اکتفائهم بما جاء به الاسلام ، لخفت کل مظاهر الثقافة الأجنبیة مثل الفارسیة والرومیة ، والبیزنطیة والیونانیة .

فلما خف الایمان فی قلوب المسلمین ، و اختلفت جماعتهم ، وتفرق شملهم ، نهضت کل جماعة تلتمس تبریر فعلها ، و تبیان حقها ، و مناصرة زعمها من القرآن الکریم و السنة النبویة ، و لو بتأویل و تفسیر متعسف .

و لم تکتف الفرق المتنازعة بذلك ، بل التمست النصرة و التايید لما تدعیه من الثقافات الأجنبیة غیر الاسلامیة التی ذکرناها .

یضاف إلی ذاك الترجمات الهائلة التی بدأت بعصر المأمون فی الدولة العباسیة فازدهرت الثقافة و الحضارة و الفنون والآداب فی العصر العباسی، مما جعله أزهر العصور الاسلامیة ، و أضاف إلی الحضارة الاسلامیة ، إضافات بناءة و خالدة ، فی المجالین : العلوم الانسانیة ، والعلوم العملیة .

فی هذا العصر الزاهر نشأ وشب ، و ترعرع ، و تعلم ، و فهم ، و هضم أبو العلاء المعری کثیراً من معارف عصره ، و انقدح فی ذهنه کثیر من علوم اللغة العربیة و آدابها ، و العلوم الاسلامیة وما یدور حولها ، و عرف بالتالی کثیراً من فلسفة الحضارات و الثقافات المختلفة الأجنبیه ، و ظهر کل ذلك فی آثاره و أحادیثه ، وصار نابغه العرب بذلك رغم فقره و عزلته و عماه .

و قد نبغ کثیر من العلماء و الأدباء و الفلاسفة فی هـذا العصر ، فسمع ، و أحس ، وتتلمذ ، و جاری ، و بارز ، و أحب أبو العلاء بعضهم فکانوا سبباً فی نبوغه ، و بمجاراتهم و موافقتهم أو مخالفتهم ، و متابعتهم أو تحدیهم ، نذکر من هؤلاء : المرتضی ، و المتنبی ، و ابن العمید ، و ابن عباد ، و الصابئ و الفارابی و ابن سینا ، و أبو هلال ، و الآمدی ، و الجرجانی و ابن خالویه ، و ابن جنی ، و أبو علی الفارسی ، و السیرافی ، فضلا عن المؤرخین و الجغرافیین و الفلکیین ، و الفرق المختلفة فی التوحید ، و مجالس المناظرة و الأدب و العلم ، و التشجیع من الأمراء و الخلفاء علی العلم و الأدب و الثقافه و الفنون و العلوم و الآداب و الترجمة و الشعر و الشعراء . . إلخ .

فی هذا العصر الناهض الزاهر المتفتح و المفتوح نشأ و شب و تعلم وتصدر

أبو العلاء فكان علماً فى عصره وبعد عصره يشار إليه بالبنان، وينظر إليه بالاكبار و الاجلال .

و إن رأينا من معاصريه و من جاء بعدهم آراء مختلفة :

فمن مقدر للعظمة فى آفاقها ، ومن جاحد لها لعدم فهم ، ومن حاسد لأبى العلاء لأنه دو نعمة و ملكة ، و كل دى نعمة محسود ، كما جاء فى حديث النبي عليه السلام، و منهم من يحسب على أبي العلاء محاسنه و سيآته فى نزاهه أو غير نزاهة ، كانسان يخطئ و يصيب ، و منهم من يعمى عن حسناته و صوابه ، ويذكر فقط ، سيآته ، و ما هذا برأى و لا برشد و لا سداد .

وحسب أبو العلاء فى دلك أن تختلف حول عقريته العقول و الأفهام على مر العصور و الدهور .

رحلته و عزلته بعد شهرته :

اشتهر أبو العلاء بالعلم و قصده القاصى و الدانى للتزود من علمه ، و كانت شهرته فى العلوم العربيه أشهر من شهرته فى العلوم الدينية ، و عرف بالفيلسوف و الحكيم ، و كانت بغداد فى وقته زاهرة و عامرة و فيها العلم و العلماء فى مختلف العلوم و الفنون الشائعه وقتها ، و كأنها تسمى بمدينة العلم و النور كتسمية بعض المدن فى أيامنا هذه ، ومن هنا كانت مقصد طلاب العلم والعلماء والفنانين والآدباء و الشعراء . . كل يحج إليها ويقصدها ، للتزود من العلم ، طلبا بشهرة أو الاسهام فى تدريس العلم و مزاحمة العلماء و مشاهدة المحاورات و المناظرات ، و من هنا قصدها أبو العلاء : طلباً للشهرة و الثراء ، و حباً فى العلم و العلماء ، مع أن أمه عارضت خروجه من المعرة ، لكنه أقنعها برفق حتى تم له ما أراد ، وحدثت له فى بغداد و فى أثناء سفره حوادث ، منها الاستيلاء على سفينته و تعرضه لأخطار السفر البرى كما يظهر من شعره .

و زاحم أبو العلاء الشعراء و الأدباء و العلماء فذاع صيته و شهرته ، وأحبه الشريف المرتضى و بادله أبو العلاء الحب و التقدير .

إلا أن حادثاً عكر الصفو بينهما ، و أدى إلى القطيعة و العداء ، وملخصه : أن الشريف كان يكره المتنبي بينما أبو العلاء يحبه و يقدره ، و حدث أن ذم الشريف المتنبي فى مجلس علم . فغضب أبو العلاء وقال : لو لم يكن له إلا قصيدته ( لك يامنازل فى القلوب منازل ) لكفى ، و هنا غضب الشريف و أمر باخراجه من المسجد مسحوباً من رجله ، لأنه فطن إلى قصد أبي العلاء فى تلك القصيدة فى البيت الذي يقول :

و إذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

و هنا نلمح أدب ابى العلاء فى خصومته . و وفاءه للمتنبى ، كما نلمح بالتالى فطنة المرتضى لقصد أبي العلاء .

ولم يحقق أبو العلاء فى هذه الرحلة الثروة التى كان يطمع العلماء فيها و إن حقق الشهرة بين علماء بغداد : و السبب فى عدم ثرائه ، يرجع إلى عزة نفسه و تأبيه عن طلب شئ لنفسه ، وعدم تزلفه إلى الخلفاء و الولاة ، وعدم تكسبه بشعره ، و من هنا بقى فقيراً لهذه الأسباب ولم ينل أى شئ من الثراء أو الثروة .

وأثر كل ذلك فى نفسه فأحس بالمهانة و الاهانة ، و عزم على الرجوع إلى مستقره فى المعرة ، و بخاصه و قد جاءته الرسالة بأن أمه مريضه ، مرضها الذى ماتت فيه ، فارتحل من بغداد مودعاً أهلها بعد ما أحبوا و أحبهم و عاد بمعرة معتزلا فى بيتـه ، رهين حبسه فى بيته و عماه ، إلا أن مراسلته للعلماء فتح بابه للطلاب ، و مشاركته فى الأدب و الشعر جعلت داره كمنتدى أو كعبة يحج إليها طلاب العلم من هنا وهناك ، و مقصد العلماء الذين يحبونه و يقدرون علمه .

و عاش أبو العلاء فی بیته زاهداً عفیفاً قانعاً برزقه القلیل، وهو الذی خلف ثروة من الآداب خلدتها الأجیال ، و اغترف منها العلماء و الأدباء ، و عنی ببحثها و ترجمتها و العنایة بها العرب و المسلمون و المستشرقون و دور العلم فی الشرق و الغرب علی السواء .

### اتهام أبی العلاء :

کان أبو العلاء حاد الطبع ، معتزاً بنفسه و کرامته ، کثیر الاطلاع علی الفلسفات الأجنبة ، فضلا عن رهافة حسه و حصافة عقله ، و من ما کانت له إشارات فی شعره و فی قوله فسرها بعضهم علی أن أبی العلاء زندیق أو ملحد ، و جر ذلك علیه المتاعب و المصاعب فضلا عن متاعبه و مصاعبه السابقة ، من ذلك :

ذمه لهؤلاء الناقدین له و وصفه لهم باللؤم ، فعادوه و عاداهم کقوله :

إن مازت الناس أخلاق یقاس بها فانهم عند سوء الطبع أسواء
أو کان کل بنی حواء یشبهنی فبئس ما ولدت للناس حواء

و تمنیه أن لو لم یوجد الانسان : لأنه شریر فاسد ، کقوله :

یا لیت آدم کان طلق أمهم أو کان حرمها علیها ظهار
و لدتهم فی غیر طهر عارکا ولذاك تفقد فیهم الأطهار

و أیضاً کرهوه لذمه للدنیا ، و حبه للعدم بدلا من الحیاة کقوله :

فلیت ولیداً مات ساعه وضعه ولم یرتضع من أمه النفساء

و کذلك کراهیته لبناء الأسرة ، و الزواج ، و الذریة ، حتی استحسن وأد البنات کعادة الجاهلیة حیث یقول :

و دفن و الحوادث فاجعات لاحداهن إحدی المکرمات
و قد یفقدن أرواحاً کراماً فیا للنسوة المتأیمات

و قیل : إنه أوصی بأن یکتب علی قبره .

هــذا جناه أبی علـ . . . . . . ی و ما جنیت علی أحد

و أعلن إعجابه بعیشة الرهبان ، و کرهه التعلیم للمرأة ، و أعجبه أن یحرق الهنود موتاهم ، و رأی ألا یأکل الحیوان و لا ما خرج منه کمذهب أهل الهند أیضاً ، کما کانت عزلته معروفــه عند أهل الهند أیضاً ، و یبدو أنه تأثر بسیرتهم و فلسفتهم و تاریخهم ، فغضب علیه کثیر من العلماء . فی حیاته و أساءوا فهمه و کرهوه بعد مماته .

و یحمد له أنه دم تناسخ الأرواح لأنها فکرة لیست من الاسلام فی شئ ، و لسنا مع العلامة أبی العلاء فی ذلك :

فالدنیا حلوة ، و من أحلها من حلالها بارك الله له فیها ، و الزواج نعمــه و الذریة نعمة ، لبقاء الجنس ، و عمران الأرض و کل واحد یحب عقبه وأعقاب أعقابه من بعده .

و الاسلام سوی بین الرجل و المرأة فی الاعتبــار البشری و فی التعلیم والتربیة،لحدیث الرسول علیه السلام :"طلب العلم فریضة علی کل مسلم و مسلمة" و یقول سبحانه و تعالی :

"فاستجاب لهم ربهم أنی لا أضیع عمل عامل منکم من ذکر أو أنثی، بعضکم من بعض - آل عمران الآیة ۱۹۵ " .

و أحل لنا الله الطیبات من الحیوانات و ما خرج منها ، کالعسل و اللبن ، و جعل ذبحها تزکیة و تطهیراً لها ، و تکریماً لها أیضاً : فالذبح تزکیة للبقر ، و الحمار لا یذکی و لا یذبح و لا یؤکل ، و امتن الله علینــا بعسل النحل و الأکل من خلق البحر ، یقول سبحانه :

« و هو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً و تستخرجوا منه حليــة تلبسونها » النخل الآية ١٤ » و يقول سبحانه .

« و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً و من الشجر و مما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيــه شفاء للناس ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون - سورة النحل الآية ٦٨-٦٩ » .

و كرامة الميت دفنه لاحرقه كما يفعل الهنود .

و الخلاصه : أن هذه الأشياء جلبت المتاعب و المصاعب على فيلسوفنــا العظيم أبى العلاء المعرى ، و كان يبنى عن اعتناقها و تسجيلها لو أراد لنفسه ولمحبيه السلام و السلامة ، و بخاصة لأن الاسلام لا يرضى عنهــا ، و هو الرجل ذو الثقافة الدينية المختارة ، و لكن يبدو أن رجال الفكر يالغون أحياناً أو يتأثرون بآراء غيرهم فتأتى آراؤهم فى بعض الحالات شادة أو مصادمة للعرف و الالف و الدين » - فى نظرى - لا تقدح فى عظمة أبى العلاء ، و لا فى عالميته ، و لا فى ألمعيته ، و لا فى فكره الشامخ و تراثه الخالد .

آثار أبى العلاء :-

تتمثل آثار أبى العلا فى أدبه : شعره ونثره ، فيما خلفه متطوراً و متدرجاً حتى بلغ طور النضج و الكمال فى شعره و نثره ، وقد قال الشعر وفيه : المديح بلا تكسب ، و الفخر بعزة نفس ، و الوصف ببصيرة نفادة ، والرثاء بحزن عميق و النسيب الرقيق محاكاة لغيره فى الغزل .

و نشاهد كل ذلك فى ( سقط الزند )

و قال « الدرعيات » مع أنه لم يلبس درعــاً و لا حمل سلاحاً ، و له « اللزوميات » التى التزم فى قافيتها أكثر من حرف فألزم نفسه لزوم ما لا يلزم

مما يدل على وفرة محصوله اللغوى و تمكنه منها ، و فى اللزوميات فلسفته و آراؤه ، و نقده و سخريته و خياله الواسع و مهارته اللغوية ، و فلسفته الالهية و العمليـة و خصائصها .

و نثره فى رسائله شئ بديع يدل على تمكنه من اللغة ، و معرفته بفنون القول و اللهو .

أما نثره فى « رسالة الغفران » و تفسيراته اللغوية ، و أفانينه الأسلوبيـه و براعته ، فى الجدل و الحوار ، و خياله المحلق و سلاسه أسلوبه ، و طرافه فى الجنه و النار . و هو المقعد الحبيس . و رؤيته ما لا يرى المبصرون فى رحلتـه هذه ـ الجح ، فحدث عن ذلك و لا حرج ، و قل ما شئت فى مدح ذلك فلن تجد لائماً و لا معترضاً .

حتى قال كثير من الأدباء و المفكرين : « إن جحيم دانتى » مسروق من رحلة أبى العلاء فى ( رسالة الغفران ) .

و على الجملة فقد قال القفطى فى كتابه ، وغيره من المؤرخين مثل ياقوت . أنه ترك حوالى خمسه وخمسين كتاباً فى أكثر من أربعه آلاف كراسة فى مختلف العلوم العربيه و آدابها ، والوعظ والارشاد وآرائه وفلسفته ، غير انه ـ للأسف ـ لم يصلنا كل ذلك ، و حسبنا ما وصلنا من آثاره ، لأن ظاهرة فكره و رأيه ، و علمه تشيع فيما وصلنا .

هذه خلاصة : عن بحثى لأبى العلاء فى عجالة آمل أن تفى بالمقـام .

وقد استقيت ما فيها من شعر أبى العلاء ، و الموسوعة العربية ، وما كتب عنه فى كتب تاريخ الأدب الحديثـة ، و معجم الأدباء لياقوت ، و تاريخ آداب اللغة العربية فى العصر العباسى . و الموسوعة العربية الميسرة ، و ما كتبه الدكتور طه حسين عنه .

# أبو هريرة رضى الله تعالى عنه

## « صحابى مظلوم و مفترى عليه »

### ( الحلقة الآخيرة )

الأخ : محمد صدر الحسن الندوى

الشبهة الرابعة :

إنه لم يكن يقتصر على ما سمع من رسول الله ﷺ بل يحدث عنه بما أخبره به غيره . ( أضواء : ٢٠٢ ) .

الرد : زعم أبو رية و أمثاله أن رواية أبى هريرة ، حديث رسول الله ﷺ موصولا وهو لم يسمعه منه بل سمعه من غيره ، ثم اسنده إلى رسول الله ﷺ ، تدليس و رواية المدلس لا اعتبار لها عند المحدثين ، هذا إن دل على شئ فيدل على تدليس أبى رية فانه تعمد الكذب فى هذه القضية و أراد تشويه الحقائق و الحقيقه أن هذا النوع من الرواية لا يسمى تدليساً بل يسمى إرسالا ، و قد اتفق العلماء على قبول مراسيل الصحابة .

يقول الامام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامى المقدسى :

« مراسيل أصحاب النبى ﷺ مقبولة عند الجمهور ، وشذ قوم فقالوا لا يقبل مرسل الصحابى إلا إذا عرف بصريح خبره أو بعادته أنه لا يروى إلا عن صحابى و إلا فلا ، لأنه قد يروى عمن لم تثبت لنا صحبته ، و هذا ليس بصحيح ، فان الأمة اتفقت على قبول رواية ابن عباس ونظر أنه من أصاغر الصحابة مع إكثارهم ، و أكثر روايتهم عن رسول الله ﷺ مراسيل ، قال البراء بن عازب : « ما كل ما حدثنا به عن رسول الله ﷺ سمعناه منه غير أننا لا نكذب » و كثير منهم كان يرسل الحديث فاذا استكشف قال حدثنى به فلان كأبى هريرة و ابن عباس

و غيرهما ، و الظاهر أنهم لا يروون إلا عن صحابى ، و الصحابى معلومة عدالتهم فان رووا عن غير صحابى فلا يروون إلا عمن علموا عدالته ، و الرواية عن غير عدل وهم بعيد لا يلتفت إليه ولا يعول عليه » (١) .

و قال جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .

« و فى الصحيحين من ذاك أى من مراسيل الصحابة - ما لا يخفى لأن أكثر رواياتهم عن الصحابة و كلهم عدول و رواياتهم عن غيرهم نادرة و إذا رووها بينوها » (٢) .

بل نرى أن معظم المحدثين لا يطلقون اسم المرسل على رواية الصحابى عن النبى ﷺ ولم يسمعه منه ، بل يخصون المرسل بالتابعى .

يقول الامام النووى فى « التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير و النذير » :

« اتفق علماء الطوائف على أن قول التابعى الكبير ، قال رسول الله ﷺ كذا أو فعله يسمى مرسلا ، فان انقطع قبل التابعى واحد و أكثر ، قال الحاكم و غيره من المحدثين : لا يسمى مرسلا بل يختص المرسل بالتابعى عن النبى ﷺ » (٣) .

و أوضح من هذا ما قاله أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهر زورى المعروف بابن الصلاح فى كتابه القيم « علوم الحديث » المعروف بالمقدمة .

(١) روضة الناظر وجنة المناظر : ٦٤ الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ المطبعة السلفية و مكتبتها ، القاهرة .

(٢) تدريب الراوى : ٢٠٧ تحقيق عبد اللطيف الطبعة الثانية ١٣٥٨ — ١٩٦٦ دار الكتب الحديثة ( مصر ) .

(٣) المصدر نفسه : ١٩٥ .

« المرسل فی أصل قولنا و قول أهل العلم بالأخبار لیس بحجة ثم إنا لم نعد فی أنواع المرسل ونحوه ما یسمی فی أصول الفقه مرسل الصحابی مثل ما یرویه ابن عباس و غیره من أحداث الصحابة عن رسول الله ﷺ ولم یسمعوه منـــه لأن ذاك فی حکم الموصول المسند لأن روایتهم عن الصحابة و الجهالة بالصحـابی غیر قادحه لأن الصحابة کلهم عدول ، و الله أعلم » (١) .

الشبهة الخامسة :

کان أبو هریرة یأخذ عن کعب الأحبار ویجعله حدیثاً مرفوعاً إلى النبی ﷺ .

یقول أبو ریة :

« ذکر علماء الحدیث فی باب « روایة الصحابة عن التابعین أو روایة الأکابر عن الأصاغر » ان أبا هریرة و العبـادلة و معاویة و أنس وغیرهم قد رووا عن کعب الأحبار الیهودی الذی أظهر الاسلام خداعاً وطوى قلبه على یهودیتـــه ، و یبدو أن أبا هریرة کان أکثر الصحابة انخداعاً به وثقة فیه و روایة عنه و عن إخوانه ، کما کان أکثرهم روایة للحدیث ، ویتبین من الاستقراء أن کعب الأحبار قد سلط قوة دهائه على سذاجه أبی هریرة لـکی یستحوذ علیه ویذیمه لیلقنه کل ما یرید أن یبثه فی الدین الاسلامی من خرافات و أوهام . . . و مما یدلك على أن هذا الحبر الداهیه قد طوى أبا هریرة تحت جناحه حتى جعله یردد کلام هذا الکاهن بالنص ویجعله حدیثاً مرفوعاً إلى النبی ، ما نورد لك شیئاً منها .

روى البزار عن أبی هریرة أن النبی قال : إن الشمس و القمر ثوران فی النار یوم القیامة ، فقـال الحسن ، و ما ذنبهما ؟ فقال أحدثك عن رسول الله وتقول ما ذنبهما ؟ و هذا الـکلام نفسه قد قاله کعب بنصه ، فقد روى أبو یعلى

(١) مقدمة ابن الصلاح : ١٤٧ دار الـکتب العلمیة بیروت ١٣٩٨ھ ١٩٧٨م .

الموصلى ، قال كعب : يجاء بالشمس و القمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان فى جهنم يراهما من عبدهما .

و فى الصحيحين من حديث أبى هريرة : أن الله خلق آدم على صورته ، و هذا الكلام قد جاء فى الاصحاح الأول من التوراة ( العهد القديم ) ونصه هناك : و خلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه .

و روى مسلم عن أبى هريرة : أخذ رسول الله بيدى فقال: خلق الله التربة يوم السبت و خلق فيها الجبال يوم الأحد و خلق الشجر يوم الاثنين و خلق المكروه يوم الثلاثاء و خلق النور يوم الأربعاء و بث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » (١) .

الرد :

ادعى أبورية أن أبا هريرة كان يأخذ النص عن كعب الأحبار ويجعله حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، و أراد أن يدعم دعواه بالدليل فجاء بأحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ ثم بحث عن نص متشابه جاء فى التوراة ، ثم قارن بين نص التوراة و نص الحديث المرفوع فوجدهما متشابهين ، فوصل إلى البغية التى كان يتوخاها وهو أن هذا النص مأخوذ عن كعب الأحبار و رفعه إلى النبي ﷺ غير صحيح .

و لكى نكشف القناع عن هذه الشبهة لا بد لنا أن نلاحظ أموراً :

أولا : لا يكفى لرد حديث ورد نص مثله فى التوراة لأننا لو مشينا على هذه القاعدة لوجب علينا أن نرد أحاديث كلها هى تماثل نصوص التوراة أو غيرها .

إن النبي ﷺ قضى فى السنة بالقصاص وقال كتاب الله القصاص ، وليس

(١) أضواء على السنة المحمدية : ٢٠٧ - ٢٠٩ .

فى القرآن قصاص فى السن إلا فى قوله تعالى « و كتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس و العين بالعين و الأنف بالأنف و الأذن بالأذن و السن بالسن والجروح قصاص » (١) .

و يدل النص القرآنى على أن هذا الحكم موجود فى التوراة ، فى السنة مأخوذ عن التوراة و لا يصح رفع هذا الحديث إلى النبي ﷺ .

جاء فى الحديث حكم رجم الزانى و الزانية و هذا الحكم موجود فى التوراة، فهل يجوز لقائل أن هذا الحكم مأخوذ عن التوراة و أن الذى روى هذا الحديث أخذه عن التوراة و رفعه إلى النبي ﷺ كذباً و افتراءاً .

جاء فى الحديث « البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر » و نفس هذا النص موجود فى القانون الرومانى ، فهل يجوز لقائل أن هذا النص مأخوذ من القانون الرومانى أن الذى روى هذه الرواية رفعها إلى النبي ﷺ كذباً و افتراءاً .

ثانياً : لا بد للباحث البرىء أن يبحث عن أسانيد الأحاديث هل رواته ثقات و عادلون وضابطون أم لا ، وهذا ليس بصعب لأن كتب أسماء الرجال موجودة و ميسرة فى كل مكان ، فاذا كان رواته ثقات عادلون و ضابطون و ليس فى السند انقطاع فلا داعى إلى رد الحديث و إثارة الشكوك و الشبهات حول ذلك .

ثالثاً : ثم لا بد للباحث أن يتأمل فى متن الحديث ، و قد وضع المحدثون لنقد المتن قواعد ، من أهمها :

١ - أن لا يكون ركيك اللفظ بحيث لا يقوله بليغ أو فصيح .

٢ - أن لا يكون مخالفاً لبديهيات العقول ، بحيث لا يمكن تأويله .

٣ - أن لا يكون مخالفاً للحس و المشاهدة .

---

(١) المائدة : ٤٥ .

٤ - أن لا يخالف البدهى فى الطب و الحكمة .

٥ - ألا يكون داعية إلى رذيله تتبرأ منها الشرائع .

٦ - ألا يخالف المعقول فى أصول العقيدة من صفات الله و رسله .

٧ - ألا يكون مخالفاً لسنة الله فى الكون و الانسان .

٨ - ألا يشتمل على سخافات يصان عنها العقلاء .

٩ - ألا يخالف القواعد العامة فى الحكم و الأخلاق

١٠- ألا يخالف القرآن أو محكم السنـــه أو المجمع عليه أو المعلوم من الدين بالضرورة ، بحيث لا يحتمل التأويل .

١١- ألا يكون مخالفاً للحقائق التاريخية المعروفة عن عصر النبى ﷺ .

١٢- ألا يوافق مذهب الراوى الداعية إلى مذهبه .

١٣- ألا يخبر عن أمر وقع بمشهد عظيم ثم ينفرد راو واحد بروايته .

١٤- ألا يكون ناشئا عن باعث نفسى حمل الراوى على روايته .

١٥- ألا يشتمل على إفراط فى الثواب العظيم على الفعل الصغير والمبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير .

رابعاً : إذا كان الحديث مرفوعاً و ثبت بعد البحث عن سند الحديث أن راوياً من الرواة متكلم فيه وكان يضع الحديث فهذا الوضع و رد الحديث لأجله لا يقدح فى ذلك الصحابى الجليل الذى وجد اسمه فى ذلك السند ، لأن وضاع الحديث كانوا يضعون الحديث وينسبونها إلى المكثرين من الصحابة كذباً و افتراءاً و قد قدمنا أمثلة عديدة من ذلك فى الصفحات الماضية .

لذلك يقول الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة فى حديث « التربة » إن الذين توقفوا فى صحة هذا الحديث جعلوه من نزول درجة التصحيح عند مسلم فى عدم

اشتراط اللقی فی صحة الحدیث عند مسلم دون البخاری ، فتوقفهم فیه من جهة السند لا من جهة أبی هریرة (١) .

خامساً : إذا توقف محدث فی تصحیح أی حدیث أو حکم علیه بالوضع فهذا لا یعنی أن الأمر قد قضی بل یمکن أن یحکم محدث آخر علی ذلك الحدیث بالصحة و قد حدث ذلك فعلا ، فقد حکم ابن الجوزی علی أحادیث بالوضع و حسنها آخرون أو صححوها .

سادساً : لا بد من التأنی فی إصدار الحکم علی شیء ، فاذا أصدر الحکم یجب أن یکون وراءه دلیل قوی ـ لا یقبل الاحتمال ـ یدعم تلك الدعوی لکن الحکم علی شیء بالاحتمالات لا یقره البحث العلمی و الحقائق الثابتة .

نری المستشرقین ومن حذا حذوهم إذا أرادوا إثبات شیء یلجأون إلی دلائل واهیة، أراد « جولدزیر » و « سانتلانا » و غیرهما أن یثبتوا أن الفقه الاسلامی تأثر بالقانون الرومانی، فقالوا « إن مذهب الأوزاعی اندثر ولو عثرنا علیه لوجدنا فیه أثراً کبیراً للقانون الرومانی » و ما إلی ذلك من الأدلة ، هل هذا دلیل علی أن الفقه الاسلامی تأثر بالقانون الرومانی ، و قس علی هذا دلائل المستشرقین ومن حذا حذوهم !

---

(١) ظلمات أبی ریة : ١٥٣، حدیث أکادمی فیصل آباد باکستان ١٤٠٢ھ - ١٩٨٢ .

# مشاهدات جولة فى نيبال

سعيـد الأعظمى الندوى

## خلفية تاريخية للرحلة إلى نيبال :

كنت أعرف نيبال ، الدولة المجاورة للهند ، من حلال لقاءات و أحاديث كانت تتم بين آونة وأخرى مع عدد من طلبة العلم ممن كانوا يتوافدون إلى جامعة ندوة العلماء للدراسة ، وذلك ابتداء من خمسينات هذا القرن، و إن كان فى طليعه هذا الرعيل رجل اسمه الشيخ حياة حسين الندوى الذى تخرج من هده الحامعة فى الاربعينات وعاد إلى كاتمندو حيث تولى العمل الدينى فى جامع كاتمندو الكبير وأسس بجواره مدرسه إسلاميـــة لكى تكون منطلق الدعوة إلى الله فى هذا البلد الهندكى الذى لم يدو فيه صوت التوحيد إلا نادراً ، البلد الذى لم يعرف من الديانة إلا الوثنية العارقه فى الأوهام و الأساطير و الخرافات .

لقد كان لى حظ مع هولاء الوافدين النيباليين من طلبه العلم ، فى التعليم و التدريس فى جامعة ندوة العلماء ، وقد توطدت مع بعض منهم رابطة قوية دات ثقة وحب ، ولكنهم تخرجوا و عادوا إلى بلادهم دعاة و مدرسين ، غير أن دعوتهم لزيارة بلادهم كانت تترد إلى و تطـالبى بزيارة نيبـال و اللقاء فيها مع المسلمين و الاطلاع على نشاطهم وسير أعمالهم ، و على العقبات التى يواجهونها فى مجـال العمل الاسلامى ، ولكن الظروف لم تكن تساعدنى على تلبية هذه الدعوات المتكررة رغم أمنيتى الكبيرة لرؤية هذا القطر الممتاز ومشاهدة ما فيه من آثار وعجائب صنع الله .

## أمنية تتحقق :

وشاء الله تعالى أن تتحقق هذه الأمنية فى الأسبوع الأخير من شهر رجب

المنصرم عام ١٤٠٦هـ حينما جاءنى الأخ العزيز الشيخ محمد حنيف النـــدوى الذى تخرج من كلية الشريعة بجامعة ندوة العلماء فى عام ١٣٨٢هـ ثم التحق إلى الجـامعة الاسلامية بالمدنية المنورة ومكث فيهـا ما شاء الله أن يمكث حتى رجع إلى بلاده و ابتعثته دار الافتـاء و الدعوة و الارشاد بالرياض كداعية إسلامى فى نيبـال ، حضر الشيخ محمد حنيف فى الأيام الأولى من شهر رجب المصرم إلى سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى يرجو منه زيارة نيبـال ولو لوقت قصير ، وكذلك طلب منى أن أرافق سماحته فى هذه الرحلة ، ولـكن سماحة الشيخ الندوى لم يتمكن من استجـابة هذه الدعوة المخلصه نظراً إلى ارتباطاته و أعمـاله الدعوية الكثيرة ، وخاصة سفره إلى الربوع المقدسة للحضور فى دورة رابطة العالم الاسلامى لعام ١٤٠٦هـ ، إلا أنه وافق بشئ كثير من الرحابة على سفرى إلى نيبال ، كما وافق على ذلك فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوى رئيس كلية اللغة العربية وآدابها والمستشار الأول لسماحة الشيخ الندوى ، و فضيلة الشيخ محمد معين الندوى نائب الأمين العام لندوة العلماء و المستشار الخاص لسماحة الشيخ الندوى

ندوة علمية فى الجامعة السلفية فى بنارس :

و قررت - برعاية الله - أن اتابع رحلتى إلى كاتمندو (العاصمة) مع حضورى فى الندوة العلمية التى عقدتها الجامعه السلفية فى بنارس ، التى كان المسئولون عنها قد وجهوا إلى دعوة كريمة للحضور فيها ، و تقديم بحث حول الموضوع يتصل بمساهمة المسلمين فى الجد فى العلوم الاسلامية ، و كنت قد وضعت بحثاً وجيزاً عن « مشاهير العلماء و المؤلفين فى العلوم الاسلامية باللغة العربية فى الهند » فألقيته فى الندوة ، وكانت قد عقدت هذه الندوة فى الفترة ما بين ٤ ـــ ٦ ابريل ١٩٨٦م المصادف ٢٣ ـــ ٢٥ رجب لعام ١٤٠٦هـ حضرها المعنيون بالعلم والأدب و التأليف

الكتابة من مختلف الجامعات العصرية و المراكز والمدارس الاسلامية فی الهند، وعرف الندوة فی الیوم الثالث وفد جامعه الامام محمد بن سعود الاسلامیة بالریاض و علی رأسه مدیر الجامعة معالی الدكتور عبد الله بن عبد المحسن الترکی، وشقیقه سعادة الدكتور محمد بن عبد المحسن الترکی ، وسعادة عبد الحلیم عبد الفتاح عویس أستاذ بكلیة العلوم الاجتماعیة بجامعـــة الامام ، و الدكتور محمد شوقی ، فكان یوماً مشهوداً فی الجامعة السلفیة وفی مدینة واراناسی ، فشكراً لمنظمی الندوة و فی مقدمتهم فضیلة الدكتور مقتدی حسن وكیل الجامعة السلفیة .

رفیق عزیز كریم :

و قدر الله لی المبیت فی لیلة السفر بمضیف فضیلة الشیخ محمد اسحاق النارسی، رحمه الله ، بضیافة نجله الكریم الشیخ عبد الباسط الذی أكرم وفادتی و أوصلنی إلی المطار علی سیارته الخاصة، حیث ودعنی هو والشیخ عبد العلیم الندوی لكی أتابع الرحلة إلی نیبال فی صباح ٧/ ابریل المصادف ٢٦ / رجب ١٤٠٦ھ ، فغادرت وارانا‌سی إلی كاتمندو علی متن الطائرة الهندیة ، وقد قیض الله سبحانه لی فی هذه الرحلة رفیقاً عزیزاً كریماً لا أكاد أنسی اهتمامه الذی غمرنی به طیلة مدة السفر وهو الأخ المحب الشیخ عبدالله عبد التواب مبعوث دار الافتاء إلی كاتمندو للدعوة، والمشرف علی الدعاة المبعوثین فی نیبال من دار الافتاء و الدعوة و الارشاد بالریاض ، فاعتبرت رفاقته المرتجلة من غیر تخطیط مسبق فضلا من الله خاصاً بی، فقد كنت ضیفاً علیه فی كاتمندو ، و خاصة حینما كانت البرقیة التی أرسلتهـا عن موعد و صولی لم تكن قد وصلت الشیخ محمد حنیف فكان یعانی من شدة الانتظار لكی یتعرف علی موعد وصولی إلی كاتمندو ، الأمر الذی جعله لم یتمكن من استقبالی فی مطار كاتمندو ، رغـــم وجوده فی العاصمة ، فلو لا الشیخ عبد الله عبد التواب معی لكنت قد واجهت بعض الصعاب فی كاتمندو، ولكنه كان رائداً لی فی كل مكان ، وهو الذی أنزلنی

فى بيت الأخ الحبيب الأستاذ عبد الوحيد الدهلوى ، الذى يقيم الآن فى كاتمندو للاسهام فى العمل الاسلامى هناك .

## فى كاتمندو ، لقاء مع الاخوة الكرام :

و إن انس فلن أنسى ذلك البشر الذى كان بادياً على وجهه حينما رحب بى فى منزله كضيف من غير معرفة مسبقة ، وما لبث أن هيأ لى الضيافة الكريمة من الطعام و الفراش ، وجلس معى يتحدث إلى ويفرح ، كأنه كان منى على ميعاد ، و من الغريب أن الطقس فى كاتمندو كان بارداً يدعو إلى الارتداء بالملابس الصوفيه ، و ما هى إلا ساعات إذ تراكمت سحب كثيفة و نزل المطر مما زاد الجو برودة حتى لمست مس الشتاء و اضطررت إلى شراء جاكتة صوفية فلبستها وأحسست بدفء ، و قد شرفنى بعض الاخوة الكرام بزيارتهم فى مقرى . و فى مقدمتهم الشيخ حياة حسين الندوى ، و الأخ الأستاذ محمد نعيم نوشاد ، و قد أخبرانى أن الشيخ محمد حنيف الندوى موجود فى كاتمندو ، و ينتظر برقتكم ، ولكنهما أرسلا إليه الخبر بوصولى إلى كاتمندو ، وبينما كنا كذلك ننتظر قدومه إذ جاءنا الأخ محمد حنيف ومعه الأخ محمد على الندوى والأخ جمال الدين الندوى ،فكان اللقاء عاطفياً ، و قد شكوت إليه عدم وجوده فى المطار و لكنه اعتذر و قال : إنه كان يتقلب على جمر من الانتظار ،وعدم وصول البرقية سبب له توتراً عصبياً ، فعاش لحظات قاسية جداً من الانتظار و اليأس دون أن يتوصل إلى نتيجه .

و قد زالت متاعب السفر برؤية الاخوة الكرام وقد شمل الجميع الأنس و السرور ، و قد كنت مهتما بمعرفـــة أحوال وسير الدعوة الاسلامية فى هذه البلاد ، و الاطلاع على النشاط الاسلامى فى هذا البلد الغـارق فى الوثنيـات و الخرافات ، فطلبت منهم أن يفيدونى بالمعلومات الصحيحة عن العمل الاسلامى

وعدد المسلمين فى نيبال جبالها وسهولها وحالتهم الدينية و الاجتماعية ، ولكن الشئ الذى أدركته من خلال أحاديثهم هو أن الجدية المطلوبة فى جمع الحقائق والأرقام لم تنل اهتمام المسلمين الموجودين فى ساحة العمل و الدعوة هنا ، فكانت آراؤهم مختلفة ، و لما سألت عما إذا كانت لديهم معلومات عن طلائع الدعوة الاسلامية فبدا أن هناك غموضاً يسيطر على التاريخ ولا يكاد أحد يبت فى المسألة بحقيقة واضحة موثوق بها .

فى الجامع النيبالى :

اتجهنا إلى الجامع النيبالى وقد كان على مقربة من مقرنا، أداء لصلاة العصر ، ومع انتهائنا من الصلاة مباشرة أعلن الأستاذ محمد نعيم نوشاد رئيس جمعية الشباب المسلم فى كاتمندو ، يقول : « إن ضيفاً من علماء ندوة العلماء فى الهند وصل اليوم إلى كاتمندو ، و ستكون له محاضرة عامة فى هذا الجامع بعد صلاة المغرب مباشرة » و كان الاعلان مفاجأة لى ، ففكرت فيما إذا تحدثت إليهم حول عطاء الاسلام الأكبر وهو التوحيد ، وخاصة فى جو وثنى خالص وظروف من الوسائط الوهمية بين الانسان و ربه التى تكبل الحياة بأغلالها الثقيلة و تسيطر عليها من كل جانب ، وقد ذكرنى نائب إمام المسجد بأن الليلة هى ليلة السابع و العشرين من شهر رجب وهى تعتبر ليلة المعراج فى أغلب الأحوال ، وهنالك تمثل موضوع الحديث أمامى .

رسالة المعراج :

و ألقيت بعون الله تعالى حديثا ، وقلت : إن الانسان قبل مجئ الاسلام كان يعيش جهالات وضلالات و من أخطرها أنه كان يؤمن بالوسائط من الأصنام و الأوثان بينه و بين ربه . رغم أن العالم لم يكن بمعزل عن الحضارة و المدنية فى ذلك الحين ولكنها لم تتمكن من إنقاذه من شقاء وذلة العبودية ألوانا وأنواعاً ،

ولم تساعده فی رفع مكانته ومعرفة ذاته، فسجل التاريخ من قصص الذل والاهانة و الشقوة ما لا يخفى على الخبير ، و إنما هو الاسلام الذى أزال جميع الحواجز الصناعية بين الانسان و ربه و وصله به بصلة مباشرة رفعته إلى درجة عالية من الشرف و السعادة ، وهو الذى استأصل جميع تلك الوكالات المزعومة التى كانت قائمة ،حينذاك بين الناس ، وتتولى ـ كما زعمت ـ قضاء حاجات الانسان برفع قضيته إلى الملكوت الأعلى ، ولو لا الاسلام لعاش الانسان مكبلا بأغلال العبودية والذل . وكلما ضعفت صلة الانسان بدين الفطرة أو انقطعت أحاطت به الأوهام و الأسقام ، وأرتمى إلى أحضان الأصنام والأوثان ، وطاب له العيش فى أوحال الشرك و الوثنيه ، و مقادر التيه و الحيرة و الغوايات ، و هذه هى رسالة المعراج و الاسراء ، حيث تم اللقاء بين الأرض و السماء ، وقضى على أسطورة الوسيطة و السمسرة بين الانسان و الرب ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

لقاء أخوى طيب مع المسلمين :

ومع انتها الحديث التقيت كثيراً من المسلمين . وتعرفت إلى بعض الاخوة ممن كانوا قد زاروا ندوة العلماء و حضروا إلى سماحة أستاذنا الكبير الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و من بينهم الأستاذ أحمد دين عضو البرلمان سابقاً و رئيس جمعية الاصلاح النيبالى ،وزوج بنته الأستاذ محمد شعيب أحد الضباط فى الوزارة المالية لدولة نيبال ، فتبادلنا التحية و جددنا ذكريات زيارته لندوة العلماء ، وطلب منا الحضور على الغداء عنده فى اليوم التالى ، و اللقاء بعد صلاة الظهر فى الجامع النيبالى .

و فى الصباح كنا على مائدة الأفطار السخية فى منزل الأستاذ محمد نعيم نوشاد ، و قد اجتمع الاخوة كلهم هناك وتمتعوا بألوان من الفطور والشأى الطيب ، ولما

وصلت إلى المقر جاءنى الأخ الأستاذ محمد شعيب فناقشت معـــه بعض اللمحات التاريخية لهذا البلد ، و خاصة فيما يتعلق بالحكام الهندوس الذين حكموا نيبــال ، و لكنه كذلك لم يتمكن من تحديد الفترة التى دخل فيهـا الاسلام إلى نيبــال ، و المسلمين الذين بلغوا دعوة الاسلام إليها ، ولكنه أشار إلى بعض الجوانب التى توحى إلى أن ذلك قد تم بين القرن السابع و الثامن الهجريين عن طريق بعض رجال التجـارة و أصحاب العلم و الدعوة ممن وصلوا إلى جبـال التبت قادمين من كشمير و أتوا إلى نيبال .

صلينا صلاة الظهر فى الجامع النيبالى ولقينا الأستاذ أحمد دين فى المسجد فطلب منا الجميع . أنا والأخ الشيخ عبد الله عبد التواب ، والشيخ محمد حنيف الندوى ، والأستاذ عبد الوحيد الدهلوى ، والأستاذ محمد نعيم نوشاد ، والشيخ محمد على الندوى و الأخ جمال الدين الندوى أن نركب إلى منزله على سيارته الخاصه ، و تغدينا عنده فى جو أخوى طيب ، و تجاذبنا أطراف الأحاديث حول حالة المسلمين فى نيبال ، و خاصـــة عن المسلمين الذين يقطنون الجبال . و اتفقنا معه على أن نزور بعض المناطق الجبلية ونلتقى المسلمين هناك ونراهم عن كثب ، و ذلك صباح يوم الاربعاء ٢٨ / رجب - ٩ / ابريل ١٩٨٦م .

زيارة بعض أسواق كاتمندو :

و فى أصيل ذلك اليوم قمنا بجولة لبعض المناطق العامرة بالأسواق والمتاجر الحديدة منها والقديمة ، وأحسست كأننى فى إحدى مدن الهند ، فالأوضاع التجارية متماثلة ، و الأسواق زاخرة بأنواع من السلع و البضائع و الحاجيات و معظمها مما يستورد من الصين و اليابان و الهند ، أما المنتجات النيبالية فهى نادرة ، ولكن الميزة الغالبة فى كل مكان إنما هو الهدوء ، و الامانة فى الوزن و الكيل ، كذلك

قضية الأمن و السلامة ليست مما يستنزف طاقات الحكومة ثم لاتجد لها حلا ، و إنما الهدوء و الأمن طبيعة أهل الجبال و خاصة جبال نيبال ، وقد وجدت أن المرأة لها مساهمه كبيرة فى الأمور الاجتماعية والاقتصادية ، فهى التى تقوم برعاية البيت وتهيئة الحاجيات وتربية الأولاد وبالبيع والشراء فى الأسواق، و قد لاحظت أنها لا تستحى مما إذا قامت بأعمال مرهقة، فالاحتطاب فى الغابات وحمل الرزمات الثقيلة على الظهور عادة شائعة لدى المرأة النيبالية ، كما أن لها حظاً فى التعليم و الثقافة فهى تتولى الوظائف فى الدوائر الحكومية و المدارس و المتاجر ( فى سوبر ماركيت ) .

و مررنا بمنطقة فى السوق تباع فيها اللحوم ، ولما سألت عنها أخبرونى بأن اللحم يعتبر الغذاء الرئيسى للنياليين ولا سيما القاطنين فى الجبال، وهم يأكلون لحم الجواميس والعنز و حتى الكلاب و الخنازير ( و الحمد لله على نعمة الاسلام ) و طريقه قتل الحيوان أنهم يكبلونه بالحبال ثم يضربون على رأسه بمطرقة حديدية كبيرة حتى يموت ، فيقطعون الجسد بحيث يصلح للاستعمال ، أما أكل لحم البقر فممنوع كليا ، ولا يمكن أحداً أن يتجرأ على ذبح البقر، فان جزاءه السجن لمدة ثمانية عشر عاماً ، و لذلك فان لحم البقر لا يتوفر فى نيبال رغم أن الشعب النيبالى غذاءه الرئيسى هو اللحم

الطريق إلى مدينة بوكهرا :

اتفقنا مع الأستاذ أحمد دين فى منزله على زيارة مدينة « بوكهرا » التى تعتبر مركزاً سياحياً كبيراً فى نيبال وتبعد عن كاتمندو بمائتى كيلو متر ، و لكن الطريق يمر من خلال الجبال والعقبات، وهو شارع مبلط لكنه لا يخلو من خطر ، إنه جاء إلينا بسيارته الخاصة فركبنا عليها متجهين إلى مدينة بوكهرا نحو الشمال الغربى و قد كان

كان رفيقنا فى هذه الرحلة الممتعة المفيدة أخونا الشيخ عبد الله عبد التواب ، و الأخ الشيخ محمد حنيف الندوى ، كنا نمر من بين الجبال الشاهقة ونستمتع من المناظر الخلابة ، و نستمع إلى أحاديث الأستاذ أحمد دين حول قضايا المسلمين و مشكلاتهم فى نيبال ، و كانت السيارات من كل نوع وحجم تتسابق ذاهبة و آئبة ، و نزلنا على حافه الطريق تحت شجرة لكى نستريح من متابعه السير قليلا ، و نتناول ما يتيسر لنا من غداء خفيف وماء بارد .

ثم تابعنا السير و مررنا بعد حين بمركز جبلى يشبه مستراحاً حيث تتوقف جميع السيارات ذهاباً و إياباً ، وينزل فيه الركاب يتناولون مرطبات وشاياً ومأكولات ، و اسم هذه المحطه ( منلنغ ) وهى تبعد عن العاصمه ١١٣ كيلو متراً ، وتصل بين المدن الجبليه و الميدانيه ، فهى ملتقى الجبال و السهول يمربها الجبليون إلى السهول و أهل السهول إلى الجبال ، وهى تخلو من كل علامة تشير إلى وجود المسلمين فيها فليس هناك مسجد ولا مدرسه ، ولم نلتق من المسلمين فيها أحداً ، غير أن ذلك نقص كبير جداً يسترعى انتباه المسلمين النيباليين .

سوق دمولى :

و استأنفنا المسير نحو « بوكهرا » وبعد نصف ساعة أو أكثر وصلنا إلى سوق ( دمولى ) وهى قرية عامرة تبعد عن العاصمة بمأة و خمسين كيلو متراً و فيها عدد لا بأس به من المسلمين ، نزلنا هنا و زرنا بعض المسلمين فى محلاتهم التجارية و قدموا إلينا مشروبات ، ثم تجولنا فى المنطقه والتقينا الناس ، وذهبنا إلى المسجد الذى بنى جديداً حيث صلينا فيه الظهر والعصر جمعاً بالجماعه . ولقينا هنا الشيخ محى الدين الذى يتولى شئون المسجد وفيه كتاب صغير يدرس فيه أولاد القرية القرآن الكريم ويتعلمون أمور الدين . وكانت بجوار المسجد أرض واسعة خصصوها لبناء المدرسة ،

و أخبرنا الأستاذ أحمد دين أنه بذل جهوداً كبيرة فى هذه المنقطة لجمع شمل المسلمين و بناء هذا المسجد و إقامة الكتاب فيه، و كان المسلمون يصلون فيها قبل ذلك فى بيت رجل وثنى استاجروه لأداء الصلوات فيه، كما كانوا يعانون من مشاق لدفن موتاهم نظراً إلى عدم وجود مقبرة هنا، فتابع الموضوع مع الحكومة النيبالية و استطاع الحصول على قطعة أرض فى سفح الجبل كانت متفساً للمسلمين لدى الحاجة، غير أن الشئ الذى لمسناه هو قلة الوعى الدينى، و شوائب البدع الموجودة فى حياة المسلمين هنا، ونرجو الله سبحانه أن يوفق الأخ أحمد دين وغيره من المسلمين لاصلاح شأنهم ونشر الفهم الصحيح للدين فى هذه المناطق الجبلية التى لها أهمية كبيرة فى هذا البلد الوثنى الخالص.

وتقع على بعد مسافة قليلة من هنا بعض القرى الجبلية حيث يبلغ عدد المسلمين فيها من سكان الجبال إلى عشرة آلاف، و من بينها قرية اسمها (تاروكا) و أخرى تعرف باسم ( بركوت ) و على بعد مسافة من هذه القرى قبل مدينة ( بوكهرا ) بعدة كيلو مترات منطقة مشهورة تعرف باسم ( كهيرى تار ) وعلى بعد عشرة كيلومترات منها يقوم المسلمون الآن بناء مسجد فى قرية (دولى غونده).

وكل هذه المناطق الجبلية تتمتع بصحوة دينية إلا أن المسلمين هناك فى أشد حاجة إلى توجيه دينى سليم فان غفلة قليلة ترميهم إلى أحضان الشرك و البدع و عبادة القبور، وتفسح المجال للانتهازيين من الخرافيين و المبتدعين الذين هم بالمرصاد، و الذين هم نشيطون جداً فى أداء مهمتهم، من التضليل و التشويه.

فى مدينة « بوكهرا »:

كنا فى مدينة بوكهرا قبل صلاة المغرب، حيث إننا كنا قد تفقدنا الوضع و استعرضنا حالة المسلمين فى القرى و المناطق التى وقعت فى الطريق، و لم يكن

الباعث علی زیارة هذه المدینة السیاحیة التی لها أهمیتها الکبیرة فی خریطة نیبال ، و تولیها الحکومة عنایة کبیرة نظراً إلی جمال الطبیعة فیها والجو الهادیء و البحیرة الجمیلة و المصائف الطبیة المثیرة التی تجذب السیاح و تسترعی اهتمامهم بها ، ولذلك فانها تعتبر من أولی المدن و أجملها فی نیبال ، و تأتی فی الدرجة الأولی من ناحیة کسب العملة الصعبة .

وتقع علی مقربة من « بوکهرا » قریة اسمها « کزهر » یسکن فیها نحو سبع مأة مسلم ، و فیها مسجد قدیم بنی منذ أربعین سنه ، وفیه مدرسة صغیرة یدرس فیها ٤٥ طالباً باشراف مدرس واحد ، زرنا هذه القریة وصلینا فی مسجدها صلاة المغرب ، والتقینا مع المسلمین هناك و تحدثنا معهم حول حالة المسلمین الدینیة ، و أدرکنا أن بعض الخرافات و البدع یتطرق إلیهم من غیر شعور ، ولعل ذلك بتأثیر الجهود المرهقة التی یبذلها أهل البدع والضلال فی هذه المناطق التی یجب أن تستخلص من تأثیرهم ، ولا یخفی هذا الواجب الدینی العظیم علی العلماء و الدعاة الذین ابتعثتهم دار الافتاء بالریاض و رابطه العالم الاسلامی بمکة المکرمة ، فی نیبال . للدعوة إلی الله و تصحیح العقائد ونشر تعالیم الکتاب والسنة بین المسلمین هناك ، مع توجیه الدعوة لدراسه الاسلام إلی غیر المسلمین کذلك

و فی مدینه بوکهرا مسجد آخر ذهبنا إلیه وصلینا فیه صلاة العشاء ، و هذا المسجد لا یزال فی دور البناء و هو جامع المدینة الکبیر تقام فیه الجمعة ویحضرها ثلاث مأة مصل یوم الجمعه ، وقد تولت بناء هذا المسجد جمعیة « الملة الاسلامیه » إحدی الجمعیات الاسلامیة الموجودة فی نیبال .

و بعد ما انتهینا من هذه الزیارة فی اللیل أردنا أن نرجع إلی العاصمة ، ورکبنا سیارة باص حکومیه من بوکهرا إلی کاتمندو ، و استغرقت هذه العودة اللیلة بکاملها ، وما وصلنا إلی کاتمندو إلا قبل صلاة الفجر بقلیل ، و حمدنا الله سبحانه علی السلامة و الغنیمة . ( للحدیث بقیة )

# صور و أوضاع

## ارتباط و انفصام

واضح رشيد الندوى

نشرت الصحف الهندية أخيراً إعلاناً من «المهاريشى» الذى وصفته الصحف بأحد الآلهه ، جاء فيه أنه يزمع على فتح صندوق للدعوة إلى الهندوكيه الفيدية فى العالم يكلف ١٥٠٠ مليون روبيه ، و يفتح بهذا الصندوق مركزاً لاعداد المبشرين الذين سماهم «بالبانديت الفيدى» و طلب المهاريشى من أثرياء البلاد بالمساعدة بهذا الاعلان الذى نشرته الصحف على الصفحات الأولى بعناوين بارزة ، وعبارة مشوقة ، تبرز أهميه الموضوع ، و تبعث الثقة فى صاحب المشروع ، و لا يكون غريباً إذا تدفقت الأموال و انهالت المعونات السخيه لتحقيق هذا الهدف ، فان الهند بلاد واسعه ذات ثروات هائلة ، يتواجد أصحاب الملايين ، و البلايين فى كل منطقة ، ومعظم هولاء الملايير يحملون اتجاهاً دينياً ، وهم الذين يمولون الحركات والمنظمات الدينيه و السياسيه للهندوس كهندو مهاسبها ، و وشوهندو بريشد ، و شيوسينا ، و منظمات ثقافيه كثيرة تنتشر فى البلاد ، وتسعى إلى إحياء الثقافة الهندية و وقاية التقاليد الهندوكيه ، و بفضل هذه المعونات بدأت أخيراً ترتفع معابد هندوكية على كل قارعة الطريق ، و على جانبي الطريق فى بعض الأماكن و يشاهد المارة أن المعابد تجذب الأثرياء أكثر من الفقراء ورجال الطبقات العلياء أكثر من الطبقات المتخلفه ، وتقدم فيها قرابين ، ما يقدر بمليارات من الروبية وقد اشتهرت عدة معابد كمعبد ونكتشيور ، مثلا بتدفق الأموال بحيث إن جامعة كاملة و عدة مدارس

و منظمات خيرية تمول بدخل المعبد و مثل هذا المبعد تتوفر فی البلاد ، معابد تجذب الأغنياء ويمنع منها الفقراء، فلا يكون من المستعبد أن يستجيب الأثرياء لهذا النداء ، و يمولوا هذا المشروع و يرسل الدعاة الذين يقدم المهاريشی باعدادهم إلی البلدان المجاورة للدعوة إلی الهندوكية .

وقد كان « وشو هندو پريشد » وهو منظمه نشأت أساساً لوقف المد الاسلامی قد وضع هدفه إنشاء صنـــدوق يقدر بخمسين مليون روبيه لانفاقها علی جذب الطبقات الفقيرة و المتخلفة التی تميل إلی المسيحية أو الاسلام ، و لربطها بالديانة الهندوكيه بالاغراء، ونشر كراهية الأديان الأخرى عن طريق المنشورات والكتب الاعلاميه . وإزالة شعورها بأنها اضطهدت علی يد الطبقات العليا ، ولا يخفی نفوذ المهاريشی فی عدد من البلاد الغربيـــة الراقيه ، حيث يسود التذمر فی الشباب و الأثرياء بسبب الترف .

و كانت نتيجه هـــذه المجهودات ، أن وجد فی الهند تيار لصيانة الديانة الهندوكية ، و مواجهه الاقبال علی الأديان الأخرى و تصعدت الحملة ضد الأقليات و ثقافتها و عقائدها .

و قـــد لعبت الصحافه التی تخضع لنفوذ الأثرياء و الرأسماليين كلياً ، دوراً كبيراً فی الدفاع عن الهندوكيه و محاربة الاسلام و المسيحية ، كما قامت الطبقة المثقفة بالثقافـــه العاليه و أصحاب المناصب دورها فی مساندة مثل هذه الحركات و ازداد نفوذ الرهبان .

وقد اعترف بهذا الاتجاه الزعيم الهندوكی المعروف بـ « بلراج مدهوك » فی أحد تصريحاته أن الشعور بكون هذه البلاد هندوكية وضرورة دمج العناصر الأجنبية إلی التيار الوطنی ، قد تصعد أخيراً و بدأ الناس يدركون ذلك ، وادعی أن حل

الأزمات التى تواجهها البلاد ، يكمن فى تغليب عنصر الأغلبية ، و دمج العناصر الاخرى إليه .

وفى الوقت نفسه أعلن الزعماء الهادك فى «أيودهيا» حيث سلم مسجد أثرى إلى الهنادك ، أن معبدا سيتم إنشاؤه بتكاليف تبلغ ٢٥٠ مليون روبية وطالب الزعماء الذين حضروا بمناسبة الاحتفال بعيد «رام نومى ، مولد راما» بانشاء جامعة هندوكية فى مسقط رأس «راما» لم يقتصر الحضور فى الحفل الدينى على رجال نشأوا فى المعابد ، أو «النات شالا ( مدارس دينية هندوكية ) وإنما تزعم هذه الحركة لاحياء الدين الهندوكى ، و السنسكرتية ، و استعادة المعابد ، و طمس معالم الحضارات الأخرى ، و الدعاية ضد العقائد و الأفكار غير الهندوكية ، رجال مثقفون بالثقافة العصرية ، و منهم من نشأ فى المدارس الغربية المسيحية ، و يشغل مناصب ، وقد كان فى قيادة وشو هندو بريشد الذى لعب دوراً حاسماً فى بث الوعى الهندوكى وزراء سابقون ، و ضباط مدربون على وسائل تعبئة الرأى العام .

كما قام بتدبير مؤامرة وضع التماثيل فى المسجد البابرى ، وإثارة هذه القضية رجال متقاعدون من السلك الادارى ، و يتزعم حملة محاربة الأحوال الشخصية الاسلاميه اليوم ، القضاة و المحامون ، و زعماء الحركات السياسيه ، و الصحفيون الكبار ، الذين جعلوا هذه القضية قضية قومية حاسمه كأنها حجر عثرة ، فقد أظهر معارضة مشروع القانون عن حقوق المرأة المسلمة المطلقة بدون احتشام ، المستر مرارجى ديسائى رئيس الوزراء السابق ، و المستر باجبائى وزير الخارجية السابق ، و المستر بهوغنا وزير البترول السابق ، و مدهودندوتى و رجال الحكم و السياسة السابقين ، علاوة على عدد من أدعياء الثقافة العصرية من المسلمين ، و معظمهم من المختلطين بالأغلبية ثقافياً . و اجتماعياً ، فصارت القضيه دائرة بين المتحفظين

من المسلمين ، ومن التف حولهم من المسلمين ، وبين ما تسمى بالطقة الليبيرالية ، و التقدمية و فيها المسلمون ، و الأغلبيون .

و من الغريب ، أن الحماس لنشر الدين الهندوكى ، و الدعوة إلى الاندماج إلى الثقافة الهندوكيه ، و محاربة الأحوال الشخصية ، و الدعوة إلى تحويل البلاد إلى بلد هندوكى ، و إنشاء جمعيات سرية و تنظيمات شبه عسكرية مخصصة لشباب الأغلبية ، و الهجوم علنا على العقائد غير الهندوكيه ، و المحاولة لاحياء حضارة الهند القديمه ، لا يحول أى قائد أو زعيم فى نظر الصحافة الراقيه إلى أصولى ، أومتزمت ، أو رجعى ، ولا يجعله فى نظر رجال الحكم خطراً على سلامة البلاد ، فان ديورس و بال تهاكرى وبلراج مدهوك يتمتعون بصلات طيبه مع كبار الزعماء و لهم نفوذ إلى وسائل الاعلام و الادارة ، فلم يكتب أى كاتب متحرر كبير ضد هذه النزعات و أصحابها ولم يصمها بالنعرات الرجعيه ، إلا قلة قليلة لا وزن لها كما أن المهاريشى ، ورامداس ، و سائين بابا ، و حروديو ، و غيرهم من النساك الذين يتولون الدعوة إلى عقائدهم ولهم مراكز تدريب ، لا يجدون اى مضايقه او قيود من أى طبقة ولا تفرض قيود على الانتماء إليهم على الموظفين الرسميين ، و إنما هم أحرار ، فى تمريناتهم و تدريباتهم و دعاياتهم ، ولا تشعر الحكومه أى خطر منهم ولا تشعر الطبقه المثقفه فى البلاد بخطر عودة البلاد إلى عهد الكهوف والانقطاع إلى العبادة ، حتى الاشتراكون لا يعتبرون هذه النشاطات خطراً للبلاد ، و على العكس كان الاشتراكيون فى مقدمـــه المعارضين لمشروع القانون ، و الصامتين على قضية المسجد البابرى .

إن هذه المظاهر تدل على ان الفصل بين الدين والثقافة والثروة لا يوجد فى الهند و أن الحكومـة الهندية لا تسلك سياسية إكراه الأغلبيـــة ، و إنما تتركها

حسب رغبتها وميولها، وقد قررت تبنى مشروع القانون حول حقوق المرأة المسلمة المطلقة ، لأنها علمت أن الأقلية المسلمة التى تخص بها هذه القضية ترغب فى سن مثل هذا القانون ، و لا صلة لهذا القانون بالأغلبية التى تعارضه بدون مبرر ·

فلا يوجد صراع بين الحكومة ورجال السياسة وبين رجال الدين وعواطفهم، فى الهند على عكس البلاد الاسلامية حيث تهدف جميع الأجهزة ، و العقول ، و الميول ، إلى قمع العاطفة الدينية ، و تعتبر كل حركة إسلامية و نشاط إسلامى خطراً على البلاد ، وذلك هو الوضع فى كل بلد اسلامى باستثناء بعض البلدان ، وخير دليل عليه ما نشرته المنظمات المسيحية بأنها ستحول اندونيسيا إلى بلد مسيحى فى مدة خمسين سنة ، و تحتاج لهذا الغرض إلى ١٢٠ مليون دولار لشراء ١٢٧ مسلم ، و تتمتع المسيحية بكل حقوق المواطنة الأصيلة و المساندة فى بلد المسلمين ، أما العمل للاسلام فهو رجعية و تخلف ، و خطر على البلاد ، و كل من يفكر فيه يتعرض لعقوبات ·

## بريطانيا تلك الدولة البائسة

من طبيعة الشغوفين بعمل أو مهنة ، أنهم إذا عجزوا عن ممارستها أحبوا أن يشاهدوا شخصاً آخر يقوم بذلك العمل و يبدى براعته و إبداعه فيه ، و إذا اقتضت الضرورة مساعدته وجد متعه فى مساعدته فى إنجاز ذلك العمل ·

يختلف هذا الشغف الذى يتطور أحياناً إلى عادة ، أو طبيعة بين علم ، و فن وصناعة ، وممارسة أعمال البطولة ، والرياضة ، والهندسة إلى جرائم خلقية ، كأعمال الشحاذة والشطارة ، و الخداع والمكر ، و اختلاس الأموال ، و الايقاع بين الناس ، و تزوير الكلام ، و أحداث الفتن ، وحمل بعض الناس على بعض،

حسب الطبائع البشرية ، وحسب ظروف النشأة ، فيقضى مثلا الشغوف بالألعاب الرياضية ساعات فى الحديث عن الألعاب و مشاهدة الألعاب ، و ينفق فيها مالا طائلا ، و يعقد المباريات ليشاهد اللاعبين ، و المتفرجين ، و يشاهد البهجة فى القلوب ، فلا يبالى إذا استطاع بانفاق ملايين من الدولارات فى عقد هذه الألعاب وإن أدى ذلك إلى إهمال فى واجباته القومية والعائلية ، كذلك الشغوف بالمصارعة يجد لذة بمشاهدة المصارعين والملاكمين ويهتز لكل حركة و يشعر كأنه هو البطل ، و إن كان شيخاً مسناً . و يقال إن مثل هذا الشغف يزداد عند ما يفقد الانسان قوته و سداد ذهنه ، و تقل مسئولياته التى تضبط تصرفاته .

و قد أشار إلى مثل هذه الطبيعة شاعر عربى بقوله .

و إنى لا أزال أخا حروب فان لم أجن كنت مجن جان ،

و كعادة الانسان أفراداً . تتصف بهذه الطبيعة أقوام و قد عرفت أقوام بنشر العلم و الحكمة ، و أقوام بنصرة المظلوم و إقامة العدل . و أقوام بالتجارة ، و الصناعة ، و أقوام بالثقافة و الحضارة ، و البناء و التعمير .

و قد عرفت بريطانيا ، بهواية مارستها مدة طويلة و لكونها أكبر قوة فى العالم فى عهد من العهود الغابرة إنها عرفت بطبيعة خاصة تميزت بها ، بين الأمم مدة طويلة فصارت من عادتها و ذوقها ، و هى طبيعة الايقاع بين الناس ، وإحداث فرص الشجار ، و القتال ، فأصبحت هوايتها إحداث الفتنة ، وإذا عجزت عن إحداثها لأنها الآن فى عهد الشيخوخة ، والعجز ، أعجبتها مشاهدة إحداثها والتحدث بها ، وتلك هى سيرة إذاعاتها ، و وكالات أنبائها ، و مخابراتها ، و كل من يسمع إذاعة بريطانيا يصدق أن الحديث عن إثارة الفتن من المواضيع المحببة لدى تلك الهيئة .

أما الحكومة البريطانية ، التى تحكم الآن شعباً بائساً طرد من كل أنحاء العالم ليعيش فى جزيرته الصغيرة فهى لا تستطيع الآن أن تستعمر الشعوب ، أو تضطهد الأمم ، أو تنهب الأموال ، كما كانت تعمل فى عهد استعمارها ، أو تشن حرباً لتحطيم اقتصادها ، أو تقسم بلداً إلى بلدان ، تجد لذة و متعة فى مشاهدة هذه الجرائم ، و تساند غيرها أو ترافقه أو تشجعه على ارتكابها ، و لو كان هذا التشجيع بصوت مرتعد ، و يد مرتعشة فى أيام شيخوختها .

لقد تصرفت بريطانيا مثل هذا التصرف فى تأييدها لأميريكا خلال الغارات على ليبيا ، فمنحت الدولة النازية قواعدها لتهاجم على بلد صغير كليبيا، ولم تخجل هى و لا أميريكا ، فى شن غارات مدبرة على دولة صغيرة ، تستورد الأسلحة ، وهى فى طور البناء، مما يدل على طبيعة الغدر، و إذلال الشعوب فى نفوس هؤلاء الحكام رغم الاستكانة والضعف الذى يصاب به الانسان فى الشيخوخة ، فيقبل على عمل وهو لا يقدرعليه ، و قد كان موقف بريطانيا فى هذا العمل كما وصف الشاعر :

و إنى لا أزال أخا حروب ، فان لم أجن كنت مجن جان ،

و لكن الشيخوخة لا تدوم فان كل نفس ذائقة الموت ، و ستواجه بريطانيا هذا المصير .

---

يقول الله تبارك و تعالى :

( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين )

( سورة البقرة الآية ١٩٤ )

---

# ضاع الصراخ سدى

للشاعر مهاجر بن عبد الله الصالحي

الجنة الفيحاء أضحت لا مقيل و لا معرس
و القدس يصرخ ياصلاح الدين عرضى قد تدنس
« كل البيوت تطهرت و أنا على شرفى منجس »
دهب الصليبيون لكن جاءنى أدهى و أنجس
راياتهم خفاقة و أنا الذى علمى منكس
أبييت قومى بالعراء و فرشكم باقات نرجس
و بساطكم من أصبهان و ثوبكم وشى و سندس
ضاع الصراخ سدى وضعت ، وضاع تاريخى المقدس

: : ٢ : :

جثموا على صدرى و قالوا لى سنسحق من تنفس
إن شئت أن تحيا فكن فيما تراه أصم أخرس
فى كل شبر نصبوا . . كلباً و رشاشاً و محبس
و الموت مرتقب الجبان و لو تدرع أو تترس
سجنوا رواننا كموا فانا و سدوا كل منفس
ضاع الصراخ سدى وضعت ، وضاع تاريخى المقدس

: : ٣ : :

الشمس ماتت و النجوم تناثرت و الليل عسعس
و أنا أسير كما يسير الناس أعمى قد تحسس
أصبحت أوحس خيفة من والدى و أراه أوجس
و أرى ابنى المحبوب يخشى أن أنم إذا تجسس
و أرى الذى جمع القمامة يحمل اليوم المسدس
ضاع الصراخ سدى وضعت ، وضاع تاريخى المقدس

: : ٤ : :

لوقت فی الآفاق أنظر من توحش أو تأنس
فادا أنا فی مسرح و إذا هو فی كل ملبس
صور كأطياف الخيال تصيح أنی لست ألمس
شاهدت هامات تداس و فوقها ذئب ترأس
و رأيت فيهم من تأله أو تنبأ أو تهوس
و رأيت من كفر الاله لعاية و طغی و دلس
و رأيت من أرخی العمائم و اللحی زورا و لبس
و رأيت من لبس العباءة و العقال و من تبرنس
و رأيت فيهم من تنصر مذ تأمرك أو تفرنس
الروح قفر و الفؤاد حجارة و الوجه أملس
تخذ التمرغ مذهبا و ديانة و هوی و ملبس
و بدا أمامی من تعنتر أو تخنث أو تخنفس
فنكرت معظم ما رأيت من الشخوص وكدت أيأس
وصرحت دون صدی بواد لا يصيخ فكيف ينبس
ضاع الصراخ سدی وضعت، وضاع تاريخی المقدس

: : ٥ : :

فی كل أرض زرتها صنم و ثالوث مقدس
و عبادة الطاغوت رجس و الألی عبدوه أرجس
قد هوموا و علا الغطيط و من صحا قد عاد ينعس
أنا ساهر فاذا صمت فانی الشيطان أخرس
و إذا نطقت فكل ما حولی يقول : الشيخ وسوس
ضاع الصراخ سدی وضعت، وضاع تاريخی المقدس

# قضية المرأة المسلمة المطلقة

صدر كتاب جديد حول حكم محكمة الهند العليا فى قضية المرأة المسلمة المطلقة و نفقتها ، بقلم الأستاذ شهاب الدين الندوى صاحب الأكادمية الفرقانية فى مدينة بنغلور ، شرح فيه جميع نواحى هذه القضية و تحدث عن اللهجة الانحيازية التى اعتمد عليها قضاة المحكمه العليا ، والتى يتجلى فيها حقدهم على الاسلام وشريعته ، و معارضتهم للقانون الاسلامى فى قضيه نفقة المرأة المسلمة المطلقة ، و أثبت بالبراهين القوية أن حكم المحكمة العليا لا يبتنى على الاتجاه العادل السليم ، و إنما يرادف التحريف فى شريعة الله و تغيير مقصد الشريعة فى مثل هذه القضية .

ومما يؤسف له أن الأغلبية الهندوسية أيدت حكم المحكمه العليا فى هذه القضية و ألحت على تطبيقها على المرأة المسلمة إذا طلقها زوجها ، رغم أن هذه القضية تخص أحوال المسلمين الشخصيه دون أن تكون لها أى علاقة بغير المسلمين فى أي حال، وقد تصدت شرذمه ممن يدعون أنهم مسلمون لتأييد حكم المحكمة العليا، قائلة : إن هذا الحكم لا يعارض شريعة الاسلام ، و هو يبتنى على العدل .

و نظراً إلى خطورة الموضوع فقد قابل أعضاء المجلس الأعلى لأحوال المسلمين الشخصية وعلى رأسهم سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى، رئيس الوزراء السيد راجيف غاندى ، و طالبوا التعديل فى حكم المحكمة العليا عن طريق قانون جديد يتخذه البرلمان ، و عرضوا عليه مسودة القانون فى ضوء الشريعة الاسلامية ، فوافق عليها رئيس الوزراء و قدمها فى البرلمان الهندى فى

أنشأها:
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله
في عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م
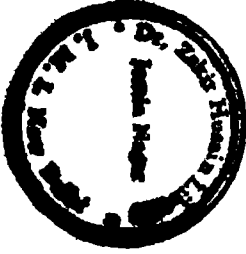
# البعث الإسلامي

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المجلد الحادي والثلاثون ★ ذو القعدة ١٤٠٦هـ — يوليو وأغسطس ١٩٨٦م ★ العدد الثالث

المراسلات:
البعث الإسلامي ندوة العلماء، ص ب ٩٣ - لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93,
LUCKNOW ( INDIA )

# فى هذا العدد



## استدراك خطأ :

نرجو تصحيح أخطاء مطبعية وقعت فى مقال ( حول مشكلة لحوم الاضاحى فى الحج )

ص ٥٤ - س ٨ - الخطأ : فاذا خالف هذا الترتيب بدون عذر يجب عليـــه الدم

الصواب : فاذا خالف هذا الترتيب يجب عليه الدم

ص ٦٠ - س ٢٠ - الخطأ : و إن الدم لا يقع من الله - و الصواب : و إن الدم ليقع من الله

الافتتاحيـــــــة :

# مقتطفات من صفحات التاريخ النيرة

« أضواء على الطريق » للاجيال المتلاحقة !

فى كل فترة من تاريخ المسلمين ظهر رجال الاصلاح والتربية على اختلاف مجتمعاتهم، ممن قاموا بدور كبير و مشكور فى مجال الاصلاح و التجديد الدينى، و تولوا تصحيح العقيدة و العمل، وبث الفكر السليم و المفهوم الأصيل للدين فى حياة الناس، ومن هؤلآء المصلحين من قاموا بأعمال جليلة أنقذت بعض الأحيان مجتمعات واسعة من أوحال المنكرات و الضلال، و بلداناً بأسرها كانت تعيش فى متاهات الحيرة و الشقاء، ولقد كفى مؤنة البحث عن أحوال هؤلآء الموهوبين و تسجيل مآثرهم الجليلة مؤرخو السير و التراجم، الذين أسدوا إلى الأمـــة الاسلامية بتوفير دروس من التاريخ تساعدها فى بناء السيرة وفى مجال التربية.

فى حياة أئمة الاسلام من المحدثين و الفقهاء و علمائه الأعلام الذين لقبوا بشيوخ الاسلام أكثر من دليل على العمل لاعلاء كلمة الله و إنارة الطريق للناس نحو تنفيذ شريعة الله فى الحياة فرادى و جماعات، و تعليمهم آداب الحياة و السلوك، و تفسير علاقاتهم بالله و بالانسان فى جميع الأحوال و الظروف، و قـــد كان وجود هؤلآء الأئمة و الأعلام فى المجتمعات الانسانية و فى فترات التاريخ المختلفـــه تحت خطة إلهيـــة مرسومة دقيقة وضعها الله سبحانه كنظـام تربوى للأمة على تعاقب الأجيال و الأعصار.

إذا تتبعنا هذا النظام التربوى وجدنا أنه قائم من عصر الصحابة و التابعين ومن تبعهم باحسان، نهض فيهم كبار الأئمة والعلماء و المحدثين و المربين والمجاهدين و الدعاة و المفكرين، و من بينهم الأئمة الأربعة و المحدثون الكبار الذين تولوا رفع صرح الأمة على أسس الكتاب و السنة، و مثلوا نماذج عملية حية للحيـاة

الاسلامية على مسرح التاريخ الاسلامى العظيم ، و لما تسرب إلى حياة المسلمين و مجتمعاتهم أفكار شاذة قليلة المساس بصميم الدين و تلتها الباطنية بألوانها المتعددة و نظرات فلسفية و آراء جدلية قيض الله لدحضها و إبطالها رجالا من علماء الاسلام و أئمة الفكر وحملة الكتاب و السنة و أصحاب العلم و التجربة ، وحسبنا كمثال ـ بعد عصور الأئمة و المحدثين ـ فى عصر متوسط الامام أبو حامد محمد الغزالى الذى قام بالرد على الفلاسفة الذين كانوا يهاجمون الاسلام و ينالون من قيمته ، إنه هاجم الفلسفة اليونانية و تناولها بنقد لاذع فاستطاع أن يدحضها و يزيل من النفوس هيبتها ، وتولى تجديد علم الكلام الذى كانت الفلسفة المادية قد أضعفته وأفقدت روحه ، ويدل على ذلك كتابه «تهافت الفلاسفة» الذى كان فيه الغزالى موفقاً مؤيداً من الله ، و هكذا انتهى مركب النقص الذى أصيب به المسلمون عامه وخاصه فى عصره ، وعادت الثقه بالاسلام من جديد إلى العقول.

ثم لما كانت فتنة التتار الهائلة وتأثرت الفلسفة الالهية الجديدة بالفكر اليونانى ـ التى كانت قد وضعت لمحاربة الفلسفه اليونانيه وإبطال الأفكار الزائفة ـ وتخطت حدودها فبدأت تبحث فى ذات الله وصفاته و قضايا ما وراء العقل بالاستغناء عن تعاليم الأنبياء و الاعتماد على عقول الفلاسفه و تخرصاتهم ، و ظهرت النصرانية بروح جديدة و حماس كبير تثبت أن المسيحيه هى الدين الحق ، و كذلك عادت الباطنية أقوى من ذى قبل ، وفشت فى المسلمين عقائد باطلة و أعمال شركية ، وعمت المغالطات و الانحرافات فى الطوائف الدينية فحاقت بالاسلام أخطار و مؤامرات تريد أن تحوله إلى ديانة محدودة بين طقوس و عادات و تقاليد محليه ، ظهر بأمر من الله و تقديره شيخ الاسلام أحمد بن تيمية لاصلاح هذا الوضع المهين ، و تجديد الدين ، و إعادة الثقه به بين القلوب ، ذاك أنه قد جمع الله فى شخصه خصائص كثيرة من العلم و العمل و جوانب قوية ذات أهمية كبيرة تؤهله لتمثيل الاسلام كاملا فى ذلك العصر و تجديد الفكر الدينى و تنقية العقائد من جميع شوائب الزيغ والشكوك و رواسب الشرك و الأوهام الباطلة التى كانت قد حلت فى النفوس و أضعفت عنصر الايمان بالغيب .

واستطاع بشخصيته القوية العملاقة أن ينجب جيلا من كبار العلماء والشيوخ يقومون معه وبعده باصلاح الأوضاع الفاسدة و يصورون الدين النقى الواضح من خلال أعمالهم وأفكارهم وسلوكهم و اهتماماتهم ، ويجددونه فى واقع الحياة وبالتطبيق العملى ، ذلك كشيخ الاسلام الحافظ ابن قيم الجوزية ، والحافظ بن رجب الحنبلى و ابن عبد الهادى و ابن كثير وقاضى الجبل ، و ابن الوردى و غيرهم ممن تخرجوا فى مدرسة شيخ الاسلام ابن تيمية ، و أدوا واجب التجديد الدينى فى كل عصر ومجتمع ، وكلما حدث فى المجتمع الاسلامى الواسع محدثات من الأمور والأفكار نالت من أصالة الدين و جوهرة العقيدة ، أو وجدت فئات من المفسدين و الملحدين تصدوا لقمع أباطيلهم و تزييف أفكارهم وآرائهم بكل ما كانوا يملكون من قوة وتأثير ، و لم يطمئنوا ما لم يهدموا كل فتنة ، عقلية كانت أو نقلية تهدد بقاء الدين و حضارته .

و كمثال فقط لنعـــد قليلا وبعد فترة من الوقت إلى بلاد الهند ، حيث كان الامبراطور المغولى « أكبر » يتحكم فى رقاب المسلمين ، وكان مغروراً بالقوة والسيطرة، وسول له الشيطان أن يتمرد على الدين و رجاله ولا يخضع أمام الدين الاسلامى الذى يمثله العلماء و الشيوخ ، بل يجب عليه أن ينادى بدين إلهى جديد و عقيدة جديدة تؤكد له القوة و الغلبة وقد ساعده فى ذلك من التف حوله من بعض العقلانيين الأذكياء الذين نادوا بدستور جديد للحياة مع بداية الألف الثانى للهجرة ، و ما أرادوا بذلك إلا أن ينالوا عطفـــه و قربه ، و بالتالى تخضع لهم السلطة و تسبح بحمدهم و تقدس لهم .

فى مثل هذا الجو المكهرب بالمخططات الرهيبة ضد الاسلام والظروف الخطيرة شاءت الحكمة الالهية أن تعد العدة الكاملة لصد هـذا التيار الالحادى الجارف ، وتخلق رجلا عظيماً يستطيع أن يقـاوم هذه الفتنة الجديدة التى تولاها « أكبر »

و أعوانه و يعيـد الماء إلى مجاريه ، فيجدد الدين ، و يطهره من رواسب الشرك و العقائد الباطلة التى انتشرت فى عهد الامبراطور ، وحلت محل العقيدة الاسلامية الأصيلة ، و ذلك هو العالم الربانى الكبير مجدد الألف الثانى للتاريخ الاسلامى فى الهند ، الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندى فقد وفقه الله لهذا العمل الجليل ، وأعد على يده وتحت تربيتـه جيلا من العلماء و الدعاة الذين تولوا اقتلاع جذور البدع و الخرافات والمنكرات و الشركيات من المجتمع الاسلامى فى الهند ، وقاموا بازالة آثار الفساد و الباطل التى غيرت الحياة الاسلاميه بالحياة الجاهله ، وشوهت وجه الدين الجميل .

وظهرت نتائج مجهودات هذا الجيل فى تربية رجال يجمعون بين علوم الكتاب و السنه و السيرة الزكيـة ، و يربطون العلم بالعمل ، و المصحف بالسيف ، فيمثلون الاسلام فى صورته الجامعه الحقيقية ، ذلك لأن الاهمال فى الجمع بين الجانبين يحدث اتجاهات خاطئة فى المجتمع ، وسرعان ما يختل الاتزان ويقع الناس فريسه الضلال و الطغيان ، مثل ما حدث فى أيام الامبراطور المغولى ، و هنالك برزت جماعات العلماء و المحدثين و الفقهاء و المفسرين ، كان فى طليعتهم الامام أحمد بن عبـد الرحيم الدهلوى ، ذلك المحدث العظيم الذى بدأ عمله بنشر العلم الصحيح للكتاب و السنة ، وعكف على التعليم و التربية و الكتابة و التأليف حتى أصبح إمام المحدثين و العلماء فى هـذه البلاد ، ونشأ أولاده النجباء و أحفاده على دراسة كتاب الله و سنة رسوله ، فتمكنوا من إعـداد مكتبة إسلامية ضخمه و تأسيس مدارس للعلوم الدينية تقوم بترويج العلم الصحيح ، ونشر الدين الخالص ، وغرس العقيدة الصحيحة السليمة فى قلوب المسلمين ، مع الاعتناء بالجانب العملى و الجمع بين العلم و العمل و الايمـان و السلوك ، مع تربيـة عاطفـة الكفاح و الجهـاد فى سبيل إعلاء كلمة الله .

ومنذ ذلك الوقت فقد انتشرت مدارس العلم الدينى فى الهند ، واتجه المسلمون إلى

تلقى العلوم الاسلامية ومفاهيم الدين الصحيحة من علمائهم ، واستطاعوا أن يميزوا بين الحق و الباطل ، و بين السنة و البدعة ، و اطلعوا على ما ينسجه المغرضون من أفكار زائفة للوصول إلى أغراضهم باسم الدين ، أو بمحاربة الدين ، و لكن أتباع الشيطان و تلاميذه لا يرضون بالقعود و السكوت ، و إنما يتحركون وينشطون فى صد المؤمنين عن الطريق ، وتحبيب ما ليس من الدين بأسماء لامعة جميلة ، إلى النصوص (وتلك سنة الله فى تشحيذ همم العاملين و تقوية عزائم الدعاة و المصلحين ) فتفاقم الفساد و تسربت الأفكار الزائفة و المنكرات إلى مجتمعات المسلمين ، وشطت قوى الكفر والطغيان للزحف على قلاع العلم و الايمان ، وهى تتحدى أهل العلم و الصلاح فى المسلمين ، و كان الوضع يتطلب القيام بالجهاد لاعلاء كلمة الله والهجرة فى سبيله ، إذ قيض الله سبحانه الامام المجاهد السيد أحمد ابن عرفان الشهيد و أنصاره لمواجهه هذا الوضع و الاعداد للجهاد و الهجرة فى سبيل الله ، وفعلا نجح السيد الامام فى خطته و أشعل الثورة ضد أعداء الدين و جاهد معهم جهادا كبيراً ، حتى فاز بالشهادة فى سبيل الله ، وخلف وراءه جماعة من العلماء والدعاة والمصلحين قاموا على الدرب و « صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

و فى نفس هذه الفترة و الأوضاع المتماثلة ظهر فى نجد شيخ الاسلام محمد ابن عبد الوهاب الذى قاوم تحركات الزيغ و الضلال وفئات الهدم و الفساد من أولى البدع و الشرك و المنكرات و تولى تطهير الجزيرة العربية بوجه خاص من الأفكار الخبيثة و العقائد الباطلة التى كانت قد استحكمت قبضتها على النفوس ، وحلت فيها محل الايمان و العقيدة ، و استطاع أن يقوم بتجديد الدين بفكره النقى الذى أكرمه الله به ( رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ) .

هذه عدة أمثلة رائعة من تاريخ المسلمين و صفحات نيرة من مجهوداتهم المخلصة فى سبيل إعلاء كلمة الله ، و إعداد العدة لصيانة العقيدة الاسلامية والمفاهيم

الایمانیة من تأویل الجاهلین و تحریف الغلاة و المبطلین ، فقد وجدت فی كل عصر عناصر الانتهازیة والغلو و الفساد التی تعبث بالدین و تتخذه لعبة بین الجهلة و مرضی القلوب ، و هی لا تتوخی من وراء ذلك إلا متاعاً قلیلا من حطام الدنیا ، لیس غیر .

فلو لا هولآء الرجال الذین أعدهم الله لهذا العمل الكریم ، و وفقهم للقیام فی وجه المنكر بأی لون كان ، لما عاش المسلمون مبیضی الوجوه ، و لما ورثوا الدین نقیاً طاهراً من رواسب الجاهلیات و الأنانیات ، و لذلك فاننا مدینون بهم فی إیماننا و عقیدتنا و فی صفاء أفكارنا ، و إن علینا منة كبیرة لهم فیما نعیش فیه من عز و سعادة ، و ما نتمتع به من تاریخ زاهر للمآثر و البطولات و الجهاد و الانتصارات فی كل مجال .

و من ثم فان لهولاء الأئمة و الأعلام من رجال الاسلام حقاً كبیراً علی كل عصر تابع ، و علی الأجیال المتلاحقه التی حظیت بنعمه الدین الخالص والعقیدة الصافیة ، و إن أداء هذا الحق والوفاء بواجب الشكر لا یتم إلا بأن نعرف الجمیل ونرد علیه بالجمیل ، ذلك أن نركز علی بناء أنفسنا و أجیالنا علی الأساس العملی المرن المتین الذی وفروه لنا ، ونراعی جمیع تلك الجوانب المهمه التی تتكفل برفع هذا البناء علی الشكل الكامل المطلوب ، لكی نتمكن من أداء الوظیفة بنهایة من الدقه و الأمانة ، ونقدم للعالم كله نموذجاً عملیاً حیاً للمسلم الذی یتمثل فیه دینه كاملا .

و نحمد الله سبحانه علی ان المجتمعات الاسلامیة فی العالم الاسلامی و فی الهند بالذات تتمتع بالنماذج الطیبة للعظام من الرجال الذین ضربوا أمثلة رائعة فی سبیل الكفاح الدینی وتغلیب شریعة الله علی الأهواء والشهوات ، وسجلوا صفحات مشرقة فی تاریخ المسلمین الدینی ، ومثلوا بطولاتهم بأصدق آیات الاخلاص والطهر والعفاف ، ولم یبالوا فی ذلك لومة لائم ( لیجزی الله الصادقین بصدقهم و یعذب المنافقین إن شاء أویتوب علیهم إن الله كان غفوراً رحیماً ) ❁ .

سعید الأعظمی

التوجیہ الاسلامی

# الامام مالك و كتابه الموطأ !

سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى

وضع هذا البحث سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى لتقديمه فى مؤتمر الامام مالك الذى عقد مؤخراً فى مدينة أبو ظبى باشراف سماحة القاضى الشيخ أحمد عبد العزيز آل مبارك رئيس القضاء الشرعى فى أبو ظبى، و قدمه فى المؤتمر سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوى نيابة عن سماحة الشيخ الندوى، يتصدر به هذا العدد من المجلة نظراً إلى قيمته العلمية و تعميماً للفائدة المطلوبة ( التحرير )

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين، محمد وآله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم باحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

حضرة صاحب السماحة القاضى أحمد بن عبد العزيز المبارك حفظه الله :

حضرات السادة الفضلاء، الأساتذة الأجلاء، و الاخوان الأعزاء :

يسعدنى و يشرفنى أن أكتب هذه العجالة لاحراز شرف الاسهام فى المؤتمر الذى يتشرف بالنسبة إلى إمام دار الهجرة، الامام الجليل مالك بن أنس عليه رحمة الله و رضوانه، و يزيدنى شرفاً و سعادة أن أقوم بهذه المهمة الشريفة فى مدينة الرسول ﷺ و دار هجرته و وفاته، و فى بلد الامام مالك نفسه، فيكون ذاك نوراً على نور، ويزيدنى سروراً على سرور، وإن كان ذلك فى حالة الارتجال، و على تشتت بال و تزاحم أشغال .

اسمحوا لى أيها السادة أن أبدأ هذا الحديث بمقتطفات من الجزء الأول من سلسلة كتابى «رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام» لأنها تلقى أضواء على أهمية العمل الذى

تم علی أیدی مدونی الحدیث الشریف، ومدونی الفقه الاسلامی فی فجر الاسلام، و فی مقدمتهم و علی رأسهم الأئمة الأربعـة و المجتهدون - و فی طلیعتهم الامام مالك - و علی الأخطار التی کانت تهدد بقاء الاسلام، کدین عملی وتشریع خالد عالمی، و قانون واضح مرسوم للعبادات و المعاملات، و نظـام منسق للعلاقات و المدنیه و الحیاة الاجتماعیة، أخطار تعرضت لها أمم و دیانات فقد فیها تدوین تعلیمات أنبیائهم و سیرهم وحدیثهم، أو تأخرت فیها عملیة تدوین الفقه و الأحکام فی ضوء الـکتب السماویة والتعلیمات النبویة، کما کان الشأن فی الدیانة الاسرائیلیة و الدیانة المسیحیـه، فضلا عن الدیانات التی فقدت الـکتب السماویة و تعلیمات الأنبیاء الموثوق بها فی عهدها الأول، و جهل تاریخها، و أحاطت بها هالات من الأساطیر والافتراضات، والشائعات والخرافات، وإلیکم ما سبق فی بیانه باختصار:

« لقد خرجت هذه الأمه - بفضل الدعوة الاسلامیـة التی عمت الآفاق و تخطت الحدود، و بفضل الجهاد الذی أخضع نصف المعمورة للاسلام - من طور البداوة و البساطة و الانحصار فی دائرة ضیقة جغرافیـة، و مجتمع صغیر، إلی طور الامبراطوریة العظیمه

و قد کانت قارة إفریقیه تحت وصایة الاسلام و إدارته، و تدخل فی هذه الامبراطوریة الاسلامیة أقطار و بلاد من أرقی البلاد فی العـالم و أعرقها فی المدنیة و العلوم.

و کانت هذه الحـکومة العظیمه تواجه بطبیعة الحال، تطورات کثیرة سریعة بحکم الاختلاط بالعناصر المختلفة، و المدنیات الـکثیرة، و تواجـه شؤوناً جدیدة و مشاکل عدیدة فی التجارة و الزراعة و الجزیة و الخراج، و تواجه من مسائل البلدان و الأقطار التی یفتحها الاسلام و یحکمها المسلمون، الشیء الـکثیر، و تجد

من عادات أهلها و تقاليدهم و اجتماعهم ما يتنافى مع الاسلام كثيراً ، ويتفق معه قليلا ، و كان الحكم فى كل ذلك مما لا يمكن تأخيره أو الاعراض عنه ، وكانت هذه النواحى كلها تتطلب الحل الحاسم السريع ،وتمتحن كفاية هذه الآمة الفكرية ، و صلاحية التشريع الاسلامى لمسايرة العصر و المدنية وشؤون الاجتماع البشرى ، و كانت الحكومة فى حاجة ملحة إلى دستور شامل كامل ، و كان الجهاز الادارى لا يمكن إيقافه عن السير ، أو تعطيله عن الحركة فى انتظار التشريع .

فادا تكاسل العلماء فى الاجتهاد و الاستنباط ، و آثروا الراحة على العمل و الكدح ، أو ضعف إنتاجهم و جمدت قريحتهم ، التجأت الحكومة ـ تحت وطأة حاجات الحياة العملية و مطالبها ـ إلى أن تقتبس النظم الرومية والفارسية ، و تطبق القانون الرومانى و الايرانى على المملكة الاسلاميه : فكان ذلك يجر على هذه الامة شقاءاً طويلا ، لأنها تحرم سيادة القانون الاسلامى ، و بركات المجتمع الاسلامى ، و يكتب عليها أن تعيش مسلمة متدينة فى مساجدها ، جاهلية أو لا دينيه فى بيوتها و أسواقها و محاكمها ، كما هو الواقع فى البلاد و الدول التى ديانتها الرسمية النصرانية ، و ليس عندها تشريع مسيحى كما هو واقع ـ مع الأسف و الخجل ـ فى البلاد و الدول التى تدين بالاسلام فى العقيدة والعبادة ، ولا تدين به فى التشريع و القانون ، و إذا ساغ ذلك فى النصرانية التى لا تملك الثروة الدستورية ، و لا تلح على تطبيق الدين على الحياة ، فانه لا يسوع فى الاسلام الذى هو دين و دولة ، و عقيدة و سياسة ، و عادة و اجتماع ، فكانت الأمة تجتاز مرحلة خطيرة دقيقة فى حياتها ، و قد وقفت على مفترق الطرق ، و كانت الغلطة الواحدة ، أو العثرة الخفيفة ، كافية لقطع صلتها عن الحياة الاسلامية و الاجتماع و النظم الاسلامية ، و تفرض على الأجيال القادمة أن تعيش حياة ليس فيها إلا نصيب ضئيل .

و كانت الأمة لا تستطيع أن تتفادى هـــذا المصير المؤلم المظلم ، إلا إذا كانت مصادر التشريع ، و منابع الفقه الاسلامى ، محفوظة من الضياع ، ميسورة للانتفاع ، و أهم هذه المصادر ـ بعد القرآن الذى لا يخاف عليـــه من الضياع و التحريف ـ هو ( الحديث ) الذى هو مصدر منظم ، وثروة زاخرة لاستنباط الأحكام ، و لا يعرف التاريخ سيرة نبوية أوثق من هذه السيرة ، و أحراهـــا بالاعتماد و التعويل ، و يصح أن يسمى سجل الوقائع اليومية ، و شبه (مذكرات) إذا صح هذا التعبير ـ لمدة ثلاث و عشرين سنة قضاها النبي ﷺ بعد ما أكرمه الله بالنبوة على ظهر الأرض، ترينا كيف كان الرسول ﷺ يعيش فى هذه الحياة، و كيف يقضى نهاره و ليله .

ثم إن الحديث ميزان عادل يستطيع المصلحون فى كل عصر أن يزنوا فيه أعمال هذه الأمة و اتجاهاتهـا ، و يعرفوا الانحراف الواقع فى سير هذه الأمة ، و لا يتأتى الاعتدال الكامل فى الأخلاق والأعمال ، إلا بالجمع بين القرآن وبين الحديث ، الذى هو يملأ هذا الفراغ الذى وقع بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، و هذه الفجوة لا بد منها فى السنن الالهية ( و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ) ( إنك ميت و إنهم ميتون ) فلولا الحديث الذى يمثل هذه الحياة المعتدلة الكاملة المتزنة ، و لولا التوجيهات النبوية الحكيمة ، و لو لا هذه الأحكام التى أخذ بها الرسول المجتمع الاسلامى لوقعت هذه الأمة فى إفراط و تفريط ، و اختل الاتزان ، و فقـد المثال العملى الذى حث الله على الاقتداء به ، بقوله ( لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ) وبقوله : ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ) و الذى يطلبه الانسان و يستمد منه الثقة والقوة فى الحياة ، و يقتنع بأن تطبيق الأحكام الدينية على الحياة ميسور و واقع .

كذلك كانت الأمة فی حاجة ملحة إلی حركة تدوين الفقه ، و قد اضطرت التطوارات التی طرأت علی المجتمع الاسلامی ، و اتساع رقعة المملكة الاسلامية ، و تعقد المدنية و طرافة المسائل و الحوادث ، و انشعاب الحياة ، إلی استنباط المسائل و استحراج النتائج ، و ترتيب الجزئيات و الفتاوی .

و قد خرج الاسلام من الجزيرة العربية - حيث الحياة بسيطه و المدنية محدودة - إلی بلاد مخصبه واسعة ذات المدنيات القديمه ، والآفاق الواسعه ، كالشام و العراق ، و مصر ، و ايران ، و قد توسعت الحياة الاجتماعية ، و تعقد نظام التجارة و الادارة ، و قد كانت مهمه تطبيق أصول الاسلام علی هذه المسائل و الحوادث ، و إخضاع الحياة المدنية لروح الاسلام و أسسه تطالب ذكاءاً فائقاً و فهماً دقيقاً ، و اطلاعاً واسعاً علی المجتمع العصری الذی كان المسلمون يعيشون فيه ، و إلماماً كافياً بعلم النفس و الطبيعه البشرية ، و خبرة واسعة بطبقات الأمه و نواحی الحياة العامه ، يضاف إلی ذلك الاطلاع الواسع علی تاريخ الاسلام ، و الوقوف علی مصادره و أصول التشريع الاسلامی ، مع الرسوخ والتضلع فی اللغه العربيه التی نزل بها القرآن و نطق بها الرسول .

لقد كان من لطف الله بهذه الأمه ، و كان من التيسير ، أن قيض لهذه المهمه الجليلة رجالا يعدون من الأفذاذ و النوابغ الذين أنجبتهم الانسانية ، فقهاً و أمانة . و إخلاصاً و كفاية . كان منهم هؤلاء الأئمة الأربعة ( أبو حنيفة م ١٥٠ه ، و مالك م ١٧٩ه ، والشافعی م ٢٠٤ه ، و احمد بن حنبل م ٢٤١ه ) الذی قدر لفقههم أن يعيش إلی هذا اليوم و يخضع له العالم الاسلامی ، و قد فاق هؤلاء فی فهمهم الدقيق الواسع ، و وقفوا حياتهم و استعملوا مواهبهم بسخاء فی تكوين هذه الثروة الفقهية و القانونية ، التی لا تعادلها ذخيرة فقهية فی العالم ، و التی لا تزال مرجعاً و مادة واسعه للتشريع لهذا العصر ، و قد توفر هؤلاء علی

هذه الخدمة التي تدين لها الأمة ، و يدين لها العالم ، و آثروها على كل راحة و لذة وجاه و منصب فى الحياة ، و قد خاب ملوك عصرهم و أمراؤه ، و خابت الأطماع و الاغراءات أن تشغل قلوبهم ، أو تتوزع عقولهم و أوقاتهم ، و قد عرض على أبي حنيفة منصب القضاء الذى كان منصباً كبيراً وشرفاً عظيما مرتين ، فرفض و امتنع و مات فى السجن ، وقد ضرب مالك مائتى سوط لأجل مسألة جهر بها و خلعت كتفاه ، و هى أن طلاق المكره ليس بشئ ، و قد قضى الشافعى معظم حياته فى عسر و ضنك ، و بذل صحته وقوته فى استنباط الأحكام و تدوين الفقه ، و عارض أحمد بن حنبل اتجاه حكومة هى كبرى الحكومات و أقواها على ظهر الأرض فى عصره ، و دافع عن السنة و الفكر الصحيح حتى عوقب وعذب و ضرب و سجن .

و قد أنتج كل واحد منهم ثروة علمية ، و خلف تراثاً فقهياً ينوء بالمجامع العلمية و المؤسسات الكبيرة فى هذا العصر ، فقد روى أن أبا حنيفة قال ستين الف مسألة ، و قال بعضهم ثلاثة و ثمانين ألفاً : ثمانية وثلاثين ألفاً فى العبادات ، و خمسة و أربعين ألفاً فى المعاملات ، و قد ذكر شمس الأئمة الكردرى : أن عدد المسائل التى دونها يبلغ إلى ست مائة ألف ، و مهما كان العدد مبالغاً فيه فلا شك أنه أنتج ثروة فقهية ضخمة ، هى أساس هذا الفقه الحنفى الذى استطاع أن يحكم المساحه الكبرى فى المملكة الاسلامية أيام ازدهارها ، و يكون دستور مملكة هى أرقى المملكات فى عصرها ، و هى الدولة العباسية .

و كذلك شأن مالك فى الفقه ، فكتابه ( المدونة ) الذى هو مجموعته الفقهية ، تبلغ نحو ستة و ثلاثين ألف مسألة ، و « كتاب الأم » الذى هو من إفادات الشافعى ، مجموعة فقهية ضخمة تقع فى سبعة أجزاء ، و قد جمع أبو بكر الخلال ( م٣١١هـ ) مسائل الامام أحمد فى أربعين مجلداً سماه « الجامع لعلوم الامام أحمد » .

لقد كان وجود هؤلاء الفقهاء المجتهدين والمشرعين فى قرون الاسلام الأولى، برهاناً ساطعاً على صلاحية هذه الأمـــة للبقاء و الانتشار ، و قد وجدت بفضل مساعيهم و نبوغهم وحدة الأمة العملية ، فى اجتماعها و معاملاتها و سياتها المالية ، و هذه الوحدة عامل مهم من عوامل الوحدة الدينية و الفكرية ، و بذلك أمنت هذه الأمـــه من تلك الفوضى الاجتماعيـــة و التشريعية التى أصيبت بهـا الأمم و الديانات فى عهدها الأول ، و التى تدرجت بها إلى حياة لا دينية تسير فيها على النظم اللادينيه أو تقتبس التشريع الأجنبي الثائر على روح دينها ومبادئه ، وألجاتها إلى التمسك بمبدأ « فصل الدين عن السياسة » الذى هو الخطوة الأولى الحاسمـــة إلى الالحاد و الارتداد (١) .

اما كتاب المؤطا للامام مالك ، فكتفى فى بيان فضله و منزلته فى مجاميع الحديث الشريف و مصادر الفقـه ، و ما يمتاز به من قبول من الله و إقبال من أهل الصناعة و الاختصاص فى فنى الحديث و الفقه ، بمـا قاله حكيم الاسلام الامام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولى الله الدهلوى ( م١١٧٦هـ ) الذى انتهت إليه رئاسة تدريس الحديث الشريف و نشره فى ربوع الهنـــد ، و ليست المدارس التى ظلت معنيه بخدمه الحديث تدريساً و تخريجاً و تربيه لحملته و ناشريه ، و حركة التأليف و الشرح ، و حركات الاصلاح و التجديد ، و نشر السنة السنية و الرد على البدع و تقاليد الجاهليه الهندية ، و القيام بالجهاد الاسلامى و النهوض بالمسلمين ، إلا امتداداً لدوره فى تاريخ الهند و العالم الاسلامى فى عصره (٢) .

يقول رحمة الله عليه فى مقدمة كتاب المصفى شرح المؤطأ ، أما بعد : فيقول الفقير إلى رحمة الله الكريم ( ولى الله بن عبد الرحيم ) العمرى نسباً ، الدهلوى

(١) « رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام » الجزء الأول مقتبساً من ص ٩٤ إلى ص ١١٣ .

(٢) راجع كتابنا « الامام الدهلوى » الصادر من دار القلم الكويت .

وطناً ، أنه قد حصل لى تشويش فى القلب بسبب اختلاف مذاهب الفقهاء وكثرة أحزاب العلماء و تجادبهم ، كل واحد عن الآخر إلى جانب ، و ذلك لأنه لا بد من تعيين طريق للعمل ، و التعيين بلا مرجع سفسطة ، و وجوه الترجيح كثيرة ، و العلماء قد اختلفوا فى تقريرها إجمالا وتفصيلا اختلافاً فاحشاً ، فتشبثت ذات اليمين و ذات اليسار بلا طائل واستعنت بكل أحد بلا جدوى ، فبعد ذلك توجهت إلى الله سبحانه و تعالى متضرعاً و قلت « لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين » « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات و الأرض حنيفاً و ما أنا من المشركين » فألهمت الاشارة إلى كتاب ( الموطأ ) تأليف الامام الهمام حجة الاسلام ، مالك بن أنس ، و عظم ذلك الخاطر رويداً فرويداً .

و تيقنت أنه لا يوجد الآن كتاب ما ، فى الفقه أقوى من موطأ الامام مالك ، لأن الكتب تتفاضل فيما بينها ، إما من جهة فضل المصنف ، أو من جهة التزام الصحة ، أو من شهرة أحاديثها أو من جهة القبول لها من عامة المسلمين أو من جهة حسن الترتيب و استيعاب المقاصد المهمة و نحوها ، و هذه الأمور كلها موجودة فى الموطأ على وجه الكمال ، بالنسبة إلى جميع الكتب الموجودة على وجه الأرض الآن (١) .

لقد انشرح صدرى و حصل لى اليقين بأن الموطأ أصح كتاب يوجد على وجه الأرض بعد كتاب الله ، و كذلك تيقنت أن طريق الاجتهاد و تحصيل الفقه ( بمعنى معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ) مسدود اليوم ( على من رام التحقيق ) إلا من وجه واحد ، وهو أن يجعل ( المحقق ) الموطأ نصب عينيه ، ويجتهد فى وصل مراسيله و معرفة مآخذ أقوال الصحابة والتابعين ( يتتبع كتب أئمة المحدثين ) ثم يسلك طريق الفقهاء المجتهدين ( فى المذاهب ) من تحديد

---

(١) المسوى ص ١٧ .

مفهوم الألفاظ و تطبيق الدلائل وتبيين الركن و الشرط والآداب ، واستخلاص القواعد الكلية الجامعه المانعه و معرفة علل الأحكام ، و تعميمها و تخصيصها ، وفقاً لعموم العلة و خصوصها و أمثال ذلك ، و يجتهد فى فهم تعقبات الامام الشافعى و غيره ( كتعقبات الامام محمد فى موطئه و كتاب الحجج ) .

ثم يجتهد ( فى تطبيق المختلفات أو ترجيح الأحسن منها ) و يتمكن من تحصيل اليقين بدلالة الدلائل على تلك المسائل ، أو يغلب الظن و الرأى بمعرفة أحكام الله تعالى (١) .

و ما قلناه : إن طريق الاجتهاد مسدودة إلا من هذه الجهه ، الباعث على ذلك أن الأحاديث المرفوعة وحدها لا تكفى جميع الأحكام ، بل لا بد لها من آثار الصحابة و التابعين ، و لا يوجد كتاب جامع لهذا و ذاك الآن ، و يكون مع ذاك مخدوماً من العلماء و نظر فيه نظار المجتهدين طبقة بعد طبقة غير الموطأ ، و هذا أمر لا يحتاج إلى دليل عند من عرف الكتب المأثورة التى هى أصول الشرع ، و علم أيضاً كلام أهل العلم فيها وأنظار المجتهدين فى شرحها ، أما المغفلون من أبناء هذا العصر الذين هم معرضون عن هذا الأمر بالكلية و مسوقون مثل الابل المخطومة لا يدرون إلى أين يذهبون ، فهولاء فى واد آخر ، و لا يمكن تكليفهم بمهم هذه الأمور

خلق الله للحروب رجالا　　و رجالا لقصعة و ثريد (٢)

و يقول فى ( وصاياه )

( عند ما يحصل التمكن من العربية ، فليدرس الموطأ برواية يحى بن يحى المصمودى ، و لا يعرض عنه أبداً ، فانه أصل علم الحديث وتدريسه يحمل فوائد جمة ، و قد حصل لنا سماع المؤطا كله بالرواية المتصلة (٣) .

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩ . (٢) ص ٣٠ . (٣) الوصايا بالفارسية ص ١١ .

و لا نتصدى بعد ذلك للحديث عن جوانب أخرى من عظمة الامام مالك الاجتهادية والفقهية ، والمكتبة الغنية العملاقة التي تكونت في شرح كتابه «المؤطأ» في الحديث و « المدونة » في الفقه ، و من نهض في المدرسة الفقهية و الأصولية و الحديثية ، من نوابغ و أعلام في المشرق و المغرب ، و خصوصاً في الحزام الغربي الشمالي من قارة إفريقيا ، الممتد من ليبيا إلى الغرب الأقصى ، إلى بلاد الأندلس في أوربا ، الذي خصه الله و أخضعه - لحكمة يعلمها - للمذهب المالكي ، و ما دون هنا من كتب فريدة في المكتبة الاسلاميه العالمية ، فمن المتوقع المؤكد أن يتحدث عنها أصحاب الاختصاص في هذا المذهب و في تاريخ تدوين العلوم ، و أقتصر على ما كان لعلماء الهند المشتغلين بالحديث والفقه من قسط وافر ونصيب غير مقوص في شرح « المؤطأ » في شبه القارة الهندية ، و أنقل هنا ما جاء في كتاب سيدي الوالد العلامه السيد عبد الحي الحسني ( المتوفى ١٣٤١ هـ ) ( الثقافه الاسلاميه في الهند ) إذ هو المصدر الأكبر فيما يتعلق بالخدمات العلمية و المؤلفات الكبيرة و الصغيرة لعلماء الهند ، منذ دخل الاسلام في الهند إلى وفاة المؤلف ، أضيف إلى ذلك ما تم بعد وفاة المؤلف من التأليف في هذا الموضوع ، يقول المؤلف رحمه الله و هو يذكر شروح « المؤطأ» التي تحقق تأليفها و وصفها في شرح المؤطأ يقول رحمه الله تعالى :

« فمن ذلك المصفى شرح المؤطأ بالعربي للشيخ يعقوب أبي يوسف البناني اللاهوري ، والمحلى شرح المؤطأ بالعربي للشيخ سلام الله بن شيخ الاسلام البخاري الدهلوي ، و المسوى شرح المؤطأ بالعربي للشيخ الأجل ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي ، اقتصر فيه على شرح الغريب و بيان المذاهب ، و المصفى شرح المؤطا بالفارسي للشيخ ولي الله المذكور ، صنفه على وجه الاجتهاد و التحقيق ،

و صححه وهذبه بعد وفاته صاحبه الشيخ محمد أمين الولى اللاهى ، وفرغ من تهذيبه فى الثامن عشر من شوال سنة ١١٧٩ه ، و هداية السالك إلى مؤطا الامام مالك للمفتى صبغة الله بن محمد غوث الشافعى المدراسى ، و التعليق الممجد على مؤطأ الامام محمد للمولوى عبد الحى بن عبد الحليم الأنصارى اللكهنوى ، و شرح جزء من أجزاء المؤطأ للقاضى بشير الدين العثمانى القنوجى ، و كشف المؤطأ شرحه بالأردو للمولوى وحيد الزمان اللكهنوى (١) .

أما الكتب التى ظهرت بعد وفاة مؤلف « الثقافة الاسلامية فى الهند » فمن أهمها « أوجز المسالك فى شرح المؤطأ الامام مالك» فى خمسة أجزاء للعلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى ، وهو كتاب موسوعى معترف به فى أوساط العلماء ، و عند علماء المذهب المالكى بصفة عامه ، و كتاب « دليل السالك إلى أطراف مالك » للشيخ محمد حليم آل عطا السلونى شيخ الحديث بدار العلوم ندوة العلماء سابقاً ، لم يطبع بعد ، و « اليواقيت الثمنة فى أطراف عالم المدينة » للمؤلف المذكور ، لم يطبع بعد ، و منها « حياة إمام مالك » للعلامة السيد سليمان الندوى و هو خير ما ألف فى حياة إمام دار الهجرة و خصائصه ، و خصائص مدرسته الفقهيه و كتابه المؤطأ ، صدر من دار المصنفين « أعظم كره » فى « أردو » عرف به كثير من أهل الهند منزلة الامام بين أئمة الاسلام .

و صلى الله على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

---

(١) « الثقافة الاسلامية فى الهند » ص ١٥٠ .

من كنوز القرآن الكريم :

# السماوات السبع و خلقهن

فضيلة الشيخ عبد الله أكديره

قبل الشروع فى الحديث عن صلب موضوعنا هذا أود أن نتفق على مبادىء هامة لا غنى عنها لكل مؤمن طلعة متعطش إلى معرفة دينه وتدبر كتاب ربه المسطور، و إلى التدبر فى كون ربه المنظور ، و هذه المبادىء هى :

١ـ القرآن كتاب الله تعالى الذى أوحى به إلى عبده و رسوله سيدنا محمد ﷺ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا يتغير ولا يتبدل، ولا يزيد و لا ينقص ، ولا يتطور ولا يخلق ولا يبلى على كثرة الرد ، ولا يناقض بعضه بعضاً ، و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

٢ـ القرآن كتاب هداية و دين و توحيد و تعبد لله الواحد الأحد و تشريع للناس فيما يصلح أمور معاشهم و معادهم .

٣ـ القرآن جعل من العلم وسيلة واحدة من وسائله الكثيرة الجليلة العظيمة للاتصال بالله تعالى والاهتداء إليه ، وهذه الوسيلة ـ أى العلم ـ هى فى نفس الوقت تصريف للطاقات الانسانية فيما يأتى بالخير العميم على الانسانية جمعاء فاذا اتفقنا على أن العلم مجرد وسيلة وأداة لا أكثر ولا أقل، فانه حينئذ سيكون أداة و وسيلة نافعة لمن يحملها و يستخدمها له و لغيره من الناس . . وقد تكون أداة ضارة مؤذية أشد الضرر و أبلغ الأذى لمن يحملها و يستخدمها و لغيره من الناس .

و ضرر العلم أو نفعه رهينان بحسن استخدام هذا العلم أو إساءة استخدامه، و على هذا الأساس فأنا لا أشك أنكم ستصلون معى إلى النتيجة التالية : و هى أن القرآن ينبغى و يجب أن يتخذ كشهيد و رقيب و معيار بوحى منه . و على أساس هداه و إرشاده و توجيهه يكون استخدام العلم . . . و العكس غير صحيح اطلاقاً أى أن العلم لا يمكن أن يتخذ كمنطلق ينبغى على أساسه تطبيقا لكتاب الله و سنة رسوله .

فالقرآن ـ و هذا مثل واحد فقط من أمثلة عديدة ـ يقول فيه تعالى :
و لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » :
بل إذا شئنا أن نذهب إلى أبعد من هذا نجد أن الله تعالى يقول فى محكم كتابه :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا » فالقرآن ثابت لا يتغير و لا يتبدل لأنه كلام الله تعالى الذى يدعو إلى العدالة المطلقة مع الولى و مع العدو على السواء ، فلا يصح ـ فى حكمه ـ أن يكون البغض حاملا على الظلم و ذاك يطبق على معاملات الأفراد و معاملات المجتمع الاسلامى مع غيره من الدول، والعدالة مع العدو رأينا أن النص القرآنى يصرح بكل قوة وثبات و وضوح ـ أنها أقرب للتقوى ـ إذن فسمه الاسلام، الدين الذى جاء به القرآن هى: التوحيد و العدالة، بل إننا نجد أن الآية الثانيه التى استشهدت بها سابقاً تتضمن أمراً صريحاً من الله سبحانه للسلمين بأن لا يبدأوا بقتال حتى يقاتلهم الغير و إلا كانوا معتدين و الله لا يحب المعتدين ، و لا شك أنكم تدركون معى مدى الهول الذى يكمن خلف كلمتى « لا يحب » لأنها لا تعنى سوى فصم عرى علاقة المحبة والمعرفة بين العباد و ربهم ، و هى العلاقة التى ما أنزل الله تعالى كتابه الكريم إلا من أجل

ربط أواصرهـا قوية متينة . أما العلم ، فكما أنه اخترع الدواء الشـافي و اكتشف الكثير من وسائل تيسير العيش للانسان ، فهو كذلك قد اخترع الأسلحة الفتاكة المدمرة واستخدم من الأدوية الشافية و المسكنة للآلام الانسانية وسائل لتحذيرهم ، و تصوروا معى العلم الانسـانى فى تقدمه الحالى طليقاً من كل الضوابط و القيود و القيم التى تواضع الناس على احترامها . . تصوروا معى ماذا كانت ستؤول إليه حال البشرية ! و الهول الذى ستكون فيه ! بل ألقوا معى نظرة فاحصة على حال البشرية اليوم رغم هذه القيود والضوابط والقيم المتعارف عليها ، الحروب فى كل مكان، المجاعات ، الفقر ، المرض ، ولنحاول أن نتصور لو أن الناس بدل أن يطبقوا قواعد و ضوابط مستوحاة من أهوائهم و عملوا على استلهام كتاب الله و تطبيق شرائعه فى كل أمورهم و علاقاتهم ، ما الذى ستكون عليه حال البشرية ؟ .

إذا كانت الأمور كذلك ، فان من أهم الأسس التى ينبغى أن نحرص عليها فى فهمنا لكتاب الله تعالى : أن نعمل على أن نخضع العلم لكتـاب الله و ليس العكس ، فكتاب الله ثابت و العلم يتطور و يتبدل ، و كتاب الله من لدن حكيم عليم لا تخفى عليه خافية .

و العلم عمل إنسانى يعتريه من الضعف والقصور و التغير ما يعترى كل فكر إنسانى . . و القرآن لا تناقض فيه ، و لا يمكن أن تعارض فيه آية آية أخرى ، و العلم تناقض فيه نظريات نظريات أخرى ، بل قد تهدمها من أساسها و يبقى بعد ذلك أن نجعل من إيماننا بالله قيمة علمية عظمى و هى أساس كل قيمنا الأخرى ، عليها نبنى أسس تصرفاتنا فى كل أمورنا صغيرها وكبيرهـا ، لأن القرآن نفسه علم ربانى لا يؤتيه الله تعالى إلا لمن أراد به خيراً و ألهمه رشده ، وقد صدق الصادق

المصدوق حيث يقول فى الحديث الصحيح : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين و يلهمه رشده » و ما هو الدين إن لم يكن هو كتاب الله و سنة رسوله ﷺ .

إذا اتفقنا على الأسس و المبادىء السابقة ، و خصوصاً المبدأ الذى أعتبره هو الركن الركين منها جميعاً ، و هو أن لا نلوى عنق آيات الله تعالى الواردة فى كتابه الكريم لنخضعها لنظريات أو كشوف علمية وقتية قد يأتى زمن نقضها أو تجاورها عاجلا أم آجلا . . .

فالقرآن هو الذى يفسر النظريات العلمية و يعضدها و يساندها إذا اتفقت معه اتفاقاً كلياً ، و إلا فهى واهية لا أساس لها و المستقبل أمام كل مكابر ، و الزمن كشاف و كفيل باظهار وهنها و ضعفها ، أقول : إذا اتفقنا على هذا فسيكون بامكاننا جميعاً أن نقول بملء أفواهنا : إن عبادة الله تعالى لا تكون عبادة حقاً إلا بالعلم ، العلم الذى يجعلنا نتفكر فى خلق السماوات و الأرض ونحن نقول : « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » العلم الحق الذى أمرنا به القرآن وعلمنا إياه هو فى حد ذاته عبادة ، عبادة تتركب من فكر و تأمل و دعاء وليس مجرد عبادة تقوم على طقوس و حركات جوفاء خاليه من كل معنى ، فالعبادة فى أسمى معانيها عمل ، ولهذا النوع من العبادة خلق الله الجن و الانس ، عبادة العمل بعد العلم و مع العلم ، و هى بذاتها التى قال فيها ربنا عز و جل : « و ما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون » و العمل حين يكون صادقاً خالصاً مخلصاً لوجه الله وابتغاء مرضاته لا يأتى إلا بأحسن النتائج و أطيب الثمار ، وذلك هو ذاته الاحسان أى أن نعبد الله كأننا نراه ، و أن نعلم علم اليقين أننا و إن لم نكن نراه عز وجل فانه يرانا ، و هو لا بد محاسبنا على كل ذرة من خير نعمله و على كل ذرة من شر نقترفه .

والاحسان بهذا المفهوم هو العدل ، العدل الذى هو ضد الظلم ، الظلم الذى

حرمه الله تعالى على نفسه و جعله بيننا محرماً ، و أمرنا ألا تتظالم .

الاحسان بهذا المفهوم هو أن نعرف الله حق المعرفة عن طريق معرفة مخلوقاته و آثاره سبحانه و تعالى فيها و أفضاله و نعمه عليها ، فالعلم و المعرفة إذن بهذا المفهوم القرآنى إنما هى محض العبادة وإلا فلماذا نجد أن القرآن يكرر تساؤله الانكارى فى مواضع عديدة منه : أفلا تبصرون ؟ أفلا تعقلون ؟ أفلا تذكرون ؟ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟ .

كان لا بد من هذه المقدمة أو المدخل حتى استطيع أن أخلص معك إلى الحديث ، عن خلق السماوات السبع ، و عن خلق الأرض ، ولا بد أن يكون حديثنا دعماً بالأسباب العلمية الحديثة التى تدعونا إلى الايمان بالله تعالى إيماناً راسخاً مكيناً و أن نستخدم عقولنا فى هذا الايمان والحق أننا بهذا لن نكون إلا مدعمين لايماننا و مجددين له لأننا أصلا مؤمنون راسخو الايمان والحمد لله . ولكننا نحتاج فى إيماننا إلى كثير من التدليل الذهنى والاقتناع الفطرى إلى نوع من الايمان العلمى القائم على فهم الكون فهما حقيقيا يؤدى إلى الحقيقة التى تظهر جلية فى الآية الكريمة التالية : « أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ؟

هذه الآية التى تثبت أن الله تعالى هو الذى يشهد على الأشياء ، و ليست هى التى تشهد عليه . و هو سبحانه الذى يعطى هذا الوجود بكل ما فيه مغزاه و معناه . و لله المثل الأعلى . إن الالكترونات المتدفقة فى التيار الكهربائى هى الدليل على وجود الكهرباء و نورها و منافعها . و هى الأصل فى وجودها رغم استحالة رؤيتها ، ولقيمة العلم العظمى الذى يدل على الله وعلى وجوده قال سبحانه : « قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون » « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

و قبل الخوض فى موضوع خلق السماوات السبع وما فيهن بحول الله تعالى و بعون منه سبحانه ، أقول محذراً و مذكراً من أن نجعل إيماننـا قائماً على مجرد مجادلات علمية أو فكرية قد تخطئ و تصيب رغم أهميتها حين تدعم بالقرآن لأن القرآن هو الملاذ الوحيد لأنه كلام الله الذى تطمئن إليه أرواح البشر الظامئة ، وأعود فأقول : يدفعنى إلى ركوب هذا السبيل الصعب إيماننا جميعاً بأن ديننا يحث على العلم بأن ربنا يثيب على التعليم والتعلم أكثر مما يثيب على التعبد المجرد، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد كما قال رسول الله ﷺ ، إن كل علم حق يبدأ بتساؤل و حيرة وشك ، و ينتهى ببحث و افتراض ثم يقين وثبات ، و أول سؤال نطرحه فى موضوعنا هذا هو .

ما حقيقة هذه السماء ؟

و جواب تساؤلنا هذا يبدأ بالنظرة البديهيه الحـائرة التى تستند إلى حواس الانسان العالية التى زود بها كآلات أولية للمعرفة و العلم ، فاذا استخدم الانسان الحاسة الوحيدة التى يمكن بواسطتها أن يستكنه أسرار هذه السماء و يسبر أغوارها وهى البصر المجرد فانه لن يستطيع التوصل إلى أكثر من أنها هى هذه القبة الزرقاء و المضيئة شمسها نهاراً ، و السوداء تلمع نجومها و يسطع قمرها ليلا ، ولـكن المسلم يملك إلى جانب بصره المجرد كتاب ربه الهادى إلى الصراط السوى و المنقذ من الحيرة و ضلالة الشك ، فاذا تلاه متدبراً مزيلا الأقفال عن قلبـه ، فانه سيجد أن كتاب الله قـد استعمل مصطلح السماء لعدة مسميات مختلفة ، و قد أحصاهـا قبلنا سلفنا الصالح من المفسرين : فنجد أن القرآن الكريم قـــد أطلق اصطلاح السماء المظلة العظمى التى تعلو الأرض كسقف أو قبة مبنية بناء متيناً ليس فيه وهن و لا صدع و لا شك ، و قد قال الله تعالى فى هذا المعنى فى سورة الأنبياء :

«و جعلنا السماء سقفاً محفوظاً» فهی سقف للارض کسقف البیت، و یعنی القرآن الکریم، بلفظ السماء فی موضع آخر السحاب الممطر الذی ینزل منـــه الماء علی الأرض فیحییها فتنبت باذن ربها من کل زوج بهیج ونافع، وفی هذا یقول: عزوجل فی سورة الأنعام «وهو الذی أنزل من السماء ماء، فأخرجنا به نبات کل شئ».

وفی موضع آخر من کتاب الله الحکیم نجد أنه عز وجل یعنی بلفظ السماء المطر ذاته، ونجد هذا المعنی فی قوله تعـالی من سورة نوح: یرسل السماء علیکم مدراراً» وکتاب الله تعالی نزل بلسان عربی مبین، و لهذا فهو فی کل هذا یوافق فی المعانی التی أتی بها للفظ السماء ما عرفه العرب الفصحاء البلغاء من معانی السماء، و دلالاتها، فنی قوامیس اللغة العربیة ومعاجمها نجد أن السماء تعنی ما یقابل الأرض، و السماء من کل شئ ما علاه وأظله، و تعنی السحاب و المطر، و تعنی العشب لأنه یکون عن السماء أی المطر، و تعنی السماء فیما تعنیـــه فی المصطلح القرآنی السماوات السبع الطباق أو إحداهن، و فی المعنی الأول وردت الآیة الکریمة من سورة الغاشیة:

«أفلا ینظرون إلی الابل کیف خلقت؟ وإلی السماء کیف رفعت؟» وفی المعنی الثانی وردت الآیة الکریمة من سورة الملك.

«و زینا السماء الدنیا بمصابیح»:

یقول الله عز و جل فی سورة النحل: «والله أخرجکم من بطون أمهاتکم لا تعلمون شیئاً، و جعل لکم السمع و الأبصار و الأفئدة لعلکم تشکرون» أی أن الله تعالی یرید منا فی هذه الآیة أن یکون وجود کل مؤمن منا مرتکزاً علی دعامتین متینتین، هما: الایمان والعلم، و هاتان الدعامتان قائمتان علی أرض صلبة ثابتة من أجهزة ربانیة جهز الله تعالی بها هذا الانسان، هی: السمع والبصر والأفئدة بقصد تحقیق الغایة من خلق الانسان علی هذه الأرض و تحت هذه السماوات،

و هذه الغاية ذكره و شكره و حسن عبادته ، وهذا الذكر و الشكر و حسن العبادة لا يكون إلا بالعلم الهادى القائم كما سبق أن اثبتنا على تدبر كتاب الله المسطور الذى هو القرآن الكريم ، و كذلك على التفكر فى كتاب الله المنظور الذى هو الكون الفسيح من حولنا ، و الذى ما خلقه الله باطلا .

إذا كان الاسلام يحث على العلم و التعلم ، و يعدهما فريضة على كل مسلم و مسلمة ، فان من واجب كل مسلم أن يسعى إلى التعلم و اكتساب العلم ، بل النبي ﷺ عد طالب العلم فى منزلة المجاهد ، إذا كان الأمر كذلك فلنبحث جميعاً عن معنى السماء عند علماء الفلك فى عصرنا هذا الذى تطور فيه علم الانسان :

« معنى السماء عندهم تعنى هذا الكون المادى العظيم من حولنا بكل ما يجمعه من أفلاك و نجوم » فالسماء عندهم إذن هى هذا الكون ـ المادى ـ وأكرر « الكون المادى » بأرضه و سمائه ، وهى عبارة عن فضاء واسع رحب فسيح لا تحيط بمداه المناظير المكبرة مهما بلغت قوة التكبير فيها ، و به من النجوم و الكواكب ما لا يمكن حصره ، وإن مدارات هذه الكواكب و النجوم طبقات متباعد بعضها عن بعض ، تفصلها مسافات شاسعه ، و إن بعض هذه الكواكب و النجوم أكبر من بعض ، إذا كان العلماء يضعون لمدى علمهم بالكون من حولهم حدوداً مادية ، و هم على صواب كبير فى تحديدهم هذا ، لأن علم البشر قاصر على إدراك الأمور المادية التى تستطيع حواسه وإدراكه المحدود أن تتوصل إليها بعينها ، و إلى آثارها فيهما حوله ، أو فيه هو نفسه

أما الأمور الغيبيه غير المشهودة ، و منها السماوات السبع « بمفهومها الدينى الذى تعرفنا عليه من خلال حديث الاسراء و المعراج ـ مثلا ـ فاننا منهيون عن القول فيها بتكهناتنا أو آرائنا غير المستندة إلى سلطان مبين من علم يقينى نقلى عن

كتاب الله أو حديث صحيح ثابت متناً وسنداً عن المعصوم رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى . . . وليس معنى أن نقيد عقولنا فلا تبحث ولا تستقصى و نعطل ما جهزنا الله تعالى به من أسماع و أبصار و أفئدة ، لأن هذا يستوجب غضب الله و سخطه و عقابه ، و إنما المنهى عنه فى الاسلام هو الجدل و المراء فى الأمور المشتبهات الغيبيات كذات الله و ملائكته و نوع كلام الله و حلقه أو قدمه ، و المحاولة القاصرة المتعسفة لجعل بعض آيات القرآن الكريم تنطبق على بعض النظريات أو الاكتشافات العلمية الحديثة التى لا يدعى لها عالم حق أنها ثابتة أو نهائية . . إلى ما يريده ما الله جل جلاله هو أن نبحث بحثا علمياً حقاً فى آيات الله تعالى فى أعضاء الانسان و مشاعره وقواه العقلية و انفعالاته النفسية ، و آياته سبحانه فى الجماد و النبات و الحيوان ، و الهواء والماء و البحار و الغازات التى تتركب منها هذه المواد وغيرها . وسنن النور و الكهرباء و الهيئة الفلكية . . . و غير ذلك من الأمور المادية ، و أن يكون بحثنا العلمى فى هذه الأمور مرتكزاً على الأسباب المطردة و الوسائل المعقولة والمجربة ، وكمثل لنوع أو أنواع الشطط التى ذهب إليها الناس فى محاولاتهم لتفسير القرآن الكريم تفسيراً خاضعاً لوسائلهم المحدودة القاصرة ما ذهب إليه الأقدمون من علماء الهيئة و رصد الكواكب من أن السماوات السبع الطباق هى نفسها تلك السبع السيارة : القمر ، عطارد ، الزهرة ، المريخ ، المشترى ، زحل ، الأرض . . . فلما كشف العلماء الكوكبين السيارين « أورانس و نبتون » تبين لهم و لغيرهم أن مبلغهم من العلم جد هزيل وأن علم الانسان مهما بلغ كمن أدخل أصبعه فى بحر ، فلينظر بما سيخرج به أصبعه من ماء هذا البحر المحيط ؟ .

يقول تعالى : « الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن

من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا و هو حسير » .

الحق أنى لم أجد — رغم بذل الجهد فى البحث و التحقيق — تفسيراً شافياً كافياً مقنعاً لتحديد ربنا سبحانه للسماوات بأنها سبع طباق و لكنى مع ذلك أرى من واجبي أن أورد بعض التفسيرات التى رأيت أنها أقرب إلى الصواب من غيرها ، رغم أنها ستبقى فى نظرى مجرد تخمينات ظنية لا تغنى عن الحق شيئاً ، و أورد أولا تفسير السيد خلف محمد الحسينى من كتابه القيم المفيد رغم صغر حجمه ، و عنوانه : « دليل الحيران فى آيات من القرآن » ، يقول باختصار :

لم لا — لاحظوا معى هذا التساؤل الظنى ؟ — لم لاتكون السماوات السبع هى طبقات الفضاء التى تسبح فيها الاجرام الكثيرة التى لا ترى كلها ، و أن كل طبقة من الفضاء — لاحظوا معى أنه يستعمل لفظ الفضاء رغم أنه ليس فى الكون فضاء بالمعنى الحقيقى لكلمة فضاء — تضم أو تجمع كواكبها و نجومها و مجراتها فى محيطها ، و أن السماء الدنيا منها هى أقرب السماوات السبع إلينا ؟ و الذى يحملنى على هذا الاعتقاد — و أنا أقول إنه مجرد ظن — هو تكرير القرآن العظيم لعدد السماوات فى آيات كثيرة ، و لا شك أن تكرار عددها يدل على التأكيد كما هو معروف » .

و أرد عليه فأقول : إن الشك ليس فى العدد ، و لكن الشك هو فى ظنه بأن هذه السماوات السبع هى طبقات الفضاء بأجرامها . . . و يمضى فيقول : « كما أن فى قول تعالى : « وزينا السماء الدنيا . . . » أى القريبه منا إشارة إلى أن هناك سماء أو سماوات بعيدة عنا غير سمائنا الدنيا التى تظلنا ... و أن حديث

المعراج المتواتر لدليل آخر لدليل آخر عـــلى أن عدد السماوات سبع ، لاحظوا أنه لا يثبت ظنه أو اعتقاده كما شاء هو أن يسميه ، بل يثبت الثابت وهو العدد الوارد فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، ويمضى فيؤكد ظنه أخيراً بقوله :

« و كذلك تعدد المجرات فى أعماق الفضاء ، و تباعدها ذاك التباعد الذى كشفت عن بعضه المنـاظير المـكبرة الفلـكية لهو دليل آخر على تعدد السماوات ، و ما المجرات إلا وحدات الـكون التى تضم كل منهـا ما يزيد على مائة مليون نجم ، و أقرب مجرة إلينـــا المجرة التى فى سمائنا الدنيا التى تجمع عدداً كثيراً من النجوم يزدحم فى أرجائها و يكون ما يشبـــه السحاب ، و يضىء ضوءاً خافتاً يعرف باسم طريق التائة . . . و توجد مجموعتنا الشمسية فى طرفها . . . وأقرب المجرات إلى مجرتنا تبعد عنها بنحو سبعمائة ألف سنة ضوئية . . . » .

و لعلكم تتساءلون معى : أين تحديد العدد هنا بسبع مجرات إذا اعتبرنا معه أن كل مجرة هى سماء . . . و لم يستطع أحد من العلماء الراسخين فى علم الفلك بعددها تحديداً ، إذن تبقى القضية عند السيد خلف محمد الحسينى مجرد ظن تخمينى . . و ذاك مبلغه من العلم ، و قد اجتهد فى رأى فأخطأ ، فله أجر اجتهاده .

( يتبع )

## الدعوة الاسلامية :

# وسائل تربية شباب الجامعات إسلامياً و إعدادهم لخدمة الأمة

بقلم : الدكتور عبد الحليم عبد الفتاح عويس

( الحلقة الثانية )

و السؤال ما زال قائماً وهو :

- كيف نجحت ( الجوامع ) ولم تنجح - حتى الآن على الأقل (الجامعات) الحديثة حتى الموسومة منها بالاسلامية - في تخريج مئات المفكرين والدعاة المعروفين، وكيف تعرض خريجوها الشباب لهذه السلبيات الحضارية ؟

إن الاجابة تتلخص في أن الجامعات خضعت للمنهج السائد في عصور التخلف فتأثرت بالمجتمع . و لم تقدم - حتى الآن - وسمحت بالفصل ) بين الشخصي و الاجتماعي ، و القول والعمل ، والعلم و العاطفة ، والنظري والتطبيقي . و كانت ( الثمرة ) هي إهمال بناء ( الانسان ) . مع أن بناء (الانسان) هو ( الهدف الأول ) لكل حضارة و تقدم

في مسجد الرسول في المدينة و في المسجد الحرام في مكة و في سائر ( الجوامع ) التي انتشرت خلال القرون المتتالية كان ( المتخرج ) والدائر في فلك ( الرواية ) (الذي يرجع البعض اليه الأصل لكلمة - بكالوريوس ) يخرج إلى الدنيا كائنا إنسانا مختلفاً عن الكائن الجديد الذي تخرجه الجامعات المعاصرة في العالم الاسلامي .

كان خريج هذه الجامعات يخرج بشعور من المسئولية يحس معه انه ممثل لعقيدة عظيمه و أمه ذات رسالة عالميه (حتى ولو كانت أمته في مرحلة انهزام سياسى - و إلا فكيف تغلب العلماء على التتار المنتصرين ) و كان يشعر بأن وراءه ماضيا

متألقاً ، و أنه أصبح صالحاً لتمثيله و إقامة الجسور بينه وبين المستقبل . . و كان يشعر بأن عليه أن يبدأ بدفع الثمن لأمته التى وفرت له وسائل التربية ، و لدينه الذى أشعره بوجوده و إنسانيته ، وحدد له مهمته فى التاريخ . . وكانت الأهداف اليومية لا تستنزفه ، إما لدينه وثقته فى ربه ، و إما لأن أمته - من جانبها - كانت توفر له ظروف الابداع و الانطلاق .

أما خريج الجامعات - فى عصرنا - فتبدأ رحلتـــه مع ( الضرورات ) اليومية بعد تخرجه ، و هو يحس بأن نبوغه يجب أن يسخر فى سبيل تحقيق هذه الضرورات ، و يشعر - كذلك - بأن على أمتـــه أن تبدأ فى تيسير ما يليق به من مكانة ورفاه . . و هـــكذا يأخذ الحقوق مرتين : مرة قبل التخرج و مرة بعده . . و تنزوى ( الواجبات ) فى مكان ضيق من شعوره و سلوكه لا يكاد يرى . . و ينزوى مع انزوائها الاحساس بالمسئولية . . و غالبا ما تهمـــد أيضاً جذوة الحرارة الايمانية التى كانت تصنعها ( الجوامع ) و يتألق الجانب المهنى الجدلى العقلى الذى يبرر ذاته كذات متكلمة لا كذات بناءة فاعلة .

كان الانسان يصنع فى ( الجوامع ) بالسيرة و السنة القولية و العمليـــة و بالفكر الهادف الطموح و بالعلم المستأهل لصفة ( العبـادة العظمى ) و بالجهـاد العقلى و الوجدانى عبر مجالات المجتمع و الكون و بالثقافـــة الاسلاميـة الشاملة القوية . ، أما الانسان الذى يتعلم و يحصل على مؤهل من معظم ( الجامعات ) فى عصور التخلف فهو الانسان الذى درس - بحق - أمشاجاً من الآداب والفنون أو الطب أو الهندسة أوالرياضيات . . لقد درس بعض منتوجات الحضارة وبعض إنجازاتها . . و أكل من بعض طبخها و قطف بعض ثمار أشجارها .

- لكن انسان (الجوامع) - انسان الفكر الاسلامى المؤمن - كان الانسان

الذى تنصهر فى أحشائه الحقائق ممتزجة بحرارة الايمان والأهداف الأخلاقية العليا، فهو يمثل البنية العميقة التى تصنع الحضارة و تفرزها و تتبادل مع مجتمعها المتحضر التأثر و التأثير و الأخذ و العطاء .

إن الحضارة التى مثلها انسان ( الجوامع ) كانت تفهم مسيرة التقدم على أنها ( فكر ) ينتهى إلى وعى و علم و مسئولية تجاه الحضارة الانسانيــة . ، أما انسان الجامعات الحديثة فيفهم الحضارة على أنها ( معلومات) قد تنتهى إلى هدف أو لا تنتهى .

و كانت الجوامع مفتوحة ليؤمها كل الناس - إن أرادوا أو ثابروا - وبالتالى كانت تخرج عقولا و رجالا يتمتعون بقدر من ( الثقافة ) سواء واصلوا السيرة أم انطلقوا فى مجالات أخرى مزودين بما حصلوه . . أما الجامعات فتخرج (فئة) فقط قد تعزل عن الناس مدرعة بمؤهلاتها فى برجها العاجى أو قد تلتحم بالناس فى إطار ( المعلومات ) المتخصصة التى استظهرتها ، لا فى إطار العمل الحضارى و الثقافى الشامل الذى يقود المجتمع إلى الانسجام و دقة الايقاع و الانطلاق .

أن إنسان الجامعات لا بد أن يعانق إنسان الجامع من جديد ، ولا بد أن يربى على الكيفية الدقيقة التى يجب أن يتعامل مع الدنيا على أساسها ، و لا بد أن تلتحم الآخرة بالدنيا و تتحرك الدنيا فى أعماقه نحو غايتها العليا . . أى تعمير الكون باسم الله و لله ، حتى تصحو أفكارهم إلى سبيل المحافظة عليها ، ثم إلى سبيل استخدامها لتحقيق المبادىء و القيم العليا (١) لا بد أن يربى هؤلاء المسلمون على دراية دقيقة بقيمة الحياة التى تخفق بين جوانحهم ، والعاقبة التى سيئولون إليها

(١) بتصرف من د/ محمد سعيد رمضان البوطى : منهج الحضارة الانسانية ١٨٩ - دار الفكر .

بعد موتهم ، حتى يعلموا جيداً متى يستهينون بحياتهم ويضحون بها، ومتى يتشبثون بها و يحافظون عليها دون أن يعوقهم عن تنفيذ ذلك أى عائق .

إن هذا يعنى أن مفتاح النهضة العلمية و الصناعية و الانطلاقـــة الحضارية لا يتمثل فى علوم التكنولوجيا والمشاريع الاقتصادية و التجهيزات الصناعية الضخمة - فهذه نتيجة و ليست سبباً - بل ربما تغدو هذه الأسباب أعباء وأثقالا على كواهل أصحابها، إن لم تنهض بدورها على قاعدة راسخة من المعارف الانسانية الرشيدة لا تكتفى بالتغلغل فى طوايا الفكر و العقل ، بل تتجاوزها إلى أعمـاق النفس و الوجدان ، ذلك لأن الوعى العلمى و التربوى هو الذى يحرك المصانع فى طريقها الصحيحة ، و يدفع الجهود التقنية إلى النتائج المرضية ، و يحرس النشاطات الاقتصادية المختلفة أن لا تنحرف إلى سبل الخيانة و الغلول (١) .. وإلا فما بال المعاهد والجامعات التقنية - و هى فى شرقنا الاسلامى كثيرة - لا تغنى عن أصحابها و لا عن الأمة شيئاً ؟ و ما بال أولئك الذين أتخموا بعلومهـا لا تستفيد الأمة منهم شيئاً ، بل إن الأمة لا تفيدهم بدورها - فى كثير من الأحيان - حتى بمقومات الحيـاة الانسانية الكريمة ؟ . . و ما بال معظم هذه الأدمغة العلمية التقنيـة تهجر من أوطانها ، إلى حيث تنتجع لنفسها لقمة عيش هنيئة ؟ (٢) .

إن الثقافة بمعناها الاسلامى الشامل يجب أن تتبوأ مكانتها فى تربية الانسان عبر الجامعات و المعاهد العلمية . . ويجب أن يكون واضحاً أن السلوك الاجتماعى للفرد خاضع لأشياء أعم من المعرفة وأوثق صلة بالشخصية منه بجمع (المعلومات) و هذا الشق الشامل الأعم من المعرفة هو ( الثقافة ) . . أى بتعبير آخر -

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠١ .

مجموعة الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية التى يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أساسى فى الوسط الذى ولد فيه . . فالثقافة ـ بهذا ـ هى المحيط الذى يشكل فيه الفرد طباعه و شخصيته (١) عن طريق ( فلسفة الجماعة ) و ( فلسفة الانسان ) أى معطيات الجماعة و الفرد اللذين يجب أن ينسجما فى كيان واحد (٢) .

ـ إن (الحرفية) فى التعليم ـ بتعبير العلامة مالك بن نبي ـ يجب أن تتوارى من الجامعات الاسلامية ـ أى جامعات العالم الاسلامى ـ و يجب أن تحل محلها الوظيفة الحضارية للثقافة . . أى صناعة إنسان ـ من خلال إطار ثقافى منسجم ـ يتدخل فى سائر أبنية المجتمع ، و ينفى منها ما يجب أن ينفى ، و يؤكد ما يحتاج إلى تأكيد ، و يتفاعل معها كما تتفاعل الروح مع الجسد .

إننا ـ من كل هذا ـ لا ندعو إلى أن نفرض أسلوب ( الجامع ) على أسلوب ( الجامعة ) . فنحن نعرف ـ بداهة ـ أن العلوم العصرية تعقدت و أصبحت تحتاج إلى معامل و حقول تجريبية و مكتبات هائلة . . لكننا ندعو إلى أن تكون الروح المسيطرة على الجامعة ـ تطبيقية كانت أو نظرية ـ هى روح الجامع . . فنى الاسلام . ، كلها علوم واجبة ـ ما دامت نافعة ـ و هى تتأرجح بين فرض العين والكفاية . . إننا نريد لعلم الجامعة أن تبقى له روحه العلوية و وشائجه الأخلاقية و أهدافه الانسانية .

أن على الجامع و الجامعة أن يتطورا معا مستندين إلى فكرة الاسلام (٣)

(١) مالك بن نبي : شروط النهضة ومشكلات الحضارة ص ١٢٥ ، ١٢٦ طبع دار الفكر ط ٣ .

(٢) المرجع السابق ـ المكان نفسه .

(٣) انظر بتصرف د/ حسان محمد حسان : وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الاسلامى ص ١٦٦ نشر رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة .

- علماً و إيماناً - و برامج و أهدافا ، و فى الوقت نفسه يتطور التعليم الاسلامى فى المناهج و المحتويات و طريقة الاستيعاب و الاختبار ، ووضع الشخصية والسلوك فى الاعتبار التقويمى ، و الربط بين الجامعة و الجامع و المجتمع . . فقد انفصل الجميع فى فترات كثيرة ، كما انفصلت الدراسة فى الجامع و الجامعة عن مشكلات الناس ، و عكفب على مشكلات الماضى البائدة . . و الحلول البائدة للشكلات البائدة .

إننا لا ندعو - كذلك - إلى رفض التخصص . . لكننا ندعو إلى أن يكون التخصص موضوعاً فى وعاء الثقافة الشاملة ، و إلى أن يكون المتخصص أهلا لخدمة الحياة و ليس عالة - أو مستعلياً - على الحياة .

و هكذا - فى سياق واحد - تريد إنساناً جديداً وشباباً جديداً بتكوين جديد نستطيع أن نطلق عليه : إنسان الجامع و الجامعة .

تكنولوجيا الانسان الجديد :

إن أمام جامعاتنا فرصة حضارية نادرة . . فمن البديهى أن سباق جامعاتنا مع الجامعات الأوربية والأمريكية فى مجال التكنولوجيا هو سباق معروف النتائج .. و بالنسبة لوضعنا الحضارى ، فان أى تقدم تكنولوجى هو تقدم مطلوب ، بل إن علينا أن نقفز - لو استطعنا - أضعاف ما يقفزون حتى نصل إلى بعض ما وصلوا اليه .. لكن جامعاتنا تستطيع مع ذلك أن تقدم تقنية متميزة و تكنولوجيا موجهة إنسانياً . . و فى هذا المجال فان الحضارة الغربية لن تسعى لمنافستنا . لأنها قد انتهت من مدة طويلة من مصطلح ( التوجيه الانسانى ) - بل إنها لم تعد قادرة - حتى لو أرادت - على التحكم فى مسار التكنولوجيا ، ، لقد أصبحت التكنولوجيا هى العربة التى تقود الحصان ، فان الانسان لسوء الحظ قد طور قوى

تكنولوجية جديدة قبل أن يعرف كيف يستخدمهـــا بحكمة ، بل أكثر من ذلك هناك دلائل كثيرة على أن نواحى تكنولوجية بأكملها بدأت تخرج من مجال سيطرة الانسان (١) .

و ما دام قد سمح للتكنولوجيا بالنمو دون مراقبـــة مناسبة فقـد تصبح قوة مخربة تؤثر على العلاقات الدقيقة التى بنيت عليها المدنيات فى الماضى ، و كما تنبأ الكاتب الانجليزى ( أ. م. فورستر ) فى كتابه ( توقف الآلة ) :

« ستسير التكنولوجيا قدما . . و لكن ليس على خطوطنا التى رسمناها لها ، و ستتقدم و لكن ليس نحو أهدافنـا » و أكثر المسائل التى تثيرها التكنولوجيـا ـ أساساً ـ اجتماعية سياسية اقتصادية أكثر مما هى علمية فى طبيعتها ، أضف إلى ذلك أن التكنولوجيا غير قادرة ـ نظرياً ـ على التهرب من الرقابة البشرية إلا أنها فى الواقع تسير فى طريق مستقل ، لسبب بسيط ، هو أن مجتمعاتنا لم تضع بعد توجيهات و ضوابط للتحكم بها بالأسلوب الفعال المناسب .

و كل المجتمعات المتأثرة بمدنية الغرب تتبع ( توراة التنمية ) كعقيدة وتدور فى دائرة تشبه ( حلقات ذكر الدراويش ) و تقول هذه ( التوراة ) : ( أنتجوا أكثر لكى تستهلكوا أكثر ثم لكى تنتجوا أكثر ) (٢) ولا يحتاج الانسان لكى يكون عالم اجتماع حتى يدرك أن هذه هى فلسفة مريضة ، ، مجنونه . فلن يستطيع تسارع النمو الاستمرار طويلا ، فضلا عن الاستمرار الدائم إلى ما لا

(١) انظر رينيه دوبو : إنسانية الانسان ص ٢٢٨ ترجمة الدكتور نبيل صبحى الطويل ـ مؤسسة الرسالة .

(٢) رينيه دوبو : إنسانية الانسان : تعريب نبيل صبحى : مؤسسة الرسالة ط ١ ص ٢٢٩ .

نهاية . والواقع أن هذا النمو قد يتوقف فى فترة أقصر مما يتوقعه الوعى النامى بين جمهور المثقفين ، و الذى يعتقد أن النمو التكنولوجى بدون ضوابط يضر بصفات ( الكيف ) لحياة الانسان .

و فى حديث بعنوان : ( هل تستطيع أمريكا التغلب على خرافة النمو ) ؟ كان سكرتير وزارة الداخلية ( ستيورات. ل. أودال ) شجاعاً عند ما قال : إنه ( من السهل اعتبار أمريكا التى صنعها الانسان . . كارثة على مستوى القارة ) لقد ذكر ( أودال ) مستمعيه : ( إننا نملك أكبر عدد من السيارات و أسوأ ساحات الخردة ) بالمقارنة لأية دولة أخرى فى العالم . نحن أكثر سكان العالم تنقلا ونتحمل أكبر قدر من الازدحام ونولد أكبر قدر من الطاقة ، و فى أجوائنا أكثر الهواء تلوثا فى العالم ) و لقد نقل عن رئيس بلدية ( كليفلد ) قوله مازحاً : ( إذا لم نكن واعين فسيذكرنا التاريخ على أساس أننا الجيل الذى رفع إنساناً إلى القمر . . بينما هو غائص إلى ركبتيه فى الأوحال والقاذورات ) (١) .

فنى إمكان جامعاتنا أن تركز على التكنولوجيا الزراعية - مثلا - حتى توفر القمح الذى تستطيع به شعوب كثيرة أن ترفع رأسها أمام تحكم القمح الأمريكى فى رقابها . . و عندنا عدد من مئات الملايين من الأفدنة الزراعية فى العالم الثالث تنتظر منا هذا النوع من التقدم التكنولوجى .

و هناك تكنولوجيا حفر الآبار العميقة لاغاثة شعوب تنكب بالجفاف ، و هناك تكنولوجيا مكافحة الأمراض المستوطنة و البيئية وصناعة وسائل الاتصال برية و جوية و بحرية . . وتعليب الأسماك (و هو عمل نافع جدا وميسور) (٢) و صناعة الأسلحة التقليدية . . و الغزل و النسيج .

---

(١) المكان السابق .

(٢) انظر حول تعليب الأسماك : التربية فى اليابان ( بوشامب ) مكتب التربية العربى لدول الخليج ص ١٢-١٣ ترجمة د/ محمد عبد الحليم مرسى .

إن ما تتكلفه بضع عمليات من عمليات زراعة القلب يكفى لتوفير أساليب الحياة لعدد من الملايين فى قارة إفريقيا .

- و إن ما يتكلفه المكوك الفضائى الأمريكى الفاشل ( التحدى ) - وهو مبلغ مليار ومائتى مليون دولار - يكفى لمنع الجفاف عن إفريقيا كلها إذا ما استثمر فى توفير المياه و استصلاح الأراضى و بناء مساكن للمواطنين هناك .

و بالتالى تستطيع - جامعاتنا الاسلامية - أن تقوم بعمليه انتقاء و ترشيد تكنولوجيين ، و نمد أيدينا - باسم الاسلام - إلى شعوب كثيرة تعانى من حرب القمح و الدولار و التنصير فى جانب ، و التلويح بعدالة اجتماعيـــة مادية وهميه فى جانب آخر . . بالاضافة إلى أننا سنقدم تكنولوجيا يقودها الانسان ، و يمشى فيها الحصان أمام العربة ، و يرتفع فيها جسم الانسان إلى القمر ، وترتفع روحه - فى الوقت نفسه - إلى السماء .

الوعى بالذات :

إن من الصعب إبداع حضارة واحدة ذات نسيج واحد بذوات متنافرة ، لا تجمعها روح منسابة واحدة . . و إنه مهما اختلفت الايقاعات فى الحضـارة ، فيجب أن يكون الايقاع الأقوى هو الايقاع الذاتى الذى يمثل الروح العامة للأمة.

و التاريخ البشرى - على طوله - يتكون من شريحتين : شريحـــه تميزت و صنعت حضارة نسبت إليها و أخذت بها موقعاً من التـاريخ ، و شريحة مرت بالتاريخ كما تمر شتى الموجات الساكنة فى الكون ، فهى تابعة لأية ذات ، و هى مؤهلة لعبور قنطرة الحياة تحت أى مظلة و بأى لون ، وهى مطية للزمان والمكان، يشكلانها كيفما اتفق ، و ليس الزمان و المكان مطية لها تشكلهما هى وفق ذاتها، و بوعيها و إرادتها .

و الموجات الحضارية الكبرى فى التاريخ ، تلك التى لم يبق صالحاً للرصد و الدراسة منها غير عدد محدود يحصره ( أرنولد توينبى ) فى إحدى و عشرين حضارة . . هذه الموجات هى ما بقى متميزاً و ذا ملامح مستقلة فى موكب التاريخ الطويل .

و تحدد الأمة - أية أمة - انتماءها لأية شريحة من الشريحتين منذ البداية . . أى فى مرحلة التكون و الانطلاق .

و لندع الشريحة الثانية التى تمضى بلا معنى فى التاريخ ، فهذه لا تحتاج إلى وقفه ، و مسيرتها شبيهة بكل الكائنات التى تنتمى إلى عالم الغريزة . . فهى لا توجه خطواتها إلا إلى الدروب التى تحقق بها غرائزها البطنيـــه و الجنسية و الفوضوية و الاستعلاء الفردى الكذوب .

أما الشريحه التى تعنينا فهى شريحـــة صانعى الحضارة الذين يتميزون بذات خاصة ، و الذين تركوا بصماتهم على الزمان و المكان . هذه الشريحة - صانعة الحضارة - هى التى انطلقت وفق فقـــه خاص للحضارة ، و اشتبكت مع الزمان والمكان فى معركة إثبات الذات . . فهى تستثمر كل ثانية من الوقت ، وهى تسخر كل ذرة من الأرض ، و هى تصارع الزمان و المكان بسلاحين قويين : سلاح الروح و سلاح العقل . . و لروحها و عقلها فقه معين تجاه الكون و التاريخ الأكبر و المجتمع الأصغر ، ولا يعنى هذا أن هذه الشريحة المسلحة بالروح والعقل مجردة من الغريزة . . بل جوهر القضية هو : لمن حق القيادة ؟

فعند ما تقود الروح و العقل يفرضان على الغريزة وجوداً موجهاً منظماً . . و عند ما تقود الغريزة تكسح الروح والعقل من طريقها بأسلوب ثورى عنيف .

و التحدى الذى يواجه أية مسيرة حضارية هو تحديد مسئولية (القيادة لمن) و إزاحة كل الحواجز التى تحول دون بروز القيادة المختارة .

و هنا نجد أنفسنا أمام المسئوليـة المباشرة للجامعات و مراكز الأبحاث و المساجد و المواقع المختلفة للتأثير من مدارس و معاهد و وسائل و إعلام .

و يتحدد الاطار الذى يتحرك فيه كل هؤلاء نحو الهدف الأسمى ، و هو تولية القيادة لصاحبها وفق العناصر الأساسية المكونة ( للذات ) تلك التى تحددها الأمة من خلال مسيرتها فى الزمان ، و من خلال القيم الانسانية والروى الكونية المزروعة فى المكان .

ـ و بالنسبة لنا ـ نحن المسلمين ـ فاننا إذا اتجهنا إلى المكان أوالزمان للبحث عن ذاتنا ، فاننا لن نجد إلا الحضارة الاسلامية ، هى التى وضعت بذرونا منـــذ خمسة عشر قرناً ، و اقتلعت كل الأعشاب الضارة التى كانت فى الحقل ، و تمثلت من جديد كل ما كان فيه صالحاً .

و أذكر أنى كتبت شيئاً ما منذ عدد من السنوات نشر فى مجلة سعودية (١) أقول فيه لمن سألنى عن ( عمرى ) : إن عمرى خمسة عشر قرناً . . إننى أبداً لم أحس و أنا أتعامل مع الحياة أننى ابن أربعين عاماً . . بل إننى لأشعر بأن شجرتى و شجرة كل مسلم . . تمتد جذورها فى أعماق مكة و المدينة ودمشق و بغداد و القاهرة و قرطبة و بجاية و القيروان . . منذ تلك السنة الفاصلة فى الزمان . . سنة نزول القرآن ، و بروز المنعطف الحديد فى التاريخ : العصر القرآنى .

إن أركان ذاتنا تحددها هذه القرون عبر التفاعل الذى تم بين القيم القرآنيه و الصياغة القرآنية للحياة ، و بين التطبيق البشرى — عبر مراحل تاريخية تواصل فيها التاريخ تواصل الكائن الحى فى وجداننا ، و عبر أطر جغرافية وبيئية مختلفة . . و هكذا فالتاريخ الحى جزء من ذاتنا لا ينفصل عنها . . ونحن امتداد لقيم تاريخية وضعها رجال نحس بقرابة شديدة بيننا و بينهم . ( يتبع )

(١) مجلة التضامن الاسلامى ( مكة ).

لعلك تذكر ايها القارىء الكريم إننا تحدثنا فى حلقتين سابقتين نشرتا قبل مدة . عن اثنين من الأوطان الاسلامية التى وقعت تحت سيطرة الاستعمار الروسى و هما التركستان العربيه و التركستان الشرقيه ، و فى هذه الحلقة نتحدث ـ بعون الله ـ عن وطن ثالث من هذه الأوطان المنكوبة ، والحقيقة أن الحديث عن مثل هذه الأوطان حديث دو شجون ، لأنه قراءة مؤلمة لطرف من تاريخ روسيا الأسود الصفحات ، الأحمر الكلمات ، وهى قراءة تشبه الغصص يتجرعها الانسان و هو لا يكاد يسيغها و لكنها الواقع المؤلم و المحزن أيضاً . . فهل من معتبر ؟ و حدبثنا فى هذه المرة عن القوقاز دالك الوطن الاسلامى الذى ينقسم إلى قسمين .

١ـ الجنوب :

و هو ما يعرف « بأدربيجان » و يشمل الجزء الشرقى من جنوب القوقاز و عاصمتها « باكو » و يبلغ تعدادها أربعه ملايين نسمة و قد كانت مقر المملكة شروان التى ازدهرت كدولة مستقلة سنة ٨٦١م و بلاد ايران من الجنوب ، ولقد نبغ فى هذا البلد كثير من الشعراء و رجال الفكر المعروفين مثل النظامى و الفلكى و غيرهما .

و فى أوائل القرن التاسع عشر هجمت روسيا القيصرية بجحافلها الهمجية وفرضت سيطرتها عليها و لكن أبناء هذا البلد هبوا متضامنين مع غيرهم للكفاح ضد هذا الاستعمار واستمروا فى كفاحهم حتى سقوط النظام القيصرى عام ١٩١٧م

و استطاعت أذربيجان أن تعلن استقلالها و تصبح جمهورية مستقلة فى ٢٨ مايو ١٩٢٨م و تم الاعتراف بها رسمياً من عدد كبير من دول العالم و خاصة جيرانها من الجنوب « ايران و تركيا » و تمكنت هذه الجمهورية الوليدة أن تخطو خطوات واسعة فى المجالات الاقتصادية و العسكرية و الثقافية و السياسية و لكنها لم تنعم باستقلالها طويلا إذ عاودت روسياً طبيعتها الاستعمارية و لكنها روسيا الشيوعية هذه المرة فقامت فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٠م بغزو همجى مفاجىء لهذه الدولة سقطت على أثره تحت سيطرة الاستعمار الشيوعى الروسى على الرغم من البيان الذى أصدرته روسيا فى ذلك الوقت على لسان لينين الكذوب معلنا فيه : الاعتراف بحق تقرير المصير لجميع الشعوب التى كانت تابعة لروسيا القيصرية ، ولكن متى احترم هؤلاء الناس عهدهم فى القديم و الحديث و صدق الله العظيم إذ يقول فى أمثالهم على عهد رسول الله ﷺ و الكفر كله ملة واحدة .

« كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا و لا ذمة ، يرضونكم بأفواههم و تأبى قلوبهم و أكثرهم فاسقون ، اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ، لا يرقبون فى مؤمن إلا و لا ذمة و أولئك هم المعتدون » ( سورة التوبة ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ) .

و لم يستسلم أبناء هذا البلد لذاك الغزو بل وقفوا فى وجهه بكل شجاعة و لا يزالون ولكن ماذا تغنى الشجاعة أمام الكثرة الساحقة بقضها و قضيضها ، وترتب على ذلك الجهاد أن أبعد المستعمرون جميع العناصر الوطنية جماعة تلو الأخرى إلى الجزر الثلجية فى القطب الشمالى و معسكرات الاعتقال فى سيبريا و تدفق المهاجرون الروس كالمطر لاحتلال هذه البلاد حتى تصطبغ بالصبغة الروسية الشيوعية ، و لا نملك إلا أن نسأل الله أن يمكن إخوتنا فى أذربيجان من استئصال ذلك السرطان الشيوعى حتى تعود سيرتها الاسلامية الأولى .

٢ـ الشمال :

يحده شرقاً بحر قزوين ( الخزر ) و غرباً البحر الأسود ، و شمالا خط مانيتش وجنوباً سلسلة جبال القوقاز،ويتميز هذا الجزء بجهاده الطويل الذى قارب ثلاثة قرون ويعرف الجزء الشرقى منها « بداغستان » أما الوسط فيشمل «شيشان» « أوسيت » ، « قيرطاى » ، « بلقار » و « قاراجاى » وأما الجزء الغربى فيعرف بتركستـان ، و لقد اعترف المؤرخون من اليونان و الرومان و العرب أن سكان البلاد الحاليين هم أبناء المنطقة منذ زمن بعيد كما اعترف كثير من الرحالة الأوربيين بعظمة الدور الذى قام به أهل شمال القوقاز للدفاع عن بلادهم حتى القرن التاسع عشر بل إن المؤرخ العسكرى الروسى « فاديف » اعترف بما يلى ( أن الحرب مع سكان جبال القفقاس قد افقدتنا جيشاً يكفى عدده لاكتساح المنطقة الواقعة من مصر إلى اليابان ) (مجلة القفقاس ميونيخ ١٩٥٢م المجلد ١ العدد ٦ ص ٩) .

و لقد بدأت روسيا القيصرية فى القرن السادس عشر هجومها متجهـة نحو مصب نهر الفولجـا و وقف القوقازيون للدفاع عن بلادهم و حريتهـم و عقيدتهم بشجاعة فائقة و بسالة نادرة ، و بخاصـة تحت قيـادة المغفور له الامام « شامل » الذى اعترف الأعداء قبل الأصدقاء بشجاعته حتى إن كارل ماركس نفسه يقول : « أيتها الأمم اعتبرى بما يمكن أن يفعله الرجال فى الحالات التى ترغب أن تبقى فيها حرة » ( مجلة مشاكل التاريخ موسكو ١٩٥٦م العدد ٢٧ ) .

فمن هو ذلك الرجل الذى يطلق عليه أسد داغستان ؟

ولد الامام « شامل (٢) » رحمه الله عام ١٢٩٦ بقرية « كمرى » من أبوين شريفين و تربى على الفضائل التى يتحلى بها قومـه من حب للفروسية و اعتزاز بالوطنية و حب للاسلام ، و لقد تعلم مبادىء الدين الاسلامى و شيئاً من اللغة

العربية على يد معلمه و رائد المجاهدين الأول « ملا الغازى » الذى كان يقول للمجاهدين :

« إن السلوك بمقتضى الشريعة وحده لا يضع الأمور فى نصابها إذا لم يدعم ذلك بعزيمة صادقة تطرد الروس من البلاد » . .

و تحالف الامام شامل مع « ملا الغازى » على الجهاد و تصفية العناصر التى تمالئ الروس و منهم أرملة الخان « آى الأمير الزعيم » فاشتبكا مع رجالها فى معركة و كانت الغلبه لها و لرجالها و كان ذلك فى عام ١٨٣٠م .

و يروى أن الامام شامل بعد هذا الاخفاق بمدة قصيرة توجه إلى مكة المكرمه لاداء فريضة الحج وفيها التقى بالمجاهد الجزائرى الأمير عبد القادر الجزائرى و اتفق الصديقان الجديدان على مباشرة الجهاد لاعلاء كلمة الله فأخذ عبد القادر على نفسه مجاهدة الفرنسيين فى الجزائر كما أخذ « شامل » على نفسه مجاهدة الروس فى القوقاز ، و بدأ كل منهما عمله الذى تعاهدا عليه بعد فترة قصيرة .

فى ربيع ١٨٣٢ أعد الغازى رجاله لمباغته مخافر الروس جهزوا له جيشاً من ١٠ آلاف جندى ! ! لملاقاته فى قرية كمرى و لم يكن حوله غير ٥٠٠ شخص ! ! من المريدين و الأنصار الذين صمدوا حتى آخر نفس و قد ربطوا أرجلهم فى هذه المعركة و لم ينج من رجاله إلا اثنان كان « شامل » أحدهما و خلف « الغازى » فى القيادة « حمزة بك » الذى أستشهد و هو قائم للصلاة وفى تلك الأثناء حاول شامل أن يثير الشراكسة و لكنه لم يظفر بنتيجة فلبث فى قطاعه واستقر فى قرية « اقولغو » فى ذروة الجبل ، و من هناك اجتمع حوله أصحابه وكان جنود شامل قد نذروا أنفسهم للجهاد و كانوا يتميزون بشارة خضراء على غطاء الرأس الذى يلبسونه و كانوا يتألفون من عناصر شتى كما انضم إليهم عدد من الروس الذين

فروا من المعسكرات القيصرية و خصوصاً أبناء بولونيا فازدادوا بهم قوة .

أعدت قيادة الجيش الروسی معسكراً لها بالقرب من بحر الخزر فی مكان يسمى « دمير خان شورا » و بالاضافـة إلى مصادفات هذا الجيش مع جنود شامل ابتلى بالتيفوس و الدوسنتاريا و كان على القيصر أن يبعث فی كل عام ١٠ آلاف إلى القفقاس ولم تكن هذه الآلاف لتكفی عوضاً عما تفقده جيوش القيصر

تمكن الامام شامل بمعونة البولونيين الفارين و اللاجئين اليه أن يجعل من قرية « أقولغو » قلعة حصينة و فی يوم ٢٩ حزيران ١٨٣٩ بدأ الجنرال الروسی « غراب » هجومه و كان الصدام مروعاً و اضطر الروس أول الأمر إلى التراجع و لكن بعد أربعة أيام انهمرت قنابل المـدافع من جانبهم بكثافة و تبعها هجوم شديد فتهدمت الأسوار و حوصر مئات المحاربين بين الأنقاض و انقطع الغذاء و الماء عن القرية و انتشرت رائحة الجثث و حامت البوم فوق القرية تنعى من بناها . . و انتهز الروس هذه الفرصـة و تحركوا للامام و طلب القائد الروسی (غراب) ابن الامام شامل جمال الدين كرهينة ليكف عن القتال ويبدأ المفاوضة و فی ١٨ أغسطس أرسل شامل ابنه إلى القائد الروسی و ابتدأت المفاوضات ولم تسفر عن نتيجة و أرسل ( غراب ) ، رهينتـه إلى « بطرسبورغ » العـاصمة ، و لما علم شامل بذلك أدرك أن الروس خدعوه و هربوا ولده فاشتدت مقاومته للروس ، و فی اليوم الثانی ابتدأ الهجوم الأخير و اشتركت النساء و الأطفال فی صده و كانوا يهـاجمون عساكر الروس و يجردونهم من حرابهم ، و كان شامل لا يرحم الجواسيس الذين يقبض عليهـم فكان يفصل رؤوسهم عن أجسادهم و يبعث بها إلى الروس ، و استولى الروس على القلعة فی ٢٠ أغسطس و تمكن أسد الداغستان من النجاة بنفسه بعد أن ترك وراءه أخته و زوجته الثانيـة

لاستشهادها فى هذه المعارك و استطاع بعض الرجال أن يفروا بولده الأكبر .

فى عام ١٨٤٠م لم تهدأ الحرب لا فى داغستان و لا فى شرق القفقـاس إذ اتحد الجراكسه مع بقايا الداغستانيين من المجاهدين و أقاموا جبهة ثانية وفى ١٠ أيار ١٨٤١م قاد الجنرال غراب جيشاً مؤلفاً من ١٠ آلاف، و لـكنه هزم هزيمة نكراء و خسر الفى قتيل و فى ١٨٤٢ حل بيوهارت مكان الجنرال المهزوم .

و فى عام ١٨٤٥ تبدلت الأمور مرة أخرى و تولى القيادة « وردنتزوف » و هاجم داركو فاندحر عنها مخلفاً على الساحة من القتلى ثلاثة من القادة و ٢٠٠ من الضباط و ٣٥٠٠ من الجنود و بقى من اللواء الحربى الذى كان عليه كرنيسكى ٢٤ رجلا أحياء فقط .

و فى سه ١٨٥١م ضاق شامل بتصرفات الحاج مراد الشادة فحـــكم عليه بالموت و لـكنه هرب و لجأ إلى الروس و لـكنهم أرسلوه إلى « تفليس » و لم يدعموه كما يجب ليثأروا من شامل ، ولذلك هرب منهم فقبض عليه وأعدم وشهر رأسه المفصول عن جسده على الناس ، و كانت هذه الحادثة نذير شؤم فقد تولى « بارتنيسكى » القيادة العامة مكان ووردنتروف و استطاع هذا القائد أن يستميل الـكثير من رجال شامل . و قام بقطع الأشجار التى كانت تساعد على حرب العصابات .

فى صيف ١٨٥٤ كانت أميرات كرجيات زوجات القادة الروس فى قصرهن فى « تسينونذال » لقضاء الصيف فأقبل بعض رجال الجبال وداهموا القصر وأخذوا الأميرات و أولادهن وخدمهن عنوة وأسلموا الجميع إلى شامل ، وبقيت الأميرات فى أسر شامل ستة أشهر فى ظروف صعبة ، و أرسل شامل إلى القيصر يشترط عليه الافراج عن ولده جمال الدين حتى يفرج عن الأميرات ، وقبل القيصر ، وتم

الافراج عن الابن الذی تلقاه والده بشوق عظیم، ولکن الموت أدرکه بعد وقت قصیر مما ضاعف آلام والده .

وفی ١٨٥٨م احتل الروس دیار الشاشان ومشرق داغستان و سیطروا علیها، و فی عام ١٨٥٩م سقطت « ودین » فی أیدیهم أیضاً و انتقـــل شامل إلی قریة أخری هی « کونیب » وکان الیأس من النصر قد دب إلی نفسه و بعد مفاوضات قصیرة سار الأسد یحیط به خمسون رحلا من مساعدیه إلی معسکر « بارتنیسکی » مستسلماً طارحاً سیفه .

أرسل « بارتنسکی» شامل إلی القیصر الکسندر الثانی الذی استقبله بالترحیب و خصص له قصراً واسعاً فی « کالوکا » بأطراف موسکو ، ولم تکن سعه القصر لتخفف من ضیق صدره نتیجة أسره ، و فی یوم طلب أن یذهب إلی الدیار الحجازیة لأداء فریضة الحج ، و مر باستانبول فلقی من السلطان العثمانی ترحاباً واحتراماً عظیمین ورافقته هذه المظاهر حتی وصل إلی مکة المکرمة وأدی مناسك الحج ثم انتقل إلی المدینه المنورة حیث عاش فی المدینه بجوار محمد رسول الله ﷺ ، و فی ٤ شباط ( فبرایر ) عام ١٨٧١ أدرکته الوفاة و هو یکرر لفظ الشهـادة ولقی ربه مؤمنا حقاً ، ومسلماً صدقاً ، و راضیاً مرضیاً ، وهکذا سطر ذلك الامام البطل صفحات مشرقه من تاریخ الجهاد الاسلامی علی مدی ثلاثین عاماً رحمه الله رحمة واسعة ، و آنزله و من جاهد معه منازل الأبرار [illegible]ین .

و بعد أن تمت الغلبة للروس أجبروا القوقازیین علی الهجرة خارج بلادهم و کان نصیب ترکیا من أولئك البائسین ملیوناً و نصف [illegible]لقی معظمهم [illegible] بسبب الجوع و المرض أو ابتلعته أمواج البحر الأسود ، کما توجد الوف منهم فی سوریا والأردن، أما القبائل الترکیة التی تسکن بین جبال القوقاز، ونهری الفولجا، والدون،

فقد أبيدت عن آخرها و حل محلها المهاجرون الروس وتتوالى الأحداث و يتمكن أهل شمال القوقاز من إعلان استقلالهم في ٨ مايو ١٩١٨ و لكن لم يمض غير قليل حتى أصبحت تلك البلاد مسرحاً للمعارك بين القيصريين و البولشفيك ، ولما انتصر البولشفيك صبوا عذاباً على أهل البلاد فوق العذاب الذى صبته عليهم القيصرية فعملوا على تمزيق وحدتهم ، و ألحقوا إداراتهم الوطنية بحكومة موسكو مباشرة، ثم بدلوا حروف لغتهم بالحروف الروسية، وشنوا حرباً ضارية ضد الدين الاسلامى، ونهبوا ثروة البلاد وخصصوا أهم المناطق لسكنى المهاجرين الروس، لما خرجت دول الحلفاء منتصرة من الحرب العالمية الثانية، بدأت روسيا في إبادة شعب شمال القوقاز نهائيـاً ، فأصدرت في ٢٣ فبراير ١٩٤٤ قراراً رسمياً بابعـاد قبائل « القاراجاى » و « البلقار » و « الشيشان » و « الأنجوش » ، و تم ترحيلهم هم وآخرون إلى سيبريا، وآسيا الوسطى، وقد بلغ مقدار هؤلاء التعساء ما يقرب من المليونين و نصف ، و لا تزال هذه البلاد تئن تحت وطأة الاستعمار الروسى الشيوعى الأحمر . .

فليعرف من لا يعرف من أبناء الأمة العربية و الاسلامية و من السياسين الذين يحرصون على إقامة صداقات مع الوقاية من جرائمهم فى حق الانسان المسلم « ليهلك من هلك عن بينة و يحيي من حي عن بينة وأن الله لسميع عليم » .

( للبحث صلة )

# حول مشكلة لحوم الأضاحى فى الحج

فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلى
أمين مجلس الدراسات الشرعية بندوة العلماء ( الهند )

[ قدم هذا البحث فى الاجتماع الذى عقده البنك الاسلامى للتنمية بجدة ، حول إيجاد حل لمشكلة لحوم الأضاحى فى أيام التشريق بمنى ، وذلك فى الفترة ما بين ٢٩ — ٣٠ رجب سنة ١٤٠٦هـ الموافق ٨ — ٩ ابريل ١٩٨٦م ]

الحمد لله وكفى و سلام على عباده الذين اصطفى .

قبل أن أتناول النقاط التى أثيرت فى هذه القضيه يسعدنى أن أبدى تقديرى و اعترافى اللائقين بهذا المجهود العظيم الذى يقوم به المملكة العربية السعودية الاسلاميه و البنك الاسلامى — تحت رعاية رئيسه الجليل الذى يتمتع بالفهم العميق لرسالة الاسلام وسعه الاطلاع على القضايا المعاصرة التى يواجهها المسلمون — فقد كان ذلك حلما يراود كل مسلم غيور يحرص على الانتفاع بهذه الثروة التى كانت عرضه للضياع ، بينما كانت أقطار إسلامية كثيرة تواجه المجاعة و الفقر ، و الواقع أن هذا العمل الحسيم يستحق كل تقدير و إعجاب ، لا من الحجاج فحسب بل من جميع المسلمين فى أنحاء العالم كله ، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يتوج مساعى المملكة وجهودها بالنجاح ويتقبلها بالقبول الحسن ، ويجعلها وسيلة لرخاء المسلمين .

يدرك أهمية هذا الأمر و خطورته كل من يشاهد ضياع هذه الكمية الضخمة من لحوم الهدى و الأضاحى ، كل عام فى منى ، مع حاجة المسلمين فى مناطق كثيرة من العالم إلى قطعة لحم لسد جوعهم ، كما يعرف الجميع أن مآت الآلاف من الأضاحى التى يضحى بها خلال أيام التشريق فى موسم الحج بمنى ، كانت

لحومها كلها تذهب سدى بدون جدوى إلى ما قبل عدة سنوات، ذلك أن الانتفاع بمثل هذه الكمية الضخمة و صيانتها من الضياع لم يكن بمستطاع كل شخص، و لكن ضياع هذه الكمية الكبيرة من نعمه الله كل سنة أقلق كل مسلم واع، ونتيجة لذلك التجأت المملكة السعودية إلى البحث عن حل صحيح لهذه المشكلة يمكن به صيانة هذه الثروة القيمة من الضياع والانتفاع بها، فأقامت المملكة السعودية نظراً إلى ذلك منذ ثلاثة أعوام ( من موسم سنـــه ١٤٠٣هـ ) مجزرة كبيرة بمنى باسم « مجزرة المعيصم » التى لا تتولى ذبح الملايين من الأضاحى فحسب بل وتتولى كذلك ادخارها بشتى طرق الصيانة وتعبئتها و إرسالها إلى البلدان المختلفة لتوزيعها على المحتاجين والمفتقرين، والمملكة تقوم فعلا بهذه الخدمة الجليلة منذ ثلاثة أعوام بمساعدة « البنك الاسلامى للتنمية » فى جدة.

الأسلوب الذى يتبعه البنك الاسلامى للعمل هو أنه يبيع « كوبونات » للحجاج الذين يريدون النحر بواسطة « شركة الراجحى » عن طريق البنك، والعلامات المرسومة على الكوبون ( البطاقة ) تعين أنواع الذبح مثل، الهدى، الأضحية، الصدقة، دم الجناية، فأى نوع من الذبح يريده الحاج يعين ذلك على الكوبون ثم يذبح عنه بواسطة البنك، وغالباً لا يطلع الحاج على الوقت الذى ذبح فيه عنه، و ذلك ما يهم الحجاج الأحناف ويشكل مشكلة كبيرة لوجوب الترتيب عندهم من وجهة نظر الفقه الحنفى للقارن والمتمتع فى أداء مناسك الحج بأن يقدم الرمى على الذبح ثم يتبعه الحلق، ومخالفة هذا الترتيب يحتم عليه دما للجناية، ونظراً إلى ما ذكر تقدم الحجاج الأحناف للبنك الاسلامى (الجهة المسئولة عن المذابح الجماعية) بمطالبة تعيين وقت الذبح عنهم حتى يتمكنوا من مراعاة هذا الترتيب ولكنه يستحيل فى النظام الجماعى أن يطلع كل حاج على وقت الذبح، ولحل هذه المشكلة قام رئيس البنك الاسلامى

ـ الذى يتمتع ببعد النظر و البراعة فى تنظيم الأمور مع الحمية الدينية ـ بانتداب نخبة من العلماء الراسخين فى الفقه للاسهام فى الاجتماع الذى عقد فى الشهر المنصرم ٨ / ٩ ابريل بالمكتب الرئيسى للبنك الاسلامى بجدة ، حضره علماء الدول المختلفة من مصر ، و تركيا ، وسوريا ، و الهند ، و باكستان ، و بنغلاديش وكثير من الدول الأخرى مع علماء السعودية ، و قد كان من سعادة حظى أننى حضرته ـ ملبيا للدعوة ـ وقدمت فيه هذا المقال الذى ينشر الآن بشئ من التعديل والزيادة ، ولم يتم اجتماع المشتركين على نقطة واحدة خلال مباحثات طويلة استغرقت يومين سوى أن يلفت نظر العلماء و المفتين فى الدول التى يسكنها أغلبية الأحناف إلى الافتاء بقول أبى يوسف و محمد رحمهما الله لأنهما يذهبان إلى عدم وجوب الترتيب فى أعمال الحج المذكورة أعلاه ، مطبعاً لا يجب دم آخر عند مخالفته .

و عن هذا الطريق يمكن إلى حد ما حل هذه المشكلة أو يؤمل ذاك؟ لأن الافتاء أو الحكم بأمر بدون فتواهم لا يحل هذه المشكلة التى سلف ذكرها .

و قد لوحظت نتائج الجهود فى تنظيم طريقة النحر و الذبح و توزيع لحوم الهدى و الأضاحى ـ بعد تعليبها وتثلاجها ـ فى السنين الأخيرة و قوبلت بالترحيب من المخلصين ، و مما يبعث على مزيد السرور و الارتياح أن المسئولين و القائمين بهذا العمل يحرصون على أن يستفيد من هذه الطريقة النافعة جميع حجاج بيت الله الحرام ـ على اختلاف المذاهب الفقهية ـ وتزول شبهاتهم حول هذا المشروع ، و هذا الاجتماع المبارك أكبر دليل على صدق نيتهم وإخلاصهم فانه يعقد لدراسة شبهات الحجاج الذين يتبعون مذهباً فقهياً خاصاً حول هذا المشروع ، و عددهم كبير جداً لا يستهان به ، و مما لا شك فيه ، أن طريقة التوكيل و ذبح الأضاحى و توزيع لحومها مما لا يحتمل كثيراً من الجدل والنقاش و كذلك لا يسوغ لأحد أن يشك

فی نیة المسئولین و إخلاصهم و أمانتهم و حرصهم علی إنجاز هذا المشروع حسب الشریعة الاسلامیة و لکن الذی یهمنا و الذی عقد لأجله هذا الاجتماع هو أن الواجب عند الحنفیة أن یقدم القارن و المتمتع الرمی علی ذبح الهدی ثم یحلق أو یقصر کما أوضحه فضیلة الشیخ الجلیل الأستاذ مصطفی الزرقاء فی مقاله القیم ویتضمنه الاستفتاء کذلک ( و مقال الأستاذ الزرقاء قدم إلی الذین وجهت إلیهم الدعوة لحضور هذا الاجتماع و کذلك أرسل إلیهم استفتاء ـ من الداعی الکریم ـ حول هذا الموضوع ) .

فاذا خالف أحد هذا الترتیب بدون عذر یجب علیه دم ـــ دم الجنایة ـــ إضافة إلی الهدی ، و لا شك فی أن الحجاج الذین یتوافدون من خارج المملکة سیواجهون حرجاً وعنتاً فی صورة وجوب دم آخر بسبب تحدید مصارف السفر من الحکومات ، و لا یخفی علیکم أن هذا الدم أیضاً یجب أن یراق فی الحرم فالذی لا یقوم بهذا الواجب یکون آثماً بسبب ترك الواجب ، وهو أمر غیر هین لأنه یخالف غایة الحج ، فان الذی یزور بیت الله الحرام ویرید حجه یقصد بزیارته وحجه تطهیر نفسه من الذنوب و الآثام وربما لا یتیسر له الحج إلا مرة واحدة فی حیاته بعد بذل جهوده البالغة وتهیئه أسبابه طوال حیاته . و لذلك فان هذه القضیة تستحق العنایة الزائدة وتجدر بالدراسة و النقاش لأنها تهم عدداً کبیراً من من الحجاج وقد وافق المالکیة الأحناف فی حکم تقدیم الذبح علی الرمی إلی حد کبیر و بذلك أصبحت هذه المشکلة مسألة معظم الحجاج .

و لا یوجد اختلاف بین الأئمة فی کون هذا الترتیب سنة لأنه لم یرو عن النبی ﷺ خلاف ذلك ، کما ذکر العلامة ابن قیم الحنبلی فی کتابه الشهیر « زاد المعاد » یقول :

« ولم ينحر هديه ﷺ قط . . . . . . إلا بعد طلوع الشمس وبعد الرمى » (١) .

و يقول العلامة الشوكانى الظاهرى فى « نيل الأوطار » .

لأن العلماء قد أجمعوا على أنها مرتبة ، أولها رمى جمرة العقبة ثم نحر الهدى أو ذبحه ثم الحلق أو التقصير ثم طواف الافاضة و لم يخالف فى ذلك أحد إلا أن ابن جهم المالكى استثنى القارن فقال : لا يحل حتى يطوف و رد عليه النووى بالاجماع (٢) .

ولا يغيبن عن البال أن الترتيب إذا كان سنة فتركه أيضاً يؤدى إلى ترك سنة عن قصد ، و أما إذا كان واجباً فهو أكثر أهمية و أشد تاكيداً ، و لا شك فى أن القيام بعمل وفق السنة المطهرة يستحق الأجر و الثواب و خاصة إذا كان ذلك ما أجمع عليه العلماء لأن الحاج يبتغى بعمله مرضاة الله و ثوابه و اتباع سنة نبيه ، و أما ما قيل عن الامام أحمد والامام الشافعى ـ رحمهما الله ـ بأنهما لا يقولان بوجوب هذا الترتيب فيصح إلى حدما ، فان العلامة ابن قدامة المقدسى الحنبلى يقول فى كتابه القيم « المغنى » :

« فان أخل بترتيبها ناسياً و جاهلا بالسنة فلا شئ عليه فى قول كثير من أهل العلم . . . . وأما إن فعله عمداً عالماً بمخالفة السنة فى ذلك ففيه روايتان ، إحداهما لا دم عليه . . . . . و الثانية عليه دم ، روى نحو ذلك عن سعيد بن جبير و جابر بن زيد و قتادة و النخعى لأن الله تعالى قال : « ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله » و لأن النبي ـ ﷺ ـ رتب وقال : « خذوا عنى مناسككم » قال الأثرم سمعت أبا عبد الله ( الامام أحمد بن حنبل ) عن رجل حلق قبل أن

(١) زاد المعاد ، لابن القيم ص ٣١٦ ، ج ٢ ، مكتبة المنار الاسلامية الكويت .

(٢) نيل الأوطار ، ص ١٥٣ ج ٥ طبع دار الجيل ، بيروت (ص ١٥٣ ج ٥ ، دار الجيل ، بيروت ) .

يذبح فقال : إن كان جاهلا فليس عليه فأما التعمد فلا ، لأن النبي - ﷺ - سأله رجل فقال : «لم أشعر» (١) .

و يقول العلامـــة تقى الدين ابن دقيق العيد الشافعى فى كتابه الشهير « إحكام الأحكام ، شرح عمدة الأحكام » و هو يشرح حديثاً رواه عبد الله ابن عمرو عن النبي - ﷺ - اختلفوا فيما لو تقدم بعضها على بعض فاختار الشافعى جواز التقديم وجعل الترتيب مستحباً ، و مالك و أبو حنيفه يمنعان تقديم الحلق على الرمى . . . . . و للشافعى قول مثله . . . . ونقل عن أحمد - رحمه الله تعالى - أنه إن قدم بعض هذه الأشياء على بعض فلا شئ عليه إن كان جاهلا . و إن كان عالماً ففى وجوب الدم روايتان و هذا القول فى سقوط الدم عن الجاهل و الناسى دون العامد قوى من جهه أن الدليل دل على وجوب اتباع أفعال الرسول - ﷺ - فى الحج بقوله « خذوا عنى مناسككم » و هذه الأحاديث المرخصه فى التقديم لما وقع السؤال عنه إنما قرنت بقول السائل « لم أشعر » وتختص الحكم بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على أصل وجوب اتباع الرسول فى الحج ، و من قال بوجوب الدم فى العمد و النسيـان عند تقديم الحلق على الرمى فانه يحمل قوله - عليه السلام - « لا حرج » على نفى الاثم فى التقديم مع النسيان و لا يلزم من نفى الاثم نفى وجوب الدم ، وادعى بعض الشارحين أن قوله - عليه السلام - « لا حرج » ظاهر فى أنه لا شئ عليه وعنى بذلك نفى الاثم و الدم معاً ، و فيما ادعاه من الظهور نظر ، وقد ينازعه خصومه فيه بالنسبة إلى الاستعمال العرفى فانه قد استعمل « لا حرج » كثيراً فى نفى الاثم (٢) .

---

(١) المغنى ، ص ٤٤٨ ، ج ٣ مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

(٢) شرح العمدة ، ج ٣ ص ٧٧ - ٧٩ دار الكتب العلمية بيروت .

و يؤيد ما ذهب إليه العلامة ابن دقيق العيد فى ترجيح مفهوم لا حرج ( يعنى رفع الاثم ) حديث ورد فى سنن أبى داؤد يتعلق بمناسك الحج وقد جاء فيه : عن أسامة بن شريك قال : خرجت مع النبي - ﷺ - حاجاً فكان الناس يأتونه فمن قال يا رسول الله سعيت قبل أن أطوف أو قدمت شيئاً أو أخرت شيئاً ، فكان يقول « لا حرج » إلا على رجل اقترض عرض رجل و هو ظالم فذاك حرج وهلك (١) .

و يستفاد الترتيب من هذه الآية الكريمة « و اذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها و أطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم » .

قال الامام الكاسانى ( الفقيه الحنفى المتوفى سنة ٥٨٧هـ ) فى كتابه الشهير : بدائع الصنائع (٢) .

« و يقدم الذبح على الحلق لقوله تعالى ، ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم ، رتب قضاء التفث و هو الحلق على الذبح ، و روى عنه ﷺ أنه رمى ثم ذبح ثم دعا بالحلاق » .

« قال المحقق الشوكانى فى تفسير هـــذه الآية » أى يذكر عند ذبح الهدايا و الضحايا اسم الله ، وقيل إن هذا الذكر كناية عن الذبح لأنه لا ينفك عنه . . فكلوا منها ، الأمر هنا للندب عند الجمهور . . . و أطعموا البائس الفقير ... والأمر هنا للوجوب ، و قيل للندب . . ثم ليقضوا تفثهم . . المراد هنا هو التأدية أى

---

(١) أبو داؤد ، كتاب المناسك ، باب فى من قدم شيئاً قبل شئ فى حجه ، ج ١ ، ص٢٧٦ ، طبع المطبع المجيدى بكانبور ( الهند ) .

(٢) بدائع الصنائع ، ج ٢ ص ١٥٨ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧هـ فى مطبعة شركة المطبوعات العلمية بمصر .

ليؤدوا إزالة وسخهم ، لأن الوسخ و القذارة من طول الشعر و الأظفار ، فقد أجمع المفسرون . . على هذا ، (١) .

و على هذه الأدلة القوية ، إذا كان شخص أو جماعة من الحجاج ، يظن أو يظنون ، بأنه يجب عليهم دم جناية بسبب ترك الواجب ، لأن هديهم يمكن ـ بل هو الظن ـ أن يذبح قبل الرمى فانهم لا يعرفون وقت ذبحه ، فهل يكون ظنهم و رأيهم وجيهاً يستحق العناية أولا ؟ فاذا كان رأيهم مرفوضاً فانى أرى ـ وأعتقد أن كثيراً من العلماء و الباحثين يوافقوننى ـ على أن ذلك يعارض مصالح الحجاج ولا يتفق و مبادىء الدين ، و لكن ملحوظاً أيضاً أن عدداً كبيراً من الحجاج الذين يتبعون المذهب الحنفى من الهند و باكستان و بنجلاديش و بورما و سرى لنكا هم يعملون بفتاوى علماء هذه الأقطار الكبار أمثال الشيخ أشرف على التهانوى وتلميذه الخاص المفتى محمد شفيع كبير المفتين فى باكستان سابقاً و المتخرجين من هذه « المدرسه » الذين صاروا فقهاء و أصحاب الفتيا ، و الفتاوى التى تصدرها مراكزها العلمية و الدينية الشهيرة مثل « دار العلوم ديوبند » و « مظاهر العلوم سهارنبور » و « دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ » فى الهند ، و « دار العلوم كراتشى »

(١) فتح القدير ، للشوكانى ص ٤٤٩ ج٣ ، و مما يجدر بالذكر أن صاحبي أبي حنيفة أبايوسف ومحمداً ، يقولان بسنية الترتيب ( لا بوجوبه ) بين هذه الأعمال ، ولذا لا يريان وجوب الدم على من خالف الترتيب ، ففى البدائع ج٢ ص ١٥٨ « فان حلق قبل الذبح من غير إحصار فعليه لحلقه قبل الذبح دم فى قول أبى حنفة و قال أبو يوسف و محمد وجماعة من أهل العلم أنه لا شىء عليه » فهل يجوز أن يفتى بقول الصاحبين فى مثل هذه الحالة ؟ هذا هو السؤال الوجيه وهو مطروح أمام الفقهاء والمفتين الأحناف و يرجى منهم أن يجيبوا على هذا كى تنحل المشكلة !!

فى باكستان، واعتقد أن علماء هذه الأقطار لا يتفقون على تغيير وجهة نظرهم بسهولة، ـ وهو وجوب الدم على من خالف الترتيب ـ ولذلك فاننا إذا صرفنا النظر عن آراء و فتاوى علماء شبه القارة فى هذه القضية فلا نصل إلى نتيجة حتميــة مثمرة لأن حجاج هذه الأقطار لا يغيرون موقفهم على أساس رأينا فقط فلا مناص لنا من أن نقدم حلا مقنعاً لمن تهمه هذه القضية .

و إنى أرى أننا إذا طالبناهم بأن يسلموا أضاحيهم للذبح للجهة المعنية و لا يجب عليهم الدم ، سواء ذبحت قبل الحلق أو التقصير أو بعدهما ، فلا يكون ذلك حلا مقنعاً ، لأن شبهتهم لا تزول بمجرد قولنا و إقناعنا و أن الاصرار على هذا الحل لا يكشف عن نتيجة يقبلها الجميع عن طواعية و خاصة حجاج شبة القــارة الهندية الذين يتبعون المذهب الحنفى ، فالمهم هنا ما هو الحل الذى يقبله الجميع عن طواعيــة و لا يعرقل سير البنك الاسلامى الذى يقوم بخدمات جليلة فى مجــال الاقتصاد الاسلامى .

و الواقع أن القضية لا تتعلق بهــدى المفرد و لا بالأضاحى و لا بدماء الصدقة و الجناية و التطوع ، لأنه لا يوجد حولهــا اختلاف كثير بين الأئمة فلم يبق إلا مسألة دم القران و دم التمتع ، فلا يصعب علينا حلها إذاً .

و أريد أن أقدم إليكم اقتراحاً ـ متواضعاً ـ بهذا الصدد ولا يبعد أن يجعل الله فيه خيراً و هو أن يقوم البنك الاسلامى بتنظيم إهراق جميع الدماء ما عــدا التمتع و القران يوم النحر ( ١٠ من ذى الحجه ) بعد طلوع الشمس إلى وقت الظهر أو العصر مثلا ، ثم يبدأ ذبح هدى التمتع و القران بعد الظهر أو العصر ، حسب ما يتقرر بالاعلان المسبق ، و فى هذه الفترة يفرغ معظم الحجاج ، ويعلن البنك للمتمتع و القارن ، أن يفرغوا من الرمى ، قبل الظهر أو العصر ـ حسب

الاعلان المسبق ـ و بعد تقدير مدة تأخذها ذبح هدى التمتع و القران يخبر الحجاج ـ القارنون و المتمتعون ـ أن يحلقوا أو يقصروا بعد هذه المدة ، و لا بأس فی أن يحلقوا ، أو يقصروا ، فی اليوم الثانی أو الثالث من يوم النحر .

و مما يجدر بالذكر هنا أن الحجاج يجوز لهم أن يقوموا بطواف الافاضة أثناء هذه المدة ، قبل الحلق أو التقصير و بعد الرمی ، بل قبل الرمی أيضاً ، ولا يجب عليهم الدم ، دم جناية عند الأحناف أيضاً ، و إذا كان تأخير ذبح جميع دماء القران و التمتع سبباً لحدوث أی مشكلة أو صعوبة فيمكن تأخير ذبح أضاحی الحجاج الأحناف فقط ، و إن الطاقة التی يوزعها البنك الاسلامی و التی تتضمن علی علامات متميزة للهدى ، و دم الجناية ، و الأضحية ، وما إلی ذلك ، توضع عليه علامة أخرى ، مع علامة هدى القران و التمتع ، تدل علی أن هذا الهدى يذبح بعد الظهر ـ مثلا ـ و يخبر الحاج ( أی القارن أو المتمتع ) الذی يشترى البطاقة بأن يفرغ من الرمی قبل الظهر مثلا ، ثم يحلق أو يقصر فی اليوم الثانی مثلا ( أو فی الوقت المحدد لذلك ) و أرجو أن يكون ذلك حلا ماساً للمشكلة و مقنعاً للحجاج ولا يمكن إقناعهم إلا عن مثل هذا الطريق ، وإنكم تعلمون جيداً أن القربة المقصودة إراقة الدم لا غير ، كما هو معروف لدى العلماء ، ولذلك لا يجزیء شیء آخر عن إراقة الدم للواجد ، و يتحلل مع إراقة الدم ( أی بعد الحلق و القصر ) و لو لم توزع اللحوم علی الفقراء ، و قبلها لا يتحلل ، و لو تصدق علی الفقراء أكثر من ثمن الهدى ، وهذا الذی أجمعت الأمة عليه ، و يدل علی ذلك الحديث الذی أخرجه الترمذی وابن ماجة فی صحيحيهما « ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب إلی الله من إهراق الدم ، و إن الدم لا يقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفساً » .

و أسأل الله التوفيق و السداد .

# المفهوم الاسلامى المتميز للادب

## ـ( الحلقة الثالثة الأخيرة )ـ

بقلم الدكتور محمد حسن بريغش

ومع اتساع الحدود التى يجول فيها الأدب الاسلامى ، تبق له أطر وحدود ليعيش وسطها ، ويتقيد بها ، و هذه الأطر و الحدود هى :

١ــ حدود العقل ٢ــ حدود الفطرة ٣ــ حدود الشريعه

(١) حدود العقل .

الأدب الاسلامى أدب موضوعى ، فهو مع العقل ومع التفكير السليم ومع الحق ، لا يستسلم للهوى و الفتنة ولا يأبه للحرافة و لا يعجز أمام الصعاب ، إنه أدب متحرر ، مطلق ، لأن العقل المهتدى بهدى الله عقل جواب و حيوى ، لا يعرف حدوداً يستطيع ارتيادها إلا ويرتادها ، فهو لا يخضع لضرورات آنية ، ولا تسقطه حواجز خاصة أو عامة .

« يا معشر الجن و الانس إن استطعتم أن تنفدوا من أقطار السموات و الأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان » ( الرحمن / ٣٣ ) .

إنه مدعو من ربه للانطلاق فى رحاب الكون، وما بعد الكون، والأدب الاسلامى يعبر عن هذا الانطلاق ما دامت حدوده حدود العقل .

فضلا عن ذلك فان الأدب الاسلامى يبرأ من السقوط فى العبث أو المشى فى المتاهات ، لأن العقل الذى يوافقه عقل يعرف حدوده ، و يعرف أنه مخلوق يتلق من رب خالق ، فيدرك بحدود طاقته البشرية ، و يجوب الكون كمخلوق ، ويبحث دون أن يضيع العمر فى محاولات فاشلة ، و تصورات شيطانية تخرجه

عن حدود الخلق وتضعه فى موضع الخالق عز وجل، فينفق الوقت سدى فى أمر ليس من طاقته ولا من حدوده، ولا من طبيعته.

هكذا يجد الأدب الاسلامى أرضاً رحبة يعيش فيها، يعيش مع الفكر والبحث وارتياد الآفاق البعيدة من الماضى والحاضر والمستقبل، يعيش مع الواقع ومع الحياة بإيجابية فعالة، وواقعية إيجابية.

(٢) حدود الفطرة.

لقد أفسدت حضارة الغرب فطرة الانسان، وسلطت الشياطين على بنى آدم تؤزهم أزا، ومع المغريات الكثيرة، و الاضطرابات الواسعة التى شهدها العالم استطاعت المذاهب المختلفة أن تؤثر على فطرة الناس حتى فسدت و انحرفت، و ألفت كثيراً من الأوهام و الضلالات فى مجالات الفكر، و الأدب والسلوك، وغير ذلك من المجالات.

و فى الأصل — حين تترك الفطرة بلا تضليل — تبقى الفطرة مهتدية لترفع صاحبها إلى الخير. لأنها تعجز بالعجز الحاجه إلى من تستعين به وتطمئن إليه، وتشعر بالضعف والحاجة إلى القوى القادر. وتشعر بالجهل والنقص والحاجة إلى العالم الصمد القدير.

هذه الفطرة تجلت فى هدى الناس إلى الخير، و فى حنينهم الداخلى إلى الطمأنينة.

كانت قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام صورة ناطقه عن هذه الفطرة السليمة التى يواكبها العقل المفكر الجواب، فاذا بها تصل إلى التوجه الحقيقى.. إلى الهدى الآمن، والظلال المطمئنة الرحيمة «إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات و الأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» الأنعام /٧٩.

وهذه الفطرة السليمة هى التى تضع الانسان فى إطار الحقيقة والواقع و فى حيز العلم و الخير.

فالانسان يدرك أنه مخلوق لعجزه و محدوديته وجهله و صفاته الكامنة فى سر خلقه ، و كذلك يدرك أن هذا الكون خلق من خلق الله وهو مسخر له ، و يدرك أن ما بين يديه نعم تستوجب الشكر ، و أنه ــ مهما ارتقت به الأسباب من علم ومال و قوة و سلطان ــ فهو مخلوق محدود ، قاصر جاهل ، يعيش إلى أمد لا يعرفه ولا يقدر على تحديده ، ويدرك ــ كذلك ــ أنه خطاء يحتاج إلى معين، فلا يتلكأ فى التوبة، لأنه محتاج إلى المغفرة والقبول من الخالق.

هذه من حقائق الفطرة السليمة ــ و أمور كثيرة تنسحب على كثير من مناحى حياتنا ، أصبحت غير واضحة لكثرة ما ران عليها من زيف وتضليل.

و فى رأيى أن كثيراً من أذواقنا و عاداتنا فى المأكل و اللباس و مقاييس الجمال ، و العلاقات الاجتماعية أضحت بعيدة عن حقائق الفطرة السليمة.

لأن ألفتنا لكثير من الأمور فى هذا العصر عائدة إلى فساد الفطرة وقوة الدعاية و بريق الأضواء ، لنأخذ مثلا على ذلك : الموسيقى بكل ألوانها فهى أمر شائع فى هذا العصر ، لا نستطيع دفعه، لأن الحضارة الغربية استطاعت أن تدنى الأدواق عليها حتى ألفتها الأسماع، وقبلتها الأحاسيس، وبات العزوف عنها، أو رفضها أمراً مستغرباً، فاذا تحدث المسلم عن الموسيقى برؤية إسلامية تستند إلى نصوص ، وقف الكثيرون مستغربين ، و أظهروا التعجب ، و أدعوا بأن ذلك غير معقول

و تعللوا بما ألفوه ، وجعلوا أحاسيسهم ميزانا ، و أذواقهم فيصلا فى ذلك. و ادعوا بأن الموسيقى أمر طبيعى، و أن الكون كله عبارة عن تناغم بديع . . . وحاولوا تسويغ الموسيقى وقبولها دون شروط، وبلا احتكام إلى دليل . بل وصل بعضهم إلى حد اعتبارها نوعاً من الوحى ، و الاستلهام الذى يلتقى مع النبوة.

ويمكن أن نقيس على هذا كثيراً من الأمور مما ألفناه وحسبنا أنه من حقائق الفطرة السوية من اللباس ، و أسلوب التعامل ، و تذوق الأصوات و الألوان ، و العادات المختلفة ، و الأساليب المتنوعة .

و لهذه الظاهرة علاقة بالأساليب الأدبية، وبالفنون المختلفة كذلك . فكثيرون من المحبين للادب الاسلامى و الداعين له ، ينظرون إلى كل الأساليب الحديثة نظرة إعجاب و إكبار وتجعلهم يرون ضرورة تقليدها ، و الاقتباس منها ، فضلا عن الاطلاع و الدراسه ، لادخالها إلى أدبنا .

و من حيث المبدأ لا ضرر و لا عيب فى الاستفادة من هذا أو ذاك ، فالحكمة ضالة المؤمن، ولكن أليس من الحكمة أن نتوقف عند هذه الأساليب ، ونفكر فى منازعها ، و اصولها ؟

كيف نتعجل الأمر، ونحن ما زلنا نقتبس عن المطلقات ، و التعريف ، و الاطار ، و نتلمس الخطى الصحيحة لتقوية الأدب الاسلامى ، و إبرازه كتيار أدبى متميز ؟

كيف يصح أن نأخذ هذه الأطر لنلبسها إلى أدبنا، وهى تصور تطور المجتمع الغربى ، وتعبر عن تصوره و عاداته و أذواقه ، وبيئاته المختلفة ؟

أليس من الخير أن نعطى الحرية للاديب المسلم ، و الناقد المسلم ، ليخلق أدبه بنفسه ليعبر عن ذاته، عن أصالته ، وليحدد الاطار المناسب له ، والأسلوب الذى يميزه ويعبر عن شخصيته الأدبية الاسلامية .

لماذا لا ندعو إلى تعميق الفكرة ، وفهم التصور و استيعاب التجربة حتى يتمخض هذا الجهد ، مع توافر الموهبة ، عن أدب حى واقعى يعبر عن الأديب المسلم، يعبر عن فكره و عواطفه ، و واقعه ؟

وحينها قد يلتقى مع غيره فى الشرق أو الغرب ، وقد يختلف ، وكل الذى نخشاه أن يصبح الأديب الاسلامى مظهراً لا يحتوى مضموناً حقيقياً ، و لباساً

فضفاضاً مستعاراً يفتقد إلى الروح الحقيقية التى نريدها أن تحيا فى جيل جديد ، يحمل هذه الأمانة ، بأصالة و جدية .

٣ — حدود الشريعة :

و هذا هو الاطار الشامل لأدبنا ، لأنه النور الذى يكشف الطريق أمام العقل و الفطرة و يعينهما على الرشاد ، يهدى العقل و يبصره ، و يدفع عنه الأهواء و الغلواء ، وهو سياج المسلم فى أدبه و فى علمه و فى كل أموره ، وهو سياج العقل ، يضع له حدوده التى لا يقدر العقل على تجاوزها ، و كذلك سياج المجتمع الذى يعش فيه الأديب ، و سياج الانسانية كلها التى يكتب لها و من أجلها الأديب المسلم .

و كان الشريعه سياج فهى صمان للاديب المسلم ، حتى لا يخرج من إطار دنياه التى يعيش فيها ، و فكرته التى يحملها ، وكذلك هى الصفة التى تميزه عن غيره من الأدباء و المفكرين .

و هى كذلك روح لهمه ، تحعل للاديب المسلم طعماً و دوقاً و سمة ، ليست لغيره ، و إدا استطاع الأديب المسلم أن تكون الشريعة روحاً له ، يشم به الخير ، و يتحسس الأشياء ، و يميز بين الأصيل و الدخيل ونجح فى تمثيل الأدب الاسلامى حقاً

أما إدا ظلت الشريعه عنده فكرة و رأياً وشعاراً ، يفضل فى أن يحمل هذا الاسم أو يمثل الأدب الاسلامى .

فان هذه الروح التى تسرى فى فكره و قلبه و فطرته تحقق له التوازن والتكامل بين الواقع و الطموح ، و بين الدواقع المختلفة و الحاجات الضرورية ، و بين النزعة الفردية و الضرورة الاجتماعية ، و بين الحاجة المادية و الأصالة الروحية و الخلقية .

كذلك فان الشريعة سياج للفطرة يمنع عنها المؤثرات القاتلة و الضارة ، يوجهها إلى الخير ، و إلى مرضاة الله ، و يعينها و يحدد مسارها حتى تأمن من الضلال ، و تسلم من السقوط فى ضلالات العصر و مغريات الأضواء و المادة .

و حدود الشريعة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للادب الاسلامى و الأديب المسلم ، لأن الواقع يدل على أن هذه الحدود غير واضحة فى أذهان كثير من الأدباء المسلمين ، و المشتغلين بالأدب الاسلامى ، بل إن بعض هؤلاء لا يرى ضرورة فى وضوح هذا الجانب ، ولا يشعر بأهمية الموضوع و حساسيته ، و لهذا فهو لا يأخذ من الاهتمام القدر الكافى ، بينما يظل الاهتمام بالاطار الفنى ، و الأساليب المحدثة و المتنوعة هو الأول و الأهم عند الأدباء ، و تنصرف الهمم و المطالب إلى الاطلاع على الفنون و المذاهب و الأساليب والأطر ، فى جزئياتها و ألوانها دون الحديث عن المضمون ، أو ارتباط هذه الأساليب بحدود شرعية .

و حين تقدم هذه القضيه على أمر الحدود التى تمثل - كما أرى - روح الأدب الاسلامى ، وهويته ، يفقد الأدب سمته وهويته ، ويقع فى الخلط المشين .

إن قضية الشكل بكل ما لهذه االكلمه من تفصيل تأتى فى المرتبة الثانية ، لأن الشكل الذى نتمناه ينبثق من روح هذا الأدب و يحمل سمته . و يصدر عن روح العقيدة ، و من واقع التجرد للاديب المسلم الملتزم .

و نريد أن يكون الشكل إبداعاً ينسجم مع الأدب بذاته ، لا تقليداً أو شكلا مستعاراً تلبسه أى مضمون نريد .

فاذا قدر المسلم أن يعيش إسلامه حقيقة و واقعاً ، و أن يحبه حتى تصبح شخصيته - بكل جزئياتها - شخصية إسلامية ، عقيدة و سلوكا و عملا ، حينذاك يبدع لنا أدباً إسلامياً ، و يعبر عن مميزات هذه الروح التى تملأ كيانه .

إن انفصاماً قاتلا - يبدو لی - فی الأدب الاسلامی الذی يحمل مسحـــة فكرية أو مضموناً تاريخياً إسلامياً ، و لـكنه فی روحه ، و فی جزئيـات النشاط الانسانی المتبدی فيه يبقى ابن العصر بكل متناقضاته و أمراضه ، و الحـــدود التی نريدها للاديب المسلم و الأدب الاسلامی ، لا تكلف الأديب كثيراً و لا تشكل عنده عنتاً ، و لاسيما إذا كان التزامه بالاسلام التزام الرجل المسلم الذی يحتكم إلى الله فی كل شیء ، و يحرص على مرضاة الله عز وجل فی كل أمر .

حينذاك لا يقع فی الحرج أو الضجر ، لأن هذه الحدود هی سياج حياته و روح سلوكه قبل أن تكون سياج فنه ، وروح أدبه ، و الضجر يأتی من الجهل و البعد ، و من حياة المزدوجـــة التی يعيشها الأديب المسلم بين تقاليد العصر ، و أذواقه و سلوكه ، و مقتضيات الحياة الاسلاميه ، و الالتزام بالاسلام .

إن هذه الازدواجية تجعل الاسلام فكراً و ثقافة ، وسط أفكار الجاهليـــة و الثقافات المختلفـــة ، بينما يظل السلوك الفردی و الاجتماعی خاضعاً للعصر ، و للفلسفات المادية .

و لاشك بأن انتقال الأديب المسلم المعاصر إلى مثل هذا الالتزام يحتاج إلى جهد ، و لـكن الأدب الاسلامی جزء من الحياة الاسلاميـــة ، فكيف نرضى أن يكون بعيداً عنها أو مناقضاً لها .

و هكـذا نرى أن للادب الاسلامی مفهوماً متميزاً ، يستمد أصوله من أصالة هذا الدين و كماله ، و ينبغی أن يعيش فی إطار هذا المنهج يستمد منـــه الأصول و الحدود و الميزات ، و يحلق فی أجوائه ، و يبدع من خلاله فلا يخرج عنه ، ولا يتمرد على حدوده ، و لا يقع فی المتناقضات أو يحمل أسباب فشله ، أو يرضى بأن يحمل أصول غيره .

نسأل الله السداد و الرشاد و الحمد لله رب العلمين .

# الأدب العربي المعاصر فى مصر
# فى ضوء النقد الاسلامى (١)

الدكتور محمد راشد الندوى

رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة عليكراه الاسلامية

إن اللغات بمعانيها ومظاهرها فى كل زمان ومكان تتغير بتغير البيئه و تتطور بتطور المجتمع وتتلون بتلون الحياة البشرية ، لأنها متصلة بحياة الانسان الذى خلق الله فى صدره قلباً خافقاً ، و كبداً تحترقه متألمة . كما وهبه نفساً متطلعة و روحاً مترقرقة ، إذاً اللغات و أساليبها مرآة صافيه للمفاهيم و القيم التى ظهرت وسادت فى كل مجتمع بشرى .

فاللغات لا قيمة لها بنفسها مهما كانت ، صحيحه كانت أم قوية ، متخلفه كانت أم راقية ، بل قيمتها وجمالها بمفاهيمها و قيمها ، بعلومها و عرفانها ، بل قبل كل شئ بحياتها و حركتها ، بروحها و وجدانها ، و قديماً قال الشاعر الجاهلى :

لسان الفتى نصف و نصف فؤاده      فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

فاللغات كالانسان ، و صدق الله العظيم حيث قال :

« إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فالأديان جميعها لم تفرق بين إنسان و إنسان ، كما أنها لم تفرق بين لسان

---

(١) قدم هذا البحث فى مؤتمر رابطه الأدب الاسلامى المنعقد ما بين ٢٥-٢٧ ربيع الثانى ١٤٠٦هـ الموافق ٧ - ٩ يناير ١٩٨٦م ، فى مقر ندوة العلماء بلكناؤ ، الهند .

و لسان ، و لكن من بين هـــذا الانسان الذى كله من آدم و آدم من تراب ، من تراه يرتفع بمواهبه الشخصية و قيمته الخلقية يشار إليه بالبنان ، فترى فيه عالماً كبيراً و كاتباً شهيراً ، وشاعراً مفلقاً ، وفيلسوفاً نابغاً ، طبيباً حاذقاً ، وزعيماً مخلصاً وقائداً مضحياً ، و ولياً طاهراً ، ونبياً كريماً ، فهؤلاء هم روح الحياة وضمير الكون ، بوجودهم تنشأ المفاهيم الحية و تتشكل القيم العـالية ، و من هؤلاء تنتخب القدرة الالهية خيرهم و توحى إليهم أسرارها و تكتب لهم الخلود فى التاريخ ، فالانسان هو الانسان الذى خلقه الله و سواه ، قد تغيرت منزلته و تميزت مكانته وبررت شخصيته بمواهبه و معارفه ، بأحاسيسه و آثاره ، على هذه الأسس يجدر بنا أن نضع المفاهيم الجديدة للغة والأدب ، كما ينبغى أن نضع الأسس النقدية و البلاغية طبقاً لظروفنا و طبيعة لغتنا ، و لا ننقل الأسس و المقاييس التى ترد إلينا من الروافـــد المختلفة بدون أن نمحصها و نأخذ منها ما يغذى أحاسيسنا ويحرك شعورنا و يصقل ضمائرنا و يحسن مستوى لغتنا ، لا نعرف أمة راقية فى العالم ، تقبل الآراء و النظريات التى تتسرب إليها ، اللهم إلا إذا وافقت هواها و انسجمت مع طبيعتها وظروفها .

فاسمحوا لى أن أتحدث إليكم عن الآثار الأدبية فى مصر فى القرن العشرين فى ضوء النقد الاسلامى .

إن مصر كانت و لا تزال مهداً للحضارة الاسلامية و الثقافة العربية الأدبية قد وهبها الله طبيعة عجيبة ، وميزة غريبة ، وهى أنها تتكيف مع الأيام و تنسجم مع الطبائع المختلفه ، لذلك شعر النازحون إليها من البلاد المختلفـة أنهم من أهلها لما وجدوا فيها من المحبة و الاخاء ، حتى نسوا أوطانهم العزيزة فيها

وأقدم إليكم مثالين من الماضى القريب تعرفون بها مدى ولع المصريين بالعلماء والمفكرين ، نحن فى الهند نعتز بشخصية ونعدها من نوادر الزمان وهى شخصية النابغة

مرتضى زبيدى البلكرامى الذى أنبتته أرض الهد وربته، ولكنه لما شب واستوى طار إلى اليمن شوقاً للعلم والمعرفة، فنهل من ينابيعها ما نهل ثم قاده شوقه وغرامه إلى الدراسة و البحث إلى أرض الكنانة، لما كان يسمع عن علمائها و عظمائها، فشد رحاله إليها، فلما وصل إلى القاهرة و ألقى عصا ترحاله فيها لقى فى هذه المدينة الجليلة من الاحترام و الاجلال ما لم يخطر بباله ، فى جنب هذا الاحترام و الاكرام قد لقى من علمائها التقدير و الاعتزاز الذى قلما يتصوره غريب نارح عن الأوطان، بل من أغرب ذلك أن أرض الكنانة بدأت تدعى فيما بعد بأنه من أبنائها لا صلة له بالهند و لا باليمن ، بل جعلت تدعى نسبته إلى الهد و اليمن أسطورة من الأساطير .

و أقدم إليكم شخصيه أخرى و هى شخصية جمال الدين الأفغانى الذى كان فى بلاده مغموراً مهجوراً ، ساقه القدر إلى أرض الكنانة بل ساقه القدر إلى أرض السحر ، فبدأ نجمه يتلألأ فى أفقها لأنه وجد فيها أعواناً وأنصاراً كما وجد فيها رجالا و أكفاءاً ، فاذا هو عرف فيها بالمصلح الكبير ، و أصبح مركزاً للعلماء و الأدباء و المفكرين ، تهوى إليه القلوب ، أليس من أعجوبة الزمان ، ايها الاخوة بأن أعجمياً يأتى إليها فيجد فى أحضانها ما يجد الوليد فى حضن أمه، من هنا بدأ ينادى بحرية الرأى والفكر كما ينادى بجعل الاسلام عروة وثقى ورابطة إسلامية قوية بين الأمة الاسلامية كلها، كما ينادى بجعل العلم و المعرفة و الثقافة وسيلة لتنوير العقول وإيقاظ الضمائر وبث روح الوطنية والقوميه. كل ذلك فى مقالات ملتهبة وأحاديث نابعة من القلب و الوجدان، بخطب كانت كأنها هاروت ينفخ فيها سحراً ، جاء إلى مصر ،فأصبح فيها زعيماً ، جاء إليها ضعيفاً فأصبح فيها قوياً ، جاء إليها وحيداً فأصبح فيها أمة، أخرج منها متهماً فأصبح حركة من أعظم الحركات الاسلامية وأقواها فى العصر

الحديث، نشأ فى كنفه جيل جديد من العلماء و الأدباء و المفكرين، نشروا أفكاره بمهارة فائقة أمثال الشيخ محمد عبده و سعد زغلول اللذين ضربا مثلا فيما بعد فى الكتابة العلمية و الخطابة السياسية ، فنرى الشيخ محمد عبده، ينير الأذهان بمقالاته و أبحاثه و يغذى العقول بآرائه النادرة و أفكاره المشرقة ، كما نرى سعد زغلول يثير العواطف والمشاعر بخطبه النارية، هكذا بدأت الأمة المصرية تتحرك و تتنفس بالصبح بعد ظلام طويل ، فالأفكار السياسية و الدينية التى قدمها الأفغانى و نشرها طلابه ومريدوه فيما بعد أصبحت حديث النوادى والمجامع كما أصبحت حديث الجرائد والمجلات، وتلقتها شخصيات نشأت وتربت فى أحضان العروبة الخالصة وتثقفت فيما بعد بالثقافة الأوربية الغربية ، فكانت همزة وصل بين الثقافة العربية الاسلامية الشرقية، والثقافية الأوربية الغربية، نشرت الأفكار التى ورثتها بأسلوب عربى جديد فيه جمال اللغة و بهاء الفن، فظهر لون جديد من الأدب يمثله لطفى السيد، قاسم أمين، الدكتور محمد حسين هيكل ، الدكتور طه حسين، الأستاذ عباس محمود العقاد ، و الدكتور أحمد أمين وغيرهم، و بدأنا نحس بل نلمس بأن اللغة العربية بدأت تخطو خطوات واسعة نحو التقدم ، كما نراها يملأ وفاضها بالمصطلحات العلمية و الأدبية و الثقافية، فنشأت فى اللغة العربية مدارس أدبية و نقدية فيما بعد ، كما ظهرت على صفحات الجرائد والمجلات آراء سياسيه و دينية لا عهد للغة العربية بها من قبل، لا شك أن هذه الآراء المختلفة و الأبحاث المتنوعة و النزعات المتجددة كونت أدبا عربياً مصرياً قوياً متحركا ، كما كونت مدارس فكرية نقدية قوية ، نجد أثرها فى الأدب المصرى فى المراحل المختلفة ، هنا ينبغى أن نقف قليلا لندرس الأفكار التى ضمها و الآراء التى بلدها إلى الشعب الوليد العز من الناحيـــة العلمية و الثقافية، و ماذا كان صدى لهذه الأفكار و الآراء التى تلقاها بلهفة و حماسة ، و تصورها منشودة ضالته ، فكان كما قال الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

ظهر الشعر العربى فى مصر ، فى أوائل القرن التاسع عشر فى صورة جميلة على يد البارودى الذى كان يجارى الشعراء العباسيين ، خاصه المتنبى و أبا فراس الحمدانى فى قوته وجزالته. فى صراحته و أصالته ، قد درس البارودى الشعر العربى القديم بامعان ودقة بل بشوق و لهفه ، كما درس الأوضاع السياسية و الاجتماعية فى مصر ، و كان فى الجيش المصرى يتمتع برتبة عالية ، و خاض المعارك المختلفه ، ففاضت قريحته بالشعر الحماسى ، كما اشترك فى الحركات السياسيه ، ينشد الأغانى الوطنية القومية التى استمد روحها و معانيها من الأفغانى و عرابى باشا ، فقد كان الروح القوية المتحركة ضد الخديو ، كان ينادى بالحرية و المساواة ، كما كان ينادى بالحكومه الديموقراطيه و الجمهورية فى مصر ، فالقصائد التى قالها أثناء ثورة عرابى باشا تعد من أروع القصائد فى الشعر العربى الحديث بل فى الشعر العربى كله . فان الشعب كان يهتف لعرابى باشا وفى نفس الوقت كان يهتف لشاعره المفلق ، ولكن شاء القدر أن تفشل الثورة ويقع الشعب فريسه لأدهى أمه وأمكرها هى الانكليز

و كانت هذه المرحلة من أشد المراحل و أعنفها فى تاريخ مصر ، فالشعب الذى كان يحلق فى الفضاء فى نشوة الحب و الغرام للوطن المفدى يسقط على الأرض كالشهاب الثاقب ، خابت آماله ، و بدأ اليأس و القنوط يسوده ، و هو فى حيرة ، لا قائد يقوده، ولا مواس يواسيه ، وأدهى وأمر أن القواد أصبحوا غرضاً للرماة ، و هدفا للعن والشتم ، حتى يدهش دارس تاريخ هذه الفترة فيما يرى من هذه الأوضاع المنقلبة .

إنى أرى أن العاطفة الوطنية والقومية التى أثارها الشاعر كانت عاطفة عارمة لم تكن متأصلة الجذور فلعبت بها الرياح و جعلتها هباء منثوراً ، و الشعب لم يفهم

معنى القومية و الوطنية حق الفهم ، لأنه لم ينبع من الينابيع الأصيلة ،

و الشاعر نفسه لم يفهم المفاهيم القومية ، بل إنما خطف مفاهيمها و معانيها من هنا و هناك ، و السبب الثانى أن الشعب قد اشتبك مع أبناء جلدته ، فكانت الحرب حرباً أهلية ، لم تكن حرباً دينية ، فضعفت النزعة الدينية الخالصة ، وحلت محلها نزعة وطنية زائفة .

جاء أحمد شوقى بعد البارودى فقد كان أقوى منه ثقافة و أرق منه نفساً ، لا يحب الثورة و لا الثوار ، يرضى بعيشة هادئة و حياة ناعمة ، كان قوى الصلة بالخديو يتمتع بهداياه و تحفه ، كما يتمتع باكرامه و احترامه ، شأن الشعراء الذين يتحلقون حول العرش و ينظرون إلى الشعب وإلى الحياة العامة بنظرة خاصة ، بل بنظرة مولاهم ، يعيشون فى البرج العالى أحياناً ، يطلون منه و ينشدون بعض الأغانى إرضاءاً لهم ، هكذا كان شوقى قضى جل حياته فى القصر منعماً مرفهاً ، و نزل إلى الشعب و خاض معركة الحياة و لكنه خاضها بقلب خائف ، كان يناصر الحركة السياسية التى يتزعمها مصطفى كامل و محمد فريد لأنه كان يظن أن الشعب كله يكن لهما كل إجلال و احترام ، كان يراه أن مولاه الخديو نفسه كان يحب هذين الزعيمين الشابين ، لما كان يرى فيهما من النجابة و النبوغ ، كما كان يرى فيهما أمل الشعب لتخليص الوطن من براثن الانكليز ، فقد كان شوقى ذكياً بل كان يقدر الظروف خير تقدير ، لذلك كان يساير الاتجاه الوطنى والقومى فى مصر فى جميع حياته و هو كان يعتقد أن هذه الاتجاهات تتغير و تتطور ، فقد كان هذا الشاعر العبقرى أيضاً يتطور مع تطور الاتجاهات ، فقد كان يجارى كل اتجاه و كل تيار ، بل كان ينحرف مع كل تيار و اتجاه ، لا نجد عنده أى فكرة مركزة ، و لا نزعة أصيلة ، كنا نتمنى أن يقدم شعراً قويا هادئا كما كنا

تتمنى أن يمثل اتجاهاً قومياً دينياً منبثقاً من صميم الحياة المصرية ولكن يخيب أملنا حينما نرى شاعرنا كأنه فى مهب الريح ، ليس له أى قرار ، نراه ينتقل من فكرة وطنية مصرية إلى قومية مصرية ، من قومية مصرية إلى جامعة إسلامية ، من جامعة إسلامية إلى قومية عربية ، من قومية عربية إلى وحدة عربية ، لا شك أنه كان بارعاً فى تصوير هذه النزعات والاتجاهات ، كما كان بارعاً فى تصوير الحوادث والكوارث التى ألمت بوادى النيل أو فى قطر عربى ، إذا جمعنا قصائد شوقى التى قالها فى مناسبات مختلفة ، ثم جمعنا قصائد الشعراء الآخرين الذين عاصروا شوقى ، أمثال حافظ إبراهيم ، أحمد محرم ، أحمد كاشف ، أسمر ، إبراهيم صبرى ، نجدهم جميعاً يضربون على وتر واحد كأن القيثارة واحدة نسمع منها ألحاناً مختلفة فى مناسبات مختلفة ، فالبيئة الفكرية و الاجتماعية التى خلقها الزعماء كانت مسيطرة على عقول الشعراء ، لم يستطع واحد منهم أن يتزحزح عنها .

بعد هذه العجالة نريد أن نقدم القضايا الأساسية التى كانت القصة المصرية تدور حولها .

لا شك أن القصة المصرية لها فضل كبير فى رفع مستوى النثر العربى و جعله قريباً من الأسماع و الأذهان ، ثم إن كتاب القصة أكثرهم كانوا من دعاة الفن للمجتمع و الحياة و كانوا يحاربون أن يجعل الفنان فنه و أدبه للتسلية و اللهو أو لإرضاء طبقة معينة و فئة معينة مهما كانت هذه الطبقة أو مهما كانت هذه الفئة ، و فى نفس الوقت كانوا يحاربون الأدباء و الكتاب الذى يهتمون باللغة و الأسلوب أكثر مما يهتمون بالمعنى و الفحوى ، فالقصاص كانوا يطالبون لغة سهلة فى أسلوب متين رصين تجرى فى تياره أفكار معينة و حقائق واضحة تقود الشعب قيادة سليمة و تجعله يستحق حياة كريمة شريفة و تخلق مجتمعاً تسرى فى

شرايينه روح المحبة و الاخاء ، روح العدالة و الكرامة ، روح التضحية و الفداء روح الحضارة النقية ، روح الثقافة الجديدة ، روح الحقائق والعرفان ، حين ندرى هذه الأحاسيس الجميلة الرقيقة التى أثارها كتاب القصة .

فى القرن العشرين كأننا أمام لوحة فنية رائعة والقصاص أيضاً كانوا فرحين و مبتهجين بما قدموا إلى الشعب من أدب رائع و فكرة مبتكرة ، كأنهم قدموا ما فى صحف إبراهيم و موسى ، أو قدموا ما فى خزائن الشرق و الغرب من الحكم و العرفان ، قد ظهر هذا الفن الجديد فى صورة فنية كاملة على يد محمد حسين هيكل فى قصته المعروفة ( زينب ) و لم يزل يتطور و يتقدم حتى ظهر فى أشكال وأساليب مختلفة و كان نوابغ هذا الفن ،توفيق الحكيم، محمود تيمور ، يحيى حق ، نجيب محفوظ ، طه حسين ، كامل حسين فآثارهم الفنية نجدها فى أقوى مظاهرها فى « عودة الروح » ، فى « سلوى مهب الريح » ، « قنديل أم هاشم » ، « بين القصرين » ، « دعاء الكروان » ، « قرية ظالمة » ، قد درس أكثر هؤلاء الكتاب الفنانين فى جامعات بلادهم ، ثم أكملوا دراساتهم العالية فى جامعات الغرب ، و من لم يدرس فى جامعات الغرب أكب على دراسة الثقافة الغربية و آدابها ، قد رأى هؤلاء الكتاب الحضارة الغربية فى أقوى مظاهرها و أبهى صورها ، فلما رجعوا إلى بلادهم بعد إكمال دراستهم قد رأوا حضارة بلادهم فى أبشع صورها كما رأوا المجتمع المصرى بل المجتمع العربى فى أسوء شكله .

رأوا فى بلاد الغرب حضارة متحركة كما رأوا فيها مجتمعاً يشعر كل فرد فيه بالحرية والمساواة لاحظوا فيها التعليم من قصر إلى كوخ ، فلا يتصور فيها الانسان بأنه إنسان بدون تعليم ، و إن المرأة الغربية أيضاً قد شمرت عن ساق الجد تبارى الرجال فى جميع مجالات الحياة .

لا شك أن هذه الصور الجميلة و الأشكال اللامعة سحرت عقول شباب مصر المتعلمين فيها كما جذبت قلوبهم ، فبدأوا يؤلفون القصص التى تصور المجتمع المصرى المتخلف ، و يطالبون فيها بطرف خفى بتغيير النظم و الأوضاع التى ورثها الشعب من العهود المظلمة .

قصة «زينب» لهيكل ، و «قنديل أم هاشم» ليحى حقى ، و «دعاء الكروان» لطه حسين ، و «بين القصرين» لنجيب محفوظ ، تمثل هذه النزعة المتجددة المتحررة ، أما «عودة الروح» لتوفيق الحكيم فانها تمثل تطور الفكرة القومية المصرية و النهضة الثقافية الحديثة و الروح المتطلعة للشعب وروح النضال والتضحية التى ظهرت فى ثورة ١٩١٩ تحت قيادة الزعيم الكبير سعد زغلول .

لا شك أن هذه القصص كلها تعد من أروع الآثار الأدبية و الفنية فى مصر بل فى البلاد العربية كلها . فيها روعة الفن و جمال الأسلوب .

أما قصة «القرية الظالمة» للدكتور كامل حسين فانها تصور منطقة فلسطين من الناحية الدينية ، لأنها كانت مولد الأنبياء و موطن الرسل ، لذلك كان الصراع فيها عنيفاً بين الحق و الباطل عبر التاريخ و انتهى به المطاف إلى سيدنا عيسى عليه الصلاة و السلام .

لقد كان الدكتور كامل حسين ناجحاً فى تصوير هذه المنطقة كما كان ناجحاً فى تحليل نفسية هذا الشعب ، و لكن الذى يدهش له باحث هذه القصة هو أن كاتبها مصرى مسلم اختار هذه المنطقة لحواره و تصوير نفسية شعبها ، ماذا يريد بها ؟ هل هو كتب هذه القصة الرائعة لأنه كاتب قدير على كتابة القصة الدينيه فى أسلوب جميل ؟ أم يريد أن يرضى فئة من الناس فى مصر أو فى البلاد العربية ، مع أن الشعب المصرى المسلم كان فى حاجة ملحة إلى قصة مصرية دينية تثير

النزعة الدينية والفكرة الاسلامية فى الشعب المسلم ، كأن الكاتب كان يغض النظر عن شعبه ، و يتدلل إلى فئة قليلة من الناس لحاجة فى نفسه ، لو قدم الكاتب منطقة المدينة المنورة و مكة المكرمة وصور الصراع العنيف بين رسول الله ﷺ و بين قومه فيهما ، و ما قام بنصحه منقطع النظير ، و ما قدم إلى شعبه من أسوة حسنة و مثل أعلى للبشر ، لقدم إلى قومه خدمة جليلة ، و أضاف إلى القصة المصرية روحا جديدة مشرقة .

من سوء الحظ أن الكتاب الكبار للقصة لم يختاروا الشخصيات الاسلامية لقصصهم مع أن التاريخ الاسلامى فيه مادة دسمة ، بل إن التاريخ الاسلامى هو أرض خصبة لكتاب القصه لو أعاروا عنايتهم نحوه .

سادتى ! ليس غرضى أن أذهب فى تفاصيل هذه القصص و أحللها تحليلا أدبياً و فنياً ، بل أردت أن أقدم الأفكار الرئيسية فيها لأناقشها مناقشة فى ضوء المفاهيم الحديدة و النقد الاسلامى .

إن الأدب مهما كان من نظم و نثر ، لا بد أن ينبثق من المجتمع ، و منه يستوحى و يستلهم ، ثم يصور المساوىء فيه و يفحص مواضع الداء و الفساد ، و يبحث عن العلل و الأسباب ثم يصف الدواء — أما القصص التى تحدثنا عنها بالاجمال تجد أن أكثرها لم ينظر إلى المجتمع المصرى بأنه مجتمع إسلامى و أن له تاريخاً طويلا و أصيلا قد أصابه الوهن و الضعف شأن كل مجتمع فى العالم يتعرض للرقى و التخلف ، فقد أصاب المجتمع المصرى تحلل وتفكك ، اضطراب و حيرة ، و لكن مع ذلك فان شعبه شعب مسلم قد ورث القيم الأخلاقية و الدينية ، و رسخت فى جذورها العقيدة الاسلامية ، و هو الآن فى حاجة إلى إصلاح و نظام ، كما هو فى حاجة إلى تعليم و معرفة ، و لكن إلى أى نظام

و تعليم ؟ أ تطبق عليه النظم الاجتماعية الغربية التى هى نفسها قد مرت بمراحل مختلفة فى الغرب ؟ أ تطبق عليه النظم السياسية الغربية الحديثة التى طبقت مرة و ألغيت أخرى فى بلاد الغرب نفسها ، أم تطبق عليه النظم التعليمية الأوربية اللادينية التى لا تمت بأية صلة إلى الحياة المصرية المسلمة ، فكل نظام اجتماعى و سياسى و تعليمى إن لم يستمد أسسه و مبادءه من صميم حياة الأمة و الشعب يكون نظاماً فاشلا يخلق فى المجتمع أزمة نفسية و حيرة فكرية .

أول ما نجد فى هذه القصص جميعاً هو أن كتابها قد حاولوا القضاء على المبادىء و القيم التى ورثها الشعب المصرى ، و هذه المبادىء و القيم كلها كانت منبثقة من العقيدة الاسلامية ، فالنظم الاجتماعية والسياسية و التعليمية التى طبقت على المجتمع المصرى كانت كأنها نقلت من مكان و وضعت فى مكان آخر ، كأنها سلعة تباع و تشترى — فاننا نرى الشعب لم ينسجم معها نفسياً و لم يتلاءم معها فكرياً ، فكانت هذه النظم المختلفة فى المجتمع المصرى المسلم كما يقول الشاعر :

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعه        مشكلة الألوان مختلفات

فكل نظام اجتماعى و سياسى منفصل عن القيم و المبادىء التى يؤمن بها شعب من الشعوب يكون نظاماً مستعاراً قلقاً يفقد الشعب فيه ثقته بنفسه ، و إذا فقد الثقة بالنفس يكون ضائعاً فى وطنه حائراً فى داره ، تلعب به الأهواء كما يلهو به الأعداء ، و يعيش كأنه غريب فى وطنه أو يكون مصيره كما قال الشاعر :

أشقى اليتامى فى مرابعه        شعب يعيش و ماله وطن

( ) ( ) ( ) ( )

## دراسات و أبحاث :

# فتوح البلدان للبلاذرى

### تحقيق صلاح الدين المنجد

دكتور سيد رضوان على الندوى
أستاذ التاريخ الاسلامى — كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض

تراثنا الاسلامى زاخر بكتب الفتوح ، فقد ألف مؤلفونا القدامى أمثال الواقدى ، و ابن عبد الحكيم ، و ابن القوطية ، و ابن الأعثم الكوفى فى فتوح الشام و مصر و أفريقيا و الأندلس أو الفتوح عامة فى مختلف الأقطار ، و من هؤلاء أحمد بن يحى بن جابر البلاذرى المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، و كتب هؤلاء مطبوعة متداولة .

و أما مؤلف الفتوح الغزير التأليف ، أبو الحسن على المدائنى ( المتوفى نحو سنة ٢٢٥هـ ) الذى ألف عشرات من كتب الفتوح الصغيرة أو الرسائل و الذى ألف ٣٦ كتاباً فى موضوع الفتوح (١) بجانب عشرات من الكتب الأخرى (٢) فقد فقدت معظمها ، ولا توجد منها إلا مقتطفات أو اقتباسات فى مصادر متنوعة عديدة (٣) و هو من مصادر البلاذرى الهامة ، و بخاصة فيما يتعلق بفتح السند ، حيث ضم ثلاث رسائل المدائنى فى الموضوع ، وهى (١) كتاب فتح مكران (٢) كتاب ثغر الهند (٣) كتاب عمال الهند ، أو بالأحرى نقل منها أهم الروايات ،

---

(١) أنظر ابن النديم ، الفهرست ، طبعة فلوجل ، ص ١٠٣ .
(٢) بلغ عددها حسبما أورده ابن النديم ٢٣٩ كتاباً بين الكبير و الصغير .
(٣) أنظر عنها فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربى : ١/٥٠٢ وما بعده ، وبدوى محمد فهد ، شيخ الأخباريين المدائنى ص ١٤١ — ١٦١ .

و من ثم أهمية كتاب فتوح البلدان فى موضوع فتح مناطق فى السند و الهند ، أو شبه القارة الهندية .

و كتاب البلاذرى هذا نشر لأول مرة على يد المستشرق الهولندى المعروف دى خويه فى ثلاثة أقسام بين سنتى ١٨٦٣ و ١٨٦٦م ، وهى نشرة علمية محققة ، ثم طبع فى القاهرة عدة مرات ، إحداها بتحقيق الأستاذ رضوان محمد رضوان فى عام ١٩٣٢ ، وهو مشحون بالأخطاء . وهى تكرار ، كما يرى الدكتور المنجد ٢ لطبعة القاهرة ١٩٠١م المبنية على طبعة دى خويه .

و كل ذلك ذكره الدكتور المنجد فى مقدمته الضافية عن الكتاب و مؤلفه ( ص ٣ - ٢٩ ) و الذى اتخذ طبعة دى خويه أساساً لنشرته ، لأنه كما قال : « اطمأن قلبنا إلى الأصول التى اعتمد عليها دى خويه » فقام بتحقيق ونشر الكتاب بتكليف من إدارة الثقافة العامة بجامعة الدول العربية فى سنة ١٩٥٦م وطبع من قبل مكتبه النهضة المصرية بالقاهرة .

و يتبين من دلك أنه تكرار لطبعة دى حويه ، و يتساءل المرء ما الداعى إلى ذالك ؟ هل أضاف شيئاً جديداً ، أو شرح أشياء غامضه فى الكتاب ؟ و نجد جواب دلك فى كلمات الدكتور المنجد نفسه ، حيث يقول :

« وقد صححنا نحن أولا طبعة دى خويه حسب ما استدرك من تصحيح فى آخر الكتاب » .

و يلاحظ أن هذا ليس تحقيقاً ، ولا عملا علمياً ، بل مجرد نقل الاستدراكات الموجودة فى آخر طبعة دى خويه إلى مواضعها من الكتاب ، و أردف بعد ذلك قائلا : « ثم صححنا نحن ما بدا لنا فيها الخطأ أو فاته التنبيه عليه ، و لم نشر إلى هذه الأخطاء ، فعمل هذا المستشرق الجليل الذى نشر عشرات من تراثنا العربى

قبل قرن أجل من أن يطعن عليه لأخطاء يتعرض لها كل عالم ، و خاصة كتاب كفتوح البلدان كله أعلام و أسماء أماكن و بقاع » .

وليته قد أشار إلى هذه الأخطاء، وليس فى ذلك طعن على المحقق المستشرق أو نيل منه ، بل هو خدمه للعلم ، و العلماء المحققون المنصفون يقدرون ذلك و يرحبون به بل يطالبونه من قرائهم ، بل دى خويه نفسه طلب ذلك عند نشر الكتاب ، وقبل تصحيحات نولدكه ، وفليشر و وستنفلد ورايت من معاصريه ، و أثبت هذه التصحيحات فى ثمان و عشرين صفحة فى آخر الكتاب ، كما يقول الدكتور المنجد نفسه فى مقدمته .

ولو أشار هو إلى الأخطاء التى تنبه لها وصححها فى هوامش نشرته ، لاستفدنا من ذلك ، و ارتاحت له روح المحقق الأول، وظهرت قيمة عمل الدكتور المنجد ، و تأكدنا أنه بالفعل كانت هناك هفوات و ثغرات فى تحقيق دى خويه ، أما إطلاق القول هكذا دون تحديد مواضع الخطأ فهذا يعتبر فى اعتقادى ، طعنا فى عمل المحقق الأول ، ولست أدرى بأى شئ يمكن تعبير هذا ؟ هل هو تستر على أخطاء دى خويه إكراما له ؟ أو كسل علمى ؟ أو تبرير لاعادة عمل التحقيق ؟ .

ومهما يكن الأمر فان هذا مجرد دعوى حتى تقام عليها الأدلة من إظهار أخطاء دى خويه ، و بخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن الدكتور المنجد لم يرجع إلى أى مخطوط جديد فى تحقيقه .

ثم يشرح المحقق الفاضل عمله فى تحقيق الكتاب فى نقاط محددة ، هى :

١ــ « ضبط » كثير من الكلمات التى لم يضبطها دى خويه .

٢ــ تصحيح الرسم فى الأسماء التى حذفت ألفها كابراهيم و اسحاق .

٣ــ فصل المئات عن الأعداد ، فكتبنا ثلاث مئة بدلا من ثلاثمائة .

٤ــ ترقيم الأحاديث و الأخبار .

ه ــ جعل الاسناد بحرف أدق من حرف المتن (٤) .

ولا يخفى على القارىء أن كل ذلك عمل فى بحت ، لا شأن له بتحقيق علمى بالمعنى الدقيق للكلمة، وبعض الأمور منها ليست دات بال أو مختلف فيها مثل رسم كلمتى إبراهيم و اسحاق و ثلاث مئة بدلا من ثلاثمائة ( ويستمر الكتاب فى مصر وغيرها بوصل المئات مع الأعداد بخلاف الكتاب والمطابع فى الشام ولبنان) .

و أخيراً ، فصرح المحقق الفاضل : « و رأينا أن كتاباً كهذا لا يتم الانتفاع به إلا إذا عرفت الأماكن المذكورة فيها، لذلك لم نشأ أن نجعل تعليقاتنا وشروحنا فى أسافل الصفحات ، بل ألحقنا بالكتاب معجماً لأسماء الأماكن، بينا فيه مواضعها اليوم إدا أمكن ، و دكرنا المصادر التى تكلمت عليها » ( المقدمة ص ٢٨ ) .

و لا شك أن هذا الأمر أهم ما فى الموضوع ، أى موضوع التحقيق ، للافادة من الكتاب ، و من المؤسف أن أقول بأن الدكتور المنجد لم يقم بأى مجهود كبير فى هذا الأمر المهم جداً ، لأنه لم يقم بتحديد مواضع تلك المدن و الأماكن الكثيرة حالياً ، ولم يذكر المصادر التى تكلمت عليها، وكل ما هنالك أنه اكتفى بالاشارة إلى صفحة الكتاب ( أى فتوح البلاذرى ) التى ورد فيها اسم هذا المكان أو ذاك ، أو دكر ورودها فى معجم البلدان ، و أحياناً قليلة ذكر لى سترانج فى كتابه بلدان الخلافة الشرقية ، أو قاموس الأمكنة الواردة فى فتوح البلادرى لعلى بهجت ( المطبوع فى ١٩٠٣ بمصر ) ، ونتيجة لذلك بقيت عشرات الأماكن من المدن و البلدان و النواحى و الأنهار مجهولة التحديد ، و يتبين ذلك جلياً لكل من يرجع إلى معجم الأماكن فى آخر الجزء الثالث ، من صفحة ٦٧٩ إلى ص ٧٩٣ .

---

(٤) مقدمة فتوح البلدان - ١ / ٢٨ .

و من الغريب أن المحقق الفاضل يقول فى الصفحة الأولى من هذا المعجم أنه حاول « أن يجعله دليلا للمصادر التى تكلمت على تلك الأماكن لمن شاء التوسع فى البحث » و يشير إلى حالتها الحاضرة و فى أى دولة من الدول تقع » و قد رجع فى ذلك إلى « مراجع شرقية و غربية ، قديمة و حديثة و بلغات مختلفة ، و إلى خرائط البلدان خاصة » (١) .

و يؤسفنى مرة أخرى أن أقول إن هذه مجرد دعوى عريضة ، فلا يجد المرء فى هذا المعجم ذكر أى مصدر غير ياقوت ، و أحياناً نادرة لى سترانج ، و قاموس الأمكنة ، الآنفة الذكر أو خارطة لايران و العراق ، ولا نرى فيه أية إشارة إلى « مراجع بلغات مختلفه شرقية وغربية » اللهم إذا قصد كتاب لى سترانج المعروف و المترجم إلى العربية .

فلا هو رجع إلى المصادر الجغرافيه الكثيرة مثل ابن خرداذبة ، والاصطخرى ، و ابن حوقل و المقدسى ، و الادريسى وأبى الفداء ، و كتاب حدود العالم لمؤلف مجهول ، و غيرهم ، و لا إلى مؤلفات الايرانيين و الهنود المسلمين أمثال ده خدا ( مؤلف لغت نامه ) و عبد الوهاب القزوينى و عباس إقبال و غيرهم بالفارسية وكتابات بارتولد و مينوراسكى و بوزورت و غيرهم لتحديد الأماكن فى بلاد إيران و ما وراء النهر ، و لا إلى تحقيقات ايليت Elliot ، و داود بوتا ، و نبى بخش وغيرهم فى تحديد الأماكن بالسند والهند ، ولا إلى أبحاث كودبرا و ريبرا و حسين مؤنس فى تعريف مدن أفريقية و الأندلس ، ولا إلى أعمال الدكتور أحمد سوسة الذى حقق كثيراً من بلدان العراق و عمل خارطة تاريخية دقيقة .

و لو فعل ذلك لحل كثيراً من مشكلات الكتاب فى التعرف على مئات

(١) القسم الثالث ، ص ٦٧٨ .

الأماكن ، و ليس هذا فقط بل وقع فی أخطاء و أوهام فی تعريف الأماكن ، الكثيرة سنبين بعضها فيما يأتی، أما تحديد هذه الأماكن حالياً وفی أی دولة تقع فلا يوجد فی هذا المعجم إلا قليلا .

و ليس ذاك عملا مستحيلا أو عسيراً جداً ، ولكنه يحتاج بدون شك إلى معاناة فی البحث و بذل مجهود شاق .

و أما الخرائط التی ذكر أنه ألحقها بالكتاب ، فلا وجود لها فی الطبعة التی أملكها ( ١٩٥٦ ) و كذاك فی نسخ أخرى من هذه الطبعة .

و هكذا فالكتاب ما زال ينتظر التحقق فيما يخص تعريف و تحديد مئات الأماكن الواردة فيه ، و أما كتاب علی بهجت بعنوان قاموس الأمكنة الواردة فی فتوح البلدان للبلادری السابق الذكر فليئ بالأوهام و الأخطاء ولا يفيد القارىء شيئا فی التعرف على تلك الأماكن حالياً . وأغلب ظنی أن الدكتور المنجد اعتمد عليه اعتماداً كبيراً كما اتضح لی من مقارنة لبعض المواضع .

ومن أمثلة أوهام الدكتور المنجد فی تعريف هذه الأماكن أو إهمال تحديدها حالياً ما يأتی :

١ـ آمل ( زم ) ( ص ٦٧٩ ) : قال : « كانت أكبر مدينة بطبرستان ، وهی فی الاتحاد السوفيتی ، و فی محلها مدينة جهار جوی » .

و أقول : آمل المذكورة هنا ليست بطبرستان ، بل هی الواقعة فی إقليم خوارزم قديماً ، وهی التی اسمها جهارجوی و هی فی جمهورية تركستان (٦) بالاتحاد السوفيتی على وجه التحديد ، أما آمل الواقعة فی طبرستان ( مازندران ) فهی فی شمال إيران ، و ما زالت تعرف باسمها ( ينظر فی حرائط إيران و الاتحاد السوفيتی ) .

---

(٦) أنظر ، د/ محمد علی البار ، المسلمون فی الاتحاد السوفيتی ، ٢/٦١٢ .

٢- أخسيكث ( ص ٦٨١ ) : عرفها قائلا : « مدينة فى خوقند اليوم ( قصبة فرغانة فيما وراء النهر ) و هى فى الاتحاد السوفياتى ، و تعد من أنزه بلاد ما وراء النهر » ، وأحال للصادر و المراجع إلى ياقوت و لى سترانج وقاموس الأمكنة ، السابقة الذكر .

و هذا التحريف اختلطت فيه عبارات تلك المراجع بدون انتظام ، كما أنه لا يعطى تحديداً دقيقاً اليوم ، و يبقى الأمر غامضاً للقارىء .

والحقيقة أن هذه المدينة كانت فى الزمن القديم قصبة أو عاصمة لاقليم فرغانة كما ذكر الاصطخرى و ابن حوقل و غيرهما ، أما فى عهد بابر ( محمد ظهير الدين ) حاكم فرغانة فى أوائل القرن العاشر للهجرة ، فكان اسمها قد تغير إلى آخشى كما صرح بذلك فى مذكراته (٧) ، و كانت عاصمة الاقليم أو إمارة فرغانة فى القرنين التاسع و العاشر الهجريين مدينه ( أندجان ) ، و اخشكيت ( بالتاء المثناة كما ورد عند بابر ) أو آخشى كانت المدينة الكبرى الثانية ، و تغير اسمها إلى خوقند فى فى القرن الثانى عشر الهجرى/ ( الثامن عشر الميلادى ) عندما نشأت خانية ( أى إمارة قوية حديدة ) .

و هى لا تزال تعرف باسم خوقند ، إحدى المدن الكبرى فى جمهورية أوزبكستان بالاتحاد السوفيتى ، و أما فرغانة فهى إحدى المدن الصغيرة الآن فى هذه الجمهورية شرق خوقند .

(٧) كتب بابر مؤسس الدولة المغولية الاسلامية فى الهند مذكراته باللغة التركية بعنوان تورك بابرى ، و ترجمت هذه المذكرات قديماً إلى الفارسية ، ومنها إلى الأردية ، كما ترجمت إلى الانجليزية و الروسية ، أنظر الترجمة الأردية بقلم نصير الدين حيدر ص ٢٢ .

٣- أرمائيل ( ٦٨٤ ) : قال : « مدينة كبيرة بين مكران و الديبل من أرض السند ، كذا ورد اسمها فى البلاذرى وياقوت، و سماها لى سترانج، أرمبيل، و قال : إن النساخ يجعلونها أرمائيل » .

و الحقيقة أن اسمها ورد فى ابن حوقل و ابن خرداذبة ( أرمايل ) ، وكذلك عند البيرونى ( كتاب الهند ) ولا شك أن ما ورد فى اللاذرى و ياقوت من تحريف النساخ ، و هى فى اللغة المحلية بمكران كانت تعرف ( بأرمن بيلا ) وهى المعروفة الآن بـ ( تس، بيلا ) وهى الآن فى جوبى مقاطعه بلوشستان باكستان .

٤- أزين ( ص ٦٨٥ ) : قال « بلدة فى السد » . ولم يذكر أى مصدر غير الفتوح نفسه ، و أقول : الصواب فى ضبطه بضم الهمزة و تشديد الراى مع فتحها : أزين و هو تعريب لاسم أجين .

و أجين مدينه قديمه تعرف بهذا الاسم حتى الآن ، و هى فى اقليم مألوه بمقاطعة مدهيا براديش بجمهورية الهند ، ولا علاقه لها بالسند، ويمكن التعرف عليها فى عامة خرائط الهند .

٥- اسبيجاب : عرفها « بلدة كبيرة فيما وراء النهر » .

و هذا التعريف لا يفيد شيئاً فان عشرات من المدن التى ذكرها البلادرى تقع فيما وراء النهر و إنها بلاد واسعة .

و الحقيقة أنها اسم كورة ، وقصبتها أو عاصمتها كانت تعرف بهذا الاسم أيضاً، ومدينة اسبيجاب هى موقع قرية سيرام الحالية فى جمهورية كازاخستان أو ( قازاقستان ) بالاتحاد السوفيتى .

ومن مدن كورة أو ناحية اسبيجاب، مدينتا فاراب وطراز الشهيرتان .

٦- اشروسنة (٦٨٧) : عرفها : « بلدة كبيرة بين نهر سيحون و سمرقند » ،
و أقول : هذا كلام ياقوت ، و أدق منه ما قاله الاصطخرى وابن حوقل ، اشروسنة اسم الاقليم ، و ليس بها مكان ولا مدينة بهذا الاسم ، وقصبتها أو عاصمتها بنجيكث التى أطلالها على بعد ستة عشر ميلا من أوراتبة إلى الجنوب الغربى منها .

و هكذا فكان موقع هذه الناحية فى جمهورية أوزبكستان الحالية بالاتحاد السوفيتى ، و لا وجود لها الآن .

٧- إصطخر ( ص ٦٨٧ ) : عرفها صحيحاً ، و لكن لم يذكر اسمها حالياً ، وهى تعرف الآن بـ « تخت جشيد » و هى أطلال للمدينة القديمة .

٨- ألاهور ( لهاوور ) ( ص ٦٩٠ ) : قال عنها : « مدينة شهيرة بالهند غزاها المهلب بن أبى صفرة وهى اليوم لاهور فى الباكستان » .
أقول هذا خطأ ، إذ ( الاهور ) المذكورة فى فتوح البلاذرى ، غير لهاوور ( لاهور ) الحالية ، و قد وقع فى الخطأ بعض الباحثين الآخرين .

و ألاهور هذه كانت على شاطئ السند ، نهر قرب أتك ( Attok ) فى الشمال من مقاطعه البنجاب ، و هى الآن قرية صغيرة بهذا الاسم على هذا النهر فى مقاطعة الحدود الشماليه بباكستان ، و لم تكن لاهور الحالية بباكستان معروفة آنذاك بهذا الاسم ، بل عرفت باسم لهاور فى القرن الرابع الهجرى ، و ورد ذكرها عند البيرونى بهذا الاسم فى كتابيه القانون المسعودى ، وكتاب الهند .

٩- بغرور ( ص ٦٥٩ ) : قال : « من بلاد السند ، تذكر هى و الرور » لم يذكر أى مصدر أو مرجع غير ( الفتوح ) ،

و أقول : إنها كانت على شاطئ نهر السند ، و تعرف الآن : « بهكر » فى مقاطعة السند بالباكستان .

١٠ــ بنة ( ص ٦٩٦ ) : قال : « مدينة بالهند بين الملتان و كابل » .

و هذا تعريف غريب ، فالملتان فى باكستان و كابل فى أفغانستان ، و أما الهند فهى شرقى باكستان ، فكيف تكون بينهما ؟ و الحقيقه هى مدينة ( بنون ) الحالية فى مقاطعة الحدود بباكستان ، و هى بالفعل بين الملتان و كابل ، وهى التى غزاها المهلب بن أبى صفرة فى خلافة عبد الملك بن مروان من ناحيــه سجستان أو ( أفغانستان ) .

١١ــ بوقان ( ص ٦٩٧ ) : قال بلدة من نواحى سجستان » (١) .

الصواب ، أنها من مدن مقاطعه بلوشستان (٢) بباكستان . و ذكرها ابن خرداذبة من مدن بلاد السند ( ص ٥٦ ) ولا توجد الآن فى خرائط باكستان مدينــة بهذا الاسم ، و لعلها كانت بجانب الممر الجبلى فى شمالى مقاطعة بلوشستان الذى يعرف بممر ( بولان ) بالقرب من حدود أفغانستان الجنوبية ( أو سجستان ) و سياق العبارة يدل على ذلك ، إذ غزا العرب معها القيقان ( و هى كيركانان ) و هى أيضاً كانت فى تلك المقاطعة .

١٢ــ بياس ( ص ٦٩٧ ) : عرفها قائلا : « مدينة بالسند » . و لم يحل إلى أى مصدر غير الفتوح .

لم تعرف مدينة بالسند بهذا الاسم ، و الصواب أنه اسم نهر صغير من الأنهار الخمسة فى مقاطعة النجاب بباكستان ، و المحقق نفسه ذكر ذلك مرة ثانية

(١) أنظر كتاب آسيــا الوسطى فى العصر الحديث بقــلم ديوندرا كوشل ، و الخرائط الواردة فيها ( بالانجليزية ) ،

(٢) و كتابته بلوخستان خطأ ، إذ أن العرب قديماً وحتى الآن كانوا يستبدلون الجيم الفارسية بالشين مثل "شاى" ، و كراشى .

فى ( ص ٦٩٨ ) نقلا عن ياقوت ، ولكن ما ذكره هنا أنه نهر فى السند يفضى إلى الملتان ، فخطأ ، فان هذا النهر يرفد نهر ستلج ، و هذا النهر الأخير هو الذى يفضى إلى الملتان كما يظهر جلياً لكل من نظر خريطة باكستان .

١٣ــ النيرون ( ص ٦٩٨ ) : قال فى تعريفها : بلدة فى السند ينسب إليها أبو الريحان البيرونى » .

و هذا خطأ فاحش ، بل خطآن ، فالصواب فى اسمها ( النيرون ) بالنون و ما ورد فى ( الفتوح ) من أخطاء النساخ ، كما يتأكد من اسمها فى ابن حوقل و البيرونى ( كتاب الهند ) و غير ذاك من المصادر الموثوقه . و أما البيرونى فينسب إلى بيرون فى خوارزم ، و من ثم يعرف أيضاً بالبيرونى الخوارزمى ، أو الخوارزمى فقط كما يذكره دائماً القزوينى فى كتابه ( آثار البلاد ) .

و فى موضع نيرون ( أو نيرون كوت ) تقوم حالياً مدينة حيدرآباد بمقاطعة السند فى باكستان .

١٤ــ البيضاء : لم يرد عند المحقق فى تعريفها غير « البيضاء بالبوقان » و مصدره الفتوح فقط .

أقول : قد مر الكلام على ( البوقان ) و التى كان قد غزاها العرب قبل حملة محمد بن القاسم المظفرة عن السند ، و أما البيضاء فيذكر البلاذرى أن عمران ابن موسى بن يحيى البرمكى بناها فى خلافة المعتصم ، فى موضع البوقان أو بجانبها ، ولم يذكرها ياقوت مع أنه ذكر ثلاثة عشر موضعاً يحمل اسم البيضاء فى غير بلاد السند ، و كذلك لم يذكرها ابن خرداذبة و لا ابن حوقل و غيرهما من الجغرافيين فلعلها بعد استقلال بلاد السند و مكران فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، و قيام إمارات مستقلة فيها قد هجرت و خربت .

و مهما يكن الأمر فانها لا شك كانت فی شمالی مقاطعة بلوشستان ولعلها كانت فی الموضع الذی يعرف الآن بـ « قلعة سفيد » أی الحصن الأبيض .

١٥ـ البيلمان (ص ٦٩٩) : قال : « مدينة فی السند » ولم يذكر مصدراً غير الفتوح .

و هو خطأ واضح ، فان البلاذری يذكرها فی سياق الغزوات العربية لمدن الهند ، فاذا لم يتمكن من تحديدها . فلا أقل من أن يقول إنها فی الهند .

و ورد ذكرها فی ياقوت ، و لكنه لم يكن متأكداً من تعريفه إياها ، و علی كل حال ما ورد فيه خطأ .

و الصواب فی اسمه أنه تعريب لاسم ( بهيلمال ) و هی مدينة هندية قديمة فی مقاطعة راجستان الحالية ، و الخرائط التاريخية القديمة تذكرها ، و تقوم فی موضعها أو بجوارها مدينة جودهپور حالياً .

١٦ـ تانه ( ص ٦٩٩ ) : لم يعرفها المحقق بتة .

و ذكرها الادريسی ، و أبو الفداء ، و البيرونی فی كتابی الهند و القانون المسعودی ، و كانت ميناء هاما علی الساحل الغربی للهد ، و هی الآن قرية ساحلية بجوار بومبای فی الهند و إليها ينتسب محمد أعلی التهانوی صاحب كشاف اصطلاحات الفنون .

١٧ـ بيهق ( ص ٦٩٩ ) : قال : « بلدة كبيرة من نواحی نيسابور بايران » .

و أقول : إنها كانت فی إيران قديماً ، ولكنها حالياً فی جمهورية تركمانستان بالاتحاد السوفيتی .

١٨ـ تستر ( ص ٧٠٠ ) : قال : « كانت أعظم مدينة بخوزستان » .

أقول اسمها الآن شوستر ، و هی لاتزال معروفة فی إقليم خوزستان .

( يتبع )

# مشاهدات جولة فى نيبال

—( ٢ )—

سعيـد الأعظمى الندوى

## عودة إلى كاتمندو :

يقولون : إن كاتمندو اتخذت شكل هذا الوادى الجميل بعد أن كانت بحيرة جفت بفعل التحولات الجغرافيه منذ آلاف من السنين ، و إن كانت تدور حول ذاك أسطورة تتصل بناسك صينى جاء إلى هذه البحيرة وشق جدارها بضربة من سيفه حتى جفت وتحولت إلى واد عرف باسم «كاتمندو» ودلك يعنى بيتاً من خشب ، وهو لا يزال موجوداً فى العاصمة مبنياً من أخشاب شجرة واحدة كما يزعمون .

## لمحة جغرافية :

تمتد المساحه المكانية لهذا البلد على نحو ١٤٥ ألف كيلومتر ، ما بين مرتفعاته ومستنقعاته ، وتحدها الهند جنوبا و هضبات التبت والصين شمالا ، وسيكم وبنغلاديش شرقاً ، وكشمير غرباً ، ويبلغ عدد السكان نحو ١٧ مليونا ، وعدد المسلمين رسمياً أربع مأة وستون ألف مسلم ، غير أن الواقع يكذب ذلك الاحصاء حيث إن عددهم لا يقل عن مليون ونصف مليون مسلم ، ومعظمهم فى السهول والمستنقعات ، أما عددهم فى العاصمة وحدها فيبلغ إلى خمسة آلاف مسلم .

وهناك مناطق ذات أهمية كبرى بالنسبة إلى السكان المسلمين فى الجزء الشرقى الشمالى فى مديرية « روهتت » يشكل عدد المسلمين أغلبية ملحوظة بأزاء المديريات الأخرى ، ذاك أن عددهم هناك لا يقل عن ٢٠٠/ ألف مسلم ، مع وجود مساجد لهم قد يبلغ عددها إلى ثلاث مأة مسجد ما بين صغير و كبير ، و مبنى بالخص

ومشيد بالجص ، و كذالك مديرية سنسرى تحتوى على مدارس و مساجد للمسلمين كثيرة وعدد المسلمين فيها ستون ألف مسلم ، و فى مديرية ستبرى أكثر من ثلاثين ألف مسلم ، و فى مديرية نيبال غنج خمسون ألف مسلم ، و فى مديرية دهنوسا أربعون ألف مسلم ، وكلهم يتمتعون بالحرية الدينية و يمارسون شعائرهم و ينشرون دينهم عن طريق مدارسهم و جمعياتهم ، ويتولى الزعماء الدينيون و الاجتماعيون بث الوعى الدينى ، و إن كان هناك عدد كبير من حملة الأفكار الفاسدة والعقائد السيئة يقتنصون السذج من المسلمين .

النشاط الاسلامى فى العاصمة :

ويوجد فى كاتمندو عدد كبير من المسلمين ممن يأتون إليها من الخارج ويسكنون فيها لغرض تجارى أو دينى ، كما أن جماعات التبليغ من الهند و ممثلين للجمعيات الدينية يترددون إليها بين حين و آخر ، و فيها أربعة مساجد ، اثنان منها كبيران يعرف الأول بالجامع النيبالى الكبير وبجواره مدرسة إسلامية أسسها بعض الغيارى من المسلمين فى عام ١٩٤١م أيام كانت تحكم فيها أسرة « رانا » ولو لا أن الله سبحانه قد سهل الموضوع لما كان بامكان احد ان يحصل على السماح بتأسيس مدرسة إسلامية فى هذا البلد ، و الواقع أن هذه المدرسه قد مثلت دوراً مهماً فى تعليم المسلمين الدين الاسلامى و اللغة الأردية وهى فى طريقها إلى الاتساع و قد تخرج منها عدد كبير من المسلمين الذين تعلموا الدين و اللغة العربية و الأردية ، و يديرها الآن الشيخ حيات حسين الندوى ، و هو خطيب هذا المسجد الكبير ومعه من ينوب عنه فى شئون الامامه و إدارة المدرسة ، ويدرس الآن فى هذه المدرسة ١٥٠ / طالباً ، تحت رعاية ١٠/مدرسين

أما المسجد الثانى الكبير فيشتهر باسم « كشميرى مسجد » و يسيطر عليه البريلويون من أصحاب البدع و الخرافات ، ولهم نشاط كبير فى بث أفكارهم

وعقائدهم بين المسلمين النباليين، وهم دائبون فى هذه العملية بشئ كثير من التخطيط و التركيز ، ولولا أن دعاة الاسلام قاوموا تحركاتهم و تضليلاتهم باهتماماتهم الجادة المخلصة بتبليغ دعوة الاسلام النقية وتصحيح العقيدة وعرض الدين الخالص على من يسكنون فى الجبال من المسلمين وغيرهم ، لارتمى هؤلاء السذج فى أحضان الشرك و البدع ، و الضلالات ، كما هو ملموس مشاهد فى الوقت الحاضر .

## جمعيات إسلامية فى العاصمة :

يتوافر فى كاتمندو عدة جمعيات إسلامية يرأسها المسلمون ، و يحاولون عن عن طريقها إيجاد الوعى الدينى والاصلاح الاجتماعى فى مسلمى نيبال، وهى كما يأتى:

١ــ « جمعيه الاصلاح لشعب نيبال » و هى جمعية قديمة أسسها الحاج أحمد دين وهو الذى يرأسها و يشرف على نشاطاتها بغاية من الاهتمام و اليقظة ، وبما أنه مسلم نيبالى خالص وله علاقات قريبة بالسلطات النيبالية، ويعرف بسياسته المحايدة و إخلاصه للده فانه استطاع أن يتخذ الجمعية ذريعة لحل كثير من المشكلات و القضايا التى كان المسلمون يعانون منها فى المجالات الاجتماعية و الدينية، وداك مثلا تأسيس المدارس الاسلاميه وتعمير المساجد، وتسهيل إجراءات الحج ، و إقرار الحكومة بمبدء التعليم الاسلامى .

ومن أهدافها : مساعدة الفقراء والعجزة و الأرامل ، و إنشاء مراكز للايتام و مدارس للبنات المسلمات وكليات للفتيات فى مختلف أنحاء البلاد ، و تسوية الخلافات بين الجماعات المسلة، وتوحيد صفوف المسلمين ، وما إلى دلك من أمور ، و هذه الجمعية مسجلة لدى الحكومة النيبالية .

٢ــ « جمعية الملة الاسلامية » يرأسها الأستاذ عبد الواحد، وهو مسلم هندى يقيم فى العاصمة النيبالية ، تمكن من شراء أرض خاصة بهذه الجمعية فى العاصمة ،

بتبرعات حصلت للجمعية من بعض الجهات الاسلامية فى الخارج ، وقد بدأ المسئولون حالياً إنشاء مبنى للجمعية .

٣ــ « جمعية الشباب المسلم » و رئيسها الأستاذ محمد نعيم نوشاد ، و لهذه الجمعية دستور ، ومجلس شورى ، و من أهداف الجمعية : إيجاد الوعى الدينى الصحيح بين الطلبة والشباب ، وحثهم على صوغ الحياة فى قالب الحياة الاسلامية ، و الاهتمام بتربية أعضاء الجمعية علمياً و دينياً و فكرياً و خلقياً ، مع إثارة مواهبهم للقيام بواجب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، كما أن للجمعية مقراً فيه مكتب الرئيس ، ومكتبة إسلامية يوزع بطريقها كتب ومنشورات بين الشباب .

٤ــ «جمعية خدمة المسلمين » و يرأسها الأستاذ افتخار أحمد ، و لم نطلع على برامج و أهداف هذه الجمعية ، و لكن كما يبدو باسمها ، هى كذلك تتمنى خدمة المسلمين فى جميع مجالاتهم .

## قدوم المسلمين إلى نيبال :

لا يعرف بالضبط تاريخ قدوم المسلمين إلى هذا البلد العريق فى الوثنية ، غير أن ما يروى الناس هو أن عدداً من المسلمين جاؤا إليها تجاراً من شمال الهند و من كشمير عن طريق التبت خلال فترة الحكم المغولى و أيام الملك المتولى شاهجهان ، ولكن هناك قبرين لشخصين اسم أحدهما الشيخ غياث والآخر الشيخ مسكين ، وقد كان وصولهما إلى نيبال إثر وقعة التتار فسكناها وعاشا فيها ، ولا شك أن لهما دوراً فى تعريف الاسلام ونشره فى هذا البلد منذ ذلك الوقت ، وفى أيام الثورة الشعبيــــة فى الهند ضد الاستعمار الانجليزى التى بدأت فى عام ١٨٥١م ، التجأت إلى نيبال زوجة الأمير واجد على شاه ملك الولاية الشمالية فى الهنــد

« حضرت محل » و ولدها برجيس قدر ، وقد كانا فى مقدمة الثائرين على الانجليز و المحاربين ضدهم وعاشا مع جماعتهما فى نيبال حياة اللاجئين السياسيين حتى آخر لحظة من عمرهما ، و لا يزال قبر « حضرت محل » فى كاتمندو على حافة الشارع الرئيسى الذى يقع فيه الجامع النيبالى .

سلائل الحكام فى نيبال : ينسبون اكتشاف وادى نيبال إلى إله الهندوس « كرشنا » و هو الذى سمح الرعاة و الفلاحين بأن يسكنوا فيـــه ، و مع ذلك جاءت جماعات المهاجرين من التبت و بورما و من بنغـال الشمالية ، و جاء غزاة من الشرق عرفوا « بالكيرات » سيطروا على الوادى وأقاموا فيه حكمهم : واستمر حكمهم إلى أمد طويل حتى كانت أواخر القرن الثالث الميلادى حينما زحف الراجبوت من الهند ، و استحكمت قبضتهم على الحكم وطالت أيام حكمهم ، و فى القرن الثـانى عشر الميلادى أصبح الملك « ماللا » حاكمـا للبلاد و استمر حكم الملوك « ماللا » إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى .

و لما استتب الأمر للاستعمار البريطانى فى الهند أرسل جيوشه للاحتـال فى نيبال ، و أقام « رانا شاندر شمشير جنك بهادر رانا» كمندوب له إلى أن كان عام ١٩٥٠م و سقط رانا فى الثورة الشعبية التى قادها الملك تريبوان ضده بعـد ما استمرت سيطرته أكثر من قرن ، و لا تزال أسرته تحكم فى هذه البلاد ، أما الملك الحالى فهو ابنـــه « بريندرا بير بيكرم شاه ديو » و تنتمى أسرته إلى ملوك « جتور » فى الهند .

نوعية الحكم اليوم : و فى نيبال اليوم ( برلمان ) مجلس وطنى يتألف من النواب الذين ينتخبهم الشعب بطريق الانتخابات و لـكنه ليس مجلساً ديموقراطيـاً يتمتع فيه الممثلون الشعبيون بحرية واسعة ، و إنمـا المرجع فى كل حكم فى أى

قضية هو الملك ، فهو الحاكم الأعلى و بيده السلطة العليا و هو الذى يختار رئيس الوزراء و يشكل مجلس الوزراء ، ولكن لا يسع المجلس الوطنى أو مجلس الوزراء أن يبت فى أمر على رغم الشاه ، وتقديراً لأهمية الشاه فانهم قد خلعوا عليه جميع أوصاف الاله ، و خاصة « إله وشنو » الذى له مكانة عاليـــة جداً بين آلهـة الهندوس ، و من هنا فان دولة نيبال دولة هندوسية وثنية وحدة فى العالم كله .

أما اللغة القومية الرسمية فى نيبال فهى اللغة النيبالية ، و تتبعها فى الأهميـــة اللغة النوارية ، ولكن المسلمين فى كل مكان، سواء فى الجبال أو السهول يعرفون اللغة الأردية بوجه عام و يتفاهمون بها .

وسائل الموارد الرئيسية فى نيبال هى الزراعة و السياحة ، فمن الحاصلات الزراعية تحتل الذرة فى الدرجة الأولى ، و خاصة فى المناطق الجبلية ، و كذلك زراعة الرز و القمح لا تخلو من أهميه ، و يتوافر من الفواكه ، البرتقال ، و الأناناس و الموز ، كما أن هناك مزارع للشأى الجيد أيضاً .

بالنسبة إلى السياحة فأصبحت كاتمندو و المناطق الجبلية مركزاً مهما للنزهـة و الانعاش و الاستطلاع، يؤمه السياح من أقاصى بلاد العالم وأدانيها ، و يلعبون دوراً فى تغطيه ميزانية هذه الدولة بالعملة الصعبة .

إلهة صغيرة حية فى كاتمندو :

تقيم بنت صغيرة فى أحـــد معابد كاتمدو كالهة مقدسة تعامل معاملة الاله تمامـــاً ، و تنال من زائريها و عبادها تقديراً و خضوعاً منقطع النظير ، اعتقـاداً منهم أنها تمثل الإلهة « بارابتى » زوجـــة الإله « شيواجى » ، و لاختيار هـــذه البنت لمنصب الإلهة أسلوب عجيب :

تنتخب البنت الإلهة من إحدى الأسر البوذية من طبقة الساكيا بالتعيين، التى تعمل فى صناعة الذهب ، و هى تكون إحدى البنات اللاتى يعرضن أنفسهن

للانتخاب ، ولا بد من شروط تستوفيها كل بنت من هذه المجموعة التى تتعرض للاختيار ، و هى أن يتراوح عمرها بين أربع و خمس سنوات و تتميز عن غيرها بالجمال و الذكاء و الشجاعة و الخلو عن جميع العيوب الجسدية .

و يجرى الاختيار على يد كبير كهنة الهندوس و مساعديه الخمسة ،و يتم ذلك فى « القاعة المقدسة » التى تكون غارقة فى الظلام الحالك دون أى بريق أوشعاع من أى جهة ،فلا يتركون أى طريق من طرق التخويف والتفزيع بعرض وجوه مخيفة ذات جماجم شيطانية و عيون نارية ، و عفاريت مهيبة تملأ القلوب رعباً وتنقض على البنات الممتحنات ، إلا و يستخدمونها ، فمن ثبتت من البنات ولم تتأثر بهذه المظاهر و الأشكال المرهبة المروعة ، تواجه دوراً آخر لامتحان القدسية فاذا تم ثبات قلبها و شجاعتها و ذكاؤها وقدسيتها يعلن عنها بطريق « موكب » حافل ، و يمرون بها فى الشوارع وبالقصر الملكى ، ثم يأتون بها إلى معبدها الكبير حيث تقيم إلى أن تبلغ سن الحلم و الطمث ، أو يصاب بأى جرح يسبب خروج دم من جسمها فهى تعزل ، و يجرى اختيار آخر .

إن هذه الالهة لا تظهر أمام زائريها إلا أحياناً قليلة تسمح لهم برؤية وجهها وتقف فى شباكها ، وطالما تكون فى مخدعها تشتغل بذات نفسها ، و لكنها تخرج مرة فى كل عام من معبدها ، فى موكب مقدس إلى القصر الملكى ، حيث يستقبلها « الشاه » ، و هى تبشره بكل خير و تدعو له بطول الأيام .

و بهذا نستطيع أن نقدر مدى الوثنية و الخرافة والجهل فى هذه الدولة التى أكرمها الله تعالى بجمال الطبيعة و بالجبال المليئة بالخيرات و الثروات الهائلة .

( فاعتبروا يا أولى الأبصار )

( للحديث بقية )

# دار عرفات

## للدعوة و التربية و النشر

بقلم فضيلة الشيخ - م - ر الندوى

دار عرفات ، مركز إسلامى للدعوة الاسلامية و التربية و النشر ، تقع فى شمالى الهند بلدة ذات تاريخ مجيد فى عمل الدعوة و التربية و الجهاد ، بلدة قام فيها المربى الاسلامى المجاهد الشهيد السيد أحمد بن عرفان بحركة الاصلاح والجهاد قبل نحو من القرنين ، وهى بلدة راے بريلى ودارة الشيخ علم الله الحسنى.

أنشئت دار عرفات فيها تحت إشراف سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى و تبعاً لمنهجه فى الدعوة و العمل التربوى الاسلامى ، و ذلك قبل ستة عشر عاماً من الآن .

قامت دار عرفات فى هذه المدة من حياتها باصدار طائفة من الكتب والرسائل ، خدمت الفكرة الاسلامية البناءة والدعوة الاسلامية الرشيدة ، و تبنت أعمالا خيرية عديدة و دعم المساجد و هى تتبنى مع نشر ما يفيد فى الدعوة و الاصلاح تعليم القرآن الكريم و اللغة العربية للكبار و تربية الشباب لعمل الدعوة و تأهيلهم لها ، وفيما يأتى ، تفاصيل هذه الدار و برامجها الخاصة بها .

بدأ المركز الاسلامى الدعوى و التربوى « دار عرفات » عمله فى عام ١٣٩٠ه بنشر كتب و رسائل لسماحة المفكر الاسلامى الداعية الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى حفظه الله مما كان لها تأثير ونفع كبيران فى شرح الفكر الاسلامى و إثارة روح العمل للاسلام و المسلمين .

و اتخذت مقرها الرئيسى فى دارة الشيخ علم الله الحسنى ( رحمة الله عليه ) تكيه كلان ، راى بريلى ( الولاية الشمالية ) الهند .

و كان فى مقدمة من ساهم فى إنشاء هذا المركز الاسلامى فقيد الدعوة الاسلامية الأستاذ المرحوم محمد الحسنى ( رحمه الله ) و إخوانه وزملاؤه من تلاميذ سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، منهم الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى رئيس كلية اللغة العربية و الدعوة بندوة العلماء و الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى

رئیس تحریر مجلة البعث الاسلامی و الأستاذ بندوة العلماء و الأستاذ محمد واضح رشید الحسنی الندوی رئیس تحریر صحیفة الرائد العربية و الأستاذ بندوة العلماء .

و استهدفت دار عرفات لعملها أربعة مجالات و هی :

(١) نشر رسائل الدعوة الاسلامية و مؤلفاتها .

(٢) تعليم اللغة العربية للكبار .

(٣) تربية الشباب المتعلم على منهج العمل الدعوى الاسلامى المفيد .

(٤) القيام بأعمال خيرية أخرى من دعم المساجد وغيرها .

(١) نشر مؤلفات الدعوة :

تقوم دار عرفات فی هذا المجال بنشر كتب مفيدة فی التربية و الاصلاح ، و شرح الفكرة الاسلامية الصحيحة ، فكان من انتاجها عدد من الكتب القوية الأسلوب والمنهج صدرت باللغه العربية و بالأردية يربو عددها على العشرين .

(٢) تعليم اللغة العربية للكبار :

أما فی مجال تعليم اللغة العربية للكبار فقد بدأت دار عرفات العمل فيه بتهيئة فرص الاستفادة ، والدراسة للراغبين فيها من المشتغلين فی الوظائف والحرف و ذلك بتنظيم حصص تعليمية فی الصباح والمساء حتى يجمعوا بين أعمالهم الرسمية و بين الدراسة العربية التی يجدون أنفسهم فی حاجة إليها .

(٣) تربية الشباب على الدعوة :

إن نظام دار عرفات فی هذا المجال هو القيام بتربية الشباب المتعلم على اختيار المناهج المؤثرة الرشيدة لعمل الدعوة بطرق علمية و أدبية متلائمة مع حاجة العصر بتوجيه من الدعاة المعروفين و على رأسهم سماحة الشيخ الندوی .

(٤) أعمال خيرية و دعم المساجد :

قامت دار عرفات مع نشاطاتها الأساسية المذكورة برعاية لمساجد عديدة ومساعدتها فی حملها لرسالتها بقدر وسائلها ، وقامت بأعمال خيرية أخرى فی إطارها المادی المحدود .

عنوان المراسلة : مدير دار عرفات دارة الشيخ علم الله الحسنی
تكيا كلان راى بريلی ، ( ٢٢٩٠٠١ ) الهند .
Takia Kalan Raebareli 229001 U. P. ( I N D I A )

## مشروع نفقة المرأة المسلمة المطلقة

أسفرت مجهودات سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسنى النـــدوى رئيس المجلس الأعلى لقانون الأحوال الشخصية للمسلمين فى الهند، عن نجاح كبير مـــع إقرار البرلمـان الهندى مشروع نفقة المرأة المسلمة المطلقة فى ضوء الشريعة الاسلامية ، و توقيع رئيس الجمهورية الهندية عليه .

إن أحزاب المعارضة وقفت يداً واحدة و بكل قوة فى البرلمان ضد هذا المشروع، ولم تأل جهداً فى تضليل الرأى العام عن طريق الصحافة المعادية للمسلمين، و عرقلت اتجاه المشروع نحو الاقرار حينما كان يناقش فى البرلمان ، ممـا أدى إلى استمرار النقاش حوله إلى الساعة الثالثـــة ليلا ، و من هنالك كان هذا المشروع منقطع النظير فى تاريخ البرلمان الهندى .

لقد كان موقف رئيس الوزراء راجيف غاندى صلباً و جريئاً إزاء المشروع و رغم أن الصحافة الهندية و زعماء المعارضة و العصبية اتهموه بالاستسلام أمام المسلمين «الرجعيين» ، ولكنه ظل قائماً على الموقف ومتمسكاً بالمبدأ ، وهو يستحق على ذلك الشكر من مسلمى الهند جميعاً .

وكان للمشروع فوائده الايجابية فى حياة المسلمين الدينية والاجتماعية فى هذه البلاد بوجه خاص ، فقد نال الشعور بخلود الشريعة الاسلامية وشمولها قوة وثقة من جديد فى نفوسهم ، كما أن المعارضين للشريعة سواء كانوا من جماعات المسلمين أو غيرهم ، والذين كانوا نشيطين فى محاربة المشروع أصيبوا بهزيمة نكراء حتى إن بعضاً منهم تحـــدى شرعية هذا المشروع فى المحكمة .

ويرجى أن تنال قضية المسجد البابرى كذلك عناية الحكومة المركزية، نظراً إلى خطورة الموقف ، ويمكن إيجاد حل معقول لها حتى لا تتسبب توتر العلاقات بين المسلمين والمواطنين ، ويستتب جو الأمن والسلامة فى هذه البلاد ، ويساعد فى بناء الوطن وترقية البلاد فى جميع المجالات الاجتماعية و السياسية وتنمية روح التعايش السلمى بين الطوائف المختلفة ، « و المسلمون لهم الله وحده »

أنشأها
فقيد الندوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله
في عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م



# البعث الإسلامي

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المجلد الحادي والثلاثون ★ ذو الحجة ١٤٠٦هـ — أغسطس و سبتمبر ١٩٨٦م ★ العدد الرابع

المراسلة
البعث الإسلامي ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93.
LUCKNOW ( INDIA )

# نهضة العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

# الأمة الاسلامية أمام مخططات خطيرة !

إذا قيل : إن الأمة الاسلامية — على اختلاف الأجناس و الألوان — تمر اليوم بمرحلة دقيقة وخطيرة من حياتها ، لا يكون ذلك قولا مبالغا فيه ، فقد كثرت التساؤلات عما تعامل به هذه الأمة وأفرادها من قسوة وشذوذ ونقمة، من المؤسسات العالمية التى تحتكر اليوم حق العيش وحرية البقاء و الرفاهية على حساب الأمم و الشعوب الضعيفه ، و هى تخترع أساليب وفنونا من السياسة و الاجتماع تتكفل باذابة المسلمين و تخدير طاقاتهم المعنوية وتجفيف منابعهم الايمانية ، ومنذ أن عمت أنباء الصحوة الاسلامية و إقبال الناس على الاسلام دراسة واهتماماً واعتناقا به تزايدت ضغوط العمليات المعارضة على الجهات التى تمثل الاسلام وتدعو إليه أو تبرر نشاط الدعوة الاسلامية والعمل لتوسع نطاقها إلى جميع القطاعات الحيوية و على جميع المستويات .

و من ضمن هذه العمليات العدائية التى تواجه الحركات و الأعمال الاسلامية لقمع تحركاتها ، إرهاب جماعى يتولاه المخططون فى الغرب و الشرق ، ضد كل فرد أو جماعة من المسلمين ينشط لنشر الفكر الاسلامى ، و إثبات محاسن المنهج الاسلامى للحياة فى خضم الأفكار والفلسفات ، وفى غمار الحضارات المادية التى تستغل الانسان وتتخذه ذريعه لتحقيق مآربها المؤقتة الحقيرة التى تحدد شموله وتحصر طاقاته وتؤقلم آفاقيته بأسماء معربة و مصطلحات محدودة ، و رغم أنها تتبجح بديموقراطية الفكر و حرية الرأى ورحابة الصدر فى اعتناق أى ديانة أو معتقد ينال إعجاب المرء ، و لكن واقعها يكذب هذه الدعاوى ويقف بها فى صفوف المتعصبين لمذهب و المنحازين إلى نظرة معينة أو فكرة خاصة .

و إلا فبماذا نأول ما قد تتصدى له أصحاب هذه النظرات و الفلسفات من تدبير المؤمرات و وضع المخططات الارهابية ضد الاسلاميين ، و حتى ينتهى بهم المطاف إلى فرض الحروب عليهم و إلقاء بذور العداوة والبغضاء بينهم ، ولا يالون بالتصفية الجسدية كلما دعت الحاجة إلى ذالك ، لقد نادت إيران بالثورة الاسلامية فقط ، دون أن تقوم بتأسيس دولة على أساس الكتاب والسنة ، أو تطبيق الأحكام الشرعية و تنفيذ الحدود الاسلامية ، ففرضت عليها حرب مشئومة تأكلها بقسوة وتنخر كيانها من غير هوادة ، وتمتد من غير توقف ، ذالك لمجرد أنها أنمت ثورتها إلى الاسلام — سواء بصدق نية أو مراعاة للصالح — و هذا مثال واحد لتكميم الأفواه التى نطقت بالاسلام . و معاقبة من أراد أن يعيد الاسلام أو يعود إليه فى شئون الحياة .

ورفض الأفغان أن يرضخوا للروس ويسمحوا للشيوعية تمد ظلالها المسمومة على بلادهم الاسلاميه . و تسلخهم عن المعتقدات و التقاليد الاسلامية ، فما ذا كانت عاقبتهم ، و بأى هوان ونقمة عوقبوا ؟ ! إنما جاءت إليهم روسيا الشيوعية بحدها و حديدها . غزتهم فى عقر ديارهم و صربتهم بقنابلها و أسلحتها الكيماوية و دباباتها الضخمه و طائراتها الحربية ، و جنودها المجندة ، وجثمت على صدورهم بقسوة لا نظير لها فى التاريخ ، و ما زال الشعب الأفغانى المسلم يقاوم هذه القوة الغازية الكبرى من سبع سنوات ويرد الحديد بالحديد و يواجه الظلم و العدوان بالشجاعة الايمانية واليقين الثابت ، ولكن السوفيات لا يكادون يشعرون باعتدائهم ولا يمتنعون عن تدخلهم العسكرى ، . . . . ذلك لمجرد أن المقاومة الأفغانية إنما تنتمى إلى الاسلام ، وتتسمى بالجهاد .

و هكذا المعسكرات العالمية التى تدعى بالحياد وعدم الانحياز ، و تنادى بالعدالة و المساواة ، و الحرية و الديموقراطية ، وتزعم أنها تبحث عن الحلول السلمية للمشكلات العالمية ، و تدرس الوسائل الكفيلة باستتباب الأمن و السلام

فى العالم كله ، لا يتسع صدرها فيما يتصل بشئون المسلمين و مشكلاتهم ، بل إن جميع همها فى الحد على نشاطهم الدينى والخلقى ، وصد أوجه النجاح فى طريق الدعوة الاسلاميــة ونشر الفكر الاسلامى ، و وضع العراقيل بألوانهـا فى كل ما ينهض بالمسلمين أو يقوى شأنهم ، و يشجع أساليب عملهم و نشاطهم ، و يدفع عجلات حياتهم إلى الأمام ، حتى إنها نجحت فى اقتطاع جزء كبير من جسم العالم الاسلامى و الاحتلال فى فلسطين والقدس ، وتثبيت اسرائيل فيهـا ، و فى الأخير ترسيخ جذور الدولة اليهودية الصهيونيــة فى هذا الجزء المقدس للعـالم الاسلامى ، مع الاستمرارية الملحوظة فى المخططات التوسعية وطرد و تشريد وقتل أهاليها الأصليين من العرب ، و إن عمليات اسرائيل الهدامه فى البلدان المجاورة و فى لبنان بوجه خاص لم تعد لغزاً ، و ما يوم مخيمات اللاجئين العزل ( صبرا وشتيلا ) بسر ، و لا تزال إسرائيل مكبة على تنفيذ مخططاتها بكل وقاحة و جراءة . وهى تضرب جميع قرارات الأمم المتحدة وقوانين الآداب والأخلاق الانسانية عرض الحائط .

و هناك كثير من العمليات الارهابية و المخططات العلنية التى يمارسها هـذه المؤسسات العالمية فى مجتمعات المسلمين و بلدانهم ، ضـد نشاطاتهم و مداولاتهم الفكرية والدعوية ، وطالما تقرع أسماعنا أخبار تفيد بقتل المسلمين الجماعى وتشريدهم فى أى بلد من بلدانهم ، و هى لا تبـالى فى ذلك بأى طريق أو أسلوب مهما كان شنيعاً أو بهيمياً ، فتارة بتفجير المواد النارية و أخرى بالمباغتة عليهم بالهجوم المفاجئ المسلح ، و ثالثـة بشكل الاضطرابات الدموية الطائفية ، و تارة باثارة العواطف بالاحتلال على مقدساتهم أو تشويه لتاريخ رسولهم ( ﷺ ) أو خرق لكرامة كتاب الله و الاعتداء عليه .

كما أن المؤامرات السرية للاعتماد على الحكمة الكاملة فى قطع صلة المسلم عن منابع الايمان و العقيدة تضاعفت و بلغت من الدقة و البراعة إلى القمة ،

ذاك أنه هو الأصل الكبير الذى ظل العمدة لدى كل ، حكيم عاقل ، وموضع الثقة بالنجاح فى الخطة ، فهو المعمول به و المتفق عليـــه من قديم لدى الغرب و الشرق فى قضية محاربة الاسلام و إقصائه عن حياة المسلمين ، و لقد فتح العالم المادى لهذا الغرض أبوابه للشباب المسلم الذى يأتى إليه باسم الثقافة و الدراسات العلمية ، و تلقى المعلومات الكونية و أخذ الشهـادات العالية ، و يقيم فى كنف الأساتذة و المربين الكبار ، فيجد منهم كل نوع من التسهيلات و الاهتمامات ، مما يثير فيه الاعجاب بهم ، و يعتبرهم أسوة فى كل أمر ذى بال ، و إن هؤلاء المربين لا يبوحون بما يكتمون من الهدف ، و لكنهم يتناولون هؤلاء التلاميـذ بشئ كبير من الحكمة والبراعة ، ويصوغونهم نفسياً وعقائدياً فى قالب مادى بحت .

و يعود هذا الشباب المثقف بالثقافة العالمية إلى بلاده و شعبه وقد أثرت فيه التربية التى تلقاها فى البلدان المادية و ضعفت صلته بدينه تلقائياً ، و منهم من يرى إليه بازدراء ، فاذا به يتسلم أزمة الأمور و مهام الحكم ، و يسير الأمور فى ضوء التعاليم التى لا تمت إلى الاسلام بشئ ، و من ثم يتم الفصل بين الدين و الدولة و حصر التعاليم الدينية فى نطاق العبادات الظاهرة المعروفة و المناسبات الدينية من الجمع و الأعياد .

و نتيجة لهذه الظاهرة الملموسة فى المجتمعات الاسلامية تنشأ نظرة خاصـــة للحيـاة فى إطار محدود لا يتسع للمعانى الكريمة من القيم و المثل ، فتحدث فيهـا حالات شاذة من اللاأخلاقيـــه و حب الأنوثة و الفرار عن معترك الحيـاة ، و الجرائم الخلقية و نبذ قيود الحشمة و الدين ، مما يؤدى إلى الدعـــة و الترهل و الانصراف عن الجدية و الاخلاد إلى الأرض ، الصفات التى تعين على التجرد عن لباس الرجولة و الشهامة و تمهد الطريق للهزائم النفسية و تدعو العدو للهجوم السافر و العدوان على الأموال و الأعراض و الأرواح .

ففی العالم الاسلامی و المجتمعات الاسلامیة خلایا فساد و هدم و تخریب ضد الأمة الاسلامیة کلها ، و ما هی إلا من نتاج المخططات السریة التی تمارسها المعسکرات الکبری ضد الاسلام و المسلمین ، و تنفذها الشیوعیة الارهابیة فی الوطن الاسلامی بقطاعاته المختلفة ، بألوان متعددة و أشکال تتمثل فی الأراجیف الاجتماعیة و السیاسیة ، و الارهابات الاجرامیة ، و التفجیرات المدمرة ، و وقائع الغیلة و التصفیات الجماعیة و نشر المخاوف و الذعر بین أصحاب الالتزامات الدینیة ، و إجبارهم علی التنازل عن مناصب الدعوة إلی الله و تبلیغ کلمة الاسلام و عن تربیة النفوس علی الخلال الکریمة ، و توجیه المفاهیم الدینیة نحو الفرد والمجتمع .

و قد یلجئون من الحکمة إلی أنهم یستخدمون اسم الاسلام لضرب الاسلام و دحر المسلمین ، فیأتون بمن ینادی بالحکم الاسلامی و تطبیق أحکام الشریعة ، وتنفیذ الحدود ، فاذا بالشعب المسلم یلتف حوله و یبدی ولاءه و وفاءه له ، و یفدیه بمهجه و أرواحه ، فاذا ما تم له الاستیلاء علی البلاد و العباد سرعان ما یعود إلی أصله ، و یحارب الاسلام بآرائه الحدیدة و أفکاره المریضة و یطالب بالتعدیل فی أحکام الشریعة و إلغاء الحدود الاسلامیة ، بحجة أن الاسلام دین عالمی خالد یجب أن یسایر الزمان و یستجیب لتطورات العصر ، و لنداء العلم و المدنیة ، فذلک هو السبیل الوحید لبقاء الاسلام دیناً عالمیاً وإنسانیاً فیما یزعم ( ذلک مبلغهم من العلم ، إن ربک هو أعلم بمن ضل عن سبیله وهو أعلم بمن اهتدی ، و لله ما فی السماوات و ما فی الأرض ، لیجزی الذین أساؤا بما عملوا و یجزی الذین أحسنوا بالحسنی ) .

إن أعداء الاسلام الشرقیین و الغربیین کلهم یلتقون حول نقطة الهدم و التدمیر و قطع المسلم عن مصدر قوته و حیاته ، و إن کانوا یختلفون فی التکتیک والأسلوب ، و فی الشعارات و اللافتات ، و فی الأسماء و المصطلحات ،

و لكنهم يجمعون بالكلية فى ضرب المسلم بجميع أساليب الضرب و اقتلاع جذور الايمان و العقيدة من القلوب ، ذلك لكى لا يبقى الاسلام خطراً يهدد سيادتهم و علوهم و مستقبلهم ( و ما نقموا منهـــم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السماوات و الأرض و الله على كل شيء شهيد ) .

هؤلاء أعداؤنا الذين يتربصون بنا الدوائر وينتهزون الفرص لتوجيه كل نوع من القسوة والضرب والهوان ، و انتهاك الحرمات ، و نهب الأرواح و الأموال ، وتخدير الطاقات ، و قمع الحريات ، وفرض الحروب والعقوبات علينا ، إنهم أرادوا بذلك كله أن يشغلونا عن مناصبنا ، وعن تمثيل أخلاقنا وسلوكنا فى جميع القطاعات و الأحوال ، إننا عرفناهم فى هذه الصورة الكالحة ، و فى هذا المستوى السافل .

و لكن هناك عدواً آخر لا نراه و لا نعرفه بهذا الشكل ، إنما يكمن فى أنفسنا ، يكمن فى ممارساتنا و فى علاقاتنا بزخارف الحياة ، و يختفى وراء تحركاتنا و نشاطاتنا ، إنه عدو النفس المتمردة والأمارة بالسوء ، إنه عدو الشهوات و الأهواء إنه عدو النفع العاجل ، وعدو حب المال والجاه ، وعدو الطمع والكبر والأنانية ، و الجرى وراء القوى المادية ، و نستطيع أن نعبر عن هذا العدو باتباع خطوات الشيطان الذى نهانا الله عنه (و لا تتبعوا خطوات الشيطان إن لكم عدو مبين) .

فلنحارب هذا العدو ونقهره باتباع الصراط المستقيم و الفرار عن سبل النفس والشيطان ، هنالك فيستقيم سيرنا على الدرب ، و تتجه حياتنا نحو الهدف ، ويرجع الأمر إلى نصابه ، وندرك طريق الهداية و نتصل بمصدر القوة و النور ، فتتخاذل القوى الشريرة ، وتنهزم الطاقات المتربصة ، ويصفو الجو للعمل فى ضوء الحق والهداية ، باذن الله ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقـــه من حيث لا يحتسب ) .

سعيد الأعظمى

# التوجیہ الاسلامی

# إبراهيم عليه السلام و بيت الله الحرام

[ هذا الحديث كتبه سماحة أستاذنا العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي على طلب من القسم العربي للإذاعة الهندية منذ عقود من السنين ، و هو يؤمن لنا مائدة كريمة للتفكير و لا يخلو من ذكرى و عبر يعود بها الحجيج عبر مناسكهم ومشاعرهم خلال أيام الحج ، نخصه خصيصاً إلى حجاج بيت الله الحرام ] التحرير

أيها المستمعون الكرام !

حديثنا اليوم حديث عن عصر قد مضى عليه بضعة آلاف من السنين ، عصر عريق في القدم ولكن لم يخلف عصر من العصور الماضية من الآثار الباقية الخالدة على وجه البسيطة و في أعماق النفوس و أغوار القلوب و جذور العقيدة وصفحات الحضارة مثل ما خلف هذ العصر ، إنه عصر كثرت فيه الدول والحكومات ، و ازدهرت فيه المدنيات و الحضارات ، وقامت فيه القصور الشامخة ، و الأبنيـــه الباذخه ، فلكل أمة دولة ، ولكل دولة عاصمة ، ولكل ملك « بلاط » ولكل أمير قصر ، ولكل إله و إلهة معبد، ولكل كوكب « هيكل » عصر قد قامت فيه دولة الآلهة و الكواكب ونفقت فيه سوق الكهانة و السدانة ، و لكنه عصر قد تجرد عن شيء واحد ، تجرد عن رجل مؤمن شجاع يقول بملء فيـــه و بأعلى صوته ، « ألا لله الدين الخالص » وتجرد عن مركز روحي لا يعبد فيه إلا الله ، ولا يدعى منه إلا إلى الله ، مركز يجتمع حوله المؤمنون الموحدون في أنحاء العالم ، وتتفجر منه عين الايمان والتوحيد فيفيض في سهول الأرض وحزونها و في أغوارها وأنجادها .

لقد وجد هذا الرجل المفقود في شخص إبراهيم ( إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتبه و هداه إلى صراط مستقيم )

رجل أكرمه الله برسالته واصطفاه بخلته « واتخذ الله إبراهيم خليلا » ، ثم أمره أن يبنى له بيتاً يظل مركزاً روحياً للايمان و التوحيد و عبادة الله وحده والدعوة إلى الله ، و مثابة للناس و أمناً .

ولكن أين يقوم هذا البيت ؟ إن الحواضر والعواصم التى تزدهر فيها المدنية ويكثر فيها الخصب وتنفق فيها التجارات ويجذب إليها جمال الطبيعة و زينة الصناعة كثيرة ، و لكن اقتضت حكمـــة الله أن يقوم هذا البيت فى واد غير ذى زرع لا طبيعة فيه و لا صناعه ، فلا يشد الرحال إليه إلا المؤمنون الموحدون ، و لا يقصده من أنحاء العالم إلا المخلصون المتجردون ، و وقعت الخيرة على مكة التى لا ماء فيها ولا كلأ ، ولا زرع فيها ولا ضرع ، واد ضيق بين جبال سود جرداء ، لا طبيعة تغرى ، و لا صناعة تستهوى ، ولا تجارة تشوق ( و إذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ) .

لقد أتم إبراهيم عمله فى صدق و إخلاص وحماسة و إيمان وشاركه فى ذلك ولده المؤمن المخلص نبي الله إسماعيل بن إبراهيم ( و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البت و إسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ) .

لقد قام هذا البيت كما أراد الله و اجتمع حوله كل ما يزهد النـاس فى السكنى حوله وقصده من أنحاء بعيدة ومن أقاصى البلدان ، فلا تجارة ، ولا صناعة ، ولا عذوبة ماء ولا رقة هواء ، ولا حسن مظهر ، ولا جمال منظر ، ولكن الله قد قضى أن يكون هذا البيت هو البيت الوحيد الذى يبقى على طول الزمان ، ويقصد على بعد المكان ، لا يضارعه فى ذاك قصر ملكى ولا معبد دينى ، يسعى إليه الناس بشق الأنفس ، و على الأقدام و الأرؤس ، و تأتيه الوفود كل عام من أقصى المعمورة ( و أذن فى النـاس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر

يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله فی أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعـام فكلوا منهـا و أطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم و ليطوفوا بالبيت العتيق ) .

لقد أصبح هذا البيت الكريم شعاراً لله تعالى وحرمة من حرماته و رمزاً للتوحيد والعبادة ، فمن عظمه فقد عظم حرمات الله ،و من أهانه فقد أهان شعائر الله ، و إن أعظم رسالة بهذا البيت هی رسالة التوحيد الذی قام على أساسه ، فليحافظ على ذالك و ليتفهمه كل من قصده و طاف حوله ونسك وذبح ( ذلك و من يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ، و أحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به ، و من يشرك بالله فكأنما خر من السماء، فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فی مكان سحيق ، ذلك و من يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ) .

لقد أحب الله النسك و إراقة الدماء فی الذبح فی هذه الأيام لأنه عبادة وشعار من شعائر التوحيد ( و البدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها ، و أطعموا القانع و المعتر ، كذالك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ) و لكنه يقرر أن روح هذا النسك و الذبائح و الأضاحی هو إرادة وجه الله و امتثال أمره و توحيده ، ليست هذه الدماء المهراقة و اللحوم المضجعة « لن ينال الله لحومها و لا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم ، كذالك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم و لعلكم تشكرون ) .
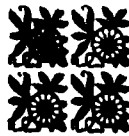
# ضروة الربط بين
## العـلم و العمل

الدكتور فهمى شناوى

« أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم و لا يحض على طعام المسكين » .

إذن المكذب بالدين و المشوه له هو الذى لا يشترك بجدية وفاعليـة فى محاربة الجوع و الفقر . أى لا يجوز الاكتفاء بالمعرفة الدينية و لا بالتفكير المطلق و لا بالتأمل فقط ـ رغم أنها جميعاً مقدسة كما سنرى ـ إنمـا يجب الانتقال من مرحلة التأمل و التفكر و الثقافة إلى مرحلة التطبيق العملى و الانغماس فى خدمة الجماهير و المجتمع .

التقوقع الفكرى سواء كان دينياً أو علمياً أو إيديولوجيا دون ممارسة عمليه هو ترك للدين و ترك للعلم و ترك للايديولوجيا .

سخر ناصر مرة من الشيوعية و قال : إن الذى علم ناصر الاشتراكية قبل الثورة ، عينه هو بعد الثورة ، مديراً لبنك بمرتب ٢٥ ألف جنيه سنوياً ، و هكذا نسف ناصر الشيوعية رغم مخالفته لها تكتيكياً ، وخلخل الشيخ عاشور تنظيم الاتحاد الاشتراكى عندما قال فى مواجهة رئيسه : كيف يكون الشخص اشتراكياً وهو يركب المرسيدس و يتختم بالذهب ؟ فى كلا المقـالين لم يفعل ناصر و لا الشيخ عاشور أكثر من كشف « فضيحة » علم لا يطبق بالعمل .

إذن فالعلم هو من أجل المجتمع و لا علم من أجل العلم .

و إذن الدين هو من أجل المجتمع ، و لا دين من أجل الدين .

و المادية هى من أجل المجتمع و لا مادية من أجل المادية .

لقد كان الأنبياء جميعاً يعملون ، و يوفرون رزقهم بأنفسهم ، و كان الخلفاء الراشدون جميعاً يعملون .

لقد حقق كل نبي ثورة و ثورات الأنبياء هذه فشلت بعد ذلك على المدى الطويل ، سبب فشلها كان دائماً واحداً ، هو تحول رجال الدين إلى مؤسسة فوقية لا تتكسب و تكتفى بالتأمل و التفكير و « العلم » أو ما يسمى العلم ، فكانت النتيجة دائماً واحدة و هى أن تتحول إلى مؤسسة تقمع الشعوب للحاكم و تلعب دور السحرة و دور الشرك للحاكم حيث تشركه مع الله ، مع أنها ما جاءت أصلا إلا لمحاربة هذا الشرك ، فلولا سحرة فرعون ما كان فرعون .

و على مدى التاريخ كونت « مثلث الكبت » الذى يتمثل فى تحالف العنف مع الذهب مع الزور و التزوير ، أما العنف فتمثله السلطات السياسية ، و يزداد العنف كلما قويت القبضة الحاكمة و كلما كانت عصاها غليظة بالجيش و البوليس و القوانين الوضعية ، و أما الذهب فتمثله السلطة المالية و هى رجال المال والبنوك و الانفتاح و السمسرة و الوكالة ، و هى مؤسسة دولية تتصل عبر الدول بأنابيب مستطرقة و يعوم فى مجاريها اليهود منذ قديم . و أما الزور و التزوير فهى السلطة الدينية ، إذا لم تطبق العلم الدينى على العمل اليومى .

نعم الدين يحتاج إلى متخصصين فيه كما نحتاج إلى متخصصين فى كل فرع آخر ولكنه غير محتاج إلى رجال يقبلون النذور أويدعون الشفاعة أويمارسون الطب والتنجيم أو يدخلون البدع ، أهم من ذلك أنه لايحتاج إلى « طبقة » فوقية تقهر باسم الدين بينما

جاء الدين لبخدم لا ليقهر ، وأشد مرارة أنه غير محتاج إلى رجل يدعى أنه رجل دين ثم يهرب من الجهاد و الكفاح و خدمة المجتمع و ضريبة الدم ، أو يطلب أن يعفى من الجندية ، فما بالك بعد ذاك بمن يضع كفاءته فى خدمة العدو ، وقد وصف القرآن هذه النوعية بأنهم كلاب و حمير ، ولم يصف أى طبقة أخرى بمثل هـــذا الوصف « المهين » « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار » « فمثله كمثل الكلب » .

فمن يؤمن -وأصبح من رجال الدين- ثم لم يمارس الايمان أسوأ ممن لم يؤمن أصلا ، و معنى الآية « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه » أى ينظر المرء يوم القيامة إلى ممارساته لا إلى أقواله و لا إلى كتاباته و لا إلى شعوره و لا إلى نيته .

إذا لم تكن شاهداً على عصرك و تشارك فيه فعلا و تتخذ موقفاً عملياً مع الحق ضد الباطل فسواء إذن أن تصلى أو لا تصلى، و سواء أن تعلم أو لا تعلم، لأنك لم تعمل .

إن من قاموا بأعمال محسوسة أو ثورات أهم ممن قادوا الفكر فقط ، لم يكن لفكر سقراط قيمة لو لا أن عمل «سبارتاكوس» ثورة العبيد ، ولو أن سبارتاكوس لم يظهر لتبخر كل قول لسقراط .

فى كلمة : الجهاد و الاستشهاد هى معيار الايمان و العلم .

ولكن الناس لايحبون هذا التجريد، هم يحبون اللباس الذى يغطى العورة ، وهم يتلبسون الدين ويتلبسون العلم ، وبعد أن كان مسجد الرسول بسيطاً ولكن الممارسات العملية متناهية العظمة و متسابقة على الجهاد و الاستشهاد ، و يبكون بالدمع إن لم يجدوا وسيلة للخروج للاستشهاد ، أصبحت المساجد فخمة ضخمة ، تحفة ، ولا ممارسات تذكر ، أوجدنا اللباس دون أن يوجد الجسد !

بل هناك الآن زحف جديد وحثيث نحو الشرك .

فالتعصب القومی ، و التعصب القبلي الذى يفتت الأوطان إلى دويلات هو بقايا الشرك ، و هنا لا بد من توضح أن دعوة أوربا إلى الأممية لا يقصدون بها القضاء على القوميه و لا القبلية بل هم أول من يشعلون التعصب لهما ، و لكن تقصد أوربا بهذه الأممية فقط فتح أسواق بلادنا لبضائعهم وأفكارهم و رفع الحاجز التعصبي للقومية أو الوطنيه أو القبلية ، أما أن تظن أن هذه الأممية التى يدعون إليها هي دعوة إلى إنسانية بشرية فأنت مخطئ ، فباريس أو لندن أو نيويورك أو موسكو تسمح لك بحرية السفسطة والجدل والعبث و التنظير المطلق و تعلمك إياه وتعطيك دكتوراة فيها ، ولكن عند ما يكون كلامك هذا مرتبطاً بكفاح اجتماعی يهدد مصالح طبقة اجتماعية تنتمی إلى لندن أو باريس أو موسكو أو نيويورك أو تهدد ملكا أو زعيماً يتبعها تمنع معاً باتاً .

ولا الماركسية نهت البرجوازية عن نهب الشرق والعالم الثالث ، ولا البرجوازية نهت الماركسية عن ذلك ، بل هناك وفاق بينهما على توزيع مغانم الشرق .

يقول جون باجت جلوب باشا ( ابو حذيك ) و هو مستشرق رغم سمته السياسية كقائد سابق لجيش الاردن ، إنه هو شخصياً يعتقد أن الوفاق بين أمريكا و روسيا قائم مند أول يوم فى الحرب العالمية الثانية - طبعاً بغرض اقتسام الشرق الذى كان يتبع فرنسا وإنجلترا و يدلل على ذلك بأن أمريكا و روسيا كلتيهما تركتا ألمانيا تمزق فرنسا و بريطانيا دون أن تتدخلا حتى إذا تأكدتا أن أوربا الغربية قد استنزفت دماءها تماماً تدخلتا و بغرض اقتسام المغانم . . و شهد شاهد من أهلها .

لا شك أن الكتب السماوية كلها هى علم خالص ، و لكن الله جل وعلا لم يكتف بارسالها للبشر ، إنما أرسل معها الرسل لكى يطبقو أو يعملوا بما جاء فى

هذه الكتب ، و هكذا لم يفصل العمل عن العلم .

و قصص الأنبياء كلها عبارة عن عمل ثورات أو حروب أو اختفاء أو هجرة أو .. أو .. و لم تكن مجرد وعظ أو تدريس، ومعيار حكم الله بعد ذلك هو .. العمل ! ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره ) .

و لكن لو قلنا بعد ذلك و تخريجاً على ذلك بالتفسير المادى لكل شئ لقلنا نصف الحقيقة فقط و لأوجدنا مجتمعاً وحيد الجانب و لقسمنا المجتمع إلى قطبين، و عند ما حدثت ثورات الأنبياء المتعاقبة و قام بها المستضعفون فى مواجهة الأقوياء لم يقوموا بها لصالح طبقة المستضعفين فقط ولكن لصالح المجتمع كله، إن المغالاة فى قيمة العمل أدت دائماً إلى استقطاب المجتمع إلى قطب قابيلى و قطب هابيلى ، وهذا الاستقطاب القديم منذ أول ظهور أبناء لآدم إنما يتمثل فى أن القطب القابيلى هو الملك ( أو الحاكم ) عامـــة يمثله فرعون و المالك أو صاحب الذهب و يمثله قارون و الملأ أو أصحاب المسبحة الذين يسبحون للحاكم، و يمثله « بلعلم باعور » كبير سحرة فرعون .

أما القطب الهابيلى فيمثله الناس ، أو الجماهير عامة أو المستضعفون ، و مع أن الله - فى كل الأديان قد وقف مع « الناس » كجماعة فمثلا عند ما يقول « أقرضوا الله قرضاً حسناً » فالاقراض هنا لايمكن إلا أن يكون للناس المستضعفين، وعند ما نقول « المال مال الله » نقصد أن مال « الناس » هو مال الله ، وعندما نقول : إن الله ورث الناس الأرض وهم ورثة الله فى الأرض ، رغم كل هذا فالقطب القابيلى ( الذى يمثله فرعون - قارون - سحرة فرعون و رجال دينه) لا يرعوى ، و التاريخ يكرر نفس المأساة تماماً .

و هكذا تم استلاب الانسان و استعباد الانسان ، بل إن هناك من استغل

اسم « الناس » و « المستضعفين » و طبقـة « العمال و الفلاحين » لاستلاب الانسان أيضاً :

ثم استلاب الفرد باسم المجتمع فى النازية، ثم استلاب الفرد لصالح الحاكم باسم الاشتراكية، ثم استلاب الفرد باسم الانطلاق أو الانفتاح أو الحرية فى البرجوازية.

و تساوى مع موقف الحاكم هنا : سواء كان الحاكم برجوازيا أو نازياً أو اشتراكياً : فى جميع الأحوال دعا « الناس » و حثهم و شجعهم عـلى ترك الدنيـا له هو : مرة باسم المجتمع، مرة باسم الاشتراكية ، و مرة باسم الحرية أو التقدم الاقتصادى .

يقول الشيوعيون مثلا: « إن قيمة قطعة الخشبة التى يرسم عليها الفنان لوحته أهم من القيمة الفنية للرسم » وهو قول تكتيكى واضح التكتكة ، غرضه استلاب و تخصيص الانسان متمثلا فى العامل .

و قال أحد الحكام عندما أمم البنوك باسم الاشتراكية : « الآن يستطيع الواحد منكم أن يقف أمام البنك الفلانى و يقول هذا البنك ملكى » و هو قول تكتيكى يقصد به استلاب الانسان الحاكم .

و قال حاكم آخر : اليوم سوف ننتج إنتاجاً زراعياً مثل أمريكا يفيض عن حاجتنا و لا نعرف كيف نتصرف فيه ! و هو قول تكتيكى أيضاً يقصد به استلاب الانسان .

إن استلاب الانسان - على مدى التاريخ - و فى حلقات متكررة مستمرة إنما يتم بفعل ثلاثة عوامل هى : الجهل و الخوف و النفعية ، و قد أخذ استلاب الانسان صوراً كثيرة منها الأديان الخرافية و السحر و الشرك بكافة ألوانه والزهد و الانزواء ، و أن يصبح الانسان آلة فى المجتمع و البيروقراطية والاغراق فى

التكنولوجيا حتى تسيطر عليه الآلة ، و النظام الطبقى كيفما كانت هذه الطبقيــة ، و الايمان إذا تحول إلى مهنــة . و العشق إذ يجعل المعشوق هى كل الحيـاة و ما فيها ، عبادة الكتب و العلم يجعل من نظرية ما شيئاً مقدســاً ، و المـال كمصدر عنف والانتماءات الضيقة التى تفصل الانسان عن أخيه الانسان ، و المثالية التى ترفض البعد المادى و الشعورى للانسان .

استلاب الانسان بالبيروقراطية جعله آلة فى السلطة الادارية ، استلاب الانسان فى مجتمع تكنولوجى جعله آلة فى السلطة الفنية ، استلاب الانسان فى مجتمع طبقى جعله مجنياً عليه سواء كان مستغلا أو مستغلا ( بالفتح أو الكسر ) و كثير من الحكام يصدق هذه الحقائق أوتوماتيكيا و بمجرد إلقاء نظره على من حوله من الناس !

و الاضافات الحديثة ـ على مستوى العالم كله ـ فى استلاب الانسان هــو تجميد القيادة و يتم هذا بواسطـة هالة دينية أو إدعاء طبقى أو تكتل حزبى ، و فى هذا افتيات واضح فى حق الناس فى الرقابة على الحاكم و التغيير للحاكم فالادعاء الطبقى يجمد القيادة فى روسيا منذ أكثر من نصف قرن والتكتل الرأسمالى لمائة عائلة يجمد القيادة فى أمريكا ، أما فى العالم الثالث فان « الناس » أضعف من أن يحتاجوا لتجميدهم إلى ادعاء طبقى أو تكتل حزبى أو هالة دينيه و الضعف فى حد ذاته هو الذى يسبب تجمدهم و ضعف رقابتهم على الحاكم .

أما الثورات الوطنية فرغم جلالها و رغم تألف القلوب حولها إلا أنهـا كانت أقصر عمراً و فشلت فى الحصول على الحكم و انتهت بتفاوض أو بانشقاقات داخلية أو بحلول جزئية و هذا لعدم وجود نظرية ، كان هذا حال ثورة عرابى وثورة حسين بن على و ثورة ١٩ و ثورة ٣٥ ، و فى ثورة ٥٢ حاول عبد الناصر بعد الثورة لسنوات طويلة أن يضع لها نظرية ، و قال معتذراً عن هذا النقص :

« لم يكن مطلوبـــاً منى أنا أن أضع النظرية ، لأننى لو وضعت نظرية لمـا قمت بثورة ، قوموا أنتم بوضع النظرية ! » .

ها هو إذن أحس بغياب النظرية ، وعجلة الثورة تغرس فى الأرض لهذا السبب !

و الله تعالى عند ما يقول : تعالوا « هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » يطالبكم بالنظرية .

وعند ما يقول : « جادلهم بالتى هى أحسن » يطالب بوضع نظرية أحسن من نظريتهم .

و عند ما يقول : « لا تسبوا الذين يدعون من دون الله » يمنع الشتائم و تلفيق التهم كرد على نظرية الغير ، إنما يطالب بنظرية أحسن ، و يعتبر السب من علامات عهود الانحطاط و علامات الفشل .

و كل الـكتب المقدسة هى كتب علم وفكر ، و كل الأنبياء هم رجال تطبيق لهذا العلم ، و كل الـكتب المقدسة مرتبطة بأنبياء لها .

و كان المسجد على بساطة بنائه فى دولة الرسول ﷺ مليئاً بالممارسات ، فكان محكمه ، و كان مدرسه ، و كان مركز بحوث ، و كان مقر تخطيط حربى و سياسى و إعلامى ، و من ثم كان فعالا .

فى عصور تالية كان المسجد متضخماً فى بنيانه فاخراً فى زخرفته و نقوشه و أثاثه و لـكنه قاصر على النظرية و على العلم دون العمل فكان أقل فاعلية ،

ولا يمكن توقع غير هذا : فلو أن مجتمعاً كان كله ابن سينا و ابن رشد أو غيرهم من الفلاسفة مثلا لكان مجتمعاً منعزلا يسهل على أى جيش غزوه .

و لو كان مجتمعاً كله « الحلاج » الذى يجرى فى الشوارع صارخاً أنا لست موجوداً أنا لست موجودا ، ليس فى الوجود إلا الله ، لكان مجتمع مجانين .

فلكى يتوازن المجتمع لابد من عمل إلى جانب العلم ، و أبلغ أثراً من أى

فيلسوف هو تلميذ الفيلسوف الذى يطبق فلسفة أستاذه عملياً فى الحياة ، و أبلغ أثراً من أى معلم هو الذى يعيش بين الناس و يتكسب فى تعفف .

لقد ذم القرآن الشعراء و لكن الشعر علم مثل أى علم آخر ، و إنما ذم فى الشعراء « أنهـــم يقولون ما لا يفعلون » و من ثم كان للنبى ﷺ شعراء ، وكان النبي ﷺ ينصب للشاعر منبراً فى المسجد ذاته ، لأن المقصود هو ربط العلم دائماً بالعمل ، عملية الربط بين العلم والعمل تنتج الصدق ، والفصل بينهما ينتج خيالا وادعاء وكذباً ، سواء سموا الخيال خيالا علمياً أو سموه دعاية أو أو أو .

فى وقتنا المعاصر ظهرت مدرستان لتفسير القرآن ولتعريف الدين عموماً إلى الناس: مدرسه تحاول أن تخرج للناس معانى نظرية أو حتى معلومات فيزيائية و بيولوجية ، و مدرسة تحاول أن تجعله وفقاً لحياة الناس و تجعله يمنح الحضارة روحاً و يربط الحضارة و العلوم الحديثة بخدمة الانسان ، و تجعله بهذا محركا لثورة دائمـــة ، المدرسة الأولى حسنة و لكن الثانية أحسن .

و لكن فى نفس الوقت هناك المثقفون المعاصرن أو المتأوربون يتعصبون لفكرة اللادينية حتى إنهم يجعلون من « اللادينية » ديناً ، مع أن البشرية فى حاجة دائمة إلى الدين . ألم تسمع فرعون يقول : « دعونى أقتل موسى إنى أخاف أن يبدل دينكم » ، فالكفر نفسه دين ، أى موقف ذهنى سواء صحيح أو خاطئ هو دين إذا عم الشعب .

وهؤلاء المعاصرون المتأوربون يرون أن العودة إلى التراث هى عودة إلى عصر الحمير ، ولكنهم ينسون أن « الأوربة » فى حد ذاتها هى الفن لأنها عبارة عن تحول المرء إلى حمير للغرب ، يركبهم ويضربهم ويزينهم ليجوسوا خلال الديار مادياً وفكرياً .

إنهم يبررون أوربتهم بأنهم يبحثون عن العلم و يربطون أنفسهم به ، و هذا حق ، و لكن لابد أن يكون العلم المستهدف هو ما يطبق لخدمة الانسان ـ لكل ادوات المدنية الحديثة من أولى الدراجة إلى سفن الفضاء ـ و لكن لا يلزمنا علم

نظرى لا يطبق ، لا تلزمنا نظرياته و لا فلسفاته ، نقبل المدنية الغربية و نرفض الحضارة الغربية ، نرفض نظرته إلى الله والمادة والأسرة والجدلية والوجودية والفردية .

درست علم وظائف الأعضاء وهى أحسن أجهزة فى الوجود على يد أستاذ عالمى هو: ج. ن أنرب ، وكان هذا الأستاذ الجليل الروسى تلميذاً للعالم الكبير باقلوف ، و علمت منه أن سر باقلوف هذا هو أنه لم يكن يعلم من المعلومات عشر ما يعرفه مساعدوه ، ولكنه أبداً لم يقبل أن ينهل عقله و ذاكرته و ضميره بمعلومات لا يطبقها هو بنفسه فى معمله ، وإن كل حدث يقع حوله كان يحاول أن يجد له تعليلا علمياً ، أى أنه حقق ذاته عن طريق واحد فقط هو البحث عن الرباط الذى يربط الفعل و الحدث بالنظرية و بالعلم النظرى ، لأن هذا الرباط لا يمكن أبداً أن يكون مزيفاً أو ضعيفاً أو عليلا ، إنما العلم وحده ممكن جداً أن يكون خاطئا مشوهاً و كاذباً و مضللا ، و العمل وحده ممكن أن يكون غثاء و طحناً بلا دقيق و دواراً فى ساقية بلا مياه ، و لم يتوصل باقلوف فى حياته كلها إلا إلى حقيقة واحدة هى أنك ممكن أن تضحك على معدة أى إنسان و تغشها ، و لكن هذه الحقيقة أصبحت بعد ذلك هى لب النظرية السياسية لحوالى نصف الكرة الأرضية و هى أسلوب التعامل فى كل أجهزة مخابرات الدول .

الخلاصة إذن :

هى أن العلم بلا عمل هو لا علم ، و أن العمل بغير علم تصرف حيوان أولى ، و أن الحقائق كلها و الصدق كله مختبئ فى المسافة الواقعة بين الكلمتين ، و أن الفرد و المجتمع يمكن أن يثرى حياته بأن يتعلم فقط ما يمكنه تطبيقه و أن كل ما يطبقه عملياً يجب أن يفهم نظريته ، و أى سياسة تعليمية للشعب على غير هذا الأساس سياسة ضالة و كارثة قومية تؤدى بالشعب و تؤخره و تمكن منه خصومه و هى جريمة ضد الانسانية و ضد الحق نفسه .

# السماوات السبع و خلقهن

## ( الحلقة الثانية )

فضيلة الشيخ عبد الله أكديره

إن القرآن الكريم حجة على كل زعم أو ادعاء أو علم، والعكس غير صحيح إطلاقاً، ورب العزة حين يقول : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) فهو قد استعمل السين مرتبطة بالمضارع قصد استمرار العطاء و تدرجه ، حيناً بعد حين وجيلا بعد جيل، ومن تعجل فقد مفتاح العلم والايمان معاً . . ومن استبطأ هبة الله فى كشف آياته فى كونه المنظور ، و فى الوصول إلى تدبر آياته فى قرآنه المسطور خسر الدنيا و الآخرة، لأنه حينئذ سيسقط فى إحدى وهدتين لا نجاة له منهما ، إما أن يقول على الله بغير علم و يتأول القرآن برأيه ، و إما أن يكتفى بما تهديه إليه حواسه و عقله بدون اعتماد على وحى ربانى يعصمه من الزلل .. و نمضى مع أقوال بعض العلماء فى محاولتهم شرح السماوات السبع ، وأبدأ بتأويل العالم الطبيب الفرنسى « موريس بوكاى» فى كتابه الذى أحدث ضجة كبرى حين صدوره « التوراة و الانجيل و القرآن و العلم » يقول هذا العالم فى معرض حديثه عن السماوات السبع : « يتكرر تعبير العالمين عشرات من المرات فى القرآن ، وكذلك السماوات ، فهى تذكر باعتبارها متعددة ، و ليس ذلك فقط فى صيغة الجمع ، بل تذكر أيضاً مع ترقيم رمزى ، و ذلك بالاستعانة بالعدد (٧) ألا تلاحظون معى أنه بينها مباشرة باعتباره أن العدد (٧) مجرد ترقيم رمزى استعان به القرآن

ليبين تعداد السماوات بدون تحديد .. و إنى لأتساءل مستغرباً : أ أورد الله سبحانه هذا التحديد الواضح المبين لعدد السماوات بأنها سبع ، و فى عدة آيات من القرآن الكريم من سور مختلفات لمجرد الرمز إلى تعددها غير المحدود » ويمضى الطبيب ( بوكاى ) فى افتراضه ـ و الحق أنى أسميه اقتراضاً ـ رغم أنه يجزم هو به رغم تهافته ، فيقول : « الرقم (٧) مستخدم أربعاً و عشرين مرة فى القرآن لتعددات مختلفة ، وكثيراً ما يعنى التعدد دون أن نعرف بشكل محدد سبب هذا الاستخدام بذلك المعنى ، إن الرقم (٧) يبدو عند اليونان و الرومان ، و كان له نفس معنى التعدد غير المحدد » .

و أقول : لا ، يا سيد بوكاى ، لا يمكن أن نسايرك فى افتراضك المزعوم هذا ، الذى قد يمكن أن نعزو إلى إرثك من ثقافتك الأصلية اليونانية الرومانية ، و ليس هناك آية قرآنية واحدة من الآيات التى تحدد عدد السماوات بسبع يمكن أن يفهم منها بأن ذلك التحديد العددى هو لمجرد الترقيم الرمزى كما أدعيت متعمداً أو غير متعمد ، خصوصاً وإن تكرار العدد يدل على التأكيد كما نعرفه من مبادىء لغتنا البسيطة ، و هو قد تكرر بصيغ مختلفة يستحيل معها أن يفهم منه أنه مجرد رمز عددى يفيد التعدد و لا يفيد التحديد ، و هذه هى بعض الآيات المبينة أسوقها لنرى خطأ افتراض الرجل ، و هى حسب ترتيبها كما وردت فى المصحف الشريف .

يقول الله تعالى فى سورة البقرة : « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات » و هى آية مدنية ، و هى كما يعلم كل من مارس العربية قرأة و كتابة و حديثاً ، جازمة بأن عدد السماوات سبع بالتحديد ، و إلا فلن يبق للتسوية هنا معنى .. و لا بد أن نلاحظ فى ضوء الآية الكريمة السابقة أن رب العزة سبحانه

قد بدأ بلفظ السماء مفرداً عند القصد إلى الخلق ، فجاءت بمعنى كل ما يعلو ، و لكنه عزوجل عند ما سواهن جعلهن سبع سماوات بالتحديد لا بالرمز .

و يقول عزوجل فى سورة الاسراء ، و هى آية مكية : تسبح له السماوات السبع و الأرض و من فيهن » أو يأتى العدد فى مقام الصفة المتميزة و يستجير العربى المتذوق للعربية أن يعتبره رمزاً لا تحديداً .

و يقول عزوجل فى سورة المؤمنون : « و لقد خلقنا فوقكم سبع طرائق و ما كنا عن الخلق غافلين » يقول سيد قطب فى تفسير هذه الآية :

« وعلى أية حال ، فهى سبع خلائق فلكية فوق البشر - أى أن مستواها أعلى من مستوى الأرض فى هذا الفضاء - خلقها بتدبير و حكمة ، و حفظها بناموس ملحوظ » و كما ترون فغير وارد لديه إطلاقاً الشك فى العدد بل هو يؤكده . و يقول سبحانة فى سورة فصلت و هى مكية : « فقضاهن سبع سماوات فى يومين ، و أوحى فى كل سماء أمرها » و القضاء يقتضى الدقة و التحديد ، فأين معنى الرمزية هنا ؟ على أننا إذا انتقلنا بالحديث إلى صعيد آخر يزكى ما ذهبنا إليه ، وهى حديث رسول الله ﷺ ،فسنجد أمامنا الحديث المتواتر الصحيح حديث الاسراء و المعراج ، و سأكتفى بايراد نبذ مختصرة من رواية الامام البخارى رحمه الله ، فقد جاء فى هذا الحديث : « ثم عرج به - أى جبريل برسول الله - إلى السماء الدنيا ، فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء . . . إلى أن يقول :

« فوجد فى السماء الدنيا آدم . . . إلى أن يقول : ثم عرج به إلى السماء الثانية ، فالثالثة ، فالرابعة ، فالخامسة ، فالسادسة حتى السابعة و فى كل منها يلقى نبياً من أنبياء الله تعالى ، ثم يعلو به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله عزوجل حتى جاء بسدرة المنتهى » .

ها أنتم ترون معى أن الحديث الصحيح المتواتر المستشهد به قد حدد السماوات و أحصاها فى سبع ، فى حين أنه ربط ما علاها بعلم الله تعالى ، ولعل فى هذا أكبر دليل على أن القول برمزية العدد « سبعة » باطل لم يقل به صاحبه عن تمحيص وتبيين ، و رغم أنى لا أحب إساءة الظن بأحد إلا أننى أرى من واجبى كسلم مؤمن يغار على دينه أن أنبه إلى أن السيد « بوكاى » فى مقدمة كتابه المذكور يعقد مقارنة بين أحاديث رسول الله ﷺ و بين الأناجيل ، و يقول بالحرف : « أما الاسلام فعنده فى الأحاديث النبوية ما يشبه الأناجيل من حيث إنها مجموعه من الأقوال و الأخبار لأفعال محمد ﷺ ، و ليست الأناجيل بأكثر من هذا فيما يتعلق بعيسى ، فقد كتبت الأحاديث بعد عشرات من السنوات من موت محمد ﷺ مثلما كتبت الأناجيل بعد عشرات السنوات من انصراف المسيح ( لاحظوا أنه لا يقول - دفعه كما هو عند المسلمين ، و لا يقول - صلبه - كما هى عقيدة النصارى ، فهو مذبذب لا إلى هؤلآء و لا إلى هؤلآء ) و يمضى فيقول : « إذن فالأحاديث و الأناجيل شهادات بأفعال مضت ، وسنرى فيما بعد كيف أن مؤلفى الأناجيل الأربعه المعترف كنيسياً لم يشهدوا الوقائع التى أخبروا بهـا ، و الأمر نفسه ينطبق على المؤلفات فى الحديث المشهورة بصحتها » و الحق أنه ليس هناك أى وجه للقارنة بين الأناجيل و الأحاديث النبوية ، لأن الأحاديث الشريفة هى نفسها السنة النبوية المطهرة رغم وجود بعض الفروق الدقيقة فى اللغة والاصطلاح بين اللفظين عند المهتمين بهما من علمائهما المختصين ، فى كل منهما إضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة إلى النبي الكريم ، وقد خضعت السنة النبوية وأحاديثها إلى تمحيص علم دقيق متين هو علم الحديث و مصطلحه الذى درس ملوك الأحاديث و إسناداتها بجرح و تعديل رواتها ، واختص فى ذلك رجال وهبوا له

حیاتهم و أعمارهم و تفرغوا له روایة و درایة فلم تغب منه شاذة و لا فاذة . . . و رووه کابراً عن کابر عن صحابة رسول الله ﷺ الذین عایشوه یوماً بیوم بل ساعة بساعة ، أما الأناجیل وغیرها فهی قد تعرضت للتحریف و تشویه بعض القرآن الکریم و شهادته الذی أثبت السید بوکای أنه وحی منزل و ثابت معاً . . و إنی لأخشی أن یکون فی هذه المقارنة التی عقدها السید بوکای تشویه مقصود أو غیر مقصود إذا أحسنا الظن للسنة المطهرة و الأحادیث الشریفة للصادق المصدوق ﷺ .

یقول الله تعالی : ثم استوی إلی السماء فسواهن سبع سماوات ، و هو بکل خلق علیم » هناك من المفسرین من حاول أن یجعل من العدد « سبعة » رمزاً لا یحدد و لا ینفی الزوائد ، وقد جاء فی تفسیر « روح المعانی » للسید محمود شکری الآلوسی قوله بعد کلام طویل : . . علی أنه إن صح ما شاع - لاحظوا معی نبرة الشك وعدم الیقین - فلیس فی الآیة ما یدل علی نفی الزوائد بناء علی ما اختاره الامام الرازی من أن مفهوم العدد لیس بحجة ، وکلام البیضاوی فی تفسیره یشیر إلیه خلافاً لما فی منهاجه الموافق لما علیه الامام الشافعی ونقله عنه الغزالی فی المنخول ، و ذکر السیالکوتی الهندی أن الحق أن تخصیص العدد بالذکر لا یدل علی نفی الزوائد ، و الخلاف فی ذلك مشهور . . . » .

إن اختیار الامام الرازی لعدد تحدید العدد سبعة » یبقی مجرد اختیار مستند إلی علوم عصره التی کانت تستند إلی أن أرباب الارصاد أثبتوا تسعة أفلاك و أنها هی السماوات . . بل إن تعلیق السید الآلوسی یقول : « هم شاکون إلی الآن فی النقصان و الزیادة ، فانما وجدوه من الحرکات الفلکیة » یمکن ضبطها بثمانیة وسبعة بل بواحد . . ولعل فی قول الامام الشافعی بتحدید السبعة کعدد مضبوط لا یمت إلی الرمز بصلة ما یزید حجتنا قوة ، و کذلك أخذ حجة الاسلام الغزالی بها أما البیضاوی فقد اختلف قولان لدیه .

و عند الاختلاف بين العلماء أو بين قولين لعالم واحد من الأفضل الأخذ بظاهر الآية استناداً إلى ما نعرفه من معانى الألفاظ اللغوية و دلالاتها البلاغية ..
« بل إن الآلوسى يمضى فى كتابه القيم و عنوانه : ما دل عليه القرآن » يقول : « غير أن المتأخرين لم يثبتوا سبعاً أكثر من ذلك و لا أنقص ، و المشرعون منهم قالوا : « المراد من السماوات السبع أصناف أجرام الكواكب ، فانهم جعلوها على سبعة أصناف فى المقدار ، وذلك هو الضلال البعيد ، فلا يلزم أن يكون كل ما لم تصل إليه أيدى أفكارهم هو فى حيز العدم . . » و هـذا يثبت ما ذهبت إليه سابقاً من أن السماوات السبع هى من علم الغيب الدينى الذى لم تنله علومنا حتى الآن ، و المستقبل كفيل بأن يكشف منه ما شاء الله من قليل أو كثير إن شاء الله . .

وسأختم حديثى أو بحثى عن السماوات السبع و خلقها بالحديث عن المفهوم المادى للسماء الذى يمكن لحواسنا و وسائلنا المحدودة أن تبلغه ، و هـذا ما فهمه العلماء قديماً ، و وقفوا عند حدوده ، فهذا ابن سيدة فى كتابه « المخصص » يقول : « و السماء و السماوة مدار النجوم » وهو بهذا ما يمكن أن تقع عليه عيوننا بالبصر المجرد أو بواسطة المراصـد الفلكية من السماء الدنيا كواكبها و نجومها و أفلاكها و مجراتها و سدمها التى أمرنا بالتأمل فى خلقها و تكوينها فى عدة آيات من كتاب الله تعالى . . أما السماء أو السماوات بالمفهوم الدينى الغيبى - التى تعنى كما يقول السيد خلف فى كتابه - دليل الحيران : « ساحة الملكوت الربانى ، و مكان السر الروحانى ، و فيها عرش السلطان الالهى ، و فيها اللوح المحفوظ لوح التقديرات الأزلية المتعلقة بعالم الدنيا ، و فيها الملائكة منها يهبطون و إليها يعرجون ، و من ثم كانت قبلة الدعاء و منتهى الرجاء » أقول : السماء بهذا المفهوم الدينى الغيبى هى

سر مكنون نكتفى فيه بالعلم المنقول الذى جاءنا من ربنا عز و جل ، فهو سبحانه وحده : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول . . » و مرددين مع رجال من سلفنا الصالح : « العجز عن الادراك إدراك » « و من قال لا أدرى علمه الله ما لا يدرى » ، و حين يدرك المرء أنه لا يدرك فذاك نصف العلم ، إذ من يدرى ما الذى سيكشف عنه المستقبل لهذا الانسان الطلمة المأموم بأن ينظر إلى السماء كيف رفعت ، وبأن يتفكر فى خلق السماوات والأرض.

لكى نمضى ونواصل حديثنا لا بد أن نواصل تفكرنا معاً فى خلق السماوات والأرض ، فنقول أولا مقررين حقيقة علمية لا يمكن أن نمضى فى حديثنا دون أن نؤسسه عليها ، و هى أنه فى مجال علم الفلك كما فى غيره فى مجالات العلوم الكونية الأخرى لا يقل عدد ما نردده من لفظ « لعل » عما نردده من لفظ « لماذا » ، و بمعنى آخر : إنما يطرح من تساؤلات و افتراضات علمية يجد فى غالبية أجوبته إلا نظرياب ظنية ، وقوانين مؤقته ، و الحق أنه فى ميدان المعرفة الانسانية نجد أننا كلما عرفنا جواباً و ظننا أنه الجواب الشافى الكافى إلا و انطلقت من نفس دلك الجواب تساؤلات شتى لا نهاية لها ، تبدأ : بما معنى؟ وتدور حول كيف ؟ لتردد عند : لماذا ؟ ثم تقف من جديد متشككة عند : « لعل » و بين دورة الشك واليقين هذه تنمو المعرفة الانسانية و يتقدم الانسان مدعماً بسند مكين متين من الوحى الالهى ، و لو لا ما نعلمه من قوة الايمان لدى أغلب العلماء فى عصرنا هذا و خصوصاً علماء الفلك ، لوجد الناس أنفسهم يسقطون فى وهدة رهيبة من العبثيه و العدميه ، فهذا عالم متشكك ملحد هو الفلكى « بيير سوله » يتساءل عن هذا الكون قائلا : « أليس هو سوى ظاهرة باهرة و عابرة ، وليست المجرات المنتشرة فى الفضاء سوى شرارات تتطاير تحت مطرقة حداد ثم لا تلبث أن تتلاشى .

و لنقارن هذا التساؤل الحائر الشاك ـ و الذى يمكن أن يصل إلى درجة اليأس ـ ببرد الايمان واليقين عند عالم فلكى آخر هو السير جيمس جينز ، حيث يقول : « . . . عندما ألقى نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودى يرتعش من الجلال الالهى و عندما أركع أمام الله و أقول له : « إنك لعظيم » أجد أن كل جزء من كيانى يؤيدنى فى هذا الدعاء ، و أشعر بسكون و سعادة عظيمين ، وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين الغامرة » .

جاء فى كتاب الله تعالى قوله : « أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما . . . » من هذه الآية الكريمة المعجزة بإيجازها وبعظمة مضمونها العلمى يمكننا أن نستنتج أن السماوات و الأرض أى الكون المادى بمعناه المعروف لدينا الآن كان كوناً متصل الأجزاء منضم الأطراف . . . هذا الكون المتصل المتحد بقدرة الله العظمى الكبرى انفصلت اجزاؤه و أطرافه و كونت السماوات و الأرض ، والحق أننا يجب أن نأخذ بالتفسيرات العلميه للقرآن على حذر ، و لكن ليس معنى هذا أن نرفضها إطلاقاً ، و إلا فلن يكون للامر الالهى لنا بالنظر و التفكر أى معنى ، و إننا بذلك سنعطل أدوات و أجهزة أمدنا و جهزنا بها الله تعالى لنعلم ونتعلم ونعلم ، وهى السمع والأبصار والأفئدة ، وتعطيلنا لها بالاضافة إلى ما يفقدنا إياه من نعمة التمتع بهذه الأدوات ، و ما تتيحه لنا من فرص التمتع بالكون من حولنا المسخر لنا فانه يحرمنا أيضاً من حق التفضيل و التكريم والحمل فى البر و البحر الذى خصنا به الله تعالى كبنى آدم ، و هو يحرمنا أيضاً ـ و هو الأهم و الأخطر ـ من واجب الشكر على النعم و الاستزادة منها . . . و إننى فى محاولة منى لتفسير هذه الآية الكريمة ، أورد لكم أستئناساً قول العلامة الهندى ، وحيد الدين خان » ، فهو يقول : هذه الفكرة العلمية الجليلة عن الكون ، فقد توصل العلماء خلال أبحاثهم و مشاهداتهم لمظاهر الكون ، إلى أن المادة كانت جامدة وساكنة فى أول الأمر ، وكانت فى صورة غاز ساخن ، كثيف ، متماسك ، و قد حدث انفجار شديد فى هذه المادة قبل خمسة آلاف مليار سنة على الأقل ،

فبدأت المادة تتمدد و تتباعد أطوافها ، ونتيجه لهذا أصبح تحرك المادة أمراً حتمياً لا بد من استمراره طبقاً لقوانين الطبيعة . . . » .

واستأنس لكم بدليل آخر على لعالم فلكى بريطانى هو « باتريك مور » حيث يقول عن أصل تكوين النجوم : « إن المفتـاح لحل المعضلة موجود فيما يعرف باسم » « السديميات » و هى سحب فى غاز الهيدروجين ، و هو كما يعرف الجميع أخف الغازات عامة » . . .

و النجوم قد تكاثفت من تلك السديميات . . . و إذا صدقت نظريتنا هذه فان النجم يبدأ حياته جزءاً من إحدى السديميات المنتشرة فى الفضاء ، ونحن نعرف أن كل جزء من السديمية يجذب الجزء الآخر حسب قوانين الحادبية المعروفة ، . . . و نتيجة لذلك تأخذ السديمية فى الانكماش فتزداد كثافة شيئاً فشيئاً ، و بعد آلاف أو ملايين السنين ترتفع الحرارة فى وسط السديمية إلى حد تطلق بعده من السديمية على شكل إشعاع أو حرارة ، و عند هذه المرحلة يمكننا أن نقول :

إن السديمية قد تحولت إلى نجم . . . »

والسؤال الذى يتبادر إلى ذهن كل مؤمن هو : ما أصل السديميات نفسها ؟

والمؤمن يعرف موقناً أن الله تعالى يخلق من عدم كل شئ بارادته المطلقة ، و بقوله « كن فيكون » ، و العلم الحديث على لسان ثلاثة فلكيين بريطانيين هم :

« هويل و بوندى وليكلتون » يقوم نظرية جديدة تلتقى مع القرآن الكريم تمام الالتقاء ، و هذه النظرية مفادها أن المادة تتكون فى الفضاء من العدم بصورة مستمرة دائمة ، وتعرف هذه النظرية باسم « نظرية الخلق المتواصل » وتقول هذه النظرية أيضاً . « إنه فى الوقت الذى تموت فيه بعض النجوم تتولد من العـــدم بصورة مستمرة نجوم أخرى تحل محلها فى الفضاء . . . » و أقول : نعـــم تلك قدرة الله ، فهو سبحانه لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، أليس هو الذى يقول عز من قائل : « أو ليس الذى خلق السماوات و الأرض بقـادر على أن

يخلق مثلهم ، بلى و هو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » و الملاحظ هو قول النظرية عن النجم يموت ، و هذا حق لأن النجوم فى يوم حتى الأيام لا بد » أن تستهلك و قودها من الهيدروجين بفعل الاحتراق الذاتى المستمر فى كل منها ، و حينئذ يخبو نورها ، وتغدو أجساماً باردة تسبح فى الفضاء . . . يقول العالم الفلكى البريطانى « باتريك مور » « إن العالم الذى نعيش فيه عالم رائع مدهش . . . و أغلب الظن أن ملايين الكواكب السيارة المأهولة بالناس منتشرة فى أرجاء هذا الكون الفسيح . . . » وبعد أن يثبت أن للشمس و الأرض نهاية حتمية يمضى فيقول :

« أما الخطر الوحيد الذى يهدد الانسان اليوم، فهو قيام حرب ذرية تقضى قضاء تاماً على حضارة الانسان و عمرانه ، ولعله من المهازل أن يكون الخطر الحقيق الوحيد الذى يهدد الانسانيه اليوم بالاضمحلال والفناء هو الانسان نفسه » و أعود إلى محكم التنزيل : « و السماء بنيناهـا بأيد و إنا لموسعون » لنتأمل هذه الآية الكريمه و نحاول أن نستأنس فى تفسيرها بما توصل إليه العلم الحديث ، إن العلماء يعتقدون اتساع دائرة المادة عند بداية تخلقها وتكونها ألف مليون سنة ضوئية، وهى الآن حسب رأى عشرة أمثال هذه السعة، وهذا التوسع والتمدد مستمر بدون توقف . . . و قد ضرب لنا أحد العلماء مثلا لتوسع الكون بقوله « إن مثـال المجرات كنقوش مطبوعة على سطح بالون من المطاط، وهو ينتفخ باستمرار، وهكذا تتباعد جميع الكرات الفضائية عن أخواتها بحركاتها الذاتيـــه فى عملية التوسع الكونى . . . » و لنستمع إلى شهادة « السير جيمس » العالم الفلكى الذى سمع الآية الكريمة التالية : « و من الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانهـا و غرابيب سود ، و من الناس و الدواب و الأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنمـا يخشى الله من عباده العلماء» لقد صرخ هذا العالم حين يسمع هذه الآيات.. ما دا قلت ؟ ! « إنما يخشى الله من عباده العلماء » مدهش ! و غريب ! وعجيب حقاً ! إن الأمر

الذی کشفت عنه دراسة و مشاهدة استمرت خمسین سنة ، من أنبأ محمداً به ؟ هل هذه الآیة موجودة فی القرآن حقیقة ؟ لو کان الأمر کذلك فاکتب شهادة منی أن القرآن کتاب موحی به من عند الله » .

و تفصیل هذا الحوار بین العالم « جیمس » و العالم الهندی المسلم یوجد فی کتاب « الاسلام یتحدی » کما هو معروف ، ویستطرد « جیمس جینز » قائلا : « لقد کان محمداً أمیاً ، ولا یمکنه أن یکشف عن هذا السر بنفسه ، ولکن الله هو الذی أخبره بهذا السر . . . مدهش . . . و غریب وعجیب جداً » .

و هذا العالم الفلکی البریطانی توفی عام ١٩٤٥م ، و هو الذی قدم نظریة عن أصل الأرض قال فیها : إن نجماً مر قبل ثلاثة الآف أو أربعة آلاف ملیون سنه بالقرب من الشمس فتکونت بینهما قوة جذب کبیرة نتج عنها خروج لسان من المواد الحارة من سطح الشمس ، ولما ابتعد النجم ظل هذا اللسان یلف علی نفسه ثم تجزأ ، و کون الکواکب السیارة التی نعرفها فی نظامنا الشمسی ، ومنها الأرض طبعاً . . . » و قد بدت نظریته هذه للعلماء فی بادیء الأمر معقولة جداً ، و قد دل علی صحتها أن أکبر کوکبین فی نظامنا الشمسی ، وهما المشتری وزحل ، یقعان فی الوسط حیث یفترض أن یکون ذلك اللسان قد تکون فی بادیء الأمر . . . ولکن هنالك ما یعارض هذه النظریة ، ویثبت بطلانها . . . والحق أنه لا یمکن أن نجد نظریة واحدة تثبت للتمحیص فی هذا الشأن عن کیفیة تکون وخلق السماوات والأرض ، وقد أقر العلماء و اعترفوا بأن الاطمئنان إلی نظریة من هذه نظریات غیر وارد لدیهم ، و لکن الحقیقة العلمیة المتفق علیها هی أن السماوات و الأرض کانتا متصلتین و قد استدل العلم بأدلة علمیة عدیدة لا مجال لذکرها هنا . . . أما الفتق کما هو وارد فی الآیة الکریمة فمعناه : الانفصال ، وهذا ما تقرره الآیة الشریفة وما نستلهمه منها ویکفینا ، بل و أیده العلم بعد ذلك ، و صدق الله العظیم : « أو لم یر الذین کفروا أن السماوات والأرض کانتا رتقاً ففتقناهما » .

( الحلقة الرابعة )

[ انتهينا فى الحلقـات الثلاث السابقة من الحديث عن التركستان الغربية و التركستان الشرقية و القوقاز و هى أوطان إسلاميه وقعت فى قبضة الاستعمار الروسى ، و فى هذه الحلقـة نتحدث - بعون الله - عن وطن رابع حلت به نكبـــة ذلك الاحتلال اللعين . . إنه القرم الاسلامية، فأين تقع هذه الدولة ؟ وما هى قصة كفاحهـا حتى سقطت ضمن ضحايا العدوان الروسى ؟ ]

تقع هذه الدولة - و هى شبه جزيرة - على شاطىء البحر الأسود على بعد ٣٠٠ ميل من الشاطىء التركى الشمالى و يحيطها غرباً و جنوباً البحر الأسود وشرقاً مضيق كرتشى و بحر أزاق الذى يفصل بينها و بين القوقاز ، وتتصل شمالا بالبلاد الأوكرانية و تبلغ مساحتها ٢٧٠٠٠ كيلو متر مربع وهى آخر ما تبقى من الأجزاء المستقلة لدولة « الخزر » .

أما قصة كفاحها أو بمعنى أدق قصة مذبحتها فاننا لا نستطيع أن نأتى بكل تفاصيلها فى هذه العجالة ، وحسبنا التمثيل إذا تعذر التفصيل ، وتصور تلك القصة عداء أتباع المسيح عليه السلام التقليدى للاسلام وتربصهم الدوائر بأبنائه ، ويشاركهم فى هذا الشعور العدائى أتباع « كارل ماركس » فالكل تجمعهم رابطة من الضلالة

و يحركهم دافع واحد هو محاربة الاسلام و إن كانوا فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً. تبدأ هذه القصة عندما دالت دولة « التين أوردو » و أصبحت القرم دولة تركية إسلامية سنة ١٤٢٨هـ و طبقا للمعاهدة التى عقدت بين روسيا و الدولة العثمانية سنة ١٧٧٤م استعادت القرم استقلالها و كان من نصوص تلك المعاهدة الاعتراف بالاستقلال التام للقرم، وقطعت «كاترين الثانية » ملكة روسيا فى ذلك الوقت العهد على نفسها بحماية ذلك الاستقلال، ولكن على الرغم من ذلك كانت القرم هدفا للغزو الروسى فى عام ١٧٨٣م و انتهكت حرمه استقلالها بدافع من الأطماع الاستعمارية، و فى الثـــامن من أبريل من ذلك العام أعلنت « كاترين الثانيه » تصريحها الذى تتعهد «ه بالحرص على حماية الأديان و احترامها و صيانه الأرواح و الممتلكات فى القرم و لكن ما حدث كان العكس من ذلك كله، فما إن تم لها غزو القرم وضمهــا إلى روسيا حتى أحدث معاول الهدم و التخريب تعمل عملها لافساد الحانب الدينى و الجانب الثقافى و اغتصبت حكومة الاحتلال الأرض و وضعت يدها عليها و صادرت الممتلكات ثم أرغمت أهل البلاد على الهجرة من وطنهم و انعكست هذه السياسه على البلاد و أهلها بصورة سيئة فقد انكمشت رقعتها و تناقص عدد السكان إلى نصف مليون تقريباً فى عام ١٨٩٥م بعد أن كان خمســة ملايين نسمة و امتدت يد الهدم و التخريب إلى بيوت الله فانخفض عددها من ١٥٥٨ مسجداً إلى ٧٠٠ مسجد.

و تتميز القرم بمناخها المعتدل و مناظرها الخلابة و ثرواتها الطبيعية الوافدة و لهذا يتخذها زعماء الاتحاد السوفيتى مكان استجمام يقضون فيه فترة الصيف، - لا أراح الله لهم بدنا ولا أغمض لهم جفناً - .

و كغيرهم من أبناء الأوطان الاسلامية المجاهدة هب أبناء القرم لمقاومة هذا

الغزو الأجنبي على الرغم من المظالم و المصائب التى صبت عليهم و تمكنوا بعد كفاح بطولى من الحصول عـلى استقلالهم الذاتى فى عام ١٩١٧م و فى ذلك الوقت انعقد مؤتمر القرم الوطنى المكون من أعضاء انتخبهم الشعب انتخابا حراً، وقام بوضع الدستور القومى القرم فى نفس العام و لكن روسيا الشيوعية الحمراء هذه المرة كانت أحرص على استعمار القرم من روسيا القيصرية فلم تترك أهلها يتمتعون بالاستقلال و لو إلى حين و إنما أرسلت جيوشها للقضاء عليهم و قهرهم و وقعت كارثة الاحتلال مرة أخرى و دخلت القرم ضمن الممتلكات الروسيـة و لم يكن حال أبناء القرم و لا حال بيوت الله بأحسن من ذى قبل فقد احتل المهاجرون اليهود بعض المساجد و تحول البعض إلى كنائس و إلى دور للهو و مقاهى و سينما و إلى ناد لترويج المادىء الشيوعية و اصطبلات لخيول الجيش الأحمر و خيول الهيئات الكولخوزية . و من أشهر المساجد التى حولتها روسيا لهذه الأغراض الهابطة مسجد خان جامسى و هو من أعظم مساجد مدينـة كوزلوه و أحسنها و يرقد فى حديقته الشهداء أمثال الفريق سليم فتحى باشا وسعادة على بك ، ورستم بك ، الأبطال الذين استشهـدوا فى الحرب المقدسه التى أعلنها العالم الاسلامى ضد الاستعمار الروسى ، و اشتركت فيها مصر فى عهـد الخديوى عباس الأول، و دفن أولئك الشهداء فى حديقة الجامع المذكور ليكونوا رمزا للأخوة الاسلامية، لقد تحول هذا المسجد إلى مخزن للقطن فى عام ١٩٣٦م.

و لما لم تنجح فكرة إقامة وطن قومى لليهود فى القرم راح الشيوعيون يطبقون أساليبهم بوحشية لاخضاع أهل هذه البلاد و تدميرها فماذا صنعوا ؟ . .

حينما اعتصم جيش القرم بالجبال و وقف أهل البلاد إلى جواره لجـأ الروس إلى حرب التجويع وذلك بنقل كل الأقوات من شبه الجزيرة وتعرضت

البلاد من جراء هذا العمل الوحشي إلى مجاعة خطيرة فى عام ١٩٢١م، وإذا كانت لغة الأرقام هى أصدق اللغات فى بعض الأحيان كما يقولون فقد نشرت جريدة « أزفستيا » الروسية تقريراً لـ « كالينين » عن مجاعة القرم فى عددها الصادر فى ١٥ يوليو ١٩٢٢م جاء فيه ما يلى :

« بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع فى يناير « ٣٠٢،٠٩٠ » مات منهم « ١٤٤١٣ » و ارتفع عددهم فى شهر مارس إلى « ٣٧٩٠٠٠ » مات منهم « ١٩٩٠٢ » و بلغ فى ابريل « ٢٢٧٠٠٠ » مات منهم « ١٢٧٥٤ » و فى يوليو بلغ العدد « ٢٩٢،٠٧٣ » وتوقف عن ذكر عدد الموتى إلا أنه قال « إن أكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث المستغربة أو تبدو عجيبة فى بابها . ولقد تحدثت جريدة برافدا فى عددها الصادر بتاريخ ٨/ سبتمبر ١٩٢١م فقالت : إن مجاعة القرم كانت أشد من مجاعة حوض الفولجا ، و هكذا تكشف لنا هذه الأعداد عن أسرار تلطخ وجه موسكو بالسواد نتيجة هذه الفظائع التى ارتكبتها لتقضى على عزائم مسلمى القرم و أبطالها المجاهدين الأحرار و هى فظائع تتفطر لها القلوب .

و لقد بدأ الروس بعدها يتجرون بالأرزاق التى استولوا عليها وجعلوا المقابل هو الحلى و النقود الذهبية و الجواهر ، و ما إليها من الأشياء الثمينة التى كانت لدى العائلات المسلمة، ولما نفدت هذه الأشياء بدأ فريق فى الهجرة إلى البلاد الأخرى و الذين عجزوا عن الهجرة تفرقوا فى أنحاء شبه الجزيرة باحثين عما يسد رمقهم ، هم و أولادهم ، و كانوا يتساقطون كأوراق الخريف و بلغت المجاعة ذروتها حتى أكلت بعض النساء لحوم أطفالهن كما أشار « كالنين » فى تقريره آنفا، و لم تقنع روسيا بحرب التجويع بل بدأت حرب الابادة أو التصفية الجسدية كما يقال، وقد تمثل ذلك فى أمرين :

الأمر الأول : اعدام « ولى إبراهيم » رئيس الجمهورية مع جميع وزرائه فى عام ١٩٢٨م و فى سنة ١٩٣٠م قتلوا « محمــــد قوباى » رئيس الجمهورية و وزرائه جميعاً و فى عام ١٩٢٧م استدعوا « الياس طرخان » إلى موسكو و هو رئيس الجمهورية وتم إعدامه رمياً بالرصاص أثناء محاكمة الجنرال « تحاتشنفسكى » .

الأمر الثـانى : بالنسبة لباقى السكان صدر قرار حكومى فى يونيو ١٩٤٦م بترحيلهم جميعاً من القرم إلى وطن آخر، أو بمعنى أدق بتشريدهم فى وطن أو أوطان أخرى ، و كان عددهم حينئذ « ٤٠٠٠٠٠ » نسمة .

و هكذا لا يوجد فى القرم اليوم مسلم واحد ! ! ! من خمسة ملايين مسلم كانوا أهلها و أصحابها و لهم طابعهم و حضارتهم و شخصيتهم الاسلامية ولقد تحول هؤلاء المنكوبون إلى عمال يهيمون على وجوههم فى مجاهيل سيبريا وباقى الأراضى الاسلاميه السابعة المغتصبة و انفصمت روابط الأخوة بينهم و لم يعد لهم أذان ولا صلاة . . و هكذا أسقطت القرم لتضيف إلى قائمه ضحايا روسيا ضحية أخرى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وإذا كنا قد تحدثنا فى الحلقة السابقة عن أحد المجاهدين الأبطال فى القوقاز هو الامام « شامل » فاننا نتحدث فى هذه المرة عن مجاهد آخر هو « إسمـاعيل باك غصبريلى » و البعض يكتبها غصبرنسكى و لكن اضافه « نسكى » من صنع الروس جرياً على عادتهم فى مسخ كل شئ و صبغه بصبغتهم .

فمن هو هذا الرجل العظيم و ما هو دوره فى جهاد أعداء الله ؟

كتب الأستاذ الدكتور « زكى على » الطبيب المسلم المهاجر المجاهد فى سبيل الله الذى يقيم فى جنيف ، كتب مقالا عن هذا الرجل فى جريدة « الجهاد » الصادرة بالقاهرة فى ابريل ١٩٣٥م جاء فيه ما يلى :

ولد إسماعيل بك غصبريلى عام ١٨٥١م فى أسرة تركية كريمة المحتد و لما شب وترعرع أرسله أبوه إلى موسكو ليلتحق بمدرستها العسكرية . و هناك اتصل بكانكوف الزعيم الوطنى الروسى صلة صداقة وصار يتردد عليه طوال مدة إقامته فى موسكو، و كان من أثر ذلك أن تنبهت فى إسماعيل و هو فى ريعان الشباب الفكرة القومية و العاطفة الوطنية فصحت عزيمته منذ غادر موسكو فيما بعد إلى الآستانة على أن يقف نفسه على خدمة أمته و إصلاح حالها ، و تكوين وحدتها القومية و أراد أن يطلع على أسرار تفوق العالم الأوربى و أن يدرس عن كثب مظاهر حضارته و ارتقائه فرحل إلى باريس و هناك احتك بثقافة الغرب ومدنيته فنضج فكره و عرف كيف يتوخى خير الوسائل فى سبيل التجديد الثقافى و الاصلاح الدينى ثم عاد و قد أيقن أنه لابد لنهوض قومه من الأخذ بالأساليب الحديثة فى التعليم وبث المعارف العصرية فى نفوس ناشئة المسلمين وكان إسماعيل غصبريلى يسعى فى جهاده وراء غايتين :

تكوين الوحدة القومية بين مسلمى روسيا أولا ثم إنهاض العالم الاسلامى و إصلاح حاله ثانياً ، و قد كان من أبرز صفات ذلك الرجل العظيم الوطنية الحقة و الحمية الدينية الخالصة فكان تركياً وطنياً صميماً و مسلماً تقياً مخلصاً ، و استعان على نشر دعوته بأن أصدر فى شهر ابريل عام ١٨٨٣ لأول مرة جريدته « ترجمان » التى بقيت حتى عام ١٩٠٥م الصحيفة الوحيدة التى تصدر باللغة التركية فى روسيا كلها ، و شرع يوقظ الشعور القومى بين المسلمين بكتاباته التى يحض فيها على الوحدة فى اللغة و الفكر و العمل . و من أجل ذلك عنى بتوحيد اللهجات التركية و التترية المختلفة و استخلاص لغة موحدة للكتابة ، و وجه جانباً عظيماً من جهوده إلى محاربة الجمود الدينى و أسس مدرسة وطنية نموذجية

فی بلدة بغجة سرای عام ١٨٨٤م يخرج فيها النشء المسلم مشبعاً بالروح القوميـــة التركية والتعاليم الاسلامية و المعارف العصرية كما أنه طبع نسخة جميلة من القرآن الكريم فی مطبعة جريدته « ترجمان » و كان يرى أن النهضة القومية يجب أن تبق مطبوعة بالطابع الاسلامی أی أن النهضة الوطنية و النهضـــة الدينية توأمان مؤتلفان ، ثم أراد إسماعيل غصبريلی أن لا تقتصر دعوته إلی الاصلاح علی مسلمی روسيا بل دفعته محبة الاسلام وطموحه إلی رؤية نجم الأمة الاسلامية يتألق من جديد فی سماء العالم إلی أن يحفز همم المسلمين فی سائر الأقطار و يحضهم علی تعزيز الروابط الروحيه بينهم و توثيق صلات التعاون و التآزر لاصلاح العـالم الاسلامی فوفد إلی مصر فی أكتوبر عام ١٩٠٧م داعياً إلی عقد مؤتمر إسلامی عام يجتمع فيـــه ممثلو الشعوب الاسلامية للبحث فی شئون الاسلام و إصلاح حال المسلمين . و اجتمع يومئذ بالشيخ علی يوسف رحمه الله صاحب « المؤيد » و كاشفه بفكرته التی حضر من أجلها فهيأ له حفلة كبری حضرها عظماء مصر من العلماء و الكبراء و الكتاب و زعماء الحركة الوطنية و الفكرية و أصحاب الجرائد و المجلات و القی إسماعيل غصبريلی خطبة مستفيضة تكلم فيها عن فكرة المؤتمر وتوحيد كلمة المسلمين . وقد عقد المرحوم « المنفلوطی » فصلا فی « نظراته » عن المؤتمر الاسلامی وقال فيه عن إسماعيل غصبريلی « سرنی منظر ذلك الرجل العظيم و الداعی الكريم و هو قادم إلی مصر يجتاز التخوم و يتخطی البلدان و يطوی الغبراء طی الكواكب الخضراء يقوده الأمل و يسوقه الرجاء و بين جنبيه همـــة عالية و نفس كبيرة . . سرنی منظره و هو قائم بين جماعات المسلمين يحاول أن يرأب صدعهم ويلم شعثهم ويجمع كلمتهم و يؤلف بين قلوبهم » نعم كان إسماعيل غصبريلی مسلماً عظيماً ووطنياً فذاً ومصلحاً كبيراً بعث الروح القومية بين ملايين

المسلمين العديدين فى روسيا و جاهد طول حياته ليس لترقية بنى جنسه و إعلاء شأنهم فحسب بل لايقاظ العالم الاسلامى وإصلاحه ، وقد وافته منيته عام ١٩١٤ بعد أن ضرب للناس مثلا فى العظمة الحقيقية والبطولة فما أجدر المسلمين بتخليد ذكراه ما تعاقبت الأجيال . أ . هـ » .

تلك سطور مضيئة كتبها المجاهد المسلم الدكتور زكى على عن هذا المصلح العظيم منذ أكثر من أربعين عاما و نحن نسجلها اليوم كما هى وفاء بحق الرجلين ، داعين بالصحه و العافية للأول و بالرحمة و المغفرة للثانى جزاء ما بذل و قدم من أجل الاسلام و المسلمين .

بقيت كلمة أخيرة أوجهها إلى من يطلع على هذه الحلقات الأربع من أبناء الدول التى جاء ذكرها فيها و هى : أن ما كتبته هنا هو جهد المقل و احتسب ما بذلت من وقت فى جمع هذه المعلومات عند الله تبارك و تعالى و إن فاتنى شئ أو أخطأت فى شئ فما ألوت الصواب جهداً و لا الحق ابتغاء و قصداً و رحم الله أمرءا أهدى إلى عيوبى . .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
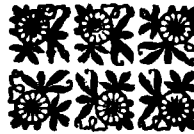
## دراسات و أبحاث :

# وسائل تربية شباب الجامعات إسلامياً و إعدادهم لخدمة الأمة

### ( الحلقة الثالثة )

الدكتور عبد الحليم عبد الفتاح عويس

ـ إن العقيدة الايجابية جزء من ذاتنا . . فجذورنا تشهد بأن عنصر الايمان أصيل فى ذاتنا الشرقية الاسلامية (١) إننا ـ دائماً ـ فى رؤانا الكونية كنا ننطلق من الايمان . . و لو أننا حافظنا معه على ( العقل ) لكان لمسارنا التاريخى تطور آخر . وفى تاريخنا كان النصر و الهزيمة مرتبطين بالايمان وعدمه . . فحالة وجود التوجيه الايمانى الملتحم بالعمل والحركة هى حالة النصر . . و ليس عصر النبوة ، و لا عصر الراشدين ـ فقط ـ هو ما يعطينا هذا المؤشر . . فظهور كل تيار نصر مرتبط ـ دوما ـ بوجود ( العز بن عبد السلام ـ أو ـ المنذر بن سعيد البلوطى ـ أو عبد الله بن ياسين ـ أو أسامة بن المنقذ ، أو رجاء بن حيوة ، أو أسد بن الفرات ( القائد الفقيه ) أو ابن تيمية ـ أو محمد بن عبد الوهاب ـ أو عبد الحميد بن باديس . . . ) هؤلاء الذين كانوا يعطون لقضية التغيير روحها التى تنتصر بها .

---

(١) أنظر فى هذا البحث القيم للدكتور حامد بدر حول دور الدين الاسلامى فى نظام دوافع و حوافز العمل لأعضاء هيئة التدريس ( مجلة العلوم الاجتماعية ) العدد ٤ ج ١٣ الكويت .

و العقيدة الايمانية روح تنساب ـ و يجب أن تنساب ـ فى كل ما يتصل بذاتنا، فكراً كان الأمر أو عادات أو تقاليد . فلسفة أو اجتماعاً أو اقتصاداً . شريطة أن يكون الايمان هو الايمان الايجابى و ليس السلبى السكونى .

✖ ✖ ✖

و الوسطية و التكاملية بين العناصر يمثلان عنصراً ـ أيضاً ـ من عناصر ذاتنا . . فنحن أمة لم تحب الطغيان يوماً . . لا بين المادة أو الروح ، و لا بين المرأة أو الرجل ، و لا بين الفرد و المجتمع بل من أخص خصائصنا الذاتية الرغبة فى تجنب الافراط و التفريط ، و محاولة التوفيق بين العناصر . . و لعلنا الأمة الوحيدة التى حافظت على وفاق عجيب بين العلم و الايمان فى تاريخها ، ومع تطور العلوم تطوراً مذهلا فانها لم تجد نفسها بحاجة إلى فلسفة إلحادية أو مادية للعاصرة ، بل رأت فى الايمان أفضل وسيلة للتحديث . . و اضبط الوسطية فى التحديث نفسه ، و لقاء التكنولوجيا تحت الهيمنة الانسانية .

إن لكون ( العلماء ورثة الأنبياء ) فى حضارتنا معنى عظيماً لم نقف عنده . . فهذه التبادلية و التكاملية بين الوحى و العقل هو أمر جديد فى التاريخ . . و هو إحدى هدايا الحضارة الاسلامية للانسان ، و هو جزء من ذاتنا الاسلامية التى تشعر بتآزر كامل بين الوحى السليم و العقل السليم و الفطرة السليمة .

✖ ✖ ✖

و ذاتنـــا . . ذات منفتحة . . فنحن دائما نقع فى مناطق تشتبك مع حضارات العالم و طرقه الرئيسية . . و ديننا ( رحمة للعالمين ) و للناس كافة . . و نحن فيه مثل كل الناس . . لسنا شعبا مختاراً إلا فى حدود قيامنـــا بالرسالة و الامانة . . و لو حملها غيرنا لكان أفضل منا ( إن أكرمكم عند الله أتقاكم )

و هكذا فنحن ذات بلا عقد ، وليس لنا قضايا حقد مع العالم ، بل من طبيعتنا التسامح . . و ندين العصرية بكل معانيها الانسانية و القانونية . . و بالتالى فليس لنا ـ كمسلمين ـ فلسفة قومية تجاه الانسانية ، و لا حتى فلسفة طبقية ( المعنى الطبقى الجدلى ) . . و لسنا نملك قيماً تعطينا ( استعلاء عنصرياً ) . . . و من الغباء أن يحاول بعضهم دعوتنا إلى ( الانفتاح و الانسانية ) فهذا تحصيل لحاصل أصيل فينا . . شريطة أن لا يكون هذا الانفتاح ـ أو الانسانية ـ طريقاً خادعاً لقتل ذاتنا و الذوبان فى الآخرين . . أى فى الشريحة التى لا معنى لها فى التاريخ إلا المعنى الغريزى . . كلا . . فنحن أمه متميزة . . و لنا ذاتنا التى نؤصلها . . و نوجهها لخدمة الانسان و دعوته إلى الحق . . و إن كنا ـ فى الوقت نفسه ـ حريصين على أن لا تذبح ( ذاتنا ) من أجل ذوات أخرى تموه علينا بكلمات الانسانية و الانفتاح و العالميه . . و هى أشد ما تكون ( عبادة ) لذاتها ، وقتلا لذوات الآخرين بكل ما تستطيع من أسلحه ، و من أبرز أسلحتها هذه الدعوة الكاذبة للانسانيه و العالمية ـ و ليست الانسانية و العالميـــة فى رأيهم . . إلا ( ذاتهم ) العنصرية .

※ ※ ※

و فى الطريق لتحديد معالم الذات الحضارية للانسان المسلم قد نجد معالم أخرى . . لكن المهم ـ هنا ـ أن تأصيل هذه المعالم وغرسها ، وصياغتها صياغة علمية تاريخية ، و الانطلاق منها نحو إقامه منهج حضارى مستقل يقوم على كتابنا الكريم و سنة نبينا اللذين آمنا ـ بحق ـ ضرورتهما لوجودنا . . هـــذا التأصيل العلمى ( لذاتنا ) و ( لرسالتنا ) هو واجب أساسى من واجبات المؤسسات العلمية العليا ، و هو واحـــد من أفضل ما يمكن أن تقدمه هذه المؤسسات للشباب ، و لا سيما فى هذه المرحلة الضبابية من تاريخنا .

## التربية . . عقل الحضارة :

إن الارتقاء ـ بمعناه الجزئى أو المادى ـ دون اعتماد على التربية و التثقيف هو كبناء جسم الانسان ـ دون بناء عقله . . ولقد يبدو هذا الانسان القوى البنية شيئاً عظيماً . . لكنه ـ بدون العقل ـ لن يخرج عن كونه شيئاً . . و ليس إنساناً سوياً ، فضلا عن أن يكون إنساناً متحضراً .

و التربيه ليست فى الحقيقة ( للعقل ) فقط ، بل هى الموجهه ( للقلب ) أيضاً ، ذلك لأن القلب له فقهه أيضاً ، و ثمة قلوب ـ كما يفيدنا القرآن ـ لا تعقل : ( لهم قلوب لا يفقهون بها ) (١) .

و قد وعى خصوم الحضارة الاسلامية خطورة التربية ، و ( التعليم ) ( الذى هو جزء مهم فى التربية ) و لهذا أنفقوا الكثير فى سبيل تغريب التعليم فى بلادنا إما مباشرة أو بواسطة تلامذتهم الذين يتكلمون بألسنتنا لكن عقولهم مكونة غرباً . . و بينما يعلن تقرير أمريكى رسمى خطير أن ( التربية ) هى أهم المجالات التى يجب العناية بها ، و التى يجب أن تسبق التصنيع و الدفاع بل و الصحة . (٢) و يعلن التقرير أنه إذا جاءت أمة تفرض على أمريكا مناهج غير ( أمريكية ) ويجب إعلان الحرب فوراً . (٣) ( مجرد افتراض ) . . بينما يعلن هذا فى أمريكا يفرض علينا نحن المسلمين أن تغرس فى أفضل المواقع فى عواصمنا ( الجامعات الأمريكية ) ، و تنتشر مئات المدارس التى تحمل اسماء

---

(١) الأعراف / ١٧٩ .

(٢) أمة معرضة للخطر ـ تقرير مقدم للجنة الوطنية بأمريكا ١٩٨٣م/١٤٠٤ﻫ
مجلة رسالة الخليج العربى عدد ١٢ ـ السنة الرابعة .

(٣) المكان السابق .

( الليسية ، و الفرير ، و العذراء ، و فكتوريا ، و الدومينكان ، و الانجيليـــة ، و القديس . . . ) و يهتم بهذه المدارس ـ شكلا وفق المضمون الغربى ـ فتصبح محاط أنظار كل المثقفين ، لدرجة أن أساتذة عربا فى الجامعات الخليجية يقبلون بالحياة بعيداً عن أسرهم العام الدراسى كلـــه حتى لا يفقد صغارهم ( فى المراحل الابتدائية وغيرها ) مقاعدهم فى هذه المدارس التنصيرية ( مدارس اللغات ) . . . و لقد عجبت إذ رأيت أستاذاً فى سن الشباب يترك أسرته من أجل ( ابن وحيد) فى السنه الأولى الابتدائية . . و يرفض إلحاق أسرته به . . حتى لايدخل ابنه مدرسة عربية ، مع أن البلد العربى الذى يعمل بها تهتم اهتماماً كبيراً بالتعليم .

و ثمـــة آثار خطيرة على المستوى الفكرى و السلوكى و النفسى تتركه هذه المدارس ، مهما أخفت أهـــدافها . (١) و الغريب أن هذا يحدث فى عهود ( الاستقلال ) . كان من الأهداف الأساسية لحركات الاستقلال طرد لغة المحتل الأجنبي المفروضه ، فها هى تعود ـ بثوب لطيف ـ من الباب الآخر و بأيدينا .

و بالاضافة إلى اللغة و مدارسها و الجامعات الأمريكيه و اليسوعية ـ ثم غزو أخطر للتربية من خلال العلوم التى تشكل الشخصية الانسانية و الاجتماعية و تعتبر علوماً قيمية ذات معايير عقدية ، و عندما نشأت فى الغرب قامت على أسس و معايير أخرى لا تتفق فى جملتها مع مجموعة المعايير والقيم التى ينبغى أن تنطلق منها هذه العلوم فى مجتمعنا المسلم (٢) .

---

(١) ينظر فى هذه الآثار : د/ حسان محمد حسان : التعليم باللغات الأجنبية فى المدارس الرسمية العربية ، تاريخه ، أسبابه ، آثاره ، نشر القاهرة ١٤٠٠هـ .

(٢) التعليم ع الحضارة ( مقال د/ سيد دسوقى حسن ) مجلة رسالة الخليج العربى العدد ١٥ ، السنة الخامسة ١٤٠٥هـ .

و قد نظر إلى ( التربية ) و كأنها علم محايد ( كالكيمياء و الرياضيات ) إذا صح أن تكون هناك علوم محايدة - مع أنها فى صميم تكوين الشخصية و طابعها الحضارى و رسالتها و ذاتها ، وحتى كلمة ( التربية الاسلامية ) - كعلم - كانت مبعدة و مغزوة .

و مع التربية غزيت مناهج المواد الاجتماعية و الدراسات الانسانية من تاريخ وحضارة و اجتماع وعلم نفس و اقتصاد وشوه كل شئ ، حتى (ابن خلدون) الذى تتلمذ الغرب عليه ، تطوع طه حسين بتشويهه ، و شوه أدبنا و نسب إليه الانتحال ، و أبعد ( الاقتصاد الاسلامى ) و رفض فى البداية - كمادة فى الجامعات العربية و الاسلامية - ( و الذى يتتبع ما حدث للمناهج الليبية إبان الاحتلال الفاشستى ، و ما حدث للمناهج الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسى ، و ما حدث للمناهج التركية بعد إعلان العلمانية سنة ١٩٢٤م ، و ما حدث للمناهج الأندونيسية إبان سيطرة الشيوعيين ، و ما حدث و يحدث فى المدارس الفلسطينية تحت ضغط الاستيطان الصهيونى .. إلخ ) . الذى يتتبع كل ذلك يدرك مكامن الخطورة ، و مواطن الدس ، و قنوات السم .

و هناك تفاصيل كثيرة عن مؤسسات التبشير و التغريب التعليمية التى أنشئت فى فلسطين و الشام بدءاً من دور الحضانة إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت (١) و القاهرة و استانبول . . و تفاصيل عن كلية ( غوردن ) المنشأة بالسودان سنة ١٩٠٢م ، و كلية ( ما كريرى ) فى يوغندا التى كان يرسل إليها أبناء جنوب السودان خاصة لاستكمال دراستهم وفقا للأهداف، و التوجيهات

(١) راجع : مصطفى خالدى و عمر فروخ ، التبشير و الاستعمار فى البلاد العربية ص ٧٦ .

الانجليزية (١) . وأخرى عن المؤسسات التعليمية الانجليزية فى عدن منذ دخول الاحتلال البريطانى سنة ١٢٥٦م ( ١٨٣٩م ) (٢) و تفاصيل عن مؤسسات تعليمية شيوعيه تحمل أسماء واضحة و شعارات مباشرة فى اقليم ظفار بسلطنة عمان ، و فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . و فى مناطق أخرى وقعت تحت النفوذ الشيوعى فى الصومال .

و لقد ناقش عدد كبير من مفكرينا المسلمين خطورة التعليم الغربى التغريبى على حياتنا الاسلامية منهم شاعرنا الاسلامى الكبير ( محمد إقبال ) الذى أطلق على هـذا النوع من التعليم ( حامض التعليم ) الذى يحاول إذابة الشخصية الاسلامية و محو خصائصها الأساسية و تشويه ملامحها ، و توجيهها وجهة غربية بحتة فى الاتجاه و السلوك و المشاعر ، و من هؤلاء المفكرين مفكرنا الاسلامى المعاصر أبو الحسن الندوى فى كثير من كتاباته (٣) ومحمد محمد حسين فى كتابيه: ( حصوننا مهددة من داخلها . والاتجاهات الوطنية فى الأدب العربى ) (٤)

(١) راجع : ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ، مكتبه الحياة ، بيروت ص ٢٤٦ و ما بعدها ـ و انظر : حسان محمد حسان ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى ٧١ ـ ٧٢ .

(٢) راجع : جاد طه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن . دار الفكر العربى ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ( فضلا عن وسائل مقاومه الغزو الفكرى ) .

(٣) راجع التفاصيل : أبو الحسن الندوى ، نحو التربية الاسلامية الحرة فى الحكومات و البلاد الاسلامية . المختار الاسلامى ـ القاهرة .

(٤) راجع وسائل مقاومة الغزو الفكرى ـ د/ حسان محمد حسان طبع الرابطة ٧١ ـ ٧٢ .

إن الشباب المسلم الذى نشأ فى هذا المناخ و مازال حتى اليوم يعانى منه يشعر بكثير من الازدواجية ، فهذه المناهج و الجامعات التى تريد سلخه عن جلده و مسخ شخصيته إنما هى أفراز لشخصية حضارية غريبة عنه ، و تعبير عن قيم لا تمت إليه . و على الجامعات الاسلامية ـ و ما قبلها من مراحل تعليمية ـ أن تسعى لتطويع العلوم المادية و الانسانية لخدمة الأهداف العليا للمجتمعات الاسلامية ، تلك التى تعبر عن عقيدتها و قيمها و رسالتها الحضارية .

و هذه الأهداف العليا يقع على الجامعات عبء كبير فى تحديدها و صياغتها صياغة علمية .

كما يقع عليها عبء صياغة القيم السائدة المعبرة عن طابعها الحضارى .

و عليها أن تكون الاطارات القادرة على تحقيق هذه الأهداف و غرس هذه القيم ، إذ أن دور الجامعات يأتى فى المقدمة من حيث إعداد الطاقات البشرية المهنية و القادرة على المساهمة فى نقل هذا المجتمع من مجتمع آخذ فى النمو إلى مجتمع متطور خلال فترة زمنية طموحة ، على أن تتم عملية الانتقال تلك مع عدم المساس بكافة المقومات والقيم الصالحة للمجتمع ، مع الاستفادة القصوى من الموارد المتاحة بكافة قيم و مقومات الحياة و أهمها الانسان .

و الانسان هو محور الحديث المتصل عن الانتاجية ، لأنه مركز الثقل فى عملياتها ، فمنه تنبع ، و إليه تتجه ، و هو فى ذات الوقت الوسيلة إليها ، لأن به تتحقق المعدلات المرتفعة لها ، و تنمية الطاقة البشرية هى مهمة أساسية من مهام مؤسسات التعليم العالى ، و تقف على قائمة أولويات المجتمع الذى يعانى من قلة السكان ، و ندرة القادرين من المواطنين على المساهمة فى برامج التنمية (٣) .

---

(٣) إنتاجية مجتمع ـ د/ محمد محمود سفر ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م جدة السعودية ص ١٥٦ .

و من الجدير بالذكر أنه فى ظل المفهوم الشامل للتنمية ، ذلك الذى يجمع بين التنمية الثقافية والاقتصادية و الأخلاقية فى نهج واحد - يبدو دور الجامعات فى التنمية الموصلة إلى الأهداف العليـــا دوراً رائداً ، ليس باعتبارها التى تصنع الانسان فحسب ، بل باعتبارها المؤسسات القادرة على التصير الاجتماعى و الثقافى النمطى الذى ينسجم مع شخصية المجتمع و ذاتيته الحضارية .

و تستطيع الجامعات - فى ضوء هــذه الامكانية - أن تعالج الأمراض الحضـارية الخطيرة فى الأجيال الشابة ، و على رأسها ( القابليـــة للاستعمار ) و ( الفراغ العقدى ) و ( اللا انتماء ) و ( اللامسئولية ) و الاستعداد لتقبل ( الازدواجيـــة ) فى الحياة ، أى التعامل بالشخصية المزدوجة غير السوية ، و التخلف الفكرى ، و الأمية الثقـافيه التى يتمتع بها قطاع كبير من حملة المؤهلات العليـا .

و إذا كان هدف المجتمع - أى مجتمع - الوصول بأفراده إلى إنتاجية أكبر يصبح لزاماً أن يختار المجتمع لكل فرد فيه النوعية المناسبة من التعليم و التدريب خلال مدة محددة ليؤدى الفرد بعدها مهمة بعينها فى خريطة المهام الوطنية للمجتمع، وحسب قائمة أولويات محددة سلفاً بحيث يستنفر كل عضو فى المجتمع ليقوم على ثغرة من الثغرات ، أما باعتباره فرض عين أو فرض كفاية ، وذلك من خلال تحديد واضح للأهداف العليا للمجتمع .

نحن لا ننكر أن ذلك بالطبع أمر بالـــغ الصعوبة ، و تختلف النظم فى محاولتها القرب من الغاية، ففى بلد كأمريكا تعطى للطالب حرية الحركة فى المدرسة و الجامعة و المجتمع ليكتشف نفسه ، و يحدد قدراته ، و يصحح خطوه .

أما فى بلدان العالم الاسلامى فحرية الحركة الاستيعابية للطالب داخل النظام

التعليمى تكاد تكون معدومة ، و الأجهزة التعليمية غير قادرة ( أما لثقل حملها ، أو عدم اكتمالها ) على الاكتشاف المستمر للقدرات المختلفة عند الطالب ، وحتى لو اكتشفت قدراته فان تحقيق المسارات المختلفة للقدرات المختلفة أمر ليس فى قائمـــة أولويات النظم التعليمية فى بلدان العالم النامى ، بل إنه فى أحيان كثيرة يؤدى الهيكل الوظيفى فى المجتمع إلى اختيار خاطئ من الطالب لنوع من التعليم أو التدريب بحيث يملى هذا الهيكل ضغوطاً اجتماعية تجعل مساراً بعينه أكثر بريقاً و أشد جذباً (١)

و هذا ما وقع للتعليم الجامعى ـ فعلا ـ فى كثير من بلداننا الاسلامية بحيث وجدنا كثافة لا لزوم لها فى بعض التخصصات ، و بالتالى فائضاً كبيراً . . بينما وجدنا عجزاً فى كثير من التخصصات حتى فى داخل الكلية الواحدة لم يكن التقسيم بين التخصصات متوازنـــاً و مرتبطاً بحاجات المجتمع التى توضحها خطة مستقبلية. وقد كان لهذا المسلك تأثيره المدمر على الشباب، إذ ظهرت لديهم البطالة المقنعة ، و أحسوا بأنهم عبء عـــلى حاضر أمتهم و مستقبلها ، و ألفوا الكسل و عدم الاهتمام بقيمة العمل ، بل فقدوا تقديرهم الحقيقى لقيمتهم الانسـانية . . فضلا عن وجود تخصصات كثيرة تعانى من نقص كبير .

و ثمة مشكلات أخرى تتصل بالتربية و تحتاج إلى جهد كبير من الجامعات ، لما لها من صلة بالشخصية الحضارية للأمة . . وللأسف الشديد ، فلا يكاد يهتم بها إلا عدد قليل من الجامعات فى العالم الاسلامى ، و إلا بعض النيورين الذين يعملون بجهود فردية و محدودة . . و هذه المشكلة هو ما يعرف بازدواجية التعليم فى عالمنا العربى و الاسلامى ، حيث نجد على امتداد الجامعات نمطين متناقضين . .

(١) إنتاجية مجتمع د/ محمد محمود سفر ، ط ١ ص ١٥٩ ( بتصرف ) .

أحدهما يجهل قدر العلوم الانسانية كالاجتماع و الاقتصاد و التاريخ و علم النفس و الفلسفة و التربية ، ومع ما أثبتته هذه العلوم من قدرة تنظيرية فی مجال تقدم الغرب و وعيه بذاته . . وثانيهما يتبع التحليل الغربی فی رؤيته لهذه العلوم (١). حتى أصبح التصور الكونی و النفسی و الأخلاقی و الاجتماعی الذی تطرحه هذه الأفكار حرباً على دين الأمة و رؤيتها الايمانية للكون و ماوراء الكون .

وفی مرحلة ( النضج ) الذی اصطلحنا على تسميته ( بالصحوة ) أو بداية الثقة فی أنفسنا وفقهنا لأبجديات التحضر . . فی هذه المرحلة يجب تصحيح موقفنا من هذه العلوم . . و لن يتأتی ذلك إلا بمزج هذه العلوم بعلوم الاسلام ونظرة الاسلام ، فهما - فی الحقيقة - كيان واحد . . و ليس هناك فی الحقيقــة شیء اسمه . . فقــه . . و آخر اسمه اقتصاد و اجتماع . . فالثلاثة كيان واحد . . و الأخلاق و علم النفس و التربيــة منظومه واحدة يجب أن تنبع من التصور الاسلامی شريعة و أخلاقاً ، و الفلسفة يجب أن تشرق من شمس العقيدة و الوحی ، و إلا أصبحت تجريداً وهميــاً وجدلا عقيماً يستطيعه كل إنســان - بلا ضوابط أو ركائز . . و هكذا فأسلمة المعرفة مطلب وجودی . . و لا بد من سد الفجوة الملحوظة بين التخصصات الاسلاميه و التخصصات الأخرى وإلغاء الحواجز بينها بحيث تتم أسلمة التخصصات الأخرى بأن تنبع من مفاهيم إسلامية، و فی الوقت نفسه الاعتراف بالتخصصات العلمية و مناهجها ، كالطب و الهندسة ، و الصيدلة ، و الزراعة و العلوم . . إلخ ، وقبولها و تطويرها إلى أحدث ماتصل إليه من منابعها فی حضارتنا و من تطورها فی الغرب ، مع التأكيد على المحافظة

(١) انظر فلسفة العلوم بنظرة إسلاميــة : كارم غنيم ( نقد كتــاب ) المسلم المعاصر ١١ / ٤٣ .

على الشخصية للطالب الدارس لها، ليتمكن من ممارسة مهنته بعد تخرجه إنساناً مسلماً قبل أن يكون متخصصاً فينطلق في ممارسته من تصورات إسلامية واضحة في التعامل مع الآخرين حتى يمكن أن يتميز عن صنوانه من غير المسلمين أخلاقياً وسلوكياً .. وهكذا فلن نصل إلى منظور حضارى سليم دون (أسلمة المعرفة) (١) و أسلمة عقول الباحثين عن المعرفة .

⌘ ⌘ ⌘

إن التربية الغربية تقوم فلسفتها - بصفة عامة - على عدد من الكليات التى تناقض تماماً مع فلسفتنا و حضارتنا . . و من هذه الكليات : فكرة التطور فى كل شىء حتى فى الانسان و القيم ، و فكرة البقاء للأقوى ، و فكرة صراع الطبقات ، و فكرة ( فرويد ) فى الدافع الجنسى وراء حركة الانسان ، و فكرة النسبية و إنكار كل مطلق ، و فكرة الوضعية ، و أن المعرفة الحقة لا تقوم إلا على المشاهدة وحدها (٢) .

فكيف نأخذ مناهج هى ثمار هذه البذور التى تتناقض تماماً مع كلياتنا الفلسفية التى تؤمن بوجود عناصر ثابتة فى الانسان ، و القيم ، و ترى أن البقاء للأصلح ( و أما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ) و تؤمن بتعاون الطبقات لا بصراعها ، وترى أن الدافع الانسانى يخضع لمحرك الايمان - بالدرجة الأولى - ولا عتبارات أخرى مكملة له - و منها الجنس و الاقتصاد ، و ترى أن ( عالم الغيب ) - و المعقولات - أساسيات فى نظرية المعرفة الحقة .

---

(١) انظر إنتاجية مجتمع . الدكتور محمد محمود سفر ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م ، السعودية ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٢) د/ سيد دسوقى حسن : مرجع سابق .

و يجب أن لا يغيب عن بالنا أن التعليم الجامعى يحتوى عـلى عنصرين متكاملين : الجوهر الثقافى ، و الاعداد التخصصى فأما الجوهر الثقافى فله أبعاد علمية و أبعاد تربوية و أبعاد حضارية . و أما الاعداد التخصصى فله أبعاد تحليلية و أبعاد تصميمية و أبعاد تقنية (١) .

أليس من الأجدى أن تنطلق مناهجنا و جوهر ثقافتنا من تصوراتنا الكلية ؟ و أليس من الأجدى أن لاتبدد طاقات جامعاتنا التطبيقية فى ( البعد التحليلى و بدرجة ما « البعد التصميمى » على حساب عملية التقنية ؟ ) .

الحقيقة أننا بحاجـه إلى إعادة نظر فى النسبة بين البعد التحليلى و البعد التصميمى و البعد التقنى فى ضوء الحاجه الاجتماعية (٢) .

ونحن ـ أيضاً ـ فى حاجة إلى إعادة نظر مستمرة فى ضوء البعد الاجتماعى ـ و كلياتنا الحضارية ـ لكل مناهجنا فى الجامعات و التعليم عموماً .

وعند ما نقوم بهذين المطلبين الجوهريين فسوف ينتهى عصر التيه و التمزق فى شبابنا المثقف ، و سوف يجد شبابنا طريقه معبداً نحو الانطلاق و الابداع ، شريطة أن يقف ذلك فوق أرضية ( السنة ) ـ نموذجنا الحضارى ـ و فى إطار بعث الذات المسلمه الواعية باطارها الحضارى و مهمتها التاريخية .

و الله ولى التوفيق . .

---

(١) د/ سيد دسوقى حسن : مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق .

# الأدب الاسلامى

## رؤية معاصرة

## ( ١ )

د. محمد صالح الشنطى

ليس أخطر على الدعوة و الدعاة من النظرة البسيطة للأمور التى تنساق وراء النزوع الخطابى و النبرة الانفعاليـــه و الاستسلام لسهولة التنظير و إغواء التقعيد ، فتنبرى للتأليف فى رصـد تلقائى لتداعيات الوجدان و معطيات التفكير اللحظى المرتجل الذى لا يفرز إلا مقولات ساذجة مغرقة فى التعميم و التسطيح ، مندفعة إلى التقاط ما هو عادى ومألوف و مستهلك . وقد برئت الحركة الاسلامية مذ أن انبثقت فى بواكيرها الأولى حتى استوت تياراً فكرياً و تنظيمياً له تحققه و وجوده من مثل تلك النظرة التى تتكئ على فوران الانفعال و جيشان النفس و تنساق مع الاحتدام الحماسى فوقعت فى محاذير كثيرة ليس أقلهـــا الاتهامات الباطلة التى تسم الفكر الاسلامى بالضحالة والانعزال عن روح العصر ومقتضياته ، و على الرغم من أن الله سبحانه و تعالى قيض لها عقولا مدركة عبقرية تصوغ مبادئها ، و ترسى فلسفتها ، وتنظم مسيرتها ، فان ميداناً هاماً من ميادينها ظل غفلا من الدراسة و الاهتمام فيما عدا شذرات هنا و هناك تلتمع فى ثناياها بوارق أمل تومئ إلى بدايات قابلة للتطوير و واعدة بالخير و حاملة للبشارة ، و هـــذا الميدان هو الأدب الاسلامى الذى هو مناط التشكيل المتئد لوجدان الأمة وفكرها.

و إذا استثنينا تلك الومضات الثاقبة التى انبثت فى كتب عمالقة الدعوة من أمثال المرحوم سيـــد قطب و محمد قطب و أبى الحسن الندوى و أبى الأعلى المودودى و إقبال و الثلة المثابرة من الأدباء الاسلاميين فاننا لا نعثر على جهـد ذى بال فى هذا الميدان و قد كان لهؤلاء الشوامخ عصرهم الذى استطاعوا أن

يتشربوا بروحه و أن يطبعوه بطابعهم ، و لكن الزمن غير الزمن ، فقد شهد العصر الراهن طفرة هائلة فى مجال الفكر و العلم و الفلسفة ، و حقق البحث كشوفاً هائلة كانت ما زالت بكراً فى النفس الانسانية و قد انعكس ذلك على الوجدان البشرى ، و لم تكن الأمة الاسلامية بمأى عن هذه التطورات بل انصهرت فى أتونها و كانت مستهدفة مباشرة لأدواتها و وسائلها حيناً وبشكل طبيعى تلقائى حيناً آخر . و لكن العديد من الباحثين الاسلاميين و الدارسين لصياغة الأدب الاسلامى ظلوا يعزفون على وتر قديم و يتشدقون بمقولات جاهزة يرددونها فى كتبهم و محاضراتهم و فى أشعارهم و قصصهم و لم يحسوا التسلل إلى عواطف الأمه و وجدانها و تحسس مشكلاتها اليومية و المصيرية ، و ظل التوجه المباشر بالأساليب العتيقة هو ديدنها و دأبها فتخلفت عن العصر و انطوت تجتر موروثاً قديماً لا ينتمى إلى تراثها المتجدد و فكرها الحى ، لقد وقعت أسيرة فى قبضة الشكل العقيم و الزخارف و التمرق اللفظى الانفعالى الذى كان سمة للانحطاط والجمود ، و لادت ببضعة نماذج تصوع على مثالها مصاغة لذوق لم يعد مستساغاً و لا مقبولا . و ما هذا من الحصافة فى شىء و لا من الكياسة و الفطنة التى دعانا الاسلام إلى التحلى بهما .

إن للأدب طابعه الخاص و وظيفته المتميزة و المتجددة و أدواته التى لا بد من قيادها إلا لذوى الموهبة ، فالمباشرة الصارخة لا تنفع فى زمن ارتفعت فيه الأدواق و اغتنى الوجدان الانسانى و العقل البشرى بكثافة و تركيز ، و لم يعد من الممكن التأثير فيهما باثارة الانفعال الفج و الخطاب المسطح ، و إنما لابد من اقتناص وجيبهما السرى و التقاط أدق النبضات و أخفاها و التجوال فى دهاليز النفس الانسانية بتكويناتها المعقدة التى أفرزتها طبيعة الحياة المعاصرة ، و لا يتأتى ذلك

بسهولة و إنما بمزيد من الصقل و الدربة و المراس و الاطلاع على ذخائر آداب الأمم قديمها و الحديث ، و الأديب الاسلامی مطالب أكثر من أی وقت مضى بالحوار المبدع مع معجزات الفكر الانسانی و اختبارها على محك الاسلام وتطويعها لمنطقه بالحكمة و الروية و الرؤية الثاقبة ، و هو مطالب أيضاً بكسر صدفة العزلة و الانهماك فی السعی الدؤوب إلى غربلة التراث و فهمه و تمثله بروح عصرية وفهم إسلامی متفتح بعيداً عن الانغلاقية الجاهلة المتمترسة خلف مقولات جامدة الاسلام منها براء ، وهو مطالب أيضاً بالكف عن اجترار القضايا التی استهلكت من كثرة الجدل العقيم و التناول السهل ، فلم يعد موقف الاسلام من الشعر قضية تستحق أن نمدد فيها وقتاً بعد أن قتلت بحثاً و درساً و معالجـــة ، فموقف الاسلام شديد الوضوح ثابت بالقرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة ، و هـــذه الأبحاث المتراكمة التی تحفل بها المكتبة الاسلامية تكفی للرجوع إليها عند الحاجة .

كذلك فان المنهج التحميعی الذی يعتمد على القص و التكرار الممجوج فی الكتب و الأبحاث أصبح متخلفاً عن روح العلم ، بعيداً عن النزوع إلى الابتكار المتوهج بالفطنة والذكاء ، كما أن التشبث بالمواقع الجمالية التی تجاوزها العصر و تكبيل الأديب بقيودها و مطالبته بالتحصن فی خنادقها أمر يتنافى مع روح الاسلام و مبادئه ، فقد قدم الفكر الاسلامی الذی انعتق من القيود للعالم خلاصة الفكر الانسانی عبر الترجمة و التمثل و العكوف على التفكير و الاستفادة من المناهج الخصبة لدى أمم الأرض ، وتأثر الأدب الاسلامی عبر القرون بما لدى الشعوب المختلفة من ذخائر أدبية وفنية ووظفها توظيفاً جيداً بلا عقد أو إحساس بالدونية ، ففيم هـــذه الضجة المفتعلة التی يثيرها بعض الجامدين فی وجـــه كل نزوع إلى التطور و التجدد .

إن الغموض الشفيف الوحی الذی يتلامح من خلاله المعنى تلامحاً ، و يحتفظ بشیء من السرية المستحبة التی لا تتكشف بسهولة و يسر فتتأبى وتتمنع وتثير خيال المتلقی وفكره و وجدانه ولا تجعله مجرد مستهلك تسعى إليه المعانی سعياً حثيثاً . و إنما تثير أشواقه و تطلعاته و تجعل منه طرفاً إيجابياً متفاعلا يسهم فی إنتاج الدلالة و فی الغوص وراء المعنی و السعی وراءه لاقتناصه و تخرجه من كسله العقلی والوجدانی ، و تستحث فكره لكی يحلق مع النص فی عوالم منظورة و غير منظورة يسعى إلى أن يجوب آفاقها بنفسه و الولوج إلى دهاليزها الخفية فيتعرف على حقيقة الأزمة التی يعانی منها إنسان العصر و الضغوط التی يرزح تحت ثقلها و ينوء بأعبائها ، و ما يتعرض له من استلاب و قهر ، و جذور هذه الأزمة و تكويناتها النفسية و خلفياتها المعقدة ، و ليس من مهمة الأدب أن يقدم حلولا جاهزة أو وصفات ناجعة ، فمثل هذه الحلول و الوصفات يسيرة و سهلة على كل من يرى أن الأدب فن وعظی تعليمی ، ولكن الكشف عن المكونات الدقيقة لتوترات النفس و جذورها و الغوص فی نسغها ، و التوجيه الخفی العميق الذی ينبث فی مفاصل العمل الأدبی فی غموض شفيف مستحب دون جهر أو صراخ كفيل بأن يجعل التلقی أكثر استيعاباً لحقائق الأمور و بواطنها النفسية ، و أقدر على استشفاف الرؤيا الاسلامية للحياة و النفس و التفاعل معها دون استغراق فی التوجيه الفوقی المستهلك المكرور . و لنا فی أسلوب القرآن الكريم و مناهجه و بلاغته قدوة رائعة فی التعامل مع الكلمة المعجزة التی مازالت تستحث عقول المفكرين وعواطف الأدباء والشعراء و تستولد مواهبهم و تخصب قرائحهم .

و لنا ـ إن شاء الله ـ فی السطور القادمة وقفة أخرى لنستكمل بها رؤيتنا العصرية للأدب الاسلامی التی نرجو الله أن يعصمها من الانحراف و الزلل .

كثيرون هم الذين يظنون أن الأدب الاسلامى هو ذالك النوع من التعبير الذى يتضمن أفكاراً إسلامية فى المقام الأول بغض النظر عن الاسلوب، ضاربين صفحاً عن حقيقة هامة، وهى أن الأدب ليس أفكاراً ومضامين فقط وإنما هو فى المقام الأول تشكيل فنى جمالى، تتحول فيه الحقائق الموضوعية إلى حقائق نفسية تشكيلية، و أن تلقين الأفكار و المبادىء ليس مجاله الأدب و إنما الوعظ و الارشاد، أما الأدب فانه يولد حالة وجدانية نفسية ولا ينتج قناعات فكرية، و على حد تعبير الجاحظ فان المعانى ملقاة فى الطريق يعرفها العربى و العجمى.

إن التأكيد على أهمية الجانب التشكيلى الجمالى فى التعبير الأدبى الفنى أمر بالغ الأهمية لأنه بدونه لا يمكن أن يكون هناك أدب على الاطلاق، و لهـــذا نجد سيد قطب ( رحمه الله ) فى كتابه « النقد الأدبى، أصوله و مناهجه » يركز تركيزاً فى بدايات الكتاب على القيم الشعورية و القيم التعبيرية فى الأدب.

وغنى عن القول أن الفصل بين هذه القيم أمر غير وارد على الاطلاق و أن القيم الشعورية فى حد ذاتها ليست معطى وجدانياً ونفسياً خالصاً كما قد يفهم من حديث الأستاذ سيد قطب و إنما هى - فى حقيقة الأمر - تركيبة خاصة يتفاعل فيها البعد النفسى و البعد الفكرى و البعد الوجدانى و الرؤيا تفاعلا حياً على نحو خاص فى بوتقة واحـــدة. . إن المفهوم الحديث للادب يركز على جانب الرؤيا و يقدمه على غيره تقديماً حاسماً، ويرى النظر النقدى المعاصر أن الرؤيا هى مناط التحقق الجمالى، و هى حالة خاصه تتجاوز مجرد الطرح الفكرى وتقترب من آفاق الحلم، وهى أقرب ما تكون إلى اختراق سجف المادة وتضاريس الواقع، لتستشرف آفاقاً غير منظورة، و يبالغون فى الحديث عن الرؤيا الفنية مبالغة تخرج عن حدود المعقول، وتقترب من حدود المطلق، و يرون أن مناط التجديد فى العمل الأدبى

هو خروجه من محدودية الرؤية إلى آفاق الرؤيا ، فالرؤية تنحصر فى البعد العقلى ، و أما الرؤيا فتسبح فى فضاء بلا حدود .

و إذا كان الدرس العلمى لماهية العمل الأدبى لم يصل بعد إلى نتيجة حاسمة ولم يدلنا على سبل محددة يمكن بواسطتها أن نقيس مدى قدرة الأدب ، فان الاشارة النبوية الكريمة إلى سحر البيان ، و الدراسات العديدة التى تناولت مظاهر الاعجاز القرآنى التى أسست لعلوم البلاغة العربية هى خير ما يلج بنا إلى رحاب الأدب و يمنحنا مفاتيحه ، ولا يسع المجال إلى الحديث عن ماهية الاعجاز القرآنى فى جانبه الجمالى الخالص و لكننا نكتفى بالاشارة إلى أن ذلك الغموض الشفيف الناجم عن التعبير غير المباشر الذى لايمنح القارىء المعنى جاهزاً تماماً هو أبرز كشوف البلاغة العربية فى مباحثها الأولى قبل أن تتحول إلى قواعد جامدة تخضع للتقنين المنطقى الخالص تحت تأثير الدراسات المنطقية اليونانية ، إن تلك المناطق البكر التى ارتادها التعبير القرآنى و التى تعتبر فى نظر العديد من الدارسين سراً من أسرار الاعجاز القرآنى هى مفتاحا إلى فهم الأدب كنمط خاص من أنماط التعبير الأدبى ، ولعل نظرية النظم التى استنبطها عبد القاهر الجرجانى ونجد تجلياتها واضحة فى كتابيه « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » خير دليل على ما نقول ، ففنية العمل الأدبى تكمن فى طريقة التأليف بين أجزائه على نحو مخصوص لايبوح بما يستتر فى أعطافه إلا لمن يطيل النظر ويداوم التأمل ويتذوق التعبير ، إن ذلك الغموض المستتر الذى يمنح التعبير الفنى خصوصيته وتحققه هو سر من أسرار البيان الذى أشارت إليه مباحث البلاغة لدى عباقرة هذا العلم ، و إذا كان القرآن الكريم و هو المصدر الأساسى لكل ملمح جمالى بلاغى قد ظل على مدى العصور وسيظل منبعاً ثراً لا يستنفد رواؤه ولا تنتهى دلالاته ، وظل البث الدلالى فيه بلا حدود

یعکف علیه الدارسون و الباحثون منذ عشرات السنین و فی کل مرة یغوصون فی بحره فیظفرون بمزید من درره فانه المثل الأعلی للتعبیر الراقی، وهو وإن لم یکن کتاب أدب أو مرجع بلاغة فانه ینطوی علی هذا الجانب ، لأن جمالیة التعبیر التی ألانت قلوباً غلیظة و نفوساً قاسیة تشکل جانباً هاماً من جوانب الاعجاز فیه ، بل هو معجزة قولیة فی المقام الأول ، لذا یحق لنا کباحثین عن ماهیة الأدب الاسلامی أن نشیر إلی هذا الجانب فیه، وأن نتعلم منه کما فعل أسلافنا ، و کما یفعل علماؤنا و أدباؤنا ، و ما کتب « التصویر الفنی فی القرآن الکریم » و « مشاهد القیامة » و « منهج الفن الاسلامی » و غیرهما إلا من ثمرات التأمل والدرس لهذا الکتاب المعجز العظیم ، وقد عکف العدید من الباحثین والدارسین علی هذا الجانب و لما ینتهوا منه بعد .

و خلاصة القول فان ما أفرزته جهود هؤلاء جمیعاً تشیر إلی أن البعد الفنی التعبیری یکمن فی اصطناع أسالیب بعیدة عن المباشرة و التناول التقریری ، و علی انتهاج طرق تعبیریة مخصوصة تتحول فیها الکلمة إلی بؤرة إشعاع لا تکف عن البث الدلالی المستمر ، و تصبح فیها اللفظة دوحة وارفة الظلال ، و الدارس المتأمل الذی یتفیأ ظلال سید قطب الوارفة یحس کیف أنه رحمه الله یقف عند حدود اللفظة فی معناها الظاهری بل اخترق حدودها و قفز فوق أسوارها و ولج رحابها و أبحر فی نسغها و استل منها العدید من المعطیات النفسیة و الوجدانیة و المعنویة مستغلا إیحاءاتها الصوتیة و التشکیلیة مستنطقاً صورها باحثاً فی تکویناتها الصرفیة و النحویة محللا لها حتی إنه لیتجاوز فی لفتاته البارعة و تخریجاته التعبیریة الدقیقة اللطیفة وحسه الجمالی المرهف کثیراً ممن یعتصمون بالمناهج النقدیة الحدیثة کالألسنیة و البنائیة و ما إلی ذلک دون تبدید للجهد فی عمل تلك الجداول الاحصائیة التی تحول العملیة النقدیة إلی دراسة معملیة یستعان

فيها بالحاسب الآلى ، و ما إلى ذلك كما يفعل الألسنيون و البنائيون فيخرجون بذلك عن طبيعة العمل الأدبى الذى هو فى جوهره وجدانى شعورى نفسى لا يخضع لمقاييس المنطق العقلى الخالص و أدواته .

و إذا كان هناك من يقول ـ منفداً لما نرى من ضرورة البعد عن المباشرة و التقرير و تنحية الجانب التعليمى الخالص ـ إن القرآن الكريم فى العديد من آياته قد جاء بالأفكار و المبادىء و التعليمات و الشرائع على نحو واضح لا لبس فيه و لا غموض ، فاننا نعود إلى التأكيد بأن القرآن الكريم ليس كتاباً أدبياً خالصاً و إنما ينطوى على هذا البعد فى جانب من جوانبه ، فالله سبحانه و تعالى قد جعله كتاباً جامعاً مانعاً يجد فيه كل من العالم و الباحث و المتأمل و الأديب مبتغاه ، و يكفى أن أشير إلى دقة و بلاغة التعبير القرآنى و شفافيته من خلال محاضرة ألقتها الدكتورة عائشة عبد الرحمن فى جامعة بيروت العربية عن أسرار العربية فى البيان القرآنى لنقف على ملمح هام من ملامح هذا التعبير ، ففى حديثها عن الاستخدام القرآنى لكلمة آنس و أبصر حيث تقول « ونتدبر سياق الايناس فى القرآن فيعطينا حس العربية الأصيل ، لا تقول آنس فى الشئ تبصره أو تسمعه إلا أن تجد فيه أنساً » ، وقد أشارت إلى أن القرآن الكريم استعمل الفعل « آنس » خمس مرات أربع منها فى النار التى آنسها موسى إذ سار بأهله فى البرية وبعد أن تستعرض هذه المرات الأربع تؤكد أن الاستئناس لا يعنى مجرد الاستئذان بل يدل على ما هو أبعد من ذلك حيث تشير هذه اللفظة الدقيقة إلى ملمح نفسى خفى هو الاستلطاف و الاستحباب .

و حقيقة الأمر فان هناك قضية بالغة الأهمية فى موضوع التعبير الأدبى و هى تلك التى تتعلق بذوق العصر و تغيره من حال إلى حال على مدى الزمن إذ لا يمكن إغفال الجانب التاريخى بحال من الأحوال ، فالنفس الانسانية تواقة إلى التغيير و التبديل و التنويع ، و المتأمل فى القرآن الكريم يجده مراعياً لهذا الجانب مراعاة واضحة ، فكثيراً ما يقتضى السياق القرآنى تكرار قصة بعينها

أو معنى خاصاً بالذات ، و لكنه في كل مرة ينهج أسلوباً جديداً في التعامل مع هـــذه القصة أو مع ذلك المعنى ، فيورده مختصراً تارة و حافلا بالتفاصيل تارة أخرى ، و يركز على جانب معين يتعلق بالسياق دون غيره و هكذا ، و إذا كانت طرائق التعبير قد تنوعت و تباينت فى القرآن الكريم ، فمن الطبيعى أن يكون هذا التنوع سنة مضطردة فى كل عصر وجيل ، و الدارس المستعرض لآداب الأمم المختلفة يجد أنها تطورت تطوراً ملحوظاً مع تطور العقل البشرى و تعقد الوجدان الانسانى ، فلكل عصر أسلوبه الخاص به ، وسر إعجاز القرآن يكمن فى أنه يتعامل مع حقائق كونية و إنسانية جوهرية ثابته لا يمسها التغير والتبديل ومع ثوابت خالدة تعلو على كل التغيرات العرضة ، أما التعبير الأدبى البشرى فهو خاضع لسنن الله فى الكون ، لذا فان التغيير ديدنه والتطور سبيله ، و نظرة سريعة إلى عصور الأدب العربى المختلفة تكشف لنـــا عن هذا التطور و التبدل . أريد أن أخلص من هذا إلى التأكيد على حقيقتين هامتين :

الأولى : إن للتعبير الأدبى خصوصيته الجمالية المتميزة التى تختزن غموضاً شفيفاً لا تفترع سريته إلا بالتأمل و التذوق والمشاركة الفاعلة من المتلق .

الثانية : إن طرائق التعبير تتغير وتتبدل من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر و إن الجمود فى قوالب تعبيرية تقليدية يفرغ العمل الأدبى من طاقته التأثيرية .

إن الاسلام يمتلك دينـامية فاعلة متحركة تتفاعل مع الواقع و تستشرف مشكلاته ولا تقف عند حدود المثاليات بل تلمس مكامن الضعف الانسانى وتبحث فى أثر التجربة الواقعية فيه مما ينفى عن الأدب الاسلامى تهمة الجمود و التخلف . فكل أدب يرصد إيقاع التجربة الواقعية و ينفذ إلى جوهرها و يستشرف آفاقهـا ببصيرة نافذه وحس تاريخى مرهف و شفافية لماحة هو أدب إسلامى ، وإن خلا من ذكر المصطلحات و التعابير الفقهية أو الصوفية .

و فى حديث قادم إن شاء الله نقف عند نموذجين محددين نحاول من خلالهما أن نكشف عن الفرق بين التعبير المباشر التقريرى و التعبير الفنى .

## دراسات و أبحاث :

# فتوح البلدان للبلاذرى

( تحقيق صلاح الدين المنجد )

( ٢ )

دكتور محمد رضوان على الندوى

١٩ــ الترمذ ( ص ٧٠٠ ) : حدد موضعها على نهر بلخ من الجانب الغربى ، وهذا صحيح ولكنه لم يذكر فى أى دولة تقع هذه المدينة الاسلامية الشهيرة .

و الحقيقة أنها مدينـــة صغيرة جداً ، تقع فى جمهورية أوزبكستان بالاتحاد السوفيتى على نهر جيحون ( بلخ أيضاً ) أو آمودريا ، ولم يبق من ترمذ القديمة سوى أطلال (١) .

٢٠ــ توشكت ( ص٧٠١ ) : ذكرها أيضاً فى حرف ( الباء ) « بوشكث أو بوجث » و رسمها فى متن الفتوح ( ص ٥١٧ ) (٢) « تومشكت » .

و تركها المحقق بدون تعريف كغيرها من الأسمـاء الكثيرة ، و من المحقق أن الرسم الوارد للكلمة فى الفتوح (أى تومشكت) وكذلك أن الرسمين الواردين عند المحقق ليسا كما ورد فى المصـادر ، بل هو فى ابن حردادبة « بمجكث » ( ص٢٥ ) و كذالك فى ياقوت ، و رسمها عند الاصطخرى و ابن حوقل « بومحكث » ، و على هذا فيحتمل أن يكون اسمها الصحيح فى الفتوح هذا

و هى كما قال ابن خرداذبة ، و هو أقدم المصادر الجغرافيــة و معـاصر للبلادرى : إحدى مدن إقليم بخارى العديدة ، و أما الاصطخرى و تبعاً له ابن حوقل فقد ذكرا أنه اسم قديم لخارا ، كما ذكرا أيضاً أنها إحـدى مدن بخارا ، و قد لاحظ ياقوت هذا الاضطراب فى قول الاصطخرى .

---

(١) د. محمد على البار ، المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ٥٢٣/٢ و ما بعده .

(٢) و الاحالة فى معجمه لأسماء الأمكنة إلى ص ١٥٧ ، و هى من الأخطاء المطبعية كما يبدو ، و الصواب ما ذكرناه .

و علی هذا فکانت هذه المدینة بجوار بخارا ، الکائنة الآن فی جمهوریة أوزبکستان بالاتحاد السوفیتی .

٢١– الجرز ( ص ٧٠٦ ) : قال « فی السند ، فتحها الجنید بن عبد الرحمن المری » . هکذا ورد اسمها فی معجم الأماکن للمحقق بتقدیم الراء المهملة ، و تاخیر الزاء المعجمة ، والصواب فی اسمها الجزر ( بتقدیم الزاء المعجمة ، و تاخیر الراء المهملة ) کما ورد فی متن الفتوح ، و عند الادریسی ، و لم یذکر الدکتور المنجد فی تعریفها غیر الفتوح نفسه .

و الحقیقة انه لم یرد اسمها عند الجغرافیین العرب غیر الادریسی ، وکذلك عند المسعودی و هی التی یرد ذکرها فی بعض الرحلات العربیة و کتب الملاحة باسم الحزرات أو الحودرات ( أی کجرات ) .

و من أخطاء المحقق الفاحشة القول بأنها فی السند ، بل إنها فی الهند ، کما یدل علی ذلك سیاق العبارة فی الفتوح ، وتحدیدها أنها علی الساحل الغربی للهند ، و هو اسم اقلیم و لیست مدینة (١) .

٢٢– حجر ( ص٧١١ ) : قال « مدینة بالیمامه » .

أقول : إنها کانت حاضرة الیمامة قدیماً ، و تقوم مقامها مدینة الریاض الحالیة ، عاصمة المملکة العربیة السعودیة .

٢٣– حوی کهز ( ص ٧١٦ ) : لم یعرفها الدکتور المنجد ، و کذا ورد الاسم فی المتن ( ص ٥٣٢ ) ، و هو من أخطاء النساخ ، و الصواب فیه ( حوی کهك ) . و معنی ( الحوی ) الحوض الصغیر و ( کهاك ) اسم بلدة فی سجستان کما فی ابن حوقل و یاقوت ، والمقصود هنا نهر صغیر بهذا الاسم الواقع بجوار بلدة کهاك .

---

(١) و انظر عنها و عن مدن الهند الأخری ، بحثا بعنوان : تعریف و تحدید مدن الهند الأخری الواردة فی کتاب فتوح البلدان للبلاذری » مجلة العصور ، العدد الأول .

٢٤- الرور ( ص ٧٢٧ ) : قال « ناحية بالسند » .
الصواب إنها كانت عاصمة مملكة السند فى عهد الفتوح الاسلامية الثانية فى خلافة الوليد بن عبد الملك . و الصواب فى رسمها ( أرور ) و تقوم الآن فى موقعها مدينة ( روهرى ) بمقاطعة السند فى باكستان ( ينظر إلى الخرائط وكتاب فتحنامه سنده أو جج نامه تحقيق الدكتور نبي بخش ، بالفارسية أو الترجمة الأردية للكتاب ) .

٢٥- سجستان ( ص ٧٣٢ ) : قال : « ناحية كبيرة جنوبى هراة » .
هى الآن جزء منها جنوبى دولة أفغانستان ، و قسم منها فى الجنوب الشرقى لايران .

٢٦- سرخس ( ٧٣٢ ) : اعتبرها فى ايران .
و الصواب أنها فى جمهورية تركستان بالاتحاد السوفيتى حالياً .

٢٧- سندان (ص ٧٣٦ ) : اعتبرها « فى بلاد السند » ، دون أى تعريف آخر ، و دون ذكر أى مصدر .
أقول : هذا من أخطاء المحقق الفاحشة ، فسياق العبارة فى فتوح البلدان يدل على أنها فى الهند ، والحقيقة أنه اسم ميناء على الساحل الغربى للهند ، ذكرها معظم الجغرافيين العرب كابن خرداذبة و ياقوت و أبى الفداء و غيرهم ، و هى تعرف الآن باسم ( سنجان ) فى ولاية كجرات بالهند .

٢٨- سهبان ( ص ٧٣٦ ) : عرفها قائلا : « من بلاد السند » .
و هذا واضح من نص البلاذرى ، و الحقيقة هى المدينة المعروفة الآن باسم ( سيهون ) قرب مدينة حيدر آباد الكبيرة فى مقاطعة السند بباكستان ، ورد اسمها فى بعض المصادر الجغرافية العربية ( سهبان ) ، ( ينظر فى الخرائط ) .

٢٩- شهرزور ( ص ٧٤١ ) : قال عنها : « ....و هى فى العراق اليوم » .
أقول : و اسمها السليمانية .

٣٠- فرغانة ( ٧٥٦ ) : قال : « كورة و مدينة بما وراء النهر متأخمة لبلاد تركستان » .

هذا التعريف لا يفيد شيئاً فی أيامنا ، بل كان المفروض أن يعرفها و يحدد موقعها حالياً كما فعل بالنسبة لمدينتي سمرقند و الشاش .

الحقيقة أن فرغانة الآن مدينة صغيرة فی جمهورية قرغيزيا بالاتحاد السوفيتی ، و تحتفظ باسمها القديم ، أما العاصمة فقد انتقلت الآن إلى مدينة ( فرونزی ) .

٣١- القندهار ( ص ٧٦٨ ) : تعريفها عنده « من السند » فقط .

أقول : وهذا من أخطاء المحقق الفاحشة الغريبة ، فالمعروف أنها مدينة مشهورة فی أفغانستان الآن ، وكانت قديماً من مدن سجستان ، هذا بالنسبة للقندهار الوارد فی متن الفتوح بصفحة ٥٣٢ ، و أما الوارد فی صفحة ٥٤٤ فهی قندهار أخرى على الساحل الغربی للهند (١) .

٣٢- قندابيل . ٣٣- قنزبور . ٣٤- القيقان : هـذه المدن الثلاث الوارد تعريفها فی صفحتی ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، بأنها من بلاد السند خطأ . فالمعروف أن السند يطلق حالياً على مقاطعة من مقاطعات باكستان ، و حتى فی القديم كان بعض الجغرافيين مثل الاصطخری و غيره كانوا يفرقون بين السند و مكران و بلاد البلوص ، ( BLOCH ) .

و الحقيقة أن هذه المدن الثلاث كانت تقع فيما يسمى قديماً بمكران ، وحالياً هی مقاطعة بلوشستان .

و قنزبور ، التی ورد اسمها فی بعض المصادر العربية فنزبور ( بالفاء ) هی تعريب اسم بنجبور (Pauj Pur) وهی تعرف حالياً باسم بنجكور (PANJQORE) فی جنوب مقاطعة بلوشستان بباكستان .

---

(١) أنظر عنها بحثنا السابق الذكر .

أما المدينتان الأخريان فلا وجود لهما الآن .

٣٥- مرو الشاهجهان ( ص ٧٧٨ ) : قال عنها : « هـذه مرو العظمى ، أشهر مدن خراسان » .

لا شك أن مرو هذه كانت كبرى مدن خراسان ، بل عاصمة هذا الاقليم فى العهود الاسلامية ، و لكن هذه المدينة الآن فى جمهورية تركمانستان فى الاتحاد السوفيتى ، و خراسان نفسها انقسمت بين ثلاث دول ، ايران ، و أفغانستان ، و الاتحاد السوفيتى ، وتبعاً لذلك انضمت مدنها العديدة إلى هذه الدول الثلاث .

٣٦- نسا ( ص ٧٨٦ ) : عرفها : « بلدة بخراسان » .

هذا التعريف القديم لا يفيد شيئاً الآن ، و الحقيقة أنها خرائب الآن فى جمهورية تركمانستان بالاتحاد السوفيتى ، و نشات على بعد خمسة أميال منها مدينة عشق آباد فى تلك الجمهورية السوفيتية .

٣٧- التلاح ( ص ٧٨٦ ) : لم يعرفها المحقق ، و الجدير بالذكر أنه ورد فى متن الفتوح ( ٥٣٨ ) البلاح ( بالباء الموحدة ) . و كلاهما خطأ ، و الصواب فيه ( التلاج ) كما يتأكد من نص البلاذرى نفسه حيث قال : « مثل البركة و يسمونه التلاج » و من يعرف اللغة الهندية أو الأردية يفهم رأساً أن ( التلاج ) هذا تعريب لكلمة ( تلاؤ ) أو تلاب الهندية و معناها بالعمل بركة الماء ، و وردت هكذا فى إحدى القراءات فى كتاب الخراج و صنعة الكتابة لقدامة بن جعفر (١) .

هذا و يلاحظ أن التلاج فى فتوح البلاذرى ليس اسم علم ، فلا يصح ذكره فى معجم الأماكن .

---

(١) طبعة جديدة موسعة بتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدى ( ص ٤١٩ ) بغداد ، ١٩٨١م .

٣٨ـ نسف ( ص ٧٨٦ ) : قال عنها : « هی مدينة تخشب نفسها فيما وراء النهر » .

لا وجود لبلاد ما وراء النهر الآن ، فلا يفيد هذا التعريف شيئاً ، والحقيقة أن موضع « نسف » الآن فی جمهورية أوزبكستان بالاتحاد السوفيتی . و المغول كانوا خربوها فی القرن السابع الهجری ، و نشأت بالقرب منها مدينة باسم قرشی ( أی القصر فی اللغة التركية ) .

٣٩ـ الهدمند ( ص ٧٩١ ) : تعريفها عنده : « نهر مدينة سجستان » .

و أقول : لا وجود لهذا الاسم فی الخرائط ، بل يعرف هذا النهر حالياً باسم نهر ( هيلمند ) فی أفغانستان ، و هو أكبر أنهارها .

٤٠ـ الملتان ( ص ٧٨٣ ) : عرفها : « مدينة من نواحی الهند قرب غزنة » .

و هذا أغرب تعريف ! و أين قربها من غزنة التی تبعد عنها مالا يقل عن ألفی كيلو متر فی أفغانستان ، و نظرة واحدة فی خارطة الباكستان تظهر أنها من كبری مدنها ، و تقع فی جنوب مقاطعة البنجاب ، و كانت عند فتح السند من ضمن اقليم السند ، و هی لا تزال تحتفظ باسمها منذ ألف و خمسمائة سنة .

و يتضح من هذه الملاحظات على بعض المدن أن منها ما لا تزال تحتفظ بأسمائها الاسلامية القديمة كبخاری و سمرقند و فاراب ، و مرو ، و آمل ( بطبرستان أو مازندان حالياً ) و غيرها و أخری تغيرت أسماؤها ، و غيرها أطلال دارسة قامت فی مواضعها أو بجانبها مدن جديدة ، كما أن تبعيتها للدول تبدلت نتيجة لتبدلات خارطات سياسية ، فلم تبق هناك بلاد باسم ما وراء النهر ، و خراسان توزعت بين ثلاث دول ، ايران و أفغانستان و جمهوريات الاتحاد السوفيتی فی آسيا الوسطی ، كما أن خارطة الشام و العراق تغيرت عما كانت عليه

فی العصور السابقة ، و لم تبق هناك بلاد باسم السند بل أصبح هذا الاسم يطلق علی مقاطعة من مقاطعات دولة باكستان ، كما أن أفريقية القديمة فی العصور الاسلامية أصبحت تعرف بليبيا ، و تونس ، و الجزائر ،

و من متطلبات البحث العلمی أن تحدد مواضع هذه الأماكن من المدن و النواحی و الأنهار و غيرها من الدول حسب الخارطات السياسية الحديثة ، وقام الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد بالفعل بمثل هذا التحديد لكثير من المدن ، ولكنه ترك أماكن كثيرة دون هذا التحديد ، بينت بعضها ، وإننی شاعر بأن الكثير من الأماكن المذكورة فی معجم الأماكن للدكتور المجد تحتاج إلی تعريف أوضح و تحديد مواضعها فی الدول حالياً .

هذا و قد ترك المحقق العلامة كثيراً من الأماكن دون أی تعريف مثل الزوزان ، السراة ، سدراته ، شهرباج ، العال ، عراجين ، العقبة ، عيون الطف ، الغمر ، فالی ، القصرين ، مرمد ، المعلة ، المدينـــة ، المنعرج ، مليقيا ، نقابلس ، اليسيرة ، اليسيد ، هاعلة ، هجر ، الهرك ، نيسابور ، همدان ، حوی كهز ، و غيرها الكثير .

و أخری ذكرها البلاذری ، و أهملها الدكتور المجد فی معجمه ، مثل بخاری بهرمد ، بروص ، دهنج ، برهمنا باذ ، بسمد ، و غيرها .

و هكذا فكتاب البلادری العظيم ما زال فی حاجة إلی تحقيق دقيق ، و لا يتم ذلك فيما أری ، إلا بتعاون عدد من الباحثين من مختلف الأقطار الاسلامية ، وأهيب بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ومركز البحوث بها علی وجه التحديد أن يتولی هذا الأمر ، و خاصة أنه فی سبيل إعداد موسوعة جغرافية ضخمة عن العالم الاسلامی عبر عصوره المختلفة .

# الشيخ ثناء الله الأمرتسرى ، نبذة عن حياته و خدماته

الأخ عبد المبين عبد الخالق الندوى
مجمع دار المصنفين أعظم كره (الهند)

الشيخ أبو الوفاء ثناء الله بن محمد خضرجو الكشميرى ثم الأمرتسرى من مواليد عام ١٢٨٧هـ / الموافق ١٨٦٨م من أسرة البراهمة الهندوسية المعروفة باسم « منتو » التى كانت ذات شهرة و كرامة فى الهند ، و ولاية كشمير قد ظلت تحت سيطرة المسلمين من سنة ١٣٢٦م إلى سنة ١٨١٩م، ففى خلال هذه الفترة دخل كثير من البراهمة وغير المسلمين فى حظيرة الاسلام ، و لعل أجداد الشيخ ثناء الله أسلموا فى أيام السلطان زين العابدين حاكم كشمير، غير أن الذى سبق منهم إلى الاسلام لم يعرف (١) و يقول صاحب نزهة الخواطر : أصله من كشمير ، أسلم آباؤه فى القديم (٢) .

## نشأته و دراسته :

فى حوالى سنة ١٨٦٠م انتقل والد الشيخ إلى أمرتسر إما تاجراً - و قد كان يشتغل بتجارة الصوف - أو فراراً من اضطهاد حكام كشمير، واستقر هناك (٣) و عند ما بلغ السابعة من عمره وجهه أبوه إلى الدراسة ، ليتربى تربية إسلامية

(١) سيرة ثنائى ص ٦٩ / ٧٠ ، عبد المجيد الشودرى .
(٢) نزهة الخواطر للعلامة الشريف عبد الحى الحسنى ص ٩٥ / ج ٨ .
(٣) سيرة ثنائى : ص ٦٩ .

ولكن والده توفى بعد قليل ، ثم لحقه عمه محمد أكرم ، وما هى إلا مدة يسيرة اذ توفى هو الآخر أيضاً ثم وليه أخوه الكبير الشيخ محمد إبراهيم حيث أصبح وحيداً يتحمل مسئولية الأسرة ، وفى هذه الظروف القاسية اضطر الشيخ إلى كسب عيشه فدخل فى ميدان العمل حيث اشتغل بعمل الرقاعة مع أخيه الكبير الذى كان يحترف بهذه الحرفة ، وعند ما بلغ الرابعة عشرة من عمره استأثرت رحمه الله بوالدته فتأثر بهذا الواقع المؤلم .

و يحكى قصته عن اتجاهه نحو الدراسة أن واحداً من العلماء جاء يوماً إلى الدكان الذى يعمل فيه بجبته الثمينه لاصلاح شئ فيها ، ثم جاء مرة ثانية ، وعند ما رأى حسن عمله وثقافته فرح كثيراً وأشاد به ، ثم جرى الكلام حول القضايا الدينية ، و فى خلال ذلك وجه إليه بعض الأسئلة ، فأجابه الشيخ إجابة صحيحة ، فتعجب منه وسأله عن مدى دراسته فرده قائلا : أنا أمى وقد حرمت عطف الوالدين من زمان ، و الآن أنا مدفوع إلى هذه المهنة بحكم الاضطرار ، يقول ذلك واغرورقت عيناه بالدموع . ففهم العالم و رأى عليه مخايل الذكاء و الفهم السديد ، فأشار عليه بالاتجاه إلى الدراسة الدينية ، و قال : عليك بالجد و السعى فى كسب العلم ، و إلا فالخسارة الخسارة (١) ذهب العالم وقد وقع كلامه فيه كل موقع ، و رغبه فى دراسه الدين ليبلغ إلى الهدف الاعلى وينتقل من رقع الثوب إلى رقع القلوب الانسانية المتكسرة ، لما رزقه الله من العلم والحكمة ، كما قال الشيخ عن نفسه .

« أول ما اشتقت إلى الدراسة كنت فى الرابعة عشرة من عمرى و بعد قرأة الكتب الابتدائية الفارسية وصلت إلى الشيخ أحمد الله أحد أغنياء أمرتسر

(١) سيرة ثنائى ص : ٨٦ / ٨٧ ، و فتنة قاديانيت ص ١٨ ، ١٩ للشيخ صفى الرحمن المباركفورى أستاذ الجامعة السلفية ، بنارس .

( ١٢٣٦ھ ) و اشتغلت عدة بالرقاعة و الخياطة بجانب ما كنت أتلقى الدروس منه ، ثم حضرت الشيخ عبد المنان الوزير آبادى المعروف بـ « أستاذ بنجاب » لدراسة علم الحديث - كان له يد طولى فى علوم الحديث فى ذاك الوقت - فحصلت منه الاجازة والشهادة فى سنة ١٣٠٧ھ / ١٨٨٩م ، ثم توجهت إلى الشيخ شمس العلماء السيد نذير حسين المحـــدث الدهلوى ، و قدمت إليه الشهادة المذكورة التى منحنيها الشيخ عبد المنان فاستأذنت منه التدريس (١) .

الرحلة إلى ديوبند : فى تلك الأيام توجه إلى دار العلوم بديوبند ، لاستزادة العلم فدرس هناك المعقول و المنقول ، كما يقول : « استفدت من أساتذة ديوبند ، و شاركت فى درس من جماعة طلاب الحديث فى دروسهم المعروفة بـ « دورة الحديث » فى بلادنا ، كما أقام الشيخ عدة أيام فى مدرسة سهارنفور أيضاً فى نفس عام ( ١٣٠٧ھ ) و قال ، استفدت منها و اعتز بشهادة ديوبند و هى موجودة لدى حتى الآن (٢) .

قصة تذكارية : يذكر الشيخ قصة تذكارية حدثت معه أثناء دراسته هناك فيقول : إنى لا استطيع أن أنسى قصة طول حياتى و هى أنى حينما كنت طالباً فى مدرسة ديوبند كنت أناقش كثيراً أستاذى الشيخ مولانا محمود حسن - أعلى الله مقامه - و كان يمتق على شطراً كبيراً من أوقاته الثمينة لكى يقنعنى و كان يفعل ذلك بكل فرح دون أن يغضب على ، و لما أردت الانصراف بعد التخرج من دار العلوم ذهبت إلى الشيخ مولانا محمود حسن للتسليم عليه فقال :

---

(١) فتنة قاديانيت ، ص / ٢٠ ، - ونداء مدينه - المجلة الأردية الصادرة من كانفور ، ثم صدر منها عدد ممتاز عن الشيخ ثناء الله الأمرتسرى ، ثم توقفت .

(٢) المصدر نفسه .

إن كثيراً من الطلاب من زملائك يشكون إلى بأنك تعترض كثيراً وتضيع أوقاتنا ، فأجيبهم بأن ذلك مستحسن عدى ، و أحب أن يكون ويكم من يطرح على السؤال ، مهما كان سؤاله خطأ أوصواباً لحسباك أن تفرح ، فان الله إذا منح أحداً نعمة فالناس يحسدونه عليها (١) يقول الشيخ الأمرتسرى فسالت الدموع من عينى ، وعندما أتذكر هذه الفرصة أردد هذا البيت لصاحب الدر المختار :

هم يحسدونى وشر الناس كلهم من عاشق فى الناس يوماً غير محسود

دراسته الأخيرة فى مدرسة فيض عام بكانفور :

بعد نيل شهادة ديوبند التحق الشيخ بمدرسة فيض عام بكانفور ، وتلقى بها دروس المنطق والحديث كما يقول : بعد ما تخرجت من ديوبند ذهبت إلى مدرسة فيض عام بكانفور ، لأن الشيخ الأستاذ أحمد حسن كان يدرس فى هذه المدرسة و كان ذائع الصيت و الشهرة فى تدريس المنطق فى تلك الفترة ، و كانت عندى رغبــة فى علم المعقول و المنقول . ولذا التحقت بتلك المدرسة ، و حضرت فى دروس الكتب المقروءة فى المدرسه ، المتداولة فى تلك الآونة . و استفدت كثيراً من دروس الشيخ أحمد حسن مع أنه كان يميل إلى البدعة فى مسائل العقيــدة ، و لكن لم يحب أى تقيد وتحزب مع طلابه ، وكان قد رغب أخيراً فى تدريس علوم الحديث ، فحضرت فى دراستــه أيضاً ، و كان منهجه خاصاً به فى تدريس الحديث بالنسبة لى ، ثم يقول : انى اكتسبت علوم الحديث من عدة علماء منتمين إلى ثلاثة مدارس فكرية .

١- و هذه المدارس هى : مدرسة أهل الحديث السلفيين و من كانوا يتجهون إلى

(١) مجلة أهل حديث الأسبوعية الصادرة بأمرتسر ٧/نوفمبر سنة ١٩٢٤م وأيضاً فتنة قاديانيت ص ٢١ ونداى مدينة ، الصادرة من كانفور عدد ممتاز ص ٢٤ .

هذه المدرسة من أساتذتى الحافظ عبد المنان الوزير آبادى الذى كنت اتفق معه فى العقيدة و الفروع .

٢ـ مدرسة الأحناف الديوبندية ، اعنى دراستى فى ديوبند على الشيخ مولانا محمود حسن الديوبندى .

٣ـ مدرسه الأحناف البريلويين المبتدعة ، فقد درست فى مدرسة فيض عام بكانفور على الشيخ أحمد حسن الذى كان يميل إلى هذه المدرسة وقد استفدت من جميع هذه المدارس الفكرية المختلفة فيما بينها ، و تكونت بذلك عندى تفاوه خاصة لا يسع المجال لتفصيلها

و فى شعبان سنه ١٣١٠ﻫ/١٨٩٢م عقدت حفلة لمدرسة كانفور لتوزيع الشهادات على ثمانيه طلاب تخرجوا منها ، وكنت أحد الثمانية خامل الذكر (١) ومن المناسب أن أذكر ما قال الشيخ أحمد حسن بالنسبه إلى الشيخ ثناء الله فى نفس تلك الحفلة بألفاظ قوية مؤثرة سجلها التاريخ ، و نصها كمايلى :

« هذا الرجل الماهر الكامل و العالم الفاضل ، اللودعى ، اللهوف اليلمعى المولوى ثناء الله قد غاص على فرائد اللآلى فى ذلك اليم» (٢) اتضح بهذه العبارة القوية ما كان يعترف أستاذه بفضله .

حركة ندوة العلماء و عضوية الشيخ لها : فى نفس هذه الحفلة تكونت حركة ندوة العلماء سنة ١٣١٠ﻫ ، و كان قد أسسها الشيخ محمد على المونكيرى ، وقادها العلامة شبلى النعمانى و زملاؤه ، و الشيخ الأمرتسرى حظى بعضويتها منذ وقت مبكر من نشأتها ، واستمر على ذلك إلى آخر حياته ، كما يقول صاحب نزهة الخواطر :

---

(١) راجع نور توحيد ص ٤١ ، وفتنة قاديانيت ص ٢٢ .

(٢) نفس المصدر ، وحياة ثنائى للشيخ مولانا داؤد راز ص ٤٢ .

كان له فضل فی تأیید ندوة العلماء التی ظـــل عضواً فیها طول حیاته (١) فیتجلی من هذا قوته العلمیة و قریحته الوقادة مع حداثة سنة ، وتمتاز شخصیته بین العلماء الذین حصلت لهم التجربة مع ازدیاد أعمارهم كما یشیر العلامة السید سلیمان الندوی إلی علاقة الشیخ مولانا الأمرتسری بندوة العلماء فیقول : « كان الشیخ ثناء الله عضوا لدوة العلماء منذ بدایتها ، بل ینقل قوله عنهـا » بأن ندوة العلماء تولدت فی بلدة كانفور فی الحفلة التی انعقدت لتوزیع الشهادات علی ثمانیة طلاب تحت رئاسة الشیخ لطف الله العلی كرهی المرحوم ، ومنهم الشیخ الأمرتسری (٢)

الاشتغال بالتدریس :

رجع الشیخ ثناء الله إلی بلدة أمرتسر بعد إنهاء الدراسة من مختلف المدارس و الجامعات ثم اشتغل بالتدریس و التعلیم فأول مدرسة درس فیها كانت مدرسة تأیید الاسلام بأمرتسر ،تولی فیها منصب رئیس هیئه التدریس كما یقول عن نفسه :

« حینما علم أستادی الأول الشیخ أحمد الله الأمرتسری عن تكمیل دراستی طلبنی تلطفاً بی ، فی مدرسة تأیید الاسلام علی منصب رئیس مدرسیها ، فبعد قبول هذا المنصب كنت أدرس الـكتب العربیة (٣) .

و قام الشیخ فیها بهذه المهمة نحو ست سنوات متتالیة ، و كان أول درس ألقاه فی بدایة المرحلة أمام جمیع أعضاء المدرسة عن أصح الـكتاب بعد كتاب الله الباری الجامع الصحیح للبخاری (٤) .

---

(١) نزهة الخواطر ج ٨ ص ٩٦ .

(٢) یاد رفتكان للعلامة سلیمان الندوی ص ٤١٧ ، ومجلة معارف الشهریة لعام ١٩٤٨م .

(٣) رسالة نور توحید ص ٤٢ .

(٤) مجلة أهل الحدیث الأسبوعیة ٩/ اكتوبر سنة ١٩٢٦م ص - ٤ .

ونستطیع أن نقدر بهذا مدی مؤهلاته العلمیة و مقدرته الفنیة وکم کان یستحق التقدیر و الاعتراف ، و بعد انقطاع الصلة عن تلك المدرسة انتقل إلی مدینة مالیرکوتله بولایة بنجاب کما یقول :

« بعد الانقطاع عن مدرسة تأیید الاسلام دعیت فی سنة ١٨٩٨م للتدریس فی المدرسة الاسلامیة بمالیرکوتله ، وتولیت رئاسة هیئة التدریس فیها و بعد مدة رجعت إلی أمرتسر » (١) .

العودة إلی میدان التصنیف و التألیف : اعتنی الشیخ بمهمة خدمة الاسلام ، من کل الجهات ، فانه قضی بعض حیاته کمعلم فی عدة مدارس ، و لما رأی أن الهدف الذی خلقه الله من أجله لم یتحقق بذلك اشتغل بالکتابة والتصنیف بعد عودته من مدرسه مالیرکوتله فی نحو سنة ١٩٠٠م ، و کان طبعه یمیل من أول حیاته إلی البحث و التحقیق عن الحرکات الباطلة التی تقوم بنشر الدعایات الکاذبة ضد الاسلام و المسلمین ، مثل القادیانیه و المسیحیة و الآریة ، و غیرها من الحرکات المعادیة للاسلام ، فغلب علیه الحفاظ الدینی والدفاع عن الاسلام وشمر عن ساق الجد فی هذا المیدان ، و ألف کثیراً حتی بلغت کتبه أکثر من مأیة کتاب بین صغیر و کبیر ، باللغتین العربیة و الأردیة فی موضوعات عدیدة ، ومعظمها فی اللغه المحلیة الأردیة ، ونستطیع أن نوزعها إلی ستة أقسام تالیة (٢) .

١ـ القسم الأول : مؤلفاته فی تفسیر القرآن ، و من أهمها :

١ـ تفسیر القرآن بکلام الرحمن : طبع مرتین فی حیاة الشیخ، فی المرة الأولی طبع بمطبعة أهل الحدیث بأمرتسر، سنة ١٣٢١ﻫ/١٩٠٣م، یقع فی ٥٠٨ صفحات

(١) راجع سیرت ثنائی ص ٣٩٢ ، و نور توحید ص ٤٤ .

(٢) راجع سیرت ثنائی ص ٢٠٦ .

وثانية فی « آفتاب برق پریس » بأمرتسر سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م علی ٤٠٢ صفحتين ، ويظهر من دراسه هذا التفسير أنه فسر القرآن بالقرآن ، کما جاء القرآن يفسر بعضه بعضاً ، وحاول الشيخ فيه أن يشرح المواضع الصعبة فی القرآن بالآيات الآخری ، ولما كان له شغف زائد بعلوم القرآن ، ألف تفسيراً باللغه الأردية بعنوان « التفسير الثنائی » وهو فی ثمانية أجزاء ، وقد مر ذالك بمراحل الطبع فی حياة الشيخ ثناء الله ، ونال قبولا عاماً ، کما ألف الشيخ تفسير بيان القرآن علی علم البيان باللغة الأردية ونشر جزؤه الأول فحسب فی سنه ١٣٥٣هـ فی المطبع الثنائی بأمرتسر ولكن لعله لم تتسير له الفرصة إلی إكماله ، وله کتاب آخر حول الموضوع باسم « التفسير بالرأی » بالأردية ، طبع منه الجزء الأول فقط ، وانتقد فيه تفاسير السر سيد احمد خان ، و غلام أحمد القاديانی ، و الشيعه ، و طبعت منه بعض الحلقات المتسلسلة فی جريدته ، أهل الحديث ، ولم تجمع بعد فی كتاب مفرد .

٢ـ القسم الثانی من مؤلفاته فی الرد علی القاديانيه : مؤلفاته فی الرد علی القاديانية ، و مقاومتها كثيرة جداً ، لا يتسع هنا المجال للتفصيل ، بل نكتفی بذكر أسماء منها :
١ـ المرزا و تعليماته ، ٢ـ إلهامات المرزا ، ٣ـ تاريخ المرزا ، ٤ـ نكاح المرزا ، ٥ـ عقائد المرزا ٦ـ عجائبات المرزا ٧ـ چيستان المرزا ، وما إلی ذالك من الكتب الأخری و معظمها بالأردية (١) .

٣ـ القسم الثالث من مؤلفاته فی الرد علی المسيحيه : دخلت المسيحية فی الهند بواسطة الاستعمار وكانت هی والشيعه و المتبدعة تتصارع ضد الاسلام وفی الوقت الذی فتح فيه الشيخ الأمرتسری عين الشعور و الوعی كانت المسحية ذات سلطة

(١) تناولت هذا الموضوع بشئ من التفصيل فی بحثی، وهو فی مرحلة الاعداد .

فى شبه القارة الهندية ، لذلك هاجمت أشد هجوم عدوانى على الأفكار الاسلامية وعقائدها و حضارتها فعطف الشيخ الأمرتسرى عنايته إلى الرد عليها وقام بالدفاع عن الاسلام خير قيام ، وسد أبواب التشكيك فى وجوه الأعداء، كما قال الكاتب الشهير العلامة السيد رشيد رضا المصرى : « له مواقف محمودة مع مضللى النصارى وكذا النصارى (١) .

فان الشيخ بذل جهده المستطاع فى المقارنة بين العقيدتين الاسلامية والمسيحية، لما كانت الأمة المسلمة تئن من جراحات الصليبية ألف وصنف كتباً عـــديدة فى الرد على النصرانيه ، و من بينها « توحيد وتثليث » « جوابات نصارى » « اسلام اور مسيحيت » « آئيه تثليث » كلها بالأردية (٢) .

٤ـ القسم الرابع لمؤلفاته فى الرد على الآرية : قبل أن أذكر مؤلفات الشيخ الأمرتسرى فى الرد على الآرية أود أن أعرف بايجاز هذه الفرقه المارقة الحاقدة، فهى فرقة هندوكية متعصبة حاقدة على الاسلام ،كان رئيسها الزعيم الهندوكى المسمى ديانند سرسوتى الحاقد على الاسلام ، نشطت هذه الفرقة سنة ١٨٥٧م ، وبعد مدة أصبحت خطراً عــلى الاسلام فقام الشيخ الأمرتسرى بالدفاع عن الاسلام أمام هذا التيار الجارف وبدأت جهوده فى الميدان سنة ١٨٩٣م، يقول الشيخ عبد الماجد الدريابادى عن الشيخ الأمرتسرى « إنه كان رئيس المناظرين بالأخص ضد آرية سماج ، و كانت هذه الفرقة ـ آرية سماج ـ بذيئة اللسان ، سخيفة الفهم ، ذات حيلة و مكر ، كانت فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى وتعد فتنتهـــم من أكبر الفتن فى ذلك العصر ، ولو لم يواجههم الشيخ ثناء الله لسلط

---

(١) مجلة المنار ، المجلد الثالث و الثلاثون لعام ١٣٥١هـ ص ٦٣٩ .

(٢) راجع سيرة ثنائى ص ٢٠٦ .

الرعب ، والدهشة على المسلمين إلى غاية قصوى (١) وقال صاحب نزهة الخواطر: وكان أكثر ردوده على الآرية و القاديانية (٢) .

ومن مؤلفاته فى هذا الميدان « حق بركاش » فى جواب « ستيارتھ بركاش » فهذا أول كتاب فى الرد على الآرية لسوامى ديانند ، طبع ست مرات فى أمرتسر فى المطبع الثانى وآخر مرة سنة ١٩٢٨م ، يقع فى ٢٤٠ صفحة ، و فى المرة السابعة طبع فى بغداد باللغة العربية (٣)

٢- وكذلك له « ترك إسلام » فى جواب « ترك إسلام » الذى ألفه أحد اعضاء آرية سماج دهرم بال ، فانه اعترض فيه على تعاليم القرآن بما يبلغ عدده إلى ١١٦ اعتراضاً ، فحاول الشيخ فيه الاحاطة بكل الاعتراضات على نطاق علمى يضم مبحثين عظيمين ١- النبوة المحمـــدية ، ٢- خصائص القرآن الكريم ، فتلقى المسلمون هذا الكتاب بقبول حسن (٤) .

٣- كذلك « تغليب الاسلام فى الرد على تهذيب الاسلام » - هذا كتاب ثالث مهم فى هذا الموضوع فى أربعه أجزاء ، صدر جزؤه الأول سنه ١٩٠٤م .

٤- وله « تبر إسلام » فى الرد على « نخل إسلام » كان أسلوب هذا الكتاب لدهرم بال محشواً بالركاكة ، و رحبت به جرائد آرية سماج ترحيباً حاراً فأجابه الشيخ بكتاب مفحم سماه « تبر إسلام » .

٥- كما ألف الشيخ « تقدس رسول » فى جواب « رنكيلا رسول » الذى كتب أحد أفراد هذه الفرقة وهو بانديت ديانند ، معناه (الرسول المتمحش)

---

(١) المعاصرون ، بالأردية للشيخ عبد الماجد الدريابادى ص ١٢٤ .

(٢) نزهة الخواطر ص ٩٦/ ج ٨.

(٣) راجع نقوش أبى الوفاء ص ١٥٢ إلى ١٥٥ طبع لاهور ١٩٦٩م .

(٤) حياة ثنائى المطبوع فى دلهى ، ص ٥٨٤ ، ٥٨٥ وهى فى أكثر من ٩٠٠ صفحة .

و افترى فيه على شخصية الرسول ﷺ بأوصاف مشوهة و بألفاظ غليظة لا تليق بشأن الرسول المعصوم، حتى انتقد عليه الزعيم الهندی مهاتما غاندی ، كما اضطرب المسلمون و أعربوا عن قلقهم الشديد على نشره حتى رفعت القضية إلى المحكمة ، و فی ذلك الوقت العصيب الذی يثير الضجة رد الشيخ الأمرتسری على هـــذا الافتراء بكتابه الشهير « مقدس رسول » بالأردو ، بأسلوبه الرزين و لغته القوية و بخطابه الشريف ، و انهج فيه طريق الاحترام و التكريم عملا بقوله تعالى : « و جادلهم بالتی هی احسن » الآية - و قال فی آخر كتابه « أرجو من الله أن يكون هذا الكتاب سداً لمفرقی » فقد سد هذا الكتاب حاجة ، و اطمأن به المسلمون - و قـــد قرض له بعض علماء الهنـــد نظماً و نثراً ، كما قرض بيتاً الشيخ محمد عثمان من حيدر آباد ذكن منها :

سماه [illegible] مقدس رسول ، و هذبه كتهذيب الفحول !

لله [illegible] أبی الوفاء الفاصل ، [illegible] بين الحق وبين الباطل (١)

٥- و القسم الخامس لمؤلفاته فی الرد على المتـــدعين ، [illegible] صنف الشيـــخ و المقلدين الجامدين ، و فی إثبات مذهب السلف : [illegible] الأمرتسری فی هذا المجال أيضاً كتباً قيمة نادرة لايسع المقام للتعليق عليها والتعريف بالجميع ، ولذا [illegible] نكتفی بذكر اسماء الكتب .

١- ( رد بدعت [illegible] ) هذه رسالة بالأردية انتقد الشيخ فيها عقائد المتبدعة .

٢- ( أهل حديث كا مذهب ) صنف هذا الكتاب عام ١٣٤٠هـ وطبعته جمعية أهل الحديث بلاهور عام ١٩٥٥م - و يكفی هذا الكتاب للاطلاع على مذهب أهل الحديث ، رد الشيخ فيه على بعض الافتراءات التی توجه إلى أهل الحديث(٢)

(١) مقدس رسول الطبعة الثامنة من المطبعة العربية بلاهور سنة ١٩٨٢م ص ١٧ ، و نشر هذا الكتاب من ندوة المحدثين كجرنواله باكستـــان جديداً بجهود الشيخ ضياء الله كهوكهر و وزع مجانا، فتقبل الله سعيه -ع-م-ن.

(٢) نقوش أبی الوفاء ص ٢١٠ .

٣- (تقليد شخصى وسلفى) طبع أولا بلاهور سنة ١٣٣٩هـ ثم فى أمرتسر عام ١٩٤١م يقع فى ٥٦ صفحة و هو بالأردية ، أوضح فيه أن الأسلاف يستنبطون المسائل من الكتاب و السنة و يجعلونهما نصب أعينهم ، و قد الف الشيخ هـذا الكتاب رداً على حقيقة الفقه للشيخ أنوار الله و رسالة الاقتصاد لمولانا أشرف على التهانوى .

٤ ( حديث نبوى أور تقليد شخصى ) أنكر الشيخ فيـه على التقليد الشخصى و استدل على ذلك بالحديث ( إسلام أور أهل حديث ) ألفـه عام ١٢٣٠هـ و طبع فى دلهى فى برق بريس يقع فى ١٦ صفحة ، أثبت فيـه العقيـدة السلفية بالدلائل مع ذكر المذاهب الأخرى .

و له كتاب فى مسألة آمين بالجهر و إثبات رفع اليدين من السنة الصحيحة و كذلك له ( الفاتحة خلف الامام ) ( اجتهاد و تقليد ) ( أربعين ثنـائية ) وما إلى ذلك من كتب .

٦- القسم السادس لمؤلفاته فى الدعوة العامة و فى التاريخ والأدب ، والنحو ، و اللغة و الحديث و الفقه و دراسات عامـة :

وفى هذا البـاب أيضاً له كتب عديدة على موضوعات متنوعه لا نستطيع أن نستوفيها فى مثل هذا المجال الضيق ، إلا بذكر بعض أسماء الكتب منها ( تعليم القرآن ) بالأردو (ميل ملاپ) يعنى فى أداب اللقاء (السلام عليكم) أظهر فيه فوائد التسليم والتحية ، وخصائل النبى ﷺ ، وهداية الزوجين ، الكلمة الطيبة ، اتباع الرسول ، الثقافه ، أدب العرب ، التعريفات النحوية ، رسوم إسلامية ، يعنى التقاليد والعادات القبيحة التى تروجت فى المجتمع ، فرد عليها ، وأكد على اتباع السنة ، فهذه رساله مفيدة فى الوقت الحاضر كما أن له فتاوى ثنائية ، فى مجلدين ، بحث فيها القضايا الاسلامية المتنوعة ( والفوز العظيم) (إسلام وبرتش‌لا ) يعنى الاسلام والقانون البريطانى ، هذه الكتب فى الدراسات العامة وباللغة الأردية . ( يتبع )

# مشاهدات جولة فى نيبال

—( ٣ )—

سعيد الأعظمى

## إلى السهول فى الشرق الشمالى :

غادرنا كاتمندو إلى « برات ناغر ( Birat Nagar ) تلبية للدعوة التى وجهها إلينا المسئولون عن مدرسة الاصلاح فى رام نكر بوتها بمديرية سونسرى ، و هى من المناطق الرئيسية فى السهول النيبالية، أما «برات ناغر» فهى مدينة صغيرة جميلة. فيها المطار الذى يغطى حاجات السهول و المستفقعات بكاملها ، واستغرق الطيران بين كاتمندو وبرات ناغر حوالى ساعة على طائرة بوينج ، و قد كنا نطل من نافذة الطائرة إلى الأراضى الخضراء و الأنهار التى كانت تبعث فينا الثقة بخصوبة الأرض و ثروتها الزراعية ، و قد رافقنى فى هذه الرحلة الجوية الشيخ محمد حنيف الندوى والشيخ عبد الله عبد التواب و الشيخ محمد على الندوى ، الأمر الذى زاد الرحلة تسلية نفسية ومتعة روحية .

## فى طريقنا إلى مدرسة الاصلاح :

تلقانا فى المطار لفيف من الاخوة الندويين وفى مقدمتهم الشيخ عبد اللطيف الندوى مدير مدرسة تبليغ الاسلام، وتوجهنا معهم فى سيارة إلى مدرسة الاصلاح ومررنا فى الطريق إليها بمدرسة هداية الاسلام حيث عرجنا وصلينا الظهر والعصر، و رحب بنـــا مدير المدرسة الأستاذ محمـــد عالم و رئيس المدرسين فيها و قدموا إلينا المرطبات و بعض الفواكه و تناولنـــا الشأى ، ثم تابعنا المسير إلى مدرسة الاصلاحَ على طريق غير معبد فى سيارة جيب فوصلناهـا بمشيئة الله فى سلامة

و قوبلنا بترحيب كبير طلبة و أساتذة و مسئولين ، وبعد ما اجتمعنا بالاخوة هنا و استأنسنا بهم طلبنا المسئولين عن المدرسة ، السماح بالاقامة فى منزل الشيخ محمد حنيف و هو فى القرية المجاورة للمدرسة ، و انتقلنا إلى بيته حيث تعشينا وبتنا بخير ليلة ، كانت ليلة جمعة .

خطبة الجمعة . تجربة رائدة : و فى الصباح جاءنا الاخوة من القرى المجاورة و خاصة الندويين منهم الذين تخرجوا من جامعه ندوة العلماء فى الفترات الماضية ، و فى مقدمتهم الشيخ عبد الرحمن الندوى نائب مدير مدرسة الاصلاح ، و قد طلب منى أن أصلى بالناس صلاة الجمعة فى مسجد قريته ، و ذلك لأن المسلمين هنا يحرصون على أن أخطب خطبة الجمعة فى هذا المسجد ، و ما وسعنى إلا أن استجيب لطلبهم ، وقبيل صلاة الجمعه جاءنى الشيخ عبد الرحمن الندوى بعربة الثيران التى تعتبر أسهل ذريعة للمواصلات بين القرى ، و ركبنا العربة فمشت بنا نحو قريته بين المرتفعات و المنخفضات ، وعبرت بنا نهراً وقع فى الطريق و فى خلال عدة دقائق كنا فى القرية أمام مسجد كبير مكتظ بالمصلين و سألنى الشيخ عبد الرحمن عما إذا كان لى حديث مع المصلين قبل صلاة الجمعة أو بعدها ؟ و هنالك خطر ببالى أن الجماهير هنا لا يفهمون العربية اطلاقا ، فلماذا لا أجعل خطبة الجمعة بلغة يفهمها المصلون ، وقررت أن أبدأ الخطبة بالعربية وأختمها بالعربية و أتكلم بين المبدأ و المنتهى باللغة الأردوية ، هكذا فعلت مع الاحتفاظ بروح وقدسية الخطبة و ألقيت كلاماً استغرق ساعه ونال استماعا وإنصاتا من المستمعين ، و اطمأن قلبي لأن التجربة كانت ناجحة ، وتضمنت فوائد دينية أكثر بالنسبة إلى طريقة أخرى .

مأدبة سخية للغداء ، ولقاء مع الاخوة :

رجعنا على نفس العربة إلى مقرنا حيث صادفنا جماعة من الاخوة الندويين

و وجهاء القوم، كان قد دعاهم مضيفنا الشيخ محمد حنيف لتناول الغداء على مائدته، وكانت وجبة شهية تناولها الناس برغبة، وشكروا الله تعالى و صاحب الدعوة على ما أتاح لهم من فرصة اللقاء والغداء معاً، وتعرفنا مع بعض الاخوان و واعدناهم اللقاء فى مناسبة أخرى قريبة باذن الله، و فى نفس المساء أقام الشيخ عبد الرحمن مأدبة عشاء سخته فى منزله حضرها كثير من الاخوة و رؤساء القرى و العلماء، شكرنا الله على ذاك وجددنا اللقاء والحديث مع الاخوة الكرام فى هذه المناسبة.

مع بعض الأخوة المسئولين عن مدرسة نور الاسلام :

ولقينى الشيخ محمد عباس الندوى رئيس هيئة التدريس بمدرسة نور الاسلام فى جلبا بور ومعه بعض المدرسين فيها، و هذه المدرسة لها مكانتها فى مديرية سونسرى، وهى فرع لندوة العلماء فى دولة نيبال، ولها نشاط تعليمى موسع فى هذه المنطقة ولها فروع عديدة تقوم بواجب التعليم و التربية فى القرى و الأرياف، وكنت حريصاً على زيارتها وقضاء وقت فيها، ولذلك لما طلب منى المسئولون عنها زيارة المدرسة و الاسهام فى بعض البرامج التوجيهية التى وضعوها بالمناسبة، لبيت دعوتهم، وقلت : إن زيارتنا لمدرسة نور الاسلام ستكون آخر عمل فى هـذه المناسبة و فى آخر يوم نغادر فيه سونسرى إلى منطقة أخرى، و قررنا ذلك فى ليلة الاثنين ( ٣ / من شعبان ١٤٠٦ﻫ ).

فى مدرسة الاصلاح، حديث خاص فى جو المدرسة :

جعلنا يوم السبت خاصاً بزيارة مدرسة الاصلاح فى رام ناغر بوتها فقضينا الساعات الصباحية فى تفقد بعض أقسام وصفوف المدرسة وتبادل الآراء حول بعض القضايا التعليمية التى كانت بحاجة إلى النقاش والاستشارة، وبعد ما تغدينا على مائدة الشيخ محمد حضرة السلفى رئيس الهيئة التدريسية فى المدرسة مع لفيف من المدرسين

و أعضاء اللجنة التنفيذية للدرسة وصلينا صلاة الظهر فى جامع المدرسة، تحدثنا فى حفل خاص بالطلبة والأساتذة وأعضاء المدرسة حول قضية التعليم الدينى فى نيبال، وحلا لنا أن نقوم بتذكير كل فئة من الفئات الثلاث مسئوليتها و دورها فى الحياة و المجتمع، فانفصل خطابنا بين ثلاثة أجزاء مع كل فئة جزء يختص بها، وجرى الحديث إلى موعد أذان العصر، و انتهى فى جو أخرى طيب خلف فى النفوس تأثيراً وقبولا، كما قد تحدث إلى هذا الجمع رفيقنا الشيخ عبد الله عبد التواب، وحاز الاعجاب.

حفل عام فى ساحة المدرسة بعد صلاة المغرب :

ونظموا حفلا دينياً عاماً فى ساحة المدرسة الواسعة، و أعلنوا عن ذلك عبر جهاز الميكروفون فى جميع القرى و المناطق المجاورة، وقبل موعد الحفل نزل مطر غزير خاف به الناس أن يحول دون حضور الجماهير، و لكنه فى الواقع ساعدهم على المجئ من جهات بعيدة، لأن المطر عبد الطرق ولبد الغبار والتراب — وما أكثره فى المناطق الريفية — و ابتدأ الحفل بتلاوة آى الذكر الحكيم وكلمة افتتاحية لرئيس هيئة التدريس الشيخ محمد حضرة، ثم تكلم الأخ العزيز الشيخ عبد الله عبد التواب وألقى كلمة توجيهية، و فى الأخير ألقيت حديثاً ذا لفتة دينية، أثار انتباه الناس إلى قيمة الحياة الانسانية و دورها فى هذا الكون، وكيف ينبغى أن يعيش الانسان حتى يعتبر وفياً ولياً لخالقه، و محققاً للغاية التى خلق من أجلها، و أن مكانته فى ذلك إذا لم يعط للحياة حقها و لم يود فى العالم دوره، أقل من الكائنات الأخرى التى لا تحيد عن طريقها، و لا تتنازل عن مكانتها، وتشعب الحديث وتنوع ولكنه لم يخل من التأثير المطلوب، فنحمد الله على ذلك.

مادبة عشاء فى رحاب المدرسة :

وتفضل السيد الحاج عبد الحكيم رئيس اللجنة التنفيذية للدرسة فأقام مادبة

عشاء فی المدرسة تکریماً للضیوف الورادین فی هذه المناسبة ، حضرها عدد کبیر من العلماء و المسئولین لمدارس مختلفة مجاورة ، و رغم أن الوقت کان قد تأخر و تجاوز الموعد المألوف لطعام العشاء بوجه عام ، و لکن روح المحبة و الاخاء کانت بادیة علی الوجوه ، کما أن الداعی الکریم لم یتمکن من الحضور علی المائدة نظراً إلی انحراف صحی ألم به ، علی أن الحضور لم یشعروا بذلك ، فقد کانت روح التعاون الاجتماعی سائدة علی جمیع أعضاء المدرسة ، و لم ننته من هذا الواجب إلا بعد منتصف اللیل تقریباً و شکرنا الله تعالی علی ما قدر لنا و علی ما وفقنا إلیه من عمل متواضع و قضاء وقت فی جو دینی ، و عدنا إلی مقرنا للمبیت لکی نستعد لبرامج الغد ونستوحی لها نشاطا و روحا جدیدة من الله تعالی .

تفاصیل عن هذه المدرسة :

أما مدرسه الاصلاح رام ناغر بوتهاها بمدیریة سونسری ، فقد أسسها بعض الفیاری من المسلمین فی عام ١٩٦٦م ، یشرف علیها الدکتور خلیل الرحمن ، و یرأس المجلس التنفیذی الحاج عبد الحکیم ، ویدیرها الشیخ محمد یونس الندوی و نائبه الشیخ عبد الرحمن الندوی ، و مدیر شئون التعمیر و الترقی الشیخ محمد حنیف الندوی ، و أمین الصندوق السید نور محمد و رئیس هیئة التدریس الشیخ محمد حضرة السافی ، و للدرسة فروع عدیدة فی المناطق المختلفة ، عدد الطلاب فیها ٣٥٠ ، والمقیمون فی المساکن الداخلیة ١٣٢ ، وقد نجحوا فی جلب عدد وجیه من أبناء الجبال لیتعلموا الدین ، و یرجعوا إلی قومهم منذرین ، تتکفل المدرسة بجمیع حوائجهم وتنفق علیهم أموالا طائلة حرصاً علی تأمین مستقبل المسلمین الدینی فی الجبال ، وما أحوجهم إلی الرعایة وتبلیغ کلمة الاسلام إلیهم .

و التعلیم فی المدرسة متبع لمناهج الجامعات و المدارس الاسلامیة الکبیرة

فی الهند و یبلغ مستواه الآن إلی السنة الرابعة الثانویة ، و لدی المدرسة مشاریع عدیدة من بناء جامع واسع ، و مبنی للصفوف ، و مساکن للطلاب ، و عمارة للطبخ ، تبلغ تکلفتها إلی خمسة ملایین روبیة ، و المیزانیة السنویة ربـع ملیون روبیة ، وتعتمد علی تبرعات المسلمین وحدها ، و للمسلمین فرصة للاسهام فی دعم هذه المدرسة فی نیبال .

زیارة بعض المدارس الأخری :

کان من المقرر أن تغـادر منزل الشیخ محمد حنیف إلی مدرسه الاصلاح حیث نودع الاخوان و نتوجه إلی المدرسة الاسلامیه فی قریة بهکراها بمدیریة سونسری نفسها ، وکان الأخوة المسئولون عن مدرسه نور الاسلام جلسابور بتعاون من البعض الآخرین قد أحضروا سیارة جیب لزیارة المدارس ، و بدأنا بالمدرسه الاسلامیه بهکراها و هی فی أرض واسعه إلا أنها لا تزال فی بدایة من الخص ، وتفقدنا هناک بعض الاعمال و النشاطات التعلیمیه ، و سجلنا الانطباعات ، و عدد طلاب فیها ۱۸۳ طالبا ، و المسلمون فی القریة ثلاثه آلاف ، و رئیس المدرسه هو الدکتور خلیل الرحمن ، و أخذ بنا بعض الأخوة إلی بیوتهم حیث قدموا إلینا الشأی و توابعه من الفواکه و الموالح .

مدرسه تبلیغ الاسلام :

ثم تابعنا المسیر إلی مدرسه تبلیغ الاسلام فی قریة جهاتابیا بالمدیریة نفسها ، فوصلناها قبل صلاة الظهر فجددنا الوضوء وصلینا ثم تغدینا طعاما طیبا ، وتفقدنا بعض نشاطات المدرسة ، و ألقینا کلمة فی حفلة نظمها المسئولون عن المدرسه ، و أسست هذه المدرسه فی عام ۱۹۵۳م و رئیسها الآن هو الشیخ عبد اللطیف الندوی ، و عدد الطلاب فیها ۱۵۰ ، والساکنون منهم فی دار الاقامه ۲۶ طالباً ، و عدد المسلمین فی القریة خمسه آلاف مسلم

المدرسة الاسلامیة فی دهران : و توجهنا إلی مدینة « دهران » التی تقع فی السهول المرتفعه لسلسلة من جبال هملایا العظیمة ، و هی علی بعد ۲۵ کیلومتراً

من برات ناغر، ويمر الطريق نحوها بين الغابات المكثفة ، ويعرض منظراً جميلا ، و المدينة بموقعها الجميل تستلفت الأنظار و تجذب القلوب ، رأينا فيها أناسا أشبه بقاطني الجبال منهم بسكان السهول ، كما تدل على ذلك مخايل وجوههم ، والسوق كبيرة و الشوارع نظيفة ، و الجو فيها معتدل .

وصلنا إلى المدرسة الاسلامية و هي بجوار مسجد حيث صلينا صلاة العصر ، ثم التقينا ببعض المسئولين و جاءنا رئيس المدرسة و هو الحافظ محمد إقبال المظاهری و سألناه عن نشاط المدرسة فأفادنا بأن المسلمين هنا مقبلون على تعليم أبنائهم التعليم الديني و يوجد حاليا ٨٠ طالباً بين الابتدائية و قسم تحفيظ القرآن الكريم ، عدد السكان فى مدينة « دهران » ١٣٥ ألف نسمة فيهم ألفا مسلم فحسب ، إلى مدرسة نور الاسلام ، جلبا بور :

و فى نهاية المطاف كان موعدنا مع المسئولين عن مدرسة نور الاسلام لزيارة المدرسة و المشاركة فى برنامج حفل عام وضعوه بالمناسبة ، وذلك بعد صلاة المغرب مباشرة ، و لكننا لم نتمكن من الوصول إليهم إلا بشئ من التأخير ، ولما وصلنا إلى المدرسة وجدنا الناس ينتظروننا بفارغ الصبر، فما كان منا إلا أن نحضر فى مكان الحفل و يبتدىء البرنامج .

بدىء الحفل بآى من الذكر الحكيم برئاسة الشيخ محمد عباس الندوى و بعد ما ألقى الشيخ كلمة ترحيب بالضيوف جاء الأخ حيدر على الندوى إلى المنصة وألقى كلمة مستفيضة عن دولة نيبال و أوضاع المسلمين فيها ومجريات التعليم الديني و ضرورته فى هذا البلد ، و أبدى عواطف السرور على وجود الضيوف فى هذا المدرسة و زيارتهم لها ، ثم طلب رئيس المدرسة الشيخ عبد الله عبد التواب إبداء انطباعاته حول هذه الزيارة ، وتفضل الشيخ بكلمة توجيهية ذات فوائد دينية كان لها وقع فى النفوس ، و فى الأخير ألقيت كلمة عن منصب الحياة الاسلامية

و دورها فى الحياة العامة ، و قلت : إن الاسلام الذى جاء مع خاتم النبيين إلى الأمة الأخيرة إنما هو المنهج الخالد الدائم الباقى للحياة فى كل بلد وجيل إلى يوم الدين و لذلك فان الاسلام لا يتجزأ و لا يتفرع وفق الظروف و الأحوال ، و المقتضات ، و لا يزيد و لا ينقص ، نظراً إلى كماله و شموله و خلوده ، فاذا كان أحد يريد أن يسلم فى بعض الأمور والحوائج ، ويكفر ببعض التعاليم الأخرى ، فان إسلامه مرفوض ممجوج ، ذاك أن المسلم ، كامل فى كل حين و ظرف ليس له أن ينصف أو يثلث أو يربع إسلامه ، فقد قال الله عزوجل ( يا أيها الذين آمنوا ادخلو فى السلم كافة و لا تتبعوا خطوات الشيطان ) .

شرحت هذا الموضوع بشئ من التفصيل و الايضاح ، و صرب الأمثلة وإدلاء بعض الحكايات المؤثرة فكان دا تأثير تجلى ذالك بوجه عام على المستمعين، ولم ننته من الكلام إلا بتأخير ، حيث صلينا صلاة العشاء مع الجماعة فى مسجد المدرسة بعد الحادية عشرة و النصف ليلا ، و تعشينا على مائدة الاخوة الشهية بعد منتصيف الليل ، وقد آسفنى أن مدير المدرسة الشيح محمد أيوب الندوى كان فى رحلة إلى خارج البلاد فى هذه المناسبه و ليتنى لقيته فى مدرسة ، و تمتعت بصحبته ، و تزودت بقسط مزيد من سعادة الزيارة ، و فى الصباح بعد صلاة الفجر بنصف ساعة عقدت حفلة النادى العربى من قبل طلاب المدرسة ، التى فيها عدد منهم كلمة بالعربية وتظاهروا بحسن اهتمامهم بتعلم اللغة العربيه، ورحب بنا الشيخ جمال الدين بكلمة عربيه ثم ألقيت كلمة بالعربية حول الحاجة إلى تعلم اللغة العربية فى بلاد لاصلة لها بالعربية ، و أبدى فى الأخير الأخ حيدر على الندوى انطباعاته ، كما تكلم فى الحفلة الشيخ عبد الله عبد التواب والشيخ محمد حنيف الندوى .

انطباعات عن المدرسة : مدرسة نور الاسلام فى مديرية سونسرى ذات شهرة وخلفية جيدة ، أسسها الشيخ بشير الدين رحمه الله فى عام ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م وكان

مديرها الأول الحاج نور محمد ، وسقى تربتها رجال مخلصون من أبناء ندوة العلماء و على رأسهم الشيخ محمد مسلم الندوى ، الذى بذل مجهودات كبيرة فى تأصيل جذور المدرسة وتوسعة نطاقها ، فقد سهر على تعليم أبناء المسلمين فى المنطقة وأعدهم حتى التحقوا بدار العلوم ندوة العلماء ، و تخرجوا منها ، ثم تسلموا زمام المدرسة بأيديهم ، و هم الآن يحركون عجلات الظام فيها ، و يقومون بواجب التعليم و التربية بغاية من العزم و الحزم .

و رئيس هيئه التدريس الآن الشيح محمد عباس الندوى ، و مدير المدرسة حالياً الشيخ محمد أيوب الندوى ، و نائبه الأح حيدر على الندوى ، و مدير الشئون الانشائية و المالية الشيخ محمد على الندوى ، و من المدرسين فيها الشيخ محمد إسلام و الشيح محمد يسين الندوى ، و الشيح جمال الدين الندوى ، و كلهم مخلصون ، و بادلون جهودهم لترقيه المدرسة و تحقيق برامجها التعليمية و الدعوية .

أما عدد الطلاب الدارسين فى مختلف المراحل فناهز أربع مأة طالب ، و عدد الساكنين منهم فى المساكن الداخليه أكثر من ١٥٠ طالباً تتكفل المدرسة باحتياجات و التزامات مأة طالب فى الوقت الحاضر ، و عدد المدرسين حالياً ١٨ مدرساً ، و هذه المدرسة لها مركز حساس جداً فى هده المنطقة خاصة و هى فرع لدوة العلماء فى نيبال ، مرجو الاهتمام بالرعاية و أداء المسئولية من الجميع ، و عندهم مشاريع إنشائية عديدة ذات تكلفة باهظة تحتاج إلى دعم مادى من أصحاب الخير والثراء فى العالم كله كما أن الميزانيه السنوية يصعب تغطيتها بالتبرعات العامة ، لذلك نأمل العالم الاسلامى أن يعطف على العاملين للدين و نشر الفكر و العقائد الاسلامية عن طريق المدارس الاسلامية فى مثل هذه الدولة الهندوسية التى لا علاقة لها بالاسلام و أهله فى شئ .

مدرسة هداية الاسلام : وفى طريقنا إلى جنك فور دهام « المدينة الشهيرة فى نيبال و البعيدة من هذه المنطقة بثلاث مأة كيلو ، زرنا مدرسة هداية الاسلام ،

وهی فرع مدرسة نور الاسلام ، و کانت لنا هناك كلمة قصيرة ، و أعجبنا بما رأينا فيها من نشاط تعليمى نرجو الله سبحانه أن يهيئ الأسباب لاتساع نطاقها و ازدهار أعمالها فی وقت قريب ، فانها حاجة أكيدة فی هذه الناحية ، وهی معبر العلماء والزعماء المسلمين الذين يزورون هذه المنطقة ويستعرضون فيها العمل الاسلامی .

نحو جنك فور دهام ، جولة عابرة للدينة :

وتوجهنا بعد ذلك فی الساعة الواحدة ظهراً إلى جنك فور دهام على سيارة باص كبيرة ، و كان معی الشيخ عبد الله عبد التواب و الشيخ محمد حنيف الدوی و مررنا بمناطق جميلة خلال مسيرنا نحوها ، وما وصلناها إلا بعدة خمس ساعات ونصف فی الساعة السادسة والنصف مساءاً ، وركبنا ركشة ووصلنا أولا إلى الجامعة السلفية حيث لقينا الشيخ عبد السميع ورحب بنا وأنزلنا فی إحدى غرف المدرسة ، و جاءنا الاخوة الكرام المسئولون عن الجامعه و رحبو بنا و أكرمونا بالضيافة ، و بعد ما صلينا عندهم صلاة المغرب خرجنا نتجول فی هذه المدنية التاريخية التی لها أهميه عالميه لدى الهندوس طراً ، إذ يزعمون أنها هی مدينة « راجه جناك » و هو والد « سيتا » الالهة الكبيرة لديهم ، وهنا التقى الاله « رام » مع الالهة « ستا » و تم زواجهما ، وقد أسس الهندوس هنا معبداً كبيراً باسم ( جانكی مندر ) بنوه على شكل مسجد و يزخر بتماثيل الآلهه و الالهات ، دخلنا هذا المعبد لكی نزوره من داخله ونطلع على ما فيه من المقدسات الهندوكية ، وقد أحزننا ما رأينا هناك من تدهور الانسان فی مستنقعات الوثنية و البهمية .

مدينة المعابد و الوثنيات : ومعبد آخر اسمه « رام مندر » دخلنا فيه و تجولنا فی أنحائه المختلفة فاذا فيه تماثيل كثيرة تشير إلى عبادة الذكور و الفروج ، وفعلا يركز هذا المعبد على هذه العملية من غير أی حشمة . كما أن فی المدينة ترعه عظيمة مثل البحيرة يحيط بها المعابد و الأوثان من كل جانب ، فيأتی إليها الوثنيون

و يستحمون فى مائها اعتقاداً منهم بأن الاغتسال فى هذا الماء يطهرهم من جميع الآثام و الذنوب — و قد أقام الشيخ عبد السميع مأدبة عشاء تكريمية فله شكرنا و تقديرنا و جزاه الله عنا خير الجزاء .

الجامعة السلفية ، و مدرسة المبتدعة : و بجوار هذا النشاط الوثنى هناك نشاط خرافى للمبتدعة الذين اتخذوا هذه المدينة مركزاً لهم يزود دعاة البدع و المنكرات بالوقود ، فينتشرون فى طول البلاد وعرضها بين الجبال والسهول و يتناولون جماهير المسلمين بتعليم أعمال الضلال والبدع وقد أسسوا لتقوية نشاطهم و توسعة جهودهم مدرسة يعلمون فيها أبناء المسلمين ما يعلمون من محاربة العقائد الاسلامية السليمة وأهلها من الموحدين و القائمين بالعمل بالكتاب و السنة ، وقد دخلنا هذه المدرسة و سألنا الموجودين هناك عن المسئول ، و لكن لم نظفر به ، و قد كنت حريصاً على أن أجلس إليه وأتكلم معه فى أسلوب واقعى ، وأثير فيه الشعور بالحاجة إلى محاربة الوثنية و الضلالات التى تتولاها المعابد الوثنية الموجودة فى هذه المدينة .

و من هنا فان دور الجامعة السلفية فى مثل هذا الجو الوثنى الخطير ، ذو أهمية وقيمة كبيرتين ، ولعل الله سبحانه قيض و جودها لمحاربة الوثنيات و ترسيخ جذور التوحيد فى النفوس ، و هذه الجامعة هى أمل المسلمين فى هذه الدولة ، ومشع نور الاسلام فى المجتمع النيبالى ، و القائمون عليها هم فى الواقع أمام تحد خطير جداً يجب أن لا يفوتهم الاعداد التام لمواجهته ومحاربة الضلالات والمنكرات بحكمة وفقه ، ولين ورفق .

معلومات عن الجامعة السلفية : أسست هذه الجامعة فى عام ١٣٨٦هـ ، رئيسها الحالى فضيلة الشيخ شمس الحق السلفى ، والمدير العام الشيخ عبد السميع ، وكلاهما من متخرجى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وعدد الطلاب ١٣٢ طالباً ، يسكن فى دار الاقامة منهم مأة طالب وتتكفل الجامعة بجميع حوائجهم من المأكل والملبس وما إليها .

مستوى التعليم فيها إلى الكلية، ويرجى لها التقدم والازدهار ما دام المسئولون باذلين جهودهم فى سبيل ذلك، باخلاص و وئام.

عودة إلى الهند: و خرجنا من الفندق مبكرين لنواصل سفرنا إلى الحدود الهندية بالقطار النيبالى، فودعنا على المحطة الاخوة الكرام المسئولون عن الجامعة، و لا ننسى ما قد قاموا به من واجب الضيافة و التكريم، تقبل الله منهم وجزاهم حسناً، وهنا فارقنا الشيخ عبد الله عبد التواب و لكن الشيخ محمد حنيف ظل مرافقا لنا إلى مدينة ( بتنه ).

و أوصلنا القطار إلى المحطة الهندية جے ناغر فى ولاية بهار حيث عبرنا الحدود و غيرنا القطار قاصدين مدينة « دربنجا » و زرنا فيها دار العلوم السلفية فى ( لهريا سرائے ) لقينا هناك بعض المسئولين عن المدرسة وقضينا معهم وقتاً طيباً، ثم تابعنا المسير فى المساء إلى مدينه ( بتنه ) عاصمة ولاية بهار، و صادف المبيت فى منزل الدكتور محب أحمد الذى هو من أصدقاء الشيخ محمد حنيف، إنه أكرم وفادتنا وهيأ لنا المبيت و فى الصباح الباكر خرجنا إلى بعض أنحاء المدينة نتجول و نأخذ انطباعات عامة عن المدينة، وقد مررنا بمكتبه ( خدا بخش ) و مدرسه شمس الهدى، و المدرسة الاسلامية، وبعض آثار المدينة، ثم رجعنا إلى مقرنا حيث تناولنا الشاى و الفطور ثم ودعنا الدكتور محب أحمد ( جزاه الله خيراً ) إلى المطار، وهنا فارقنى الشيخ محمد حنيف وغادرت إلى لكهنؤ على متن الطائرة الهندية، وعدت إلى مقر عملنا دار العلوم ندوة العلماء فى سلامه الله.

هذه هى بعض انطباعاتنا عن زيارة هذه الدولة علماً بأن هذه الرحلة لم تكن مستوعبة لجميع أنحائها و أجزائها فقد بقى لنا أن نزور الجزء الجنوبى الغربى المتأخم على الحدود الهندية الشمالية وندعو الله سبحانه أن يوفقنا لذلك فى فرصة أخرى قريبة، حتى نشاهد عن كثب نشاط العلماء والدعاة المبعوثين فى هذا الجزء المتأخم للهند، ونكتب فى ضوء الواقع ما قد نشاهده ونراه عن تجربة و عن كثب، باذن الله تعالى.

## رجال فقدناهم :

# الأستاذ عمر التلمسانى إلى رحمة الله

واضح رشيد الندوى

خسر العالم الاسلامى فى شهر مايو ١٩٨٦م عدة شخصيات إسلامية مرموقة كانت لها مساهمه فعالة فى الدعوة الاسلامية ، و فى تنظيم العمل الاسلامى ، و نشر الفكر الدينى ، بكتابات واعية ، و بحوث معاصرة ، و نشاطات تنظيمة ، و مناقشات للافكار فى ندوات و مؤتمرات عالمية لشرح الفكر الاسلامى ، و نقد الفكر المسموم ، و كشف الزيغ و الضلال .

فى مقدمة هذه الشخصيات التى فقدها العالم الاسلامى ، شخصية المرشد العام للاخوان المسلمين، الأستاذ عمر التلمسانى الذى كان من ابرز الشخصيات الاسلامية فى مصر فى آخر عهد جمال عبد الناصر ، و أنور السادات ، و الرئيس الحالى حسنى مبارك، ومر بتجارب كثيرة خلال هذه العهود الثلاثة ، من قمع الحريات ، و اضطهاد الاخوان ومن إطلاق الحريات ، لاختبار قوة الاخوان ، ومن اغرامات ، و تهديدات ، و واجه الخطر على حياته ، لكنه ظل يرفع العلم عالياً ، و لسانه صريحاً مجلجلا ، يقول الحق ، و يهدى إلى السبيل ، و يخرج الاخوان من المآزق ، فلم يستسلم لقوى الطغيان و لم يخضع لقوى التهور و التطرف ، الذى كان نتيجة لسياسية الجحود والقمع، من قبل الحكومات المتتالية التى ظلت تقمع رغبة الشعب المسلم فى أن يكون للاسلام حكم ، و حول و طول .

كانت مصر خلال هذه الفترة تتأرجح يميناً و شمالا و تنتابها نوبات سياسية فان القوى التى تولت الحكم كانت تنتقل فى ولائها و انتمائها الفكرى، من الغرب المتعصب للصليبية الحاقدة ، و الرأس مالية الطامحة ، و الشرق المتبجج بالدعاوى

الاشتراكية الخادعة، و كانت كلتا القوتين أشد ما تكون وقعاً وبطشاً، على الفكرة الاسلامية ، فظل الاسلاميون فی نظرهما أكبر خطر ، و مهما اختلفتا فی المسائل السياسية كانتا متفقتين على محاربة الاسلام ، وقد سهل مهمة محاربة الاسلآم وجود طبقة مثقفة بالثقافة الغربية التی جعلت التاريخ الاسلامی والفكر الاسلامی، والثقافة الاسلامية كلها موضع نقد، وتدفقت الأفكار المسمومة فی حماية هذه الحكومات، و قد خسر الاخوان المسلمون خلال سنوات قليلة من ثورة يوليو ١٩٥٢م أبرز زعمائهم ، وقادتهم الموجهين ، كما مر عدد كبير من المتحمسين للاسلام ، والدعاة إليه بفترات طويلة من السجن ، و التعذيب ، و شرد عـــدد كبير منهم لجـأوا إلى البلدان المجاورة و عاشوا فی النفی ، و انعزلوا عن الحركة الاسلامية ، واطلقت الحريات فی عهد أنور الســادات الذی كان يريد فی بداية أمره أن يتنفس من الضغوط و يكسب التأييد الشعبي له ، فلما خرج الاخوان من الزنزانات كان فيهم رجال فترت همتهم لقضاء مدة طويلة فی التعذيب و الانعزال عن الحياة، ورجال نشأفيهم رد فعل عنيف يعتبر كل ما فی النظام القائم كفراً ، و بغياً، يجب محاربته مهما كلف ذلك من ثمن . وكان من بينهم من كان رزينا ، معتدلا ، يترصد ، و يتربص ، ويعد العدة بلطف وحكمة ، فوقع بذلك انقسام و تفرقع فی معالجة الظروف، كما آثر بعض القادة الخروج من البلاد ، فوجد به فراغ فی القيادة الفكرية .

وقـــد كانت الأحداث فی سوريا، اختباراً آخر للاخوان أجبرت ظروفهم الخاصة على اللجوء إلى القوة ، والتی أدت إلى نتائج مفزعة بالخسائر الجسيمة التی لحقت و أحـــدثت الثورة فی إيران ، باسم الاسلام فكانت اختباراً لقيادة الاخوان ، لأن الحركات الاسلامية التی كانت تحارب حكوماتها انجرفت إليها ثم تدهورت العلاقات بين الاخوان و الثورة الايرانية للتحالف بين إيران و سوريا .

وحدثت فتن فی مصر، بصداقة مصر مع إسرائيل ، التی هزت العالم الاسلامی

كله و كان الاخوان المسلمون من أشد المعارضين للعاهدة ، ثم حدثت فتن بين المسلمين و المسيحيين ، أدت فى النهاية إلى اغتيال الرئيس أنور السادات ، و اتهم الاسلاميون بتدبير هذه المؤامرة ، و بدأ عهد الزنزانات من جديد .

و بعد فترة وجيزة ، أطلقت الحريات و سمح بتأليف الأحزاب السياسية و خوض معركة الانتخابات فواجه الاخوان مشكلة كبيرة ، كانت على القيادة مسئولية اتخاذ قرار حاسم ، وقد اختلفت الآراء حول قضية الاشتراك فى الانتخابات، لأن الاخوان لم يكونوا من المصرحين لهم بالاشتراك فى الانتخاب كحزب سياسى ، و أخيراً قررت قيادة الاخوان الاشتراك كحليف لحزب الوفد .

وتكفى هذه الأمثلة دليلا على أن عهد الأستاذ عمر التلمسانى لقيادة الاخوان أصعب العهود ، و قد مرت قيادته باختبارات و محن ، لكنه لطبيعته الهادئة ، وجديته ، ونشأته كقانونى ، وعزيمته ، وصلاحيته لتطوير استراتيجية ملائمة للظروف ، ظل شخصية جامعة ، فأنقذ الاخوان من التطرف المغالى ، و من مخالب الأعداء المتربصين بهم و واصل الدعوة ، كتابة و خطابة و لقاءاً ، و مناقشة للافكار ، يتعامل مع إخوانه ، و مع رجال الساسة و الدولة ، بلطف و حكمة .

وقد كان لنا شرف اللقاء والتحدث معه خلال زيارتنا لمصر فى عام ١٩٧٨م فالتقيت به أنا و فضيلة الأستاذ سعيد الأعظمى رئيس تحرير البعث الاسلامى ، فى مكتب «الدعوة» وشرف هذا اللقاء أيضاً الشيخ صالح العشماوى ، و وجه أخونا الأستاذ سعيد الأعظمى الدعوة إليه لزيارة الهند ، و قد طال بنا الحديث ، لأن الأستاذ التلمسانى أبدى اهتمامه بالدعوة الاسلامية فى الهند ، و شرح الظروف والتحديات التى تمر بها الدعوة الاسلامية فى مصر ، و متطلبات الدعوة ، و كان جوهر كلامه اتخاذ منهج حكيم يقوم على دراسة للظروف ، و الاعداد و الاستعداد ، و تربية النفوس .

و كنا نتوقع أن الاخوان سيستعيضون ما خسروه فى السنوات الماضية فى

قیادته، وقد تركت هذه الأعباء والضغوط على صحته تأثيراً كبيراً ، فانتابته أمراض ، وأخيراً استأثرت به رحمة الله فی ٢٢/ مایو ١٩٨٦م وقد جمعت وفاته كذلك العاملين للاسلام من مختلف أنحاء العالم الذين وصلوا إلى القاهرة واجتمعوا لتشييع جنازته، فكانت فرصة للقاء إسلامی عالمی، غفر الله له و رفع درجاته وجزاه بما هو أهله .

★ الأستاذ إسماعيل راجی الفاردقی :

كانت وفاة الأستاذ عمر التلمسانی فی ٢٢/ مايو ١٩٨٦م وبعد خمسة أيام أی فی ٢٧/ من مايو ١٩٨٦م أصيبت الدعوة الاسلاميـــة بخسارة أخری و هی وفاة المفكر الاسلامی الدكتور إسماعيل راجی الفاروقی الذی عرف بكتاباته الاسلامية، و بحوثه القيمة و محاضراته فی الدوات العلميه و قد كانت الطريقة التی حدثت به وفاته ، مؤلمـة للغاية ، فانه اغتيل بصورة وحشية بأيد أثيمة ، بمؤامرة صليبية صهيونية كانت تعتبره خطراً عليها ، وقد توفيت معه نتيجة لهذه الغارة الوحشية زوجته ، فی بيتهما فی فلادلفيا ( فانا لله و إنا إليه راجعون ) .

كان الدكتور إسماعيل الفاروقی أستاذاً فی جامعة فلادلفيا بالولايات المتحدة الأميريكية ، وكانت له نشاطات ، و أعمال فی سبيل نشر الفكر الاسلامی و كشف زيغ الحضارة الغربية ، و نقد الفلسفات المعاصرة ، و لعل هذه النشاطات هی التی أغرت الدوائر المتربصة بالاسلام و الحركة الاسلامية على القضاء عليه .

و قد عمت طريقة اغتيال الشخصيات الاسلامية أخيراً و ذهب ضحية هذه الاجراءات العديد من الشخصيات الاسلامية المرموقة ، و قد قادت هذه العصابات القاتلة بعض النظم التی تحارب الاسلام فی بلادها ، و لـكن الصليبية و الصهيونية بدأت تختار هـــذه الوسائل لمحاربة الفكر الاسلامی بطريق مباشر ، لأنها مذعورة بنشاطات الاسلاميين ، ونقد الحضارة الغربية من قبل أبناء الحضارة الغربية أنفسهم .

أصبح المجتمع الأوربی اليوم أكثر تعرضا للاحداث الدامية ، و قد اغتيلت عدة شخصيات بارزة فی الدول الأوربية التی يعتبرها البعض بلاداً آمنة متحضرة ،

رغم أن تامين السلامة و الأمن للمواطنين يعتبر هو أساساً لكل نظام متقـــدم متحضر ، و لكن هذا الأمن لا يزال مفقوداً فى الدول الأوربية ، مهما ادعت هذه الدول بالحضارة ، و التقدم والرفاهية ، كما أن حرية الفكر أيضاً غير مضمونة فى هذه الدول ، فان الاسلاميين يواجهون عقبات وتهديدات من الصهاينة والصليبية رغم دعوى النظم القائمة بحرية العقيدة و التعبير .

و تستحق هذه الجريمة كل إدانة من الناحية الانسانية ، كما تستحق الادانة من الناحية الاسلامية ، فلو كانت شخصية مسيحية أو يهودية واجهت هذا المصير فى بلد إسلامى كانت عاصفة شديدة هبت ، و لوجهت الصحافة الغربية كل أبواقها إلى الاسلام و المسلمين بوصفهم إرهابيين ، و بوصف النظم القائمة بالتخاذل و الضعف فى الاحتفاظ بالنظام و القانون ، و سلامة الحرية .

إن وفاة الدكتور الفاروقى تدعو إلى تيقظ و حذر فى الأوساط الاسلامية كما تقتضى مطالبة الحكومة الأميريكيه باتخاد اجراءات صارمة لتأمين سلامة مواطنيها و اللاجئين إليها ، و نسأل الله له الغفران ، و أن ينزله فسيح جناته .

★ الأستاد عروج أحمد القادرى :

فى شهر مايو نفسه ، فى الثالث عشر منه توفى الأستاذ عروج أحمد القادرى رئيس تحرير مجلة « زندگى » الاسلامية و عضو مجلس الشورى للجماعة الاسلامية فى الهند ، عن عمر يناهز ٧٢ سنة .

كان الأستاذ القادرى من الـكتاب البارزين فى مجال الدعوة الاسلامية فى الهند ، و قد كان شغوفاً بدراسة القرآن الـكريم و الحـــديث النبوى الشريف ، و كانت له تجربه طويلة لتوجيه الحركة الاسلامية فى الهند ، وقد كان من المتحمسين لفكرة الجماعة الاسلامية ومنهجها ، وقد دافع عنها فى مجلته ، وانتقد المذاهب والأفكار الأخرى بقوة و صراحـــة ، صدرت له عدة مؤلفات ، و ثلاثة دواوين شعر بالأردية ، نسأل الله أن يغفر له ، و يكفر عن سيئاته ، و يجزيه على حسناته .

# أمانة رابطة الأدب الاسلامى العالميـة

## تعقد اجتماعها الثانى فى تركيا

عقدت أمانة رابطة الأدب الاسلامى العالمية اجتماعها الثانى فى مدينـــة استانبول بتركيـا فى الأسبوع الثالث من شهر شوال ١٤٠٦ھ (يونيو ١٨٨٦م) حضرها معظم أعضاء مجلس الأمناء لرابطة الأدب الاسلامى العالمية ، ممن تم انتخابهم فى الاجتماع الأول للرابطة الذى عقد فى ندوة العلماء فى الهند ، فى شهر يناير المنصرم .

و قد حضر الاجتماع و رأسه سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس رابطـة الأدب الاسلامى العالمية ، و معه فضيلة الشيخ الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى ، أمين عام الرابطه .

و قد استعرض الأعضاء نشاط الرابطة فى مجال العمل الأدبى ، و درسوا إمكانيات المستقبل للأدب الاسلامى و اتساعه بألوانه المتعددة بحيث يغطى العالمين العربى و الاسلامى بوجه خاص ، ونظراً إلى عالمية هذه الرابطة فقد أنشأت الرابطة فروعاً فى بلدان متعددة حتى يشمل نشاطها اللغات الأخرى عدا اللغة العربية .

و قد عرضت أمانة الرابطة قرارات عديدة فى ضوء التقرير الذى قدمه أمين عام الرابطه فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوى ، و التقرير الذى قدمه فضيلة الدكتور عبد الباسط بدر الأمين العام للرابطة للبلدان العربية ، و اتخذ الاجتماع جميع تلك القرارات التى كانت تتصل بتنميه العمل الأدبى وطبع بعض النماذج من الأدب الاسلامى .

و وافق الاجتماع على بعض أسماء الأدباء الاسلاميين وقبول عضويتهم للرابطة .

وبعد ما قضى الاجتماع عمله غادر الأعضاء إلى بلادهم عائدين إليها فى سلامة الله ، كما قد وصل سماحة العلامـة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى و فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوى إلى لكهنؤ فى سلامة الله تعالى ، يوم الأربعاء ٢٤ شوال ١٤٠٦ھ .

فالحمد لله على السلامة فى الحل و الترحال .

أنشأها:
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله
في عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

# البعث الإسلامي

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي



المجلد الحادي والثلاثون ★ محرم ١٤٠٧هـ — سبتمبر و أكتوبر ١٩٨٦م ★ العدد الخامس



المراسلات:

البعث الإسلامي ندوة العلماء، ص ب ٩٣. لكهنؤ (الهند)

**ALBAAS-EL-ISLAMI**

Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93,

LUCKNOW ( INDIA )

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

## أخي القارىء

ننعى إليك اليوم - بشيء كثير من الأسف - علماً من أعلام الأدب الاسلامي ورائداً من رواد الأدب مع الدين والدين مع الأدب ، ألا وهو الأديب البارع ، و الكاتب الاسلامي الشهير الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كم تجلت لك صورة هذا الأديب الألمعي من خلال صوره البارعة الجميلة الحية لحياة الصحابة والتابعين ، وكم ظهرت لك مواقفه الحميدة من إبراز الأدب الاسلامي كحركة أدبية هادفة سليمة ، عبر كتاباته القوية ونماذجه الأدبية الرائعة .

و رغم التحديات الكثيرة التي واجهها من المنابر الأدبية المزعومة ظل مثابراً في عمله العظيم ، وقائماً بدوره في تمثيل هذا الأدب الاسلامي بأشكاله الجميلة ونصوصه الحية النادرة ، و قد ركز مجهوداته في هذا المجال بكل ما كان يملكه من طاقة القلب والقلم ، فاستطاع - باذن الله تعالى - أن يضع «موسوعة أدب الدعوة الاسلامية» ، و قد أكرمه الله باخراج ستة أسفار ضخمة منها ، و أخراها كانت في الطريق .

سار «الرائد» في هذا الدرب بوحده دون أن يجد من يضم صوته إلى صوته ، وأدرك في الأخير رائد الأدب الاسلامي في الهند والقائم بعهده في ندوة العلماء سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الندوي ، فأسرع إليه رغم أمراضه ، وقدم له الولاء والوفاء وطلب منه إرساء قاعدة ينطلق منها الأدب الاسلامي مدوياً مجلجلا ، و هنالك تم تأسيس رابطة الأدب الاسلامي في ندوة العلماء بالهند ، فكان يحدب و يفيض عليها من توجيهاته الأدبية ما كان لها بمثابة السماد في الأرض الطيبة .

لحق الأديب الكبير بالرفيق الأعلى ، وخلف وراءه نواة طيبة في أرض طيبة ، ستكون شجرة باسقة تؤتي أكلها كل حين باذن ربها .

رحمه الله وأغدق عليه شآبيب الرضا والمغفرة ؟

سعيد الأعظمي

الافتتاحيـــة :

# سلوكنا المضاد و إسلامنا الممتحن

من المفارقات الغريبة التى تطرقت إلى حياة المسلمين بوجه عام سلوكهم المضاد لدى تفسير و شرح عطاء الاسلام للانسـان ، و التمثيل العملى للنهج الذى أسس عليه الحياة الانسانيـــة ، فمهما ادعينا ـ نحن المسلمين ـ بثقتنا الكاملة بخلود رسالة الاسلام و انسجامها مع الفطرة التى فطر الناس عليها ، و بذلنا فى ذلك طـاقات القلم واللسان ، و لكن الواقع أننا لا نستسيغ هذه النظرة الايمانية فى واقع العمل و التطبيق ، و لا نتجاوزها من حدود التصور إلى ثغور التصديق .

إننا نقول بشئ كثير من القوة و الثقة : إن الاسلام هو الدين الذى قام بالجمع بين جوانب الحياة المختلفة فى وقت واحد ومنح لكل جانب حقه كاملا على حسابه الخاص ، و بكل دقـــة و اتزان ، دون أن يحس غيره شيئاً قليلا و لو بمقدار درة ، أو يناله بأى ضرر أو نقص ، ونستدل على ذلك بكل دليل ، ونعتمد فى تحقيق وجهة النظر هذه على كل مظنة من مظان العقل و النقل .

و نقول بكل صراحة و إيمـان : لا بديل لهذا الدين فى العصر المتطور الحديث الذى يرحب بالبدائل و يعتبرها دليل كل تطور عقلى وحضارى ، ونبرهن على قولنا بأكثر من برهان ، ونؤكده بكل التأكيدات الحضارية والفكرية والتاريخية ، و لا نسمح لأى مسلم بأن يلين فى استبدال أى جزء آخر من غيره ، بل و نرى ذلك مروقا من الدين و خروجاً على قواعده ، و ضرباً على أساسه .

إننا نعلن باستمرار و بجهار : شريعة الله غنية بجميع متطلبات الحياة الانسانية فى كل زمان و مكان ، و هى وحدهـــا التى تتمتع بحق الخلود و الاستمرارية

و تغطية الحاجات المتجددة و استجابة نداء الحضارة و العلم فی كل عصر وجيل ، و لذاك فان الانسان مهما تقدم علمياً وحضارياً وقطع و أشواطاً بعيدة من الرقی فی مجالات التقنية والصناعات المدهشة ، وحقق أحلاماً بعيدة المنال فی الحضارات العالمية ، إلا أنه لا يكاد يستغنی عن شريعة الله فی إسعاد الحياة والمجتمع ، وتوفير الهدوء و الطمأنينة لقلب الانسان ( إن فی الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، و إذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا و هی القلب ) .

ونقول : إذا كانت هناك حضارة تتمكن من دعم العلاقات الاجتماعية والروابط الفردية على أساس العقيدة و الايمان و الحب و الايثار ، و تحبيب الفضائل إلى القلوب وتنمية عواطف البر والاحسان فی النفس ، و الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر ، فهی الحضارة التی جاء بها الاسلام ، و تمثلت فی تعاليمه الخلقيـة و مثله العليا ، و فی علاقة الانسان بالانسان ، وعلاقته بالله تبارك وتعالى ، و تمثيل الحياة الاسلاميـة بالمعنی المطلوب « و من أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إننی من المسلمين » .

ثم نقول : إن الاسلام دين جامع شامل يشمل جميع شئون الانسان على جميع المستويات و فی كل الأزمنة و الأجيال ، ففيه الدنيا و الآخرة ، و فيـه الروح و المادة ، وفيـه السعی للزاد والاعداد للمعاد ، و فيه إعطاء كل ذی حق حقه فی كل مجال ، و فيه الجمع بين نزعات النفس و إشراقات القلب ، و توجيه القوی كلها نحو الوجهة السليمـة مع الاعتناء الكامل بالاتزان فی وضع كل ذلك حيث ينبغی أن يوضع .

و نتسع قليلا فی تفسيرنا للاسلام فنقول : إنه دين الحرية ، و العدالة الاجتماعية ، و المساواة و الحب ، و دين الانفتاح و التعـاون و تبادل المنافع ،

و دین التکافل ، و التفاضل علی أساس التقوی ، لا علی أساس الجنس و اللغة و الوطن ، فهو یراعی الحیاة ، مراعاة دقیقة و یراقب النشاط الانسانی مراقبة عمیقة ، یثیر کوامن النفس فیما یصلح الحیاة ، و یفجر الطاقات البشریة لخدمة المصالح الطیبة ، و توطید الروابط بین الانسان و ربه القدیر .

إنه دین السعادة البشریة بکل ما فی الکلمة من معنی ، فهو ینظم العلاقات و ینزه الدوافع و الاتجاهات ، و یزکی النفوس من رواسب الجاهلیات والأنانیات و من کل ما یضاد الطبیعة و یعرقل المسیرة ، و یحول دون التوصل إلی الغایة المنشودة واتصال الانسان بالطاقه الکبری التی تنطلق منها الحیاة نحو الوجهة المطلوبة

بمثل هذه النبرات البیانیة و القوة التعبیریة و التأکید اللفظی نفسر الاسلام و نشرح تعالیمه و شریعته و منهجه للحیاة ، و نرفع قضیته علی جمیع المستویات ، و من المنابر العالمیة و فی المحافل الدولیة ، دون أن تفوتنا فرصة من فرص القلم و اللسان فی التعبیر عن خصائصه و میزاته ، و تثبیت دعائم العقیدة و الایمان و الأخلاق و الفضائل التی یقوم علیها صرح هذا الدین .

و لا نقصر فی تفنید جمیع ما یوجد الآن من أفکار و معتقدات و دیانات و نظرات أو فلسفات علمیة وحضاریة بازاء الدین الاسلامی ، و التصریح بأنها لیست إلا نتاج عقول إنسانیة محدودة ، و لیست إلا أباطیل لا تحتمل أدنی هزة من الحق الواضح المبین ( إن هی إلا أسماء سمیتموها أنتم و آباؤکم ، ما أنزل الله من سلطان إن یتبعون إلا الظن و ما تهوی الأنفس ) .

لقد تم ذلك علی مستوی الجماعات والأفراد والزعماء و الدعاة ، فمن أصحاب الدعوة و الدین و زعماء السیاسة و الاجتماع ، و رجال القلم و اللسان ، و أهل الأدب و المحاضرات ، و خبراء العلوم و المعارف إلی الدعاة و العلماء و الموجهین و المربین ، کلهم قرعوا الآذان بشرح معنی الاسلام و تفسیر خصائصه ومیزاته تجاه الدیانات الأخری و الفلسفات و الأفکار و المفاهیم و التصورات التی یزخر بها

العالم قديماً و حديثاً ، و لم يعد أسلوب أو طريق إلا وقد مارسوه فی إثبات فضل الاسلام علی الانسان ، حتی و لو فی العالم المتغير الحديث الذی تطورت فيـــه الحياة و حقق فيه الانسان انتصارات باهرة فی جميع المجالات .

هذا سلوكنا مع الاسلام من الناحية البيانية و الأوضاع الأدبية !

أما سلوكنا العملی معه ، و وضعنا التطبيق مقابل تعاليمه و شرائعه و قوانينه و حدوده ، فلا اعتقد أنه يتفق و ما نادی به من صفات متميزة له و امتيازات بعيدة المدی لشريعته ، داك أننا مهما بذلنا من طاقات بيـانية حول هذا الموضوع إلا أن التطبيق العملی الكامل أصبح حلماً لا يكاد يتحقق ، لا فی حياة الأفراد ولا علی المستوی الجماعی ، ولا فی طبقة الجماهير ولا فی الطبقات العالية من أصحاب الاختصاصات فی العلم و الاجتماع و السياسة .

نری أن العمل بالاسلام لم يعدلنا هما و لا قصداً ، كما يهمنا شرحه وتفسيره قولا و بياناً ، و قد احتفی دلك الغرض العظيم و الهدف المنشود وراء ركام من القول الجميل و الـكلام المعقول ، و أصبحنـا فی غنی عما إذا كان الاسلام يطبق أو لا يطبق ، وإدا كانت شريعته تنفذ أو لا تنفذ فی مجتمعات المسلمين وبلدانهم ، و لنترك أصحاب السياسات و الحكم منـا ، فان لهم مصالح و موانع تحول دون تطبيق الشريعه الاسلامية علی الحكم و تحكيمها فی الحياة ، و كذلك الجماهير المسلمة التی لم تتعلم تطبيق الشريعه بالمعنی العملی ، وظلت تعيش علی الهامش ، و لنترك الطبقة المثقفة المتفرنجة التی لا يهمها العمل بالشريعة ، ولا تؤمن بحيويتها وجدارتها بالبقاء فی العصر الحديث ، ولـكن ما جوابنا فيمن يشتغل بدراسة الشريعة الاسلامية ويعيش باسم الاسلام و ينتمی إليه فی جميع شئون الحياة ، و يعتبره الناس ممثلا للدين و أحكامه و تعاليمه و آدابه ، ثم لا تكون حياته نموذجاً لحياة المسلم المؤمن الواعی ، و لا تكون تصرفاته نابعة من تعاليم الاسلام و أحكامه ، و لا تكون أهواؤه خاضعة لشريعة الله و قوانينه ؟ ! .

ما جوابنـــا للناس إذا عاش أصحاب الاختصاصـات الدينية و المسئوليات الدعوية بمعزل عن التطبيق الدقيق لشريعـــة الله على الحياة و الاجتماع ، و على الشئون الداخلية والخارجية ، و على النشاطات و الممارسات الفردية والجماعية ؟!

بأى شيء نفسر تصرفاتنا المتحررة عن أحكام الدين فيما يتعلق بالمعاش أوبالعادات و التقاليد القبلية والاقليمية لدى المناسبات التى تنتاب الأسر والعائلات مثلا ؟ ! .

هل نحن مسلمون بالعمل و التطبيق فى أسواقنا و محاكمنا ، مثل ما نحن فى مساجدنا و فى عاداتنا ؟ ! .

هل نحن نمثل الحياة الاسلامية فى دوائر عملنا ، و وظائفنا ، ومع أعضـاء أسرنا و بيوتنا و فى نشاطاتنا اليومية ، و فى معاملاتنا العامة ؟ ! .

إننا فى الحقيقة أقمنا حاجزاً بين السلوكين ، و رضنا بما إذا كان سلوكنـا القولى يغاير سلوكنا العملى ، و لم نر أى حاجة دينية ولا خلقيـة إلى الجمع بينهما حتى توزعنا بين هذا و ذاك ، و اكتفينا بسلوك القلم و اللسان ، و استغنينا عن سلوك القلب و العمل ، و ركزنا على إجادة التفسير و إحسان التعبير و لم نلتفت إلى إصلاح العمل و إجادة التطبيق .

و من أجل هذا السلوك المتميز المتعارض ينظر غير المسلمين إلى الاسلام بنظرة ملؤها دعر و ريبة و خوف و إشفاق ، ولو أنهم شاهدوا الاسلام متمثلا فى حياة المسلمين و مطبقاً على تصرفاتهم و نشاطاتهم ، و معمولا به فى ظاهرهم و باطنهم ، لكان ذلك داعياً لهم إلى أن يرغبوا فيه ويصبحوا ضمن أبنائه وأنصاره و يدخلوا فى دين الله أفواجا .

فمتى سيتحقق نصر الله و الفتح ، و متى تقر العيون برؤيه مناظر الأفواج التى ستدخل فى دين الله ، قل عسى أن يكون ذلك قريباً ) .

سعيـــد الأعظمى

التوجیہ الاسلامی

# الدعوة إلى التوحيد الخالص
# و محاربة الشرك و مظاهره

## فى رسائل الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندى

سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

لما بدأ الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندى رحلتـه التجديدية كانت أول خطوة خطاها على طريق الأنبياء و على نفس المنهج الذى سار عليه الرسل ، هى الخطوة نحو إصلاح العقائد و تصحيح الاتجاه ، فقد كان إباؤه عن سجدة التحية أمام السلطان « جهانكير » و رفضه لهذه البدعـة الشنيعة عنواناً لامعاً فى تاريخ إصلاحه و تجديده ، و قد تناول فى رسائله التى وجهها إلى مختلف أصحابه و أتباعه بيان حقيقة التوحيد بأسلوب واضح مبين ، و عبارات موجزة جامعة رصينة ، و قدم دلائل وبراهين على وحدانية الله - تعالى - وأنه هو المستحق للعبادة وحده ، بأسلوب يدل على رسوخه وعلو كعبه فى هذا العلم ، وقام يدحض الشرك ومظاهره و تقاليده ونهى أصحابه و أتباعه نهياً شديداً عن الأعمال الشركية و العادات الجاهلية و تقاليد الكفار من اليهود و النصارى و المشركين . إذ أنه لا بداية لعمل الاصلاح و التجديد إلا به ، فضلا عن نهايته و كماله .

وهنا مقتطفات من رسالة مسهبة كتبها إلى امرأة صالحة بايعته وتابت على يده ، و قد تضمنت هذه الرسالة الرد على عامة ما يبتلى به الجهلاء من المشركين خصوصاً النساء منهم ، يقول فيها .

« إن تعظيم مظاهر الشرك و أعياد الجاهلية من أعظم أنواع الاشراك بالله - عزوجل - و أن من يعتقد بصحة دينين و صلاحيتهما فى وقت واحد فهو مشرك ، و أن من يعمل بأحكام الاسلام وأعمال الكفر و الشرك فهو مشرك ، و لا يتم

الاسلام إلا بالبراءة من الشرك و محادته و معاداته ، إن التوحيـــد هو الاشمئزاز و النفور من كل شائبة من شوائب الشرك » .

و يقول رحمه الله : « إن الاستعانة بالطواغيت و الأصنام فى دفع الأمراض وشفاء الأسقام - التى راجت فى المسلمين وعمت فى دهمائهم - عين الشرك والضلال ، و أن طلب قضاء الحاجات من الأحجار المنحوتة جحود صريح بالله - تعالى - وعين الكفر ، يقول الله - تبارك و تعالى - مبيناً حال بعض الغواة الضالين :

« يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت و قد أمروا أن يكفروا به ، و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً » .

و إن كثيراً من النساء - لغاية جهلهن و ضلالهن - يطلبن قضاء حوائجهن من غير الله و يسألن بأسماء ما أنزل بها من سلطان ، دفع البليات وكشف الكربات ، إنهن لأسيرات فى أغلال الشرك و طقوسه و تقاليده .

و تتجلى هذه العقائد الشركية و تشاهد هذه الأعمال و تقاليد الجاهلية - بصفة خاصة - عند ما ينتشر مرض الجدرى ( الذى يعرف فى أوساط النساء فى الهند باسم « سيتله » (١) حيث تقع جميع النساء فى الجهل المطبق ، والكفر الصريح ، و يأتين بأعمال شركيه ، وقلما تجد امرأة تتقى دقائق هذا الشرك ، ولا تقدم على أى نوع من أنواع الشرك بهذه المناسبة ، اللهم إلا من عصم ربك » .

(ص ٢٢٥ - ٢٢٦)

و قد كانت أكبر أغلوطة فى هذا الصدد ، أغلوطه البدعة الحسنة ، فكان الناس قسموا البدعة قسمين : البدعة السيئة ، و البدعة الحسنة ، و كانوا يقولون : إنه ليس كل بدعة سيئة فكثير من البدع حسنـة ، استثنيت من إطلاق حديث « كل بدعة ضلالة » .

---

(١) اسم إلهة من الالهات المزعومة المتخيلة عند وثنى الهند ، يعتقدون أنها تسبب الجدرى ، و لا يرتفع هـذا الوباء ، و لا يشفى المريض إلا إذا أرضيت هذه الالهة بالنذور و القرابين .

إن ما قام به الامام السرهندى من معارضة شديدة و استنكار قوى لهذا التقسيم المحدث للبدعة الحسنه و البدعة السيئة فى ثقة وقوة و اعتماد و بأسلوب علمى و استدلال موضوعى ، لايوجد له نظير فى كثير من الأقطار و الأدوار فى تاريخ الاصلاح الدينى .

و هكذا استطاع أن يعيد إلى الاسلام مركزه من جديد فى الهند ، ويعيد إلى السنة اعتبارها ويعيد فى المسلمين الثقة بالمصادر الصحيحة و بالكتاب و السنة ، و أن يكون للاسلام انتفاضة فى الأقطار الاسلامية من شبه القارة الهندية إلى أفغانستان و تركستان ، إلى العراق وسوريا و تركيا ، وينهض جيل جديد من دعاة الاسلام الصحيح و العقيدة السليمة البعيدة من شوائب الفلسفات و الانحرافات و تأثير الديانات و الحضارات الجاهليه ، ونشأت جبهة قوية واعية لمعارضة البدع و المحدثات ، و دعوة سافرة إلى العمل بالشريعة المطهرة و السنه السنية البيضاء ، و إقبال عام على الانابة إلى الله و تزكية النفوس ، و تهذيب الأخلاق ، و تجديد صلة العبودية بالله تعالى فى ضوء الكتاب و السنه .

الواقع أن عمله التجديدى الأساسى الذى تدور حوله سائر أعماله الاصلاحية التجديدية ، ومنبعه الأصيل الذى تتفجر منه ينابيع جميع مآثره الاصلاحية وجهوده الثورية ، وتتحول إلى نهر يجرى فى العالم الاسلامى كله ، هو ذلك العمل الاصلاحى العظيم الذى تجلى فى إعادة الثقه و الايمان إلى قلوب أبناء الأمة الاسلامية بخلود الرسالة المحمدية وحاجة الناس إليها إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، وترسيخ جذور هذه العقيدة المهمة .

و يقول هو نفسه فى رسالة وجهها إلى ابن شيخه محمد عبد الله وهو يصور هذا الوضع المكفهر .

« لقد كثرت البدع و المحدثات فى هذه الأيام كثرة فاحشة ، حتى ليخيل للناظر أن بحراً من الظلمات تتلاطم أمواجه ، و أن نور السنة فى هذا البحر الهائج المائج يتلألأ تلألؤ يراعات منتشرة فى ظلمة الليل البهيم » .

# تأملات فى آيات من كتاب الله

فضيلة الشيخ محمد ابراهيم شقره
مدير المسجد الأقصى

كانت الآية من كتاب الله تنزل على الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فيعيها قلبه ، و يحتويها ، و يسعد عليه الصلاة و السلام بها ، لأنها تكون جزءاً من الكتاب الذى بتمامه ستتم السعادة للبشرية كلها فى كل زمان و مكان .

ثم يتلوها على أصحابه فيستبقون العمل بها ، يحفظها الواحد منهم فيفرح كما لو عثر على كنز عظيم ، فينظر ما له فيها من حظ فيأخذ به ، ثم ينظر ما لغيره فيها من أهل و ولد من حظ فيأمرهم به ، فيستجيبون له من غير تردد ولا أناة .

وتكاد كل آية فى القرآن تحكى لنا قصة ستظل طريقاً ممهداً للاجيال تسلكه لتبلغ منه ما أعد الله لها من نعيم إن هى سلكته .

أخى المسلم ، تعال معى لنصغى إلى صوت الوحى الخالد و هو ينتقل إلينا عبر القرون كلما مر على أرض أنبت فى جنباتها الخير ، وأقام فيها معلماً من معالم الهدى يظل قائماً فيها يرشد الحيارى ، و يوقظ السكارى ، تعالى معى لنصغ إلى قول الله عزوجل : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، و من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ، كلا نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك ، و ما كان عطاء ربك محظوراً ، أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و للآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلا ، لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا » .

هذه الآيات الكريمات من سورة الاسراء ،وهى السورة التى سجلت لنا أروع

معجزة حسية من معجزات النبوه ، استوثقت فيها عرى الاتصال بين السماء والأرض ، وتجلت فى كلماتها رحمة الله التى أحاطت بالنبى ،وجبريل ينتقل به فى أطباق السماء ، وهذه الآيات التى معنا نكاد نشهد من خلال كلماتها الدنيا مصورة لنا بكل زخرفها وزينتها ، فيخضع لها الذى فى قلبه مرض ويقول يا ليتنى أوتى منها نصيباً لا يؤتاه غيرى لآتيه به على سائر الناس وأفرح ، كما نشهد أيضاً من خلال كلماتها الآخرة قائمة بين أيدينا يكاد روحها يلامس وجوهنا ويصافح قلوبنا فيشوقنا إليها بالعمل الصالح الدائب فى الليل والنهار .

والدنيا قريبة المنال ليست بعيدة من أحد فيها ما دام حياً يدب على الأرض ، فهو مقتدر عليها متمكن من ناصيتها ، قد يدركه منها قليل وقد يصيب منها الكثير ، فذاك موكول إلى سعيه ، وفى الدنيا الحلال والحرام ، وفى الدنيا الخبيث والطيب ، وفى الدنيا العذب والملح ، وفى الدنيا النقائص كلها تعيش جنباً إلى جنب ، وليس منها شئ ممتنع على أحد ، وفى مقدور المرء أن يجعل منها مطية خير تسعى به إلى الأرض الطيبة لينال من خيرها ورفدها ، وفى مقدوره كذلك أن يجعل منها مطية شر تقوده إلى المعاطب والمهالك ، وهى على كل حال مطية إن أحسن قيادها نجا ، وإن لم يحسن قيادها هلك .

فالمؤمن الطائع لربه ، الآخذ نفسه بأحكامه ، الساعى لمرضاته ، هو الذى يحسن قيادها فينجو ، أما الظالم لنفسه ، المخالف عن أمر ربه ، المعرض عن أحكامه ، فهو الذى يسئ قيادها فيقع عنها فيهلك ، بعد أن يكون قد استوفى حظه من زينتها ، ذلك معنى قوله تعالى : « عجلنا له فيها ما نشاء » ومعنى قوله : « ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً » ، وقد يذهب تعبه بسعيه سدى ولا يحصل من ورائه على طائل تقر به عينه ، وتهنأ به نفسه ، فالله عزوجل هو مالك

الأشياء و هو المعطى و هو المانع فليس لأحد من خلقه أن يأخذ منه شيئاً من ملكه إلا بارادته، وهو معنى قوله فى هذه الآيات «عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد».

و هذه لعمرى تربية موجهة من القرآن كيلا يكثر المرء من الجرى والسعى إلا فى طاعة ربه، و الرسول الكريم صلوات الله عليه و سلامه يضع ببعض أحاديثه حداً لطمع الانسان فيقول: «إن روح القدس نفث فى روعى أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها و أجلها فاتقوا الله و أجملوا فى الطلب» ثم يحذر عليه الصلاة و السلام من انحراف النفس بصاحبها إن أبطأ الرزق عنها فتحمل صاحبها على الحرام فيقول: «و لا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله»، ثم يقطع الأطماع المدفوعة إلى حظوظ الدنيا بالمعاصى فيقول: «فان ما عند الله لا ينال إلا بطاعته».

ثم تأتى الآية الثانية وهى التى عرضت لنا كلماتها الآخرة الصالحة التى ازينت بنعيمها لأهلها بثلاث كلمات: العزيمة وهى التى عبرت الآية عنها بـ «أراد» والعمل وهى التى عبرت الآية عنها بـ «سعى» والتصور الصادق الحامل صاحبه على التسليم وهى التى عبرت الآية عنها بقولها «وهو مؤمن»، و هذه الكلمات هى الشروط التى يحصل بها المرء على رضوان الله فى الآخرة، فالارادة والعمل الصالح و الايمان، بها يصل المرء إلى ما يرتجى، و إن عجز عن تحقيقها فى نفسه فليس له من سعيه إلا التعب يصيب به حظاً من دنياه، يزيد فى همه، ويضعف من دينه.

فبالايمان يوافق العمل حكم الله عزوجل الذى لم يشرع إلا لاسعاد الناس كافة، وتحقيق العدل بينهم الذى قامت عليه السماء و الأرض، و الايمان والعمل لا يكونان صالحين إلا إذا وافقا نية صالحة يبتغى بها الانسان من إيمانه و عمله وجه الله و اليوم الآخر، و لذلك قرن الرسول عليه الصلاة و السلام بين النية

والعمل فى قوله : « إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرى ما نوى » .

وكل ما فى الدنيا من زخرف ومال ومتاع هو ملك لله عزوجل، يتصرف فيه كيفما يشاء ، و العباد يتفاضلون بينهم، فمنهم الغنى ومنهم الفقير ، ومنهم الوسط فى الغنى والفقر ، و هذا ما يقرره الله فى كتابه « و الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » و هذا التفاضل مبنى على حكمة يعلمها الله عزوجل ، لا يدركها الناس لقصورهم وعجزهم . لكنه الذى يصيب من الغنى حظاً مؤمناً أو ظالماً لنفسه فهو من عطاء الله الذى لا يحظر على أحد ، ولا يمنع من أحد .

و تأتى الآية التى بعدها لتقرر أن التفاضل فى الدنيا إنما هو تفاضل فى أعراضها ، أما التفاضل الحق فهو فى درجات الآخرة « و للآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلا » .

ونلمح فى الآية الأخيرة من هذه الآيات ضمن النهى عن أن يتخذ الانسان إلهاً آخر، أن الاخلاد إلى الدنيا والركون إلى زينتها قد ينسى الانسان حكم الله ، و هذا أول ما يصيب الانسان من شر وهو يلهو بدنياه عن أخراه ، ثم يعقبه شر أطم و أعظم ، حتى يفقد المرء رصيده من الايمان ، فيقع صريع هم دنياه .

فاذا كان الانسان فطناً لما يجره أول الشر من بلاء عليه ، فعليه أن يبادر إلى غسل نفسه بالتوبة و الانابة و الاستقامة على سواء الجادة .

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويردنا إليه رداً جميلا و يبارك فى جهدنا و عملنا . ولا نكونن من الغافلين .

# من الاسلام إلى العروبة :
# التحول الفكرى فى ظل المستعمر

الدكتور السيد فهمى شناوى

كان التسامح الاسلامى هو الذى أبقى الأقليات من يهود أو نصارى فى بلاد الشرق العربى ، و يضاعف من فضل هذا التسامح أنه تم فى عهد اتسم بالتعصب و القسوة فى أوربا ، و ما كان غرض الخلفاء و لا قادة جيوش الفتح القضاء على اليهودية و لا النصرانية ، بل مجرد قبول الاسلام طوعاً أو اقتناعاً أو لجوءاً من فساد و ظلم .

و سواء كان هذا التسامح خطأ أوصواباً و سواء كان هو العامل الهام فى انتشار فتوح الاسلام أم لا ، فان المسلمين لم يقابلوا بمثل ذلك أبداً ، لا فى الأندلس و لا البلقان ولا فلسطين ولا قبرص ولا بلغاريا .. حتى هذه اللحظة .

يعتبر العهد العمرى الذى أعطاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لنصارى القدس ، نموذجاً للتسامح ، أمنهم على أرواحهم وأموالهم وكنائسهم ولا يكرهون على دينهم » ... هكذا نصاً ، ماذا أكثر من هذا بين غالب ومغلوب تنتهى بالتساوى المطلق ؟ ! و الذى كسب من هذا التسامح هو اللغة العربية ذاتها فمارون الشام و أقباط مصر مثلا قبلوا اللغة العربية و إن رفضوا الاسلام ، هذا بينما شعوب أخرى كالترك أو الفرس قبلوا الاسلام و إن رفضوا اللغة العربية !

الحجة التى تقول إن قول نصارى الشرق بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح عليه السلام هى التى جعلت نصارى الشرق يقبلون العربية ، لا يصح الأخذ بها لأنه كان أولى بها أن يقبلوا الدين قبل اللغة .

على العموم كانت اللغة العربية عنصر و أداة ووعاء فرح الفاتحين بالسكان الأصليين ، و ستلعب هذه اللغة دوراً خطيراً فى مطلع القرن العشرين ، فحتى الذين ظلوا على دينهم من يهود أو نصارى اتخذوا العربية لغة تخاطب و كتابة و شعر و غناء و ترجمة من اللغات الأخرى و جعلوا منها شعاراً وقضية سياسية فيما بعد .

حاولت الدولة العثمانية بمجرد انتقال عاصمة الخلافة من القاهرة و بغداد و دمشق إليها أن تعير تفنيط هذه الأمة المتسمة إلى « نظام الملة » و أن تقسم الناس فى الحكم و الادارة حسب دينهم لا حسب لغتهم ، وفرقت بين متكلمى اللغة العربة تفريقاً دام حتى مطلع النهضة الحديثة ، و من هنا بدأ كره نصارى الشرق الأوسط للدولة العثمانية، وظل يتوالد و يتنامى عاماً بعد عام . و حرصوا على التترس باللغة العربية ضد الدولة العثمانية ، و حرصوا على إذكاء اللغة العربية كخصم للطورانية ، و حرصوا على دائ الارتباط بين اللغة العربيه و الدين . و حرصوا على نقل اللغة من صف الدين إلى ضد الدين إن أمكن وكلما أمكن .

أما اليهود العرب فقد اتخذوا موقفاً انعزالياً فى الشرق الأوسط يختلف تماماً عن موقفهم فى الأندلس : فى الأندلس كان اليهود يشتركون فى المدنية الاسلامية و يثرونها ، أما فى الشرق الأوسط فظلوا منعزلين ومتعصبين حتى قامت الصهيونية فانتقلوا إلى صفوفها . . و ضد المدنية و الحضارة الاسلامية .

هنا اختلاف بين اليهود والنصارى فى الشرق الأوسط خاصة فى القرن **19** حينما ازداد انعزال اليهود ازداد اقتراب النصارى العرب عن طريق اللغة العربية و آدابها و شعرها ، و ساعد على ذلك تحول حدث فى الدولة العثمانية جعلها تقلل من نظام الملة بانشاء مدارس حكومية مفتوحة للنصارى والمسيحيين على سواء

و لكن هذا الاقتراب شابه شوائب (١) تفضيل النصارى أو بعضهم المدارس الأجنبية أو المدارس الطائفية و محاولة نشرها و تشجيعها و (٢) ثورة نصارى البلقان على الدولة (٣) اعتداء أوربا على دار الاسلام و النظر فى ميراث الرجل المريض ، كل هذا شابه حركة اقتراب النصارى من اللغة إلى حد محدود .

رغم هذا ظل تدريس اللغة العربية فى المدارس النصرانية وظل نشر الصحف والكتب العربيه من الاهتمامات الكبيرة لدى نصارى الشرق ، بل و أحيوا كثيراً من التراث العربى بل والاسلامى عن طريق مطابعهم ، بل وصنفوا كتبا فى قواعد اللغة العربية ، و ظلت مدارسهم الدينية فى حلب وجبل لبنان تدرس اللغة العربية و آدابها بأعلى مستوى ولا زالت كتب مثل « مجانى الأدب » من أعذب موارد اللغة لأى دارس

بدأ شعور جديد و غامض يظهر ، شعور يسمى « حب الوطن » ، ربما انتقل من أوربا . . . ربما ظهر كرد فعل لاستعمار أوربا . . . ربما ظهر تعبيراً عن العلاقة الجديدة المشتركة بين المسلمين والنصارى التى جاءت وليدة للغة العربية .

كان يمثل هذا الشعور الجديد الغامض « رفاعة الطهطاوى » فى مصر « بطرس البستانى » فى الشام » .

ذهب الشيخ رفاعه إلى نتيجة خطيرة : هى أن كل ما هو حسن فى المدنية الأوربية لا تناقض بينه و بين الشريعة الاسلامية فى شيء ، كان رفاعة أزهريا و إن لم يصل بعد إلى مرتبة « العالم » ، لم يتعد بعـــد مرحلة مؤذن أو مؤدى شعائرفى البعثه الطلابية التى أرسلها محمد على ، تعلم الفرنسية و التقط حب الوطن باطلاعه على نظام الحكم الفرنسى .

أما بطرس البستانى فكان مارونيا و لكنـــه تحول إلى البروتستانية على يد

مبشرى الأمريكان، فكان رباط الدين عنده مفكوكا من الأصل ، ثم بعد نشوب حرب أهلية بين موارنة الشام ودروزها وبعد خدمته معلماً و مترجماً مع الأمريكان وجد أن شعور «حب الوطن» يمكن أن يلعب دوراً تاريخياً فى إطفاء هذه الحرب الأهلية.

أما المسلمون فوقعوا فى حيص بيص :

١ــ عامة المسلمين قالوا لا تناقض بين الولاء لدار الاسلام متمرقلة فى الخلافة و بين الولاء لوطن محلى محدود .

٢ــ كان العلماء قالوا إن هذا الجمع يمس جوهر الدين وينال من هذا الجوهر .

٣ــ قال الشيخ رفاعة : إذن يجب أخذ ما يوافق الاسلام ترك مالا يوافق ، و هنا تبرز مشكلة حادة و هى ، من هذا الذى يقرر ما يوافق و مالا يوافق ، هذا مرشد صعب العثور عليه .

٤ــ قال أمثال على عبد الرازق وزكى نجيب محمود رأياً أوربياً صرفاً هو أن المدنية منفصلة عن الدين و بالتالى الدولة منفصلة عن الدين ، و يجب الأخــذ بالمدنية الأوربية و بسرعه و كاسعاف ، و برر بعضهم هذا للناس بأن المدنية الأوربية هذه مأخوذة عن العرب ، والعرب أخذوها عن اليونان ، و بضاعه العرب ترد إلى العرب .

و لا يقف خطورة هذا الرأى عند مستوى الأخذ بالمدنية وعدم الانشغال بموضوع الدين ، ولكن خطورته تتأتى من اعتبار الوطنية والقومية هى بديل عن الدين ، و كأن أبطال الوطنية و القومية هم أنبياء هذا العصر ، و كأن الوطنية صارت ديناً جديداً .

٥ــ ظهر زعمــاء العرب السياسيين سواء من نصارى أو مسلمين برأى : هو الأخذ بالوطنية ( لدى البعض ) و بالقومية ( لدى البعض ) مع السكوت عن

الدين، وهذا تجاهل لما لا يجوز تجاهله، حتى هذه اللحظة ما ينقص هؤلاء السياسيين هو تحديد مكان الدين الاسلامى من القومية و الوطنيـــة ، هل الاسلام أساس هيكلى ؟ هل هو دم يجرى فى عروق الوطنية و القومية ؟ هـــل هو القلب النابض ؟ هل هو الجهاز العصبي الحساس والحركى ؟ أم هل هو مجرد جلد جمالى خارجى ؟ أم هو ثوب يمكن خلعه أو استبداله ؟ موقــع الدين من العروبة لم يحققه و لم يحدده السياسيون العرب حتى الآن ، و آثروا السكوت !

٦ــ كان السكوت أحد خطوط العلاج السياسى للشكلة : سكوت بمرور الزمن أصبح مذهباً فى معنى الدولة ، دولة أوربة أو بمقومات و وظيفة الدولة الاوربية، هذا السكوت أسكت الناس و لكن لم يقنعهم و ارغم العلماء الذين ذكرناهم فى بند (٢) على السكوت .

٧ــ سكوت العلماء هذا أثار الشباب لأخذوا هم العبء ، ظهر الاخوان ثم ظهرت الجماعات الاسلامية ، الاخوان يدعون إلى الاعداد بالتربية ، و الجماعات تدعو إلى التغيير باليـــد و اللسان و القلب ، و كلاهما يستنكر سكوت العلماء ، و يحـاول أن يحل محلهم فى مهمتهم .

٨ــ هناك سكوت فرض على الناس : إسكات الناس قسراً أصبح حلا ، اسكت الناس دون أن يقتنعوا ، و أرغم العلماء على قبول الأمر الواقع ، وفرض الأمر الواقع محافظة على الوحدة الوطنية بين عناصر كل وطن بديلا عن الوحدة الدينية بين عناصر الأجناس التى دخلت الاسلام .

هذا الاسكات حول دولة الخلافة العالمية إلى دول عربية قومية أو وطنية أو محليـــة تدريجياً فى خطوات متعثرة عبر مائة عام تقريباً ، المائة عام من ١٨٥٠ ــ ١٩٥٠ تقريباً .

كانت الحرب الأهليـــة المارونية ١٨٦٠ فى لبنان هى الشرارة التى أوقدت شعور حب الوطن بديلا عن الدين لأنه لا يمكن إخماد الحرب إلا بشعور حب لوطن مشترك .

و بعد الحرب الأهلية ظهرت منشورات فى دمشق و بيروت و طرابلس تكرز الوطن و المصالح الوطنية و تتخذ هذا مدخلا إلى الطعن فى تركيا الخلافة بمقولة غير مباشرة . كأن تقول أن الترك ضد العرب ثم تتدرج إلى أن الترك يستبدون بالأوقاف الاسلامية ثم إلى القول بأن الترك لا يفهمون الشريعة و لا الاسلام كدين .

هذه المنشورات ظهرت فى وقت كانت أوربا تهجم عـــلى أملاك الدولة : روسيا تكاد تصل لاسطنبول ، بريطانيا تدخل مصر . فرنسا تدخل تونس ، إيطاليا تدخل ليبيا ، و كأنما أصحاب المنشورات السابقة كانوا طابوراً خامساً لهؤلاء الغزاة .

بعدما اشتعلت النار فى دار الاسلام ـــ صرح جمال الأفغانى بدء البيان إلى الحريق ! ! ! اتخـــذ اسمه العروة الوثقى شعاراً لمجلته تذكيراً بأن الاسلام هو هذه العروة . كان يتميز الأفغانى بأنه يطرح الأفكار مجملة . . بينما تلميذه محمد عبده يطرحها مشروحه و مفسرة ، كالمعيد بعد الأستاذ .

فكر الأفغانى يمكن إدراكه من رسالة كتبهـا الشيخ عبد القادر المغربى إلى رشيد رضا و ذلك بعد تلاقيه مع الأفغانى فى الآستانة : لا خير لنا إذا لم يبن تقدمنا على قواعد ديننا و قرآننا ، إن ما نراه مما يبدو كأنه تقدم أوربى هو عين الانحطاط والتقهقر لأننا فى هذا التمدن أو التقدم إنما نحن مقلدون للأمم الأوربية ، و بعد زمن طويل أو قصير سوف نخضع للذل والسلطة الأجنبية ، أو قد نتبدل صيغة الدين الاسلامى إلى صيغة خمول ، ثم يقول : للتوصل إلى التمدن الحقيق

لابد من حركة أو ثورة دينيــة تخلع فيها مارسخ فى عقول العوام و الخواص من فهم غير شرعى ، ونبث العقائد الدينية الحقيقية ، و لابد من تهذيب علومنا و تنقيحهـا بتأليف كتب قريبة المـأخذ بغرض إصلاح الوطن و إصلاح الأمة و تعزيز الدين .

هذا ما فهمه عبد القادر المغربى من جمال الأفغانى كما شرحه إلى رشيد رضا : كان غرض الأفغانى خلق حركة أو ثورة إسلامية تنقض مفاهيم الخضوع لأوربا و تبسط حقائق الدين للرجل العادى .

و لكن أوجس بعضهم و معهم نصارى الشرق خيفة من مشروع الأفغانى عن الجامعة الاسلامية و قالوا : إنها تعارض الرابطة الوطنية بين أتباع الأديان الثلاثة من أبناء كل وطن واحد .

هنا لم يكن محمد عبده حاسماً و لا باتراً و لكن كان متردداً : إذ رد على هذا فى جريدة العروة بقوله : لا يظن أحد من الناس أن جريدتنا بتخصيصهـا المسلمين بالذكر و مدافعتها عن حقوقهم تقصد شقاقاً بينهم و بين غير المسلمين فى أوطانهم ، أو أوطان تجاور أوطانهم ويتفقون معنا فى مصالح بلادهم و يتشاركون فى المنافع منذ أجيال طويلة ، ليس هذا شأننا ، و لا نميل إليه و لا يبيحه ديننا و لا تسمح به شريعتنا ، و لكن الغرض تحذير الشرقيين عموماً و المسلمين خصوصاً من تطاول الأجانب عليهم و الافساد فى بلادهم و إنما نخص المسلمين بالذكر لأنهم العنصر الغالب .

هذا كلام أعطى المصلحة الوطنية المشتركة بين المسلمين و غير المسلمين أولوية على المصلحة الاسلامية و اعتذر عن مجرد ذكر المصلحة الاسلامية بأنهم ذوو أكثرية و لكن وطنيون مثل غير المسلمين .

و أما رشيد رضا فقد أحس و لاحظ هذا التردد و التذبذب و سكت عليه و فسره بقوله : إن أستاذه محمداً عبده يرى أن الوطنية « هى تعاون جميع أهل الوطن الواحد المختلفى الأديان من أجل عمران حكومة هذا الوطن » ، وأن هذا لا يعارض الدين الاسلامى فى شىء . . . فتوى خطيرة .

و هكذا نرى أن هناك منزلق تدريجى : أول خطوه أن مسلمى كل وطن لهم مصالح خاصة بالدين تستدعى توثيق عرى الأخوة بين المسلمين عبر الأوطان المختلفة ، الخطوة الثانية أن المسلمين لهم أيضاً وبجانب ما فات مصلحة وطنية يشتركون فيها مع اليهود و النصارى فى داخل الوطن ذاته ، و لا تناقض بين المصالح الدينية الاسلامية التى تستوجب أخوة إسلامية و بين المصالح الوطنيه العربية التى تستوجب أخوة نصرانية يهودية . . . . . . إنزلاق تدريجى .

هذا ما سلم به ثلاثة من زعماء الفكر الاسلامى : الأفغانى ، محمد عبده ، رشيد رضا ، خصوصا محمد عبده و رشيد رضا . و معنى هذا أنهم قبلوا الرأى الأوربى عن الوطنيه و القومية دون نظر إلى العواقب التى تترتب على ذلك ، و هذا يشبه موافقه علماء الدولة العثمانيه — بعد تردد — على إنشاء نظام تعليمى أوربى موار للنظام الاسلامى فى التعليم فكانت النتيجه أن تغلب النظام الأوربى على النظام الاسلامى فى التعليم تغلباً فادحاً .

كذلك كان تغاضى الأفغانى و محمد عبده و رشيد رضا تغاضيا فيه حياء أو مجاملة أو تسويف إلى السماح بالفكرة « الوطنية » أن تسكن فى نفس البيت مع الفكرة الاسلامية و بمضى الوقت طردت الفكرة الوطنية تماماً الفكرة الاسلامية و استقلت بالبيت .

هذا ما نسميه الآن المذهب التوفيق ، حاولوا أن يوفقوا بين الاسلام

و أوربا أو بين الفريسة و الأســـد ، و انتهى الأمر بالسيادة الأوربية و بالتزام الأسد للفريسة .

يمكن أن نقول إن محمداً عبده و رشيد رضا لم يدركا أبداً عاقبة الوطنية وافتراسها للدين ، و يبدو أن «كرومر» كان متوقعاً فى محمد عبده هذا : لأنه اختاره و هو بعد قاض شاب صغير و التقطه و دفعه فوق الصفوف و وصل به إلى مركز مفتى الديار ، ووصل تعاون محمد عبده مع الانجليز لدرجة أن دعى لزيارة البرلمان البريطانى و أخذت له صورة تذكارية لا تزال موجودة .

لم يقدر جمال الأفغانى ولا محمد عبده و لا رشيد رضا عاقبة حلول الوطنية مكان الدين ، و لكن كان عندهم بعض الشك فى أن هذا قد يحدث ، ففى منفاه فى بيروت عام ١٨٨٦ كتب محمـــد عبده إلى شيخ الاسلام فى اسطنبول مذكرة عن حال التعليم فى الدولة العثمانية و فى مصر فقال « من ظن أن اسم الوطن و مصلحة البلاد و ما شاكل ذلك من ألفاظ قد يقوم مقام الدين فى إنهاض الهمم و سوقها إلى الغايات المطلوبة فقد ضل سواء السبيل » . هل يعنى محمد عبده أن الدين و الوطنية من صنف واحد ؟ ولكن الدين أقوى أثراً فقط ، إن كان هذا هو فكره يكون مفكراً حسن النية و مغلوطاً و خطيرا أم هذا تأرجح فكره بين الدين و الوطنيـــة ؟ هناك تأرجح فكر آخر له يذكره رشيد رضا عن رأى الامام فى مسألة العرب و الترك : يقول محمد عبده : إن العرب أجدر الشعوب بالاستقلال لطبيعة بلادهم، ولشجاعتهم ، ولما ورثوه . ولتاريخهم، وللغتهم الراقية ، و لوجود روح الاصلاح فى القرآن ، وفى السيرة النبوية المطرة ، و لكن الترك سلبوهم كل شئ فتفرقوا و تصادوا و استحوذ عليهم الجهل ، فيجب أن يبـــدأ العرب بالعلم و كسب الثروة و سنوح الفرصة و لا يجوز لهم بحال من الأحوال

أن يخرجوا على الدولة العثمانية لما فى ذاك من سوء العاقبة .

فى نفس الوقت يقول الامام محمد عبده : إن الخلافة هى ثالثة العقائد بعد الايمان بالله و بالرسول و إن علينا أن نحي عليها و نموت عليها و يحذر من الخروج على هذه الخلافة ، كيف يجتمع هـــذا مع دعوته لاستقلال العرب ؟ إذن يبـــدو تأرجحه الفكرى واضحاً جداً فى موضوع العرب و الترك كما بدأ فى موضوع الدين و الدولة .

هل كان موقفه توفيقياً بين الغرب و الشرق أم هل كان موقفه تأرجحياً بين الشرق و الغرب ، أم هل كان فكره بدائياً و دراسته غير كافية للامتحـان القاسى ، أم هل كان يتجاذبه تيار أصيل فيه هو الاسلام يقابله تيار وافد قوى هو التأورب و التغريب ، أم هل كان هذا و هذا و هذا مجتمعة معاً .

على العموم هذه كانت أول درجه فى سلم الهبوط :

جاءت درجة الهبوط الأوضح من الكواكبي و هو سورى دعا صراحة إلى الاستقلال العربى عن الدولة العثمانية بل دعا إلى إعادة الخلافه إلى الغرب و هى نفس الحجه التى استخدمها الانجليز و مكتب مخابراتهم بقيادة المستشرق هوجارت فى تنفيذ ما سمى الثورة العربية الكبرى للشريف حسين بن على ، كانت ثورة قومية عربية أكثر منها دينيه إسلامية ، قادها أو أعلنها زعيم عربى من سلالة النبي عليه السلام ضد دولة الخلافة ، بعد اتفاق سرى مع دولة نصرانية كبرى هى بريطانيـا العظمى ، التى وعدته باستقلال البلاد العربية وخاطبته كممثل للامة العربية ، ولمحت له بامكان إعادة الخلافة إلى العرب .

و رحب بهذه الثورة عرب مسلمون مثل فؤاد الخطيب فى قصيدته :

حي الشريف وحى البيت و الحرما و انهض فمثلك يرعى العهد و الذمما

ورحب بها طبعاً عرب مسيحيون مثل رشيد سليم الخوري فى قصيدته :

سر فى فتوحك فالشام قريبة و حسين قد وافى بكل مصور

و لم يتحقق الاستقلال، لأن بريطانيا و فرنسا اتفقتا سراً على تقسيم أرض العرب بل إن فرنسا جزأت أرض الشام إلى دويلات ، و بريطانيا وعدت اليهود بوطن قومى فى فلسطين .

و هنا بدأت فترة الوطنية : حيث وقف أبناء كل وطن عربى من نصارى أو مسلمين فى صف واحد للجهاد ضد الانكليز و الفرنسيين و الوهابيـة سواء فى سوريا و فى مصر ، و أصبحت فكرة الرابطة الاسلامية أو الخلافة أو رابطة الدين السياسية مؤجلة أو موقوفة أو غير صالحة لمواجهة المستعمر .

فشل الحركة القومية العربية بقيادة حسين بن على أدى إلى دخول الاستعمار كل شبر فى أرض العرب وأدى إلى ظهور الحركات الوطنية لتتحمل هى المسئولية و أدى إلى سقوط الخلافة و الفكرة الدينيه .

الحركات الوطنية قادها رؤساء العشائر وأصحاب الثروة والبرجوازية والانتلجنسيا التى تعلمت فى أوروبا ، و لكن الملوك كانوا مرتبطين ببريطانيا وإن كانت بريطانيا فشلت فى استخدام هؤلاء الملوك ضد الحركات الوطنية إلا أنها نجحت فى استخدامهم لاخماد أو تمييع أو تطبيع ثورة فلسطين الوطنية ، ثم فى منع نشوب حركة ثورية فلسطينية عربية بادخال الملوك جيوشهم إلى فلسطين بدعوى ظاهرها التحرير و باطنها اقتسام الجزء المسموح به للعرب فيما بين ملوك هذه الجيوش مع ترك الباقى لليهود .

كارثة فلسطين هذه أدت إلى نتيجة هامة من ضمن النتائج العديدة : هذه النتيجة هى « تعريب وطنيـة نصارى الشرق العربى » سواء فى الناحية السياسية أو الناحية

الثقافية ، و بلغ هذا التعريب درجة عالية جداً فى شئون التعليم ، أصبح هناك جبهة بين الوطنية من جهة والعروبة من جهة ، هذه الجبهة واجهت الرابطة الاسلامية أو الدينية ، كانت الوطنية و العروبة شابة و فتية و قوية بينما الرابطة الاسلامية كانت فى مرحلة الشيخوخة و سن اليأس و تكاد تحتضر .

نسى العرب أنهم مسلمون ونسى الوطنيون أنهم مسلمون و تذكروا فقط مع النصارى و اليهود الوطن والعروبة ، أصبح هناك اتحاد عرقى من المسلمين والنصارى فى الميادين السياسية و الثقافية و التربوية و الاقتصادية ، الخلاصة أن النصرانية تعربت أمام نظام الله العثمانى فقد قضى عليه نهائياً .

أخرج الدين تدريجياً من حساب المفكرين ثم خرج أيضاً من حساب الدولة و إن ظل حياً فى قلوب المؤمنين ، و لكنه لم يعد العامل الأول فى السياسة ، ويعتبر المسلمون هم المسئولين عن هذه النتيجة ، لأنهم اتخذوا المبدأ الأوربى القائل بفصل الدين عن الدولة بصورة تجريبية ثم بصورة قطعية .

و حصل مثل دلك فى التعليم حيث حدث تحول من التربية الاسلامية إلى التربية الوطنية ثم حاكاها فى ذلك كل الدول العربية ثم حدث أخطر شئ هو تغريب اللغة العربية بوضعها فى قوالب غربية واستعمال كلمات و صياغات و أفكار غربية ، وفكر بعضهم فى استعمال حروف لاتينية أواستعمال العاميه و كان كل العاملين فى هذا الميدان فى أول الأمر من النصارى ثم ألحق بهم بعض المسلمين دون وعى ، و يمكن أن نقول إن العربية تنصرت فى أمريكا على يد مهاجرى لبنان و سوريا وبعد قيام أساتذة الشئون العربية والاسلامية من نصارى الشام : فنى ١٩٢٠ أسس عشرة منهم فى أمريكا ما يسمى الرابطة العلمية برئاسة جبران خليل جبران وأعلنوا إعراضهم عن أساليب القدماء و معاتيهم اللغوية و أدخلوا الشعر المنثور و النثر

الشعرى و كلمات مترجمة أو منحوتة .

ثم تغيير الفكر الدينى و السياسى و اللغوى دون فلسفة سابقـــة له ترشده و تحدده و ترسم له : أى أن العمل سبق الفكر ! و جاء الفكر ليبرر و يزكى و يفسر ما حدث ، و هكذا نشأ مبدأ القومية العربية و انتشر : و بعد أن قبله العرب أخذوا يعرفونه و يفسرونه و يفلسفونه ، و كل الكتابات عن هذه القومية جاءت بعد الحرب العالمية الثانية و قيام الجامعة العربية و من موظفى هذه الجامعـة نفسها و على رأسهم ساطع الحصرى ، وهو حلبي شامى اشتغل فى وزارة المعارف تحت رئاسة فيصل فى سوريا ثم العراق ثم صار مدير المعهد الثقافى للجامعة العربية و افتعل كتباً كثيرة افتعالا عن القومية و ادعى « أنه لا الدين و لا الدولة ولا الحياة الاقتصادية » تدخل فى مقومات الأمة الأساسية ، إنما أساس الوحدة هو اللغة و التاريخ فقط !

و الواقع أنه نقل نقلا فجاً أفكاراً غربيـــة دون تحقيق ، إرضاء لفيصل بن حسين و مدرسة فيصل السياسية !

ثم جاء منيف الرزاز وعرف القومية العربية بأنها شعور جامع للامة العربية مستمد من الأرض أولا ثم اللغة ثم التاريخ ثم الدين الاسلامى ثم المصالح المشتركة بهذا الترتيب .

ثم قد يجئ من يضع تعريفاً آخر ، و هكذا يتضح أن القومية مورست بدون لائحة إرشاد و لا نظرية و أن النظرية لغاية الآن موضع صناعة و صيـاغة و نقد و ربما تلغى تماماً .

هذا التوهان الفكرى بدأ منذ محمد عبده و رشيد رضا و لا زال قائماً ، هذا مع فشل و سقوط العمل السياسى نفسه من حسين بن على إلى جمال عبد الناصر

انتهى بكارثة ٥ يونيو ١٩٦٧م .

هل كان محمد عبده هو النقطة الأولى فى خط التوهان .

الخلاصة : إنه خلال المائة سنة السابقة لم يقم المفكرون العرب بمهمة قيادة رجال الحكم و السياسة ، بل كان رجال السياسة و الحكم هم الذين يهمون بالشىء ثم يقوم المفكرون بالتبرير و الافتاء و وضع النظرية .

و هذا أوضح ما يكون فى حسين بن على ثم جمال عبد الناصر و موقفهم من مفكرى زمن كل منهم .

و لكن حتى قبل حسين بن على فى فترة محمد عبده كان أمثال محمد عبده من المفكرين لم يحددوا حدوداً فكرية واضحة ولم يصوغوا نظرية ولا مذهبا واضحاً و تراوح موقفهم بين التوفيق إلى التأرجح فى مواجهة الهجمة الامبريالية ، و إنه خلال هذه الهجمة فرطوا ـ عن ضعف فكرى ـ فى تراثهم الفلسفى والدينى واللغوى ، وقدم لهم المستعمر بعض العزاء بادعاء تقدميتهم أو باسناد مناصب إليهم أو بالابتسام السياسى لهم ، وقد يبدو فى حكمنا هذا قسوة باعتبار أن مقاييس عصرهم لم تكن بوضوح مقاييس عصرنا الحالى ، ولكن المؤكد أن ١ـ فكرة الملة الاسلامية انتهت ٢ـ الدين تم فصله عن الدولة ٣ـ أصبح السكوت مفروضاً كسياسة ٤ـ استعملت اللغة العربية كأساس للوطنية ٥ـ تنصرت العربية أحياناً و تعربت أحياناً واستقلت عن الدين بعد أن كانت وعاء يحتويه .

ولعل هذه مجرد مراجعة للنفس

---

هامش : استفدت جداً من دراسة أجرتها جامعة كيمبردج عام ١٩٦٩م عن الدين فى الشرق الأوسط باشراف بروفسور ارترابرى أستاذ العربية بكامبردج و قد اشترك فى الدراسة ٢٤ باحثاً ليس منهم مسلم إلا أربعة ـ هندى و إيرانى و إنجليزى و عربى ، و استفدت من اتخاذ موقف نقدى لآراء البعض و اتفاقى مع البعض .

# عندما يمكر الأقوياء بالضعفاء

دكتور غريب جمعة

لم يكن الغزو السوفييتى الغاشم لأفغانستان الاسلامية وليد المصادفة ولا نتاج نشوة سكر لعبت برؤس القياصرة الحمر بقصر الكرملين ، وإنما كان تدبيراً شيطانياً محكم الحلقات محسوب الخطوات ، ذلك لأن أولئك القياصرة يسيل لعابهم لأفغانستان منذ عقدين أو أكثر من الزمن إذ يعتبرونها « البوابة » إلى المياه الدافئة حيث يسيطرون على منابع البترول ، لذلك كان لا بد من مقدمات تنتهى بهذا الغزو الوحشى ، من هذه المقدمات ما سبقه من غزو فكرى جعل النظرية الشيوعيه العفنة تعشش فى بعض الأدمغة الفارغة ، فأصبحت لا ترى إلا بعين موسكو و لا تتكلم إلا بلسانها ، و لهذا لم يكن عجيباً أن تذيع وكالة تاس السوفيتية فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٧٩ نبأ برقية من عميل موسكو ومطيتها « بابراك كارميل » يطلب فيها مساعدة عسكرية من موسكو ، و قد سارع الدب الروسى الهالك « بريجنيف » بالرد على تلك البرقية ببرقية مماثلة للتهنئة و بقوات غازية مزودة بأحدث وسائل القتل و التدمير ، و من بين هذه المقدمات أيضاً حالة التردى و الانهيار التى تصيب الشعوب فتسلمها إلى الفقر و الحرمان و التخلف على أيدى الطغاة من حكامها حينما يتلهون بخلافاتهم على السلطة ضاربين عرض الحائط بمصالح شعوبهم ، و هذا ما حدث بالضبط فى أفغانستان .

ومثل تلك الحال تجعل من الشعوب تربة خصبة تفتح أحضانها للنظرية الشيوعية ، كأنها المنقذ الوحيد غير ناظرة إلى ما يترتب عليها من نتائج و أهداف

مهلكة لأن من يعيش الأسوأ لا يفكر فى السيئ ، كما أن بعض الضالين المضلين يزينون للناس هذا الباطل بحجة أن مرارة الدواء مقبولة ومستساغة فى سبيل الشفاء ، وتلك حجة داحضة تنطوى على تضليل أشبه بسراب بقيعة يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

و لقد اختلفت ردود الفعل العالمية نتيجة لهذا الغزو البربرى ، أما ردود الفعل عند الدول العربية و الاسلامية فهى دون المستوى بكثير و إن علق الصيحات و الاستنكارات ، أما أمريكا فقد ادعت أنها تقدم للمجاهدين الأفغان المساعدات تلو المساعدات و هذا ادعاء لا دليل عليه و لا أساس له من الواقع كما صرح بذلك رئيس اتحاد المجاهدين الأفغان ، و هذا الموقف ليس بالمستبعد من أمريكا ، لأنها تنظر إلى الغزو السوفيتى على أنه نوع من التوازن لأن حروب الغزو العسكرى قسمة ليست ضيزى بين أمريكا و الاتحاد السوفيتى ! ! .

وليس ذلك رجما بالغيب و لكنه الذى يرجع إلى مؤتمر « يالتا » الذى عقد بين الرئيس الأمريكى « روزفلت » و الزعيم السوفيتى « ستالين » فى الفترة من ٤ إلى ١١ فبراير سنة ١٩٤٥ يجد الدليل على ذلك .

لقد كان مستشارو الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت للسياسة الخارجية هم :

١— فريل هاريمان .
٢— الادميرال وليام ليهى .
٣— جيمس بايزر .
٤— جيمس تورستال .

و قد ذكر هؤلاء المتشاورن :

أن محاولات بذلت لعقد صفقات بين موسكو و واشنطن بأن يقوم كل منهما بدور معين و على مستوى « رجل الشرطــــة العالمى » فى عالم ما بعد الحرب ( الحرب الكونية الثانية ) ، ولم يكن هناك خلاف على ذلك بين

المؤتمرين إلا بعض التصلب من ستالين حول بولندا و رومانيا حيث رفض ( أى ستالين ) أن يكون لواشنطن أى نفوذ فى هاتين الدولتين ، لأنهما من دول الستار الحديدى .

و دور رجل الشرطة العالمى يعني أن تتدخل الدول الكبرى و القوية فى شئون الدول الصغرى و الضعيفة بدءاً بالغزو الفكرى و انتهاء بالغزو العسكرى و بحسابات متفق عليها بين واشنطن وموسكو بحيث لا تصطدم إحداهما بالأخرى أو تقف فى طريقها ! .

وفيما عدا ذلك فكل شئ مباح القتل و التدمير و الاحتلال ، ولا بأس من التقاذف الدعائى و إلقاء الخطب الرنانة والبيانات النارية وتجنيد الأتباع وركوب المطايا التى تدور فى أفلاكهما درأ للرماد فى العيون وتفنناً فى الخداع و التضليل ، ولكن ذلك كله لا يغير شيئاً من اختصاص رجل الشرطة العالمى المتفق عليه بين القوتين العظيمتين و نضرب على ذلك مثلا :

عقد المجتمع الأوروبى ورابطة دول جنوب شرق آسيا مؤتمراً فى كوالالمبور فى ٧ إلى ٨ مارس ( آذار ) ١٩٨٠ وكانت المادة الثالثة من البيان المشترك للمؤتمر ما يلى :

« أعرب وزراء خارجية الدول الأعضاء فى رابطة دول جنوب شرق آسيا و وزراء خارجية الدول الأعضاء فى المجتمع الأوروبى عن قلق بالغ لتدخلين مسلحين سافرين من قبل دولتين أجنبيتين ضد دولتين من دول عدم الانحياز فى آسيا ، هما :

التدخل الفيتنامى المستمر فى كامبوشيا و التدخل السوفيتى المسلح فى أفغانستان ، وكان القاسم المشترك بين التدخلين فرض الارادة على دولتين صغيرتين مستقلتين من قبل دولتين أجنبيتين عن طريق استخدام القوة فى انتهاك سافر للقانون الدولى

مهددتين بذلك السلام و الأمن الدوليين .

وقد دعوا إلى تنفيذ مبكر بقرارى الجمعية العامة للامم المتحدة رقمى ٢٢/٢٤ واى ، اس ٢/٦ الصادرين فى ١٤ نوفمبر ( تشرين الثانى ) ١٩٧٩م ، ١٤ يناير ( كانون الثانى ) عام ١٩٨٠ على التوالى بما فى ذلك الانسحاب التام للقوات الأجنبية من كامبوشيا و أفغانستان .

و لقد مر على ذاك المؤتمر ما يقرب من ست سنوات تضاعف خلالها التدخل السوفيتى المسلح فى أفغانستان ، ولم تسهم أمريكا بشئ من مساعدة المجاهدين إلا بالدعاية الاستهلاكية والاشارة من طريق خفى بأنها على اتفاق كامل مع موسكو على كل ما يدور فى أفغانستان ، كما أن موسكو لن تسحب قواتها المجرمة من أفغانستان إلا بعد أن تضمن وجودها الدائم فيها فى صورة ببغاوات وعملاء و أجراء يتكلمون بلسانها و يرون بعينها و يبطشون بيديها إذا لزم الأمر .

و الآن ما هو رأى الشيوعيين فى العالم العربى و الاسلامى إزاء هـذا التدخل السافر ؟ .

وحينما نطرح مثل هذا التساؤل فليس عن جهل برأى الشيوعيين فى ساداتهم . ولكن ليحذر المفتونون من الشباب البرئ من أمثال هؤلاء العملاء و الأفاكين .

إن الشيوعيين العرب بالنسبة للتدخل السوفيتى الآثم فى أفغانستان :

صم لا يسمعون .

عمى لا ينظرون .

بكم لا ينطقون ، بل قد يرون فى المجاهدين الأفغان قطاع طرق خارجين على الحكومة الشرعية يجب تأديبهم !

و لكن حينما يحاكم عميل شيوعى فى إحدى الدول ويلقى القصاص العادل

تقوم دنيا الشيوعية ولا تقعد على نحو ما قال القائل :

قتل امرىء فى غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر ! !

أيها العرب، أيها المسلمون انتبهوا قبل أن تتحولوا إلى موالين يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون، انتبهوا، فان مشكلاتكم لن تحل فى واشنطون ولا موسكو، ولا باريس ولا لندن، وإنما تحل على أرض إسلامية وبأيد متوضئة على مستوى صلاح الدين الأيوبى رحمه الله .

انتبهوا و اعتبروا بالأحداث و تعاملوا مع هؤلاء الناس بوعى كامل بماضيهم و لا تنسوا توجيه الخبير العليم الحكيم لكم فى قرآنه الكريم حيث يقول عز من قائل :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، و من يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » (المائدة / ٥١ ، ٥٢) .

و يتوالى التوجيه و التحذير :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » (المائدة ٥٧) .

و من أصدق من الله قيلا ؟ و من أصدق من الله حديثاً ؟

# المقياس الاسلامى للنقد الأدبى

الدكتور محسن عثمانى الندوى
الأستاذ المساعد فى قسم دراسات غرب آسيا
جامعة جواهرلال نهرو - نيودلهى

ما كان الدين خارجاً من نطاق الأدب فى أى زمن بل الواقع أن الأدب قد نشأ وترعرع فى محاضن الدين فى جميع الأقطار والأمصار، وإن هذا الانفصام و الفطام و قطع الأواصر بين الأدب و الدين ظاهرة جديدة تولدت فى العصر الحديث عنــد ما داعت و انطلقت الفكرة العلمانية فى أوربا و تم الانفصال بين الكنيسه و الدولة، الواقع أن كليهما مرتبط واحد بالآخر ارتباطاً طبيعياً لا فكاك بينهما، و إن الخصام بينهما لا يقع إلا فى ظروف تاريخية و لا سباب خارجية وطارئة فى فترة من الزمن، فزمان قسوة أهل الكهنوت على رجال العلم ليس ببعيد وما يوم حليمه بسر، لقد صب أهل الكنيسة جام الظلم و الاضطهاد على العلماء حول مسائل كروية الأرض و حادثيتها فنشأ الأدب العلمانى المضاد للدين فى خضم هذا الصراع و ناء بكلكله المسموم على القيم الأخلاقية و الروحيه و نادى بالتحرر من الدين و اعتبر الفكرة الدينيه حرباً على الفن ومطاردة له وأمعن رجال الأدب العلمانى فى تشويه صورة أهل الدين ففضحوا عيوبهم و مثلوهم فى صور تبعث على الاشمئزاز و الامتعاض و يتندى لها الجبين.

و من سوء الحظ أن الأدباء و الكتاب فى الشرق الاسلامى - فى الهند و على ساحة العالم العربى - اقتفوا آثار الغرب و سلكوا على منواله، إنهم قلدوا الغرب فى الصنوف الأدبية الحديثة مثل القصة والرواية والمسرحية - إنهم أخذوا

هذه الأصناف من الأدب بعد احتكاكهم بالغرب و لم يأخذوا الفن و التكنيك و الشكل فحسب بل أخذوها بمضامينها و موضوعاتها و قلدوه تقليداً أعمى ، فبدأوا يصورون أهل الدين فى رواياتهم وقصصهم تصويراً بشعاً كأنهم فاقدوا العقل والشعور و عاطلون من الآداب و مكارم الأخلاق ، فأصبح دور رجال الدين فى الأدب الحديث دوراً ممجوجاً يوحى بالنفور و الازدراء ـ و شهد العالم الاسلامى حركة التغريب والارتشاف من ينابيع الفكر الغربى ، و ممن قاموا بهذه الحركة لطفى السيد و قاسم أمين وسلامه موسى و محمد شعلان و لويس عوض و زكى نجيب محمود ومن لف لفهم و دب دبيبهم هؤلاء وأمثالهم وأتباعهم فى عصرنا هذا فبثوا الأفكار الزائفة المستوردة و ربنوها و مازالوا فى النفوس و فى الجيل الجديد وراء ستار الفن و الأدب و باسم الفن للفن أو باسم الواقعيــة و باسم الوجودية و تحت المصطلحات الحديدة الأخرى ـ فاننا نرى الآن أن أسنان قرش الأدب المــاجن والخليع تعضنا من كل جانب بلا هوادة ، ولا ترقب فينا إلا ولا ذمة ، ولم يكن أمامنا مفر من الالتقاء على مائدة الجهامة و الألم .

فقد آن الأوان أن تستنفر الأقلام الاسلامية لدحض البـاطل و مطاردته واسترجاع سلاح الأدب وإخلاء الساحة الأدبية من الكفرة الفجرة كيلا يتمكنوا من تزييف صورة الدين وأهل الدين ولكى تعلو كلمة الحق ، والحق يعلو ولا يعلى .

ومن الأدعية المأثورة « اللهم أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه و أرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه » وأرنا الأشياء كما هى : فان الرؤية الصحيحة إلى الكون والانسان و الطبيعة هى الحق . وإن الانحراف عن ذاك هو الباطل ، وإن الرؤية الصحيحة هى رؤية إسلامية فاذا ما قررنا أن إسلامية المقاييس هى الحق و ما خلاها هو البـاطل ، فلا يكون الأدب إسلامياً إلا إذ تأصلت جذوره ، فى القيم الاسلامية

إن رؤية الأديب إذا خالفت الرؤية الصحيحة وهي الرؤية الاسلامية فكان خرج على الحقيقة و الواقعية و ضل فى متاهات الجهل و الهوى و انحرف عن الدرب الصحيح، و ظلم نفسه وغيره و فسد و أفسد و ضل وأضل و سبب ظهور الفساد فى البر و البحر ، فان حقيقة الأدب الاسلامى هى اجتماع المقاييس الفنية الجمالية و المقاييس الاسلامية الأخلاقية فى قطعة نثرية أو شعرية ،هناك كثير من المقاييس للنقد الأدبى بما فيها مقاييس بلاغية و بيانية و نحوية و لغوية و إنسانية وعقلية، إن الأدب الاسلامى لا يلغى هذه المقاييس بل يدعمها ويقويها إن القرآن الكريم فى مكانة أرفع من ناحية هذه المقاييس ، و الأدب الاسلامى المستمد من القرآن أو روح الدين يضيف إلى هذه المقاييس مقياس الرؤية الصحيحة و الصالحة و الايجابية ، و إن الأدب الاسلامى هو أدب ( ملتزم ) و هادف مثل الأدب الشيوعى الماركسى - يستمد الأدب الماركسى القوة من نظريات ماركس و أتباعه، النظريات التى هى معاول هدم للانسانية - إن الأدب الاسلامى يستمد من روح النبوة التى هى الرحمة للبشرية جميعاً و لكل عصر و مصر .

إن الأدب الاسلامى يراعى كل الرعاية المقاييس الجمالية و الفنية ، إن الله جميل يحب الجمال ، إن الدين إنما هو جمال العقيدة و السلوك ، و إن الأدب غير الاسلامى الناشى فى أحضان الغرب وأكناف المجتمعات الحديثة يقوم بالاخلال فى النظام ، إنه يحرض الشهوات العارمة للجنس و إنه لا يرى الجمال إلا الجمال الظاهرى ولا يعرف المتعة إلا متعة الجسد، و يتفحش فى مغازلة النساء ويرغب فى إثارة أو إسعار الجنس فى النفوس ، إنه لا يعرف حقيقة الجمال و انعكسات الجمال الالهى ، و فى ذلك قال الشاعر الاسلامى الكبير محمد إقبال .

حسن کا گنج گرانمایہ تجھے مل جاتا
تو نے فرہاد نہ کھودا کبھی ویرانہ دل

يلمح الشاعر إلى قصة « شيرين و فرهاد » الغرامية الفارسية ويقول مخاطباً لفرهاد الذى حاول شق نهر الحليب من الجبل: بامكانك أن تعثر على كنوز الحسن والجمال الدفينة الثمينة و لكنك لم تحفر أبداً خراب قلبك و فؤادك و أتعبت نفسك فى تقبيب جلمود صخر .

فان أدباءنا الذين يحاولون الجرى وراء هذه الانحرافات الأدبية الاخلاقية المتفشية فى المجتمعات الغربية ، إنهم يزيفون الواقع ويقلدون دون تفكير و روية . إن الأدب الاسلامى الذى نجتمع الآن تحت لوائه لا يمتنع عن ذكر الجنس ولكنه يتعرض له ، بطريقه إيجابية و بناءة — توجد فى القرآن الكريم سورة يوسف و فيها قصة تناولت قضيه الجنس وقضية الضعف البشرى بكل ملابساته ، و انحرافات النفس الانسانية و نزوعها إلى الشر ، و لم تكتف القصة على تصوير مواطن الضعف فقط بل صورت جوانب إيجابية بما فيها العفة و الطهارة و الانتصار على الغرائز الجامحة و الصراع العنيف بين الفضيلة و الرذيلة ، إنها قصة جنس بمعنى الكلمة ، وبكل مقومات القصه وبعنصر الاثارة و المتابعة ولكن تنتصر الفضيلة على الرذيلة و قوة الروح على النزعات الجسدية فى النهاية ، ويقف بطل القصة إنساناً كبيراً صامداً كالعلم فى مواجهة الثورة الغريزية الحارقة .

إن الأديب المسلم يستجد هذه الروح الاسلامية ولا يرغب فى إفشاء نزوات الجنس ، إنه عف اللسان وعف القلم ، إن ضميره يعاف إثارة غريزة الجنس الملتهبة بل يحاول تهدئتها ويقف موقف الاعتزال . لأن الجنس ضرورة للنمو البشرى على المعمورة .

فان الأدب الاسلامی یلتزم بالمقاییس الفنیة و المقاییس الاسلامیة فی وقت واحد ، و إن هذا الالتزام بأساسین لازمین إنما هو المقیاس الاسلامی للنقد الأدبی و یستخرج من هذا أن الأدب الاسلامی لا یتکون إلا بوجود هاتین الدعامتین ، دعامة الفن ودعامة الروح الاسلامیة — فاذا تهدمت و انهارت إحدی هاتین الدعامتین فلا وجود علی الاطلاق للادب الاسلامی ، و إذا بقی أساس الفن و انهار أساس الدین انهار أساس الأدب الاسلامی — فلا مجال فی الأدب الاسلامی لمثل هذا البیت ، و ناقل الکفر لیس بکافر .

سلام علی کفر یوحد بیننا و أهلا وسهلا بعده بجهنم

( الشاعر القروی . . . عید الوحدة )

ولا یحسبن أحد أنه لا مجال لأدب الاستمتاع فی الأدب الاسلامی ، إن الدین لا ینکر الاستمتاع ببهجات الدنیا ، و فی نصوص القرآن والسنة « ولا تنس نصیبك من الدنیا » « و إن الدنیا خلقت لکم » ولکنه لا یحب الاغراق فیه و الاخلاد إلیه ، إن الدین یحب الترویح عن النفس حتی لا یمل القلب فحمد ، ولذلك أری أن موقف الدین نحو أدب الاستمتاع موقف لین و لکنه لا یفضله و لا یشجعه کثیراً حتی یجنی علی صنف الأدب الهادف الملتزم و إن المسلم شخص هادف فان أدبه أدب هادف کذلك .

و إذا سأل أحد هل یوجد مصطلح الأدب الاسلامی فی تاریخنا القدیم و لماذا الاصرار علی ذلك ؟ فنقول إن الأدب قدیماً کان إسلامیاً و لم تکن أیة ضرورة إلی « أسلمته » ولم تکن توجد المذاهب الأدبیة الهدامة آن ذاك ، فلم تکن أیة ضرورة إلی إیجاده مذهباً ومصطلحاً جدیداً باسم الاسلام ولکن إذا استعرضنا تاریخ النقد القدیم فاننا نعثر بالضرورة علی وجهات النظر الاسلامیة والبحث حول صلة الأدب بالدین ومنهم من أیدوا و أثبتوا هذه الصلة الوثیقة و منهم من قالوا

إن الشعر بمعزل عن الدين ولكنهم استنكروا تلك الأبيات التى تطاول فيها الشاعر على الذات الالهى أو شوه صورة الدين أو قام بتمويه المفاهيم الاسلاميـــة ، فهناك بحوث نقدية حول صرورة القيم الاخلاقية فى الأدب على امتـــداد تاريخ الأدب العربى الذى كان المحضن الأول للادب الاسلامى ، ونجد فى هذا الميدان النقدى أدباء و نقاداً مشهورين مثل الباقلانى و الثعـالبى و ابن رشيق القيروانى و عبد القاهر الجرجانى والصولى و ابن شرف القيروانى والقاضى جرجانى و قدامة ابن جعفر و الأصمعى و ابن مسكويه و ابن حزم ، ونجد فى كتب الأدب وتاريخ النقد مواقف مختلفة و يمكن أن نجد بعد ذلك من تغاضى عن غزل فاحش ولكن لا تجدن أحداً شجع هذه النزعة أو استحسنها أو شن الحرب فى دعمها ، و على نقيض ذلك سترى كثيرين منهم أخذوا على هذه النزعه و انتقدوها نقداً لاذعاً .

ولا ينبغى أن ننسى الفروق بين القديم والجديد وقد أصبح الأدب فى هذا العصر الجديد أداة للغزو الفكرى و سلاحاً فى أيدى المفكرين الضـالين المضلين و لا يمكن أن نترك هذه الأسلحة الهدامة الفتاكة و الترسانة الكبيرة من الأدب فى أيدى الخصوم الذين يريدون أن ينالوا من الفكرة الدينية ويهاجموا عليها

و هذه هى المأساة التى نعانى منها نحن المسلمين فى شبه القارة الهندية ، و هذه هى الكارثة التى يقاسى منها إخواننا العرب المسلمون على صعيد العالم العربى ، هذا و لقد شاء الله أن يتم لنا لقاء ومعرفة و تعاون ثقافى مبارك (١) على خط فكرى جهادى واحد لنتمكن من الخروج من حالتنا المتردية الراهنة ونقوم بمناهضة الأقلام الآثمة المجرمـــة متواصين بالحق و متواصين بالصبر فى ظرفنا الاسلامى المشترك العصيب حتى لا يبقى الباطل قوياً مصعراً خده ومختالا على أرض ليست له .

---

(١) إشارة إلى مؤتمر رابطة الأدب الاسلامى الذى عقدته ندوة العلماء فى يناير الماضى .

# دراسات و أبحاث :

من روائع تراثنا :

## غراس الأساس لابن حجر:

### مخطوطة ترى النور

تحقيق و تعليق : الدكتور توفيق محمد شاهين
جامعة الأزهر

مخطوطة « غراس الأساس » ، للامام الحافظ ابن حجر العسقلانى ، تدل على حس لغوى دقيق ، و تمكن بلاغى عميق ، و بصر بالاستعمال اللغوى للفظة ، و تدرجها فى مواطن الحديث و الأسلوب . . . أحس به و تمكن منه المحدث الفقيه ، و الأديب اللغوى ابن حجر - رحمه الله - . لحطه يراعه من وحى علمه باللغة ، و تدوقه لأفانين البلاغة ، و فصيح العبارات و الأسلوب . .

و المخطوطه - بالتالى - تأييد علمى لما جاء فى معجم ( أساس البلاغة ) للعلامة جار الله محمود الزمخشرى ، صاحب الصيت السارى ، و النفع الجارى . . وتعليق ذكى على ما عده الزمخشرى من الاستعمالات المجازية فى بعض الألفاظ . . و تأكيد علمى على صحة ما جاء فى « الأساس » العتيد و المشهور ، و المعروف للقاصى و الدانى ، و الشادى و الأديب . وأخيراً : هى نقض لمقولة - معوقة - بأنه ما ترك الأوائل للأواخر شيئاً .

و إذا أضافت هذه المخطوطة لبنات كمال لأساس الزمخشرى ، فهى أمارة فهم و جمال علماء لابن حجر . .

وقد قدمتها حديثاً للطبعة ، لترى النور ، بعد عناء نسخ ، وتحقيق ، وتمحيص و تعريف ، و تشكيل ، و جهد كبير .

نجد موجز وصفه فى هذه المقدمة :

مؤملا أن يخرج الكتاب فى صورة تناسب جلاله ، و شرف موضوعه ، فى أخطاء نادرة ، و موضوعية تحقق الأمل والنفع بفضل الله ، فان عثرت - مع محاولة تجنب الخطأ ما أمكن - فمعذرة ، و إلا :

فمن ذا الذى ما ساء قط     و من له الحسنى فقط ؟ !

✠ ✠ ✠

حث الاسلام على العلم ، و رفع درجة العلماء ، و جعلهم ورثة الأنبياء ، و أهل الثقة و الأمانة ، و أصحاب الخشية من الله تعالى ، يؤدون العلم للناس — كل الناس — و لا يكتمونه .

و قد أدى كثير من علمائنا - رضوان الله عليهم أجمعين - واجبهم تجاه الله سبحانه و الانسانية ، و أسهموا إسهاماً إيجابياً فى بناء صرح الحضارة الانسانية ، ابتغاء وجه الله تعالى ، و حب العلم و الاسلام .

وبرغم الصعوبات التى واجهتهم فى تعلم العلم وتعليمه ، و التأليف والتصنيف وبرغم انعدام الوسائل التقنية فى زمانهم فانهم ما قصروا فى واجبهم برغم المشقات ، و ما توانوا فى الاسهام البناء ، لما فيه رفعة دينهم و رفاهية دنياهم ، و سعادة الانسانية .

و بفضل الأقدمين من علمائنا نحن - و لله الحمد - من أغنى الأمم قاطبة بالمخطوطات العربية ، أوصلها بعضهم فى مكتبات الدنيا الشهيرة و المعروفة والمجهولة إلى الملايين .

و ضاع على الانسانية الشئ الكثير من جراء الاعتداء التترى الغاشم على مكتبة بغداد العظيمة ، و كذلك الاعتداء الهمجى على مكتبات الأندلس عقب خروج المسلمين منها ، فضلا عن الكوارث الطبيعية كذلك ، بسبب الجهل و سوء التقدير للكنوز العربية المخطوطة فى تراثنا فى دنيا المسلمين الواسعة .

و علماؤنا بتأليف هذه الكنوز برهنوا للدنيا : أننا لسنا نقلة بريد ، أو مقلدين لغيرنا ، أو أن غيرنا يعوقنا عقلية و ذكاء وهمة . . بل إن الدنيا لتشهد أن ثقافتنا كانت السبب فى نهضة أوروبا و العالم الغربى ، حين صحوا و غفونا ، و حين جدوا و اتحدوا و تكاسلنا و تفرقنا

و كان معظم تأليف علمائنا على أسس منهجية سليمة . وتفكير متزن قويم . شهد بذلك المنصفون و المخلصون للعلم ، على نحو ما يحكى الدكتور على الخطيب فى رسالة « تراثنا المخطوط » عن المستشرق ( فوتيه كرايمر ) حين يقول :

« إن أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جلياً فى حقل المعرفة التجريبية ، ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطاً واجتهاداً عجيبين حين يلاحظون و يمحصون ، و حين يجمعون و يرتبون ما تعلموه من التجربة ، أو أخذوه من الرواية . . . و بصفتهم أصحاب ملاحظه دقيقه و فكر و إبداع فانهم قد أتوا بأعمال رائعة فى حقلى الرياضيات و الفلك ، و للسبب ذاته نجح العرب فى التشريع ، و فى وضع قواعد اللغة من نحو و صرف فى شكل شامل محكم » . اه

فلا عجب أن جاءنا منهم سيل من روائع المخطوطات حين لم تكن هناك مطابع .

و قد جد علماء الغرب فى البحث عن مخطوطاتنا و الافادة والاستفادة منها و نشر روائعها . . و بقى أن يجد العرب و المسلمون فى ذلك الصدد أكثر مما هو كائن ، حين صحوا و التفتوا إلى تراثهم ، و الله خير معين .

و مخطوطه « غراس الأساس » ـ التى نحن بصدد الحديث عنها ، وتحقيقها ، والتقديم لها : إحدى روائع مخطوطاتنا . ومن أعلى نصوصها ، لأنها حملت عنوان الكتاب و اسم المؤلف ، و الاشارة إلى انتهاء الكتاب ، و موضوعها جليل ، لأنه يتناول

عملا قاموسیاً معجمیاً لخدمة لغة الضاد ، فی نوع فرید من القوامیس و المعجمات لم نألفه من قبل و لا من بعد ، و هی من آثار علامة ما زال ملء سمع الدنیا و بصرها - هو ابن حجر العسقلانی - توثیقاً و استدراکا لامام علامة یکن له المفکرون التقدیر والاحترام ، هو الالمعی : الزمخشری جار الله ، رحمهما الله تعالی .

و سیجد القاریء الکریم فی هذا التقدیم تعریفاً بالمخطوطة و قیمتها ، وأهمیة موضوعها ، و بالامامین ، و بجهدی المتواضع فیها . . وأسأل الله سبحانه أن ینفع بها ، و أن یجعل ذاك فی موازین عملی ، و أن یلهمنی السداد والتوفیق .

الامام الزمخشری و أساسه :

هو إمام عصره : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمی الزمخشری ، رحمه الله رحمة واسعة ، و قیل له : جار الله ، لأنه جاور زماناً بمکة المکرمة .

ولد فی ٢٧ رجب سنة ٤٦٧هـ ، فی قریة زمخشر من أعمال خوارزم ، و توفی لیلة عرفة سنة ٥٣٨هـ بها .

شدت إلیه الرحال ، وتتلمذ علی کبار العلماء ، حتی صار علماً و إماماً فی : الحدیث ، و التفسیر ، و الأدب ، و النحو ، و اللغة ، و البلاغه ، و الفقه ، و الأصول ، والشعر والرسائل والأمالی النافعة فی کل علم و فن . و له تلامیذه و مریدوه الأعلام .

و من تألیفه القیمه الخالدة: الکشاف فی تفسیر القرآن الکریم . و الفائق فی تفسیر الحدیث ، وروس المسائل الفقهیة ، والرائض فی علم الفرائض ، والمنهاج فی الأصول ، و شافی العی من کلام الشافعی ، و معجم الحدود ، ومتشابه أسامی الرواة ، وربیع الأبرار . . . .

و له أيضاً : المفصل فى النحو ، و المفرد و المركب فى العربية ، و المحاجاة بالمسائل النحوية ، و الأنموذج فى علم العربية .

وله أيضاً : أساس البلاغة فى اللغة ، ولم يبلغ كتاب قبله فى التمييز مبلغه ، فصل فيه ـ لأول مرة ـ بين الحقيقة و المجاز .

و كذاك له : المستقصى فى الأمثال العربية ، و البدور السافرة فى الأمثال السائرة و ديوان التمثيل ، و شقائق النعمان فى حقائق النعمان ، و مقدمة الأدب فى اللغة ، و ديوان الرسائل ، و ديوان الشعر و الرسائل الناصحة ، و القسطاس فى علم العروض ، والنصائح الكبار ، و النصائح الصغار ، وضالة الناشد . . إلخ

و من نماذج شعره نلمس خلاله و صفاته ، و اعتداده بنفسه ، و تضرعه إلى ربه ، و سهره الليالى فى طلب العلم :

يقول مادحاً تفسيره الكشاف كتقرير حقيقة ، لا كبراً .

إن التفاسير فى الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمرى مثل كشافى

و ينشد لغيره عند تفسير قوله تعالى : « إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » :

يا من يرى مد البعوض جناحها فى ظلمة الليل البهيم الأليل
و يرى عروق نياطها فى نحرها و المخ فى تلك العظام النخل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته ما كان منه فى الزمان الأول

و قيل : إنه أوصى بأن تكتب على لوح قبره .

و ندرك سر نبوغه و حرصه على طلب العلم حين يقول :

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى من وصل غانية و طيب عناق
و تمايلى طرباً لحل عويصة أشهى و أحلى من مدامة ساق

و صرير أوراق على أوراقها　　أحلى من الدوكاه و العشاق

و ألذ من نقر الفتاة لدفها　　نقرى لألقى الرمل عن أوراقى

أبيت سهران الدجى ، و تبيته　　نوماً ، و تبغى بعد ذاك لحاقى

**الأساس : منهجه و ميزته .**

معجم أساس البلاغة ، للعلامة الزمخشرى ، له قيمة كبيرة فى دنيا المعاجم العربية ، لأنه هدف ـ بجانب التوضيح اللغوى للفردات ـ إلى بيان و معرفة الحقيقة والمجاز فى الأساليب العربية ، وهذا يعين على معرفة وجوه الاعجاز وأسرار البلاغة فى القرآن الكريم ، و الحديث النبوى الشريف ، و النصوص العربية فى أساليبها المتنوعة والمنتقاة، و يساعد على التمرس بتذوق البيان العربى بأسلوب عذب و محاكاة الأساليب الفصيحة فى تعابير متنوعة أدبية .

يقول رحمه الله ، فى مقدمة الأساس :

« و من خصائص هذا الكتاب : تخير ما وقع فى عبارات المبدعين ، و انطوى تحت استعمالات المفلقين . أو ما جاز وقوعه فيها و انطواؤه تحتها من التراكيب التى تملح و تحسن ، و لا تنقبض عنها الألسن ، كجريها رسلات على الأسلات ، و مرورها عذبات على العذبات .

و منها التوقيف على مناهج التركيب و التأليف ، و تعريف مدارج الترتيب والترصيف ، بسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بدادا ، ومتناظمة لا طرائق قددا .

مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مراشد حر المنطق ، الدالة على ضالة المنطيق المفلق » .

ورتب الألفاظ فى معجمه هذا على طريقة الأبجدية العادية : حسب الحرف

الأول ، مراعياً الحرف الثانى والابتداء به من أول الحروف الهجائية : ( الألف ، و الباء ، و التاء ، و الثاء ، ) إلخ .

و جرد الكلمة من الزوائد ، و أرجع الكلمة إلى أصلها .

و ذكر المعانى الحقيقية للمادة أولا ، ثم ذكر المعانى المجازية للمادة ثانياً

و بفصله المعانى الحقيقية عن المجازية امتاز معجمه على المعاجم السابقة عليه و حقق الهدف من تأليفه .

و أتى بشواهده من أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية ، و روائع الشعر و منثور الأدب ، و مأثور الحكمة و المثل .

و أخذ العلماء على الأساس : الاختصار الذى أدى إلى ترك بعض المواد أحياناً ، و كذلك إطلاقه لفظ المجاز بعامة على كل الاستعمالات المجازية دون تفصيل ، و لم يهتم بنسبة الأقوال إلى أصحابها شعراً أو نثراً إلا ما ندر .

و تبع الزمخشرى فى ترتيبه لقاموسه بعد ذلك قواميس أخرى ، سهل الأمر على المتعلمين و الباحثين و العلماء ، مثل .

المصباح المنير ، لأحمد بن محمد الفيومى ( ٧٧٠ھ ) ، و محيط المحيط للبستانى ( ١٨١٩ - ١٨٨٣م ) .

و أقرب الموارد فى فصيح العربية و الشوارد ، للشيخ سعيد توفيق الشرتونى ( ١٨٢٩ - ١٩١٢م ) .

و المنجد ، للأب لويس معلوف اليسوعى ( ١٨٦٧ - ١٩٤٦م ) ، و مختار الصحاح ، لمحمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ، و إعادة ترتيب الصحاح ، للشيخ محمود خاطر ، و كذلك المعجم الكبير ، و المعجم الوسيط ، الذى صدر أخيراً عن المجمع اللغوى بالقاهرة .

فهو رائد المدرسة الأبجدية فی دنیا القوامیس، و أول من فرق فی الأساس بین الحقیقة و المجاز .

الحافظ ابن حجر و مخطوطته :

هو الحافظ شهاب الدین أبو الفضل : أحمد بن علی بن محمد بن حجر ، الكنانی الشافعی العسقلانی ، المعروف بابن حجر العسقلانی .

ولد بمصر سنة ٧٧٣ﻫ ، و نشأ بها و حفظ القرآن الكریم، و طلب العلوم الدینیة و العربیة ، حتی نبع فیها .

اشتغل بعلوم الحدیث فی الدیار الحجازیة ، و الشامیة ، و المصریة ، و أخذ الحدیث عن جلة العلماء ، و لا سیما الحافظ العراقی ، و تفقه علی البلقینی ، و ابن الملقن ، و غیرهما رحمهم الله ، و درس الأصلین علی العز بن جماعة ، و قرأ القراءات السبع عن التنوخی ، و أخذ اللغة عن مجد الدین الفیروز آبادی ، واللغة العربیة عن العماری، و الأدب و العروض عن البدر البشكی .

وأذن له أساتذته بالتدریس والافتاء ، وتصدی بعدئذ بعنایة للحدیث الشریف : مطالعة ، و قراءة ، و إقراء ، و تصنیفاً ، و درس التفسیر ، و الفقه ، و باشر الوعظ و الخطابة ، فی الجامع الأزهر ، و جامع عمرو بن العاص و غیرهما .

و باشر القضاء فی مصر إحدی و عشرین سنة ، و لقب بقاضی القضاة ، و أوحد الحفاظ .

و وفد إلیه الفضلاء ، و رؤس العلماء لیتزودوا من أدبه و فضله و علمه .

وبلغت تألیفه مأة وخمسین مصنفاً ، معظمها فی علوم الحدیث الشریف، منها : الاصابة فی أسماء الصحابة ، و تهذیب التهذیب ، و التقریب ، و تعجیل المنفعة ، و مشتبه النسبة ، و الدرر الكامنة فی أعیان المائة الثامنة ، و تلخیص الخبیر فی

تخریج أحادیث الرافعی الکبیر ، و تخریج المصابیح ، و تخریج الکشاف ، و ابن الحاجب ، و إتحاف المهرة ، و المقدمة ، و بلوغ المرام ، و نخبة الفکر و شرحها ، و القول المسدد فی الذب عن مسند الامام أحمد . . إلخ .

و من أجل کتبه : فتح الباری فی شرح صحیح البخاری ، رضی الله عنه ، الذی دل علی ألمعیته و جلالة قدره ، کتب مقدمته ٨١٣ھ ، و بدأ تألیفه ٨١٧ھ ، و انتهی منه فی غرة رجب ٨٤٢ھ .

وله أیضاً دیوان شعر ، ودیوان الخطة ، و« الغراس » الذی نحن بصدد تحقیقه .

و أملی من حفظه الشیئ الکثیر ، و انتشرت کتبه فی حیاته ، و تهاداها الملوك و الأمراء .

وعاش حیاته متواضعاً ، حلیماً ، صابراً ، کریماً ، صواماً ، متهجداً ، ورعاً ، یجل المتقدمین ، ویحترم المتأخرین ، دمثاً فی أخلاقه مع کل من یخالطه أو یجالسه ، کریم النفس و الخلق و المال .

کما کان ظریفاً فکهاً ، مهضوم النفس ، یمیل إلی النکات اللطیفة ، والنوادر الظریفه .

واستأثرت به رحمة الله تعالی ، فی لیلة الثامن عشر من ذی الحجة سنة ٨٥٢ھ أجزل الله ثوابه ، و أمطر علیه شآبیب رحمته و رضوانه ، و نفع بعلمه . وجزاه عنا و عن الاسلام و المسلمین خیر الجزاء .

« یتبع »

# أخطاء المستشرقين حول أبي العلاء المعرى

بقلم : أديب العربية الأستاذ عبد العزيز الميمنى

تعريب الأخ حشمة الله الندوى

كنت قد قرأت بيتاً من شعر المتنبي خلال دراستى لتاريخ الأندلس ، يمدح فيه أحد علمائها ، و ذلك كما يأتى !

كبرت حول بيوتهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

و الحقيقة أن الشاعر لم يبالغ فيما رآه من أن أهل الأندلس يستحقون كل فضل و ثناء ، و قد مضت مآت من السنين و لكن لم يظهر أى شعب على مسرح العالم يعشق العلم كما كان يعشقه أهل الأندلس ، و لا يرجى أن يظهر مثل هذا الشعب فى المستقبل .

و لذاك فليس عجيباً أن تطلع شمس العلم من البلاد الغربية ، و لكن مما يبعث على الأسف أن هذا الوضع لم يدم ، و لم يستمر طويلا ، فظلت هذه الشمس تطلع من جهة الشرق ، ثم تغير مجرى الأحداث ، وامتلك الغرب زمام العلوم و الفنون منذ مائة سنة تقريباً ، و استغل تلك الثروة العلمية التى خلفها سلفنا ، و لم نقدر قدرها ، و تخلفنا نحن المسلمين فى كلا المجالين ، فى مجال السياسة و الحكم ، و فى مجال العلوم والفنون ، و كان العدو نشيطاً ، فكرس جهوده على إحراز الفضل و التقدم فى مجال العلم و الفن ، حتى حقق إنجازات علمية كبيرة تبعث على الاعجاب ، ولكنها لم تستطع أن تنبهنا من الغفلة والسبات التى تعودناها منذ أمد بعيد .

وإن أوربا لم تقم بخدمة علومها فحسب، بل استولت على تلك العلوم والفنون التى تعد من ثروتنا العلمية الخاصة ، و جعلتها مجالا للبحث والدراسة، واستعرضت آلافاً من مكتبات الشرق و الغرب ، و استخرجت منها كثيراً من الكتب النادرة التى لم تكن فى متناول اليد ، وبذلت جهوداً مضنية فى ضبطها و تحقيقها وإخراجها، و أضافت إليها حواشى و تعليقات قيمة ، و قامت بنقلها إلى اللغات الأوربية .

و لكن أوربا ـ بالرغم من أنهـــا قامت بخدمات جليلة للغات و العلوم الشرقية ـ لم تستطع أن تتجنب السلبيات التى تطرقت إلى أعمالها، ولذلك فكانت الحاجـة ماسة إلى كشف ما فيهـا من اعوجاج و انحراف ، و عرض ما قام به علماؤنا من خدمات علمية واسعة .

وتحقيقاً لهذا الهدف السامى بدأت كتابة مقالات حول «أبى العلاء المعرى»، و نشر أول مقال لى فى مجلة « معارف » الأردية بعنوان « المعرى و معارضـــة القرآن الكريم » و قـــد ألف ـ أخيراً ـ كاتب هـــذه السطور كتاباً حول أبى العلاء ، باسم « أبو العلاء و ما إليه » ، ورأيت أن الأوربيين قد أعجبوا بأفكار أبى العلاء الحرة إلى درجـة أنهم ألفوا العديد من الكتب باللغات المختلفـــة من الانجليزية و الألمانية و الفرنسية وما إلى ذلك ، و هى تشتمل على الغث والسمين من المعلومات عن هذا الشاعر، فكان من الواجب أن أتناول هذا الموضوع الذى طرقوه مراراً ، و لكنهم وقعوا فى أخطاء شنيعة ، وأرجو من القراء أن يراجعوا كتابى « أبو العلاء و ما إليه » للدراسة المفصلة ، و قد نشر منذ مدة .

و لا يهمنى فى هذه العجالة إلا تلك الأخطاء الشنيعة والتناقضات التى تعرض لها المستشرقون خلال دراسة حياة أبى العلاء، يؤسفنى أنى لم أتمكن من الاستفادة

من الكتب التى ألفت باللغة الفرنسية والألمانية مباشرة، ولكنى اطلعت على ترجماتها و عرفت ما فيها من أخطاء و تناقضات .

و أتناول أولا الأخطاء التى صدرت من قلم مرجليوت و نكلسن ، و قد تعرضت لمثلها أوربا كلها .

لقد كتب مرجليوت مقدمة مسهبة تحتوى على مواد علمية قيمة على رسائل المعرى التى طبعت فى أوكسفورد سنة ١٨٩٨م ، و تمتاز هذه المقدمة بالموضوعية و الأسلوب العلمى الرزين ، و اتبع هذه الطريقة نكلسن فى مقاله « تاريخ الأدب العربى الذى تتضمنه الموسوعة الاسلامية ، و فى «دراسات حول الشعر الاسلامى» و قد وضعت للاشارة إلى الكتب الأربعة التى تناولتها بالدراسة و النقد أربع علامات ، وهى : م ، و آداب ، ودائرة ، وأفكار .

تحتوى مقدمة مرجليوت على ٣٣ صفحة ، و لا يتجاوز ما كتبه نكلسن حول حياة أبى العلاء ست صفحات، وربما تبعث هذه الأخطاء القراء على الدهشة والاستغراب ، على أنى صرفت النظر عن كثير منها ، وقد تعمد مرجليوت المزيد من الأخطاء فى ترجمة رسائل المعرى ، و تصحيح ترجمة المعرى اعتماداً على معجم الأدباء ، هذه الأخطاء ستأخذ الكثير من القراء و لذلك لا أتعرض لها الآن .

و كما أن نكلسن ارتكب أخطاء كثيرة يصعب عدها فى التعبير عن أفكار المعرى ، و ترجمة رسالة الغفران ، كذلك نجد باحثاً آخر قد ألف كتاباً مستقلا باللغة الانجليزية حول حياة المعرى ، و هو مليئ بالأخطاء ، و الجدير بالذكر أن هذا الكاتب لا يعرف اللغة العربية ، و لذلك فان دراسته لا تحمل أهمية علمية كبيرة .

## أخطاء مرجليوت :

تعددت أنواع الأخطاء التى وقع فيها مرجليوت ، فينبغى أن نذكرها تحت عناوين مختلفة .

١ - قصور العلم .

أخطأ مرجليوت فى فهم عبارة رسائل المعرى ، و هى : « و انصرفت و ماء وجهى فى سقاء غير سرب ، ما أرقت منه قطرة فى طلب أدب و لا مال ، و منذ فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسى باجتداء علم من عراق و لا شامى » (١) . يقول فى ترجمتها : إن المعرى يوجه رسالة إلى شخص يقول فيها : إنى لم أحتج إلى أخذ مال أوعلم من عراقى أوشامى منذ العشرين من عمرى (٢) .

و واضح أن هذه الترجمة الخاطئة نتيجة لخلط الجملتين من العبارة المذكورة أعلاه ، و الواقع أن المعرى لم يطلب المال من أحد قط ، لا قبل العشرين ، ولا بعدها ، و « منذ فارقت العشرين من العمر ما حدثت نفسى باجتداء علم من عراق و لا شامى » جملة مستقلة ، و معناها أنه لم يطلب العلم من عراقى و لا شامى منذ فارق العشرين .

٢ - ذكر الذهبي و ابن خلكان رواية عن كتاب «الأيك و الغصون» الذى يعتبر أعظم كتاب لأبى العلاء المعرى ، و هى : « و قد ذكر بعض الفضلاء أنه وقف على المجلد الأول منه بعد المائة ، قال : ولا أعلم ما يعوزه بعد ذلك» و يستفاد من هذه الرواية أن الراوى اطلع على ١٠١ جزء من الكتاب ، و لم يطلع على ما يتلوه من مجلدات و لكن مرجليوت (٣) أخطأ فى ترجمة كلمة « يعوز » فقال : إنه كان يقع فى ١٠١ مجلد ، و كان من

(١) م . ص ٣٢ . (٢) م . ص ١٥ (٣) م . ص ٢٩ .

الأهمية بمكان أفقد جميع الكتب أهميتها و قيمتها ، و إن ما ذهب إليه مرجليوت لا يتفق و مغزى الرواية ، لأن الراوى لم يقصد بقوله : و لا أعلم ما يعوزه ذلك « ما فهمه مرجليوت ، وإن كلمة « الاعواز » لا تعنى التعطيل ، كما ظن صاحبنا .

٢ - و ابن فورجة (١) أصبح عنده فى الانجليزية ( Ibn Faurajah ) والصواب أن يكتب ( Ibn Furajjah ) كما ضبطه صاحب «فوات الوفيات» و توجد نسخة (٢) خطية فى مكتبة ببليوثك نيشيونال بباريس ، وردت فيها هذه الكلمة مشكلة هكذا ، و سنذكر بعض الأمثلة من هذا القبيل فيما بعد .

تصحيفات فاحشة :

قد يغير بعض الكلمات ويزيد فيها أو ينقص منها شيئاً ، نتيجة لعدم الروية و التفكير ، و فيما يلى بعض الأمثلة للتصحيف :

١ - سويقه غالب الذى سيأتى ذكره (٣) أصبح عنده سويقة بن غالب، و هو خطأ ، راجعوا معجم البلدان و ابن خلكان .

٢ - و أبو اليسر شاكر الذى ورد ذكره فى خريدة القصر و نكهة الهميان و غير ذلك من الكتب مراراً ، و الذى هو حفيد حفيد أبى المجد محمد أخى أبى العلاء يكتبه مرجليوت أبو النصر (٤) .

٣ - ينقل عن الأغانى (٥) أن أهل معرة رتبوا لأبى العلاء راتباً قدره ألف درهم سنوياً ، و ذلك بتوصية أبى تمام له بذلك ، والصواب أنه كان أربعة آلاف درهم ، كما ذكره صاحب (٦) الأغانى و وفيات الأعيان (٧) .

٤ - و يقول فى موضع : إن القاضى عبد الوهاب المالكى لما سافر من بغداد

(١) م ٢٦ . (٢) اطلعت على صورة منها فى لاهور .
(٣) م ٢٢ . (٤) م ٢٨ . (٥) م ١٣ .
(٦) الطبعة الثانية ١٨ / ١٦٩ . (٧) ٢ / ١٧٥ .

إلى مصر ... الخ ، وجاء فى موضع آخر « من مصر إلى بغداد . . » على حين أن الذى قام بهذا السفر شخص واحد ، والسفر أيضاً واحد ، والمصدر الذى اعتمده « هو وفيات الأعيان لابن (١) خلكان » فى كلا الموضعين ، و هذا التناقض نتيجة للكتابة غير الواعية .

دعاو فارغة :

إن علماء الغرب و تلاميذهم معجبون ـ بوجه عام ـ بالدعاوى الفارغة ، و هم يقطعون بأمر ينقصه الحجة و البرهان ، و لكنهم يقدمونه كحقيقة علمية ثابتة لا تقبل الجدل والنقاش ، وربما يعجب من يطلع على كتاباتهم بسعة اطلاعهم و دراستهم الواسعة .

و يمتاز مرجليوث من بين سائر المستشرقين بسعة الاطلاع والحدية ، ولكنه لم يستطع أن يتجنب من تأثير البيئة التى نشأ فيها ، ولذلك نجده مولعاً بالادعاء ، و إليكم بعض الأمثلة من هذا القبيل :

١ ـ إنه يزعم أن أسماء شعراء معرة التى وردت فى كتب التاريخ قليلة جداً ، نظراً إلى أهميتها السياسية ، وذكر فى الحاشية أسماء خمسة من الشعراء (٢) .

و إن هذا الزعم نتيجة لقلة المعرفة و عدم العناية بالبحث و الاستقصاء ، لأن عدد شعراء معرة أكثر بالنسبة لأهميتها السياسة ، و قد ذكرت ٧٥ شاعراً فى كتابى « أبو العلاء و ما إليه » و من أراد التفصيل فليراجع هذا الكتاب ، و هؤلاء الشعراء من بنى سليمان ، و بنى الدويدة ، و بنى أبى الحصين ، و بنى المهناز و غيرهم من القبائل .

(١) ابن خلكان ١/٨٣ ـ و فى طبعة مصر سنة ١٣١٠ﻫ ١/٣٠٤ .

(٢) م ١٣ .

٢ - يقول فى موضع (١) : إن أبا العلاء بعد ما أصبح مكفوف البصر كان يتمتع بشئ من البصارة عدة سنوات ، و يدل على دلك وصفه للأزهار و الحروف و ما إلى ذلك .

و إن هذه الدعوى لا تستند إلى دليل ، و يكذبها أبو العلاء نفسه ، فقد روى عنه المؤرخون أنه أصيب بالجدرى فى الرابعة من عمره ، و قد لبس ثوباً أحمر ، و فقد بصره فى تلك الحالة ، و لذلك فلم يكن يعرف من الألوان سوى الأحمر ، فلو كان متمتعاً بشئ من البصارة بعد إصابته بالجدرى لكان يعرف الكثير من الألوان غير الأحمر أيضا ، و نجد فى ديوانه « سقط الزند » قصيدة نونية فى وصف النجوم ، أظن أن مرجليوث لم يطلع عليها ، إن هذه القصيدة تشتمل على أبيات منقطعة النظير ، تبعث على الحيرة و الاستعجاب ، و لم يقل مثلها أحد من العميان (٢) و إن الجاحظ قد أبدى إعجابه ببيتين من شعر الأعشى و بشـار ، و ليس فيهما أى طراقة و إبداع ، فقال الصموى : إن الجاحظ لو سمع قصيـدة نونية لأبى العلاء لقضى منها العجب .

و الحقيقة أن المعرى كان قوى التصور مرهف الحس ، لأن ضعيف البصر لا يستطيع أن يصف النجوم قبل هذا الوصف البارع الذى يبعث على العجب ، و أما تشبيه الهلال بالنون فلا يستلزم أن يكون الشاعر بصيراً ، لأن هذا التشبيه كان معروفاً لدى الشعراء قبل أبى العلاء ، و لا غرابة فيما إذا كان الأعمى يعرف أن النون تكون مستديرة .

٣ — و يزعم (٣) أن أبا العلاء لمـا وصل إلى بغداد خاطب الامام أبا حامد الاسفرائينى بايعاز من القاضى أبى الطيب الطبرى ، لانقاذ باخرته .

---

(١) راجع التنوير ١/٩٢ و نكهة الهميان ٨٤ .

(٢) م ٢٤ .     (٣) م ٢٢ .

ولا يصدق الواقع هذه الدعوى ، لأن منزلة القاضى أبى الطيب وأبى حامد كانت سواء عند أبى العلاء لقيهما فى بغداد ، و كان كل واحد منهما فقيهاً ليس غير ، ولو كان أحدهما أديباً لكان ذاك سبباً لتفضيله على الآخر ، و ما الذى جعل القاضى أبا الطيب يحث أبا العلاء على مخاطبة الامام أبى حامد بقصيدته النونية ؟

٤ - و يقول : إن المجلس العلمى (١) للشريف الرضى كان قد أقيم على طراز مجلس شابور ، و ذكره أبو العلاء فى شعره و نثره . . الخ .

و الحقيقة أن أبا العلاء لم يذكر إلا دار العلم التى أنشأها شابور ، ولم يكن للشريف الرضى أى مجلس علمى ، و لم تحدثه نفسه أن يقيم مجلساً علمياً ، و هو شاب يافع ، و قد شهد دار العلم لشابور ، و المجلس العلمى لأخيه الشريف المرتضى ، فلم يشعر بحاجة إلى إنشاء مجلس جديد .

ولا يغيبن عن البال أن الرضى كان زوج بنت شابور ، وكان مجلس الشريف المرتضى غاصاً بالعلماء و الفضلاء ، و قد ذكرت فى كتابى بعض طرائف مجلسه .

وقد ثبت بالمصادر الموثوق بها أن أبا العلاء كان يتردد إلى مجلس المرتضى ، و لا نجد ذكر مجلس الرضى فى الكتب التى بين أيدينا ، و أظن أنه التبس عليه مجلس المرتضى ، فكتب الرضى بدل المرتضى ، كما جعله ابن تغرى البردى .

٥ - يزعم (٢) أن أبا أحمد عبد السلام البغدادى صديق أبى العلاء كان إماماً فى النحو والجغرافية ، وأشار فى الهامش إلى فهرس معجم البلدان الذى اعتمده .

لقد عنيت بجمع أخبار عبدالسلام أكثر من أى عالم من علماء السير و التراجم ، و لكنى ما عرفت أنه اكتسب شهرة فى الجغرافية ، ولعل مرجليوث توهم ذلك ، لمجرد أنه وجد ذكر عبد السلام فى فهرس معجم البلدان ، و لكن ماذا يقول عن النبى - ﷺ - و عن سيدنا عيسى و موسى - عليهما السلام -

(١) م : ٢٤ ، و وقع نكلسن فى نفس الخطأ ، راجع كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ص ٣١٤ . (٢) م . ٢٤ .

و الأعشى و امرىء القيس الذين نجد أسماءهم فى معجم البلدان ، هل كان هؤلاء مشهورين فى الجغرافية ؟ و الحقيقـــة أن معجم البلدان كتاب التـاريخ و الأدب و الأنساب أولا ، ثم هو كتاب الجغرافية .

٦ - يقول (١) : إن أبا العلاء ركب السفينة إلى الموصل وهو عائد من بغداد ، ثم ركب الابل

و لا تعتمد هذه الدعوى على دليل ، و يكذبهـا - أيضاً - ما قاله أبو العلاء و هو يودع أهل بغداد :

إذا أطّ نسع قلت الدوم كاربى أحدكم لم تفهموا طرب النسع
و أنى لنا من ماء دجلة ؟ ـبـــة على الخمس من بعد المفاوز والربع

و أغلب الظن أن أبا العلاء لم يجد سفينته حتى الآن ، فكيف ركبها ؟ ولو افترضنا أنه اتخذ السفينـة مركباً له فأين تركها فى الموصل ، و من احتفظ بهـا ؟ و رسائل المعرى - أيضاً - لاترشدنا إلى نتيجة حتمية بهذا الصدد ، فقد جاء فيها عن سفره هذا ! « و سرت عن بغـــداد . . . سيراً تخط إبله وتئط نسوعـــه ، و توقع الغرق سفنه (٢) . . الخ » .

٧ - و يدعى (٣) أن المحققين القدامى لم يستطيعوا البحث عن قبر المعرى ، على أن وجود قبره فى معرة أمر لا يشك فيـه ، يقول سائح قام بزيارة معرة فى عام ١٩٠٥م ! إن قبره يقع فى ركن من أركان البلد ينظر إليه الناس بنظرة الاجلال والتكريم ، و وضعت عليه لوحة مكتوبة بالخط الكوفى ، و بجواره قبر أحد تلاميذه ، ويقع أمامهما ضريح الشيخ محمد الغارى داخل قبة ، وأرسل إلى أحد أصدقائى رسالة يقول فيها ! إنه قد نشرت جريدة العمران المصرية أن أمير معرة نورس باشا قام باصلاح قبر المعرى ، وأنشأ هناك كتاباً للاطفال .

« يتبع »

---

(١) م : ٢٨ . (٢) ص ٣٢ . (٣) م : ٤٣ .

# عبد الله بن رواحة الأنصارى

سعيد الأعظمى

يسعدنى أن أبدأ الحديث بعد حسان بن ثابت عن صنوه فى الشعر والدفاع و الجهاد ، عبد الله بن رواحه بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخزرجى ، يكنى ، أبا محمد ، وقيل : أبا رواحة ، وقيل : أبا عمرو ، و أمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة ، خزرجية كذلك ، أحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله ﷺ ، (۱) ويفدونه بمهجهم و أرواحهم و يدافعون عن حوزة الاسلام و يمطرون على المشركين وابل الهجاء و التعبير ، وخاصة على شعرائهم الكفار الذين كانوا يناضلون المسلمين و يطاردونهم بأسوء طريق و أبشع أسلوب من الكلام .

## شاعر كبير مرتجل :

كان حاضر البديهة سريع القول للشعر، يقول هشام بن عروة عن أبيه عروة قال سمعت أبى يقول : ما سمعت أحداً أجرأ و لا أسرع شعراً من عبد الله بن رواحة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له يوماً : قل شعراً تقتضيه الساعة ، و أنا أنظر إليك فانبعث مكانه يقول :

إنى تفرست فيك الخير أعرفه  و الله يعلم أن ما خاننى البصر

---

(۱) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج ۳ / ص ۸۹۸ .

أنت النبي و من يحرم شفاعته يوم الحساب لقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ، ونصراً كالذى نصروا

فقال رسول الله ﷺ : و أنت فثبتك الله يا ابن رواحة .

قال هشام بن عروة : فثبته الله عزوجل أحسن الثبات ، فقتل شهيداً ، وفتحت له الجنة فدخلها ، و فى رواية ابن هشام :

إنى تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيك الذى نظروا
أنت النبي و من يحرم نوافله والوجه منك فقد أزرى به القدر (١)

أما ما رواه ابن سعد فى الطبقات فهو بطريق آخر ، يقول ابن حجر العسقلانى فى كتابه ( الاصابة فى تميز الصحابة ) رواية عن ابن سعد :

حدثنا عبد الله بن موسى ، حدثنا عمر بن أبى زائدة عن مدرك بن عمارة ، قال : قال عبد الله بن رواحة : مررت فى مسجد الرسول ﷺ ، و رسول الله ﷺ جالس ، وعنده أناس من الصحابة فى ناحية منه فلما رأونى قالوا : يا عبد الله ابن رواحة ، فقال : إجلس هاهنا فجلست بين يديه ، فقال كيف تقول الشعر ؟ (٢) قلت أنظر فى ذاك ثم أقول ، قال فعليك بالمشركين ، و لم أكن هيأت شيئاً فنظرت ، ثم أنشدته ، فذكر الأبيات ، فيها .

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ، ونصراً كالذى نصروا

قال : فأقبل بوجهه مبتسماً ، و قال : و إياك فثبتك الله (٣) .

قال هشام بن عروة : فثبته الله عزوجل أحسن الثبات ، فقتل شهيداً ، وفتحت له الجنة فدخلها (٤) .

---

(١) نفس المصدر ص/٩٠٠ .
(٢) و فى الطبقات : كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول .
(٣) الاصابة فى تميز الصحابة ، القسم الرابع ، ص ٨٥ — ٨٦ .
(٤) الاستيعاب فى معرفة الاصحاب القسم الثالث ص / ٩٠٠ .

مدحه لرسول الله ﷺ : روى ابن حجر العسقلانى فى الاصابة فقال : ومن أحسن ما مدح به ( عبد الله بن رواحة ) النبي ﷺ قوله :

لو لم تكن فيه آيات مبينة　　　كانت بديهته تنبيك بالخبر (١) .

وأخرج أبو يعلى بسند حسن عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس ، قال دخل رسول الله ﷺ مكة فى عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه وهو يقول .

خلوا بنى الكفار عن سبيله　　　اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله　　　ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر : يا ابن رواحة أفى حرم الله وبين يدى رسول الله ﷺ تقول هذا الشعر ، فقال : ( رسول الله ﷺ ) خل عنه يا عمر ، فو الذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل ، (٢) .

وروى ذلك ابن سلام الجمحى فى طبقات فحول الشعراء بطريق آخر فقال .

« وقال عبد الله بن رواحة ، وقد أخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ فى عمرة القضاء يقودها وقد اجتمع أهل مكة وغلمانهم ينظرون إليه وهو يقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله　　　خلوا ، فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله　　　كما ضربناكم على تنزيله (٣)
ضربا يزيل الهام عن مقيله　　　ويذهل الخليل عن خليله (٤)

(١) وفى رواية : تأتيك بالخبر .
(٢) الاصابة فى تمييز الصحابة ، القسم الرابع ، ص / ٨٦ .
(٣) قال ابن هشام هذا البيت لعمار بن ياسر فى هذا اليوم ، والمراد بالتأويل تأويل الرؤيا الذى أشار اليه القرآن الكريم فى قوله ( لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين . . . . ) .
(٤) طبقات فحول الشعراء ، لابن الجمحى ص / ١٨٦ .

منزلته فى الجاهلية : كان شاعراً مفلقاً ذا منزلة عالية وسيدا كبيراً فى قومه بنى الحارث بن الخزرج ، له من الشعر الجاهلى ما يعتبر ذا قيمة شعرية كبيرة ، يفتخر فيه بقومه ، ويعلى مكانتهم ، وله مناقضة شعرية مع قيس بن الخطيم ، وخاصة فى الحروب الجاهلية التى عاشها الخزرج ضد الأوس إلى مدة طويلة ومارسوها بقوة وصمود ، و كان من أيام حروبهم يوم الفضاء ، يوم التقوا بالفضاء ، فاقتتلوا قتالا شديداً حتى حجز بينهم الليل ، فأفضلت الأوس يومئذ على الخزرج ، فقال قيس ابن الخطيم قصيدته التى جاء فيها :

فما أبقت سيوف الأوس منكم وحد ظباتها إلا شريداً

فأجابه عبد الله بن رواحة بقصيدة دالية تماثل قصيدة الخطيم فى الرديف و القافية ، بدأها بقوله :

تذكر بعدما شطت نجودا و كانت تيمت قلبى وليدا

احتوت القصيدة كلها على معانى الفخر و القوة و الفتوة (١) .

يقول ابن سلام الجمحى فى طبقات فحول الشعراء :

« و عبد الله بن رواحة عظيم القدر فى قومه ، سيد فى الجاهلية ، ليس له فى طبقته التى ذكرنا أسود (٢) منه ، شهد بدراً ، و كان فى حروبهم الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم » (٣) .

مكانته فى الاسلام : أسلم قبل بيعة العقبة ومع رجال من بنى قومه ، و هو ممن شهد بيعة العقبة ، و كان نقيب بنى الحارث بن الخزرج ليلة العقبة ، و قد جاء

---

(١) سنتحدث عنها و نذكر القصيدة بكاملها فى الموضع المناسب لهذا البحث ، إن شاء الله تعالى .

(٢) يعنى أقعد منه فى السؤدد و الشرف .

(٣) طبقات فحول الشعراء ، ص/١٨٦ .

فيما قاله كعب بن مالك من شعر فى حصر النقباء وكانوا اثنى عشر نقيباً، اشارة إلى ابن رواحة حينما يقول :

و أيضاً فلا يعطيكه ابن رواحة و إخفاره من دونه السم ناقع

و هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فنزل فى قباء فى بنى عمرو بن عوف و أسس مسجده ، ثم أخرجه الله تعالى من بين أظهرهم يوم الجمعة ، فأدركته فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، فكانت أول جمعة صلاها فى المدينة ، وهنالك أتاه الناس وطلبوا منه الاقامة ، ولكن رسول الله ﷺ يقول لهم : خلوا سبيلها فانها مأمورة ، لناقته ، حتى إذا مرت بدار بنى الحارث ابن الخزرج ، وهم قوم عبد الله بن رواحة اعترض لرسول الله ﷺ من بين من اعترضوه عبد الله بن رواحة ، و قال له : هلم إلينا يارسول الله إلى العدد و العدة و المنعة ، فقال : خلوا سبيلها فانها مأمورة .

كان فى مكة نفر من شعراء المشركين يتصدون لهجوم رسول الله ﷺ ، و تهديد المسلمين بالقمة و العقاب ، وهم فى أغلب الأحوال ثلاثة ، عبد الله بن الزبعرى و أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص ، فكان الوضع يتطلب الرد عليهم بشعر أقوى من شعرهم و الدفاع عن رسول الله ﷺ و عن المسلمين بكلام بليغ التأثير والقوة يتغلب على كلامهم ، ويسد عليهم الطريق للهجوم و الايذاء و الاستهزاء و الاستخفاف بشأن الاسلام و المسلمين ، هنالك أراد رسول الله ﷺ أن ينهض جماعة من شعراء المدينة للرد و الدفاع ، و المنافحة و المناقضة ، فاذا بحسان بن ثابت وكعب بن مالك ، و عبد الله بن رواحة يعرضون أنفسهم للقيام بهذه المهمة ، ويسمح لهم رسول الاسلام ﷺ بذلك ويدعولهم بالتوفيق .

يقول أبو الفرج الأصفهانى فى روايات الأغانى وهو يشير إلى هذا الواقع :

« فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار ، حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، و عبد الله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام و المآثر ، و يعيرانهم بالمثالب . و كان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر . و كان فى ذلك الزمان أشد القول على الكفار قول حسان بن ثابت ، و أهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا وتفقهوا فى الاسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة » (١)

مجالس الايمان : جاء فى كتاب الزهد من طريق زياد النميرى عن أنس : كان عبد الله بن رواحة إذا لقى الرجل من أصحابه يقول : تعال تؤمن بربنا ساعة (٢).

كان أبو الدرداء ممن يحبه ويثنى عليه ، فكان يذكره دائماً ، ويستبشر به خيراً ، و كلما كانا يلتقيان يعقدان مجلسا للذكر وتجديد الايمان وتقويته فى القلوب ، يقول أبو الدرداء : « أعوذ بالله أن يأتى على يوم لا أذكر فيه عبد الله رواحة ، كان إذا لقينى مقبلا ضرب بين ثديى ، و إذا لقينى مدبراً ضرب بين كتفى ، ثم يقول : يا عويمر اجلس فلنؤمن ساعة فجلس فذكر الله ما شاء ، ثم يقول : يا عويمر هذه مجالس الايمان » (٣) .

و قد عرف رسول الله ﷺ حرصه على الذكر وتجديد الصلة بالله و المذاكرة الايمانية فقد كان يعيش على حب الله و رسوله ، ويتطلع إلى رحمة الله ورضاه ، ولم يكن له هم إلا الحديث عن الايمان و اليقين و الآخرة والجنة والنعيم ، فكانت مجالسه و أحاديثه تدور حول هذا الموضوع المتفرد ، حتى إن النبى ﷺ قد شهد

---

(١) روايات الأغانى ، ج ٤ / ص ٥ .

(٢) الاصابة ، ق ٤ / ص ٨٣ .

(٣) أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير الجزرى ج ٣ — ص / ١٥٧ .

له بذلك ، و قال : « رحم الله ابن رواحة ، إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة » (١) .

شدة ورعه و طاعته لله و الرسول ﷺ : بلغ من شدة حبه لله و الرسول وحرصه على الطاعة لهما إلى أن لم تفته فرصة فيها مجال لطاعة الله و الرسول إلا و قد انتهزها و استفاد منها ، فقد قتل علماً معنى الطاعة فى الآيات التى تنص على الطاعة لله و للرسول ، و امتزج ذلك بلحمه و دمه ، و كان يرى فى ذلك سعادة ونجاحاً له فى الدنيا و فى الآخرة ، ففيما رواه البيهقى بسند صحيح عن قصة طواعيته لله و لرسوله أدل دليل على ذلك ، يقول :

« عن أبى ليلى (٢) كان النبى ﷺ يخطب ، فدخل عبد الله بن رواحة فسمعه يقول : أجلسوه ، فجلس مكانه خارجاً من المسجد ، فلما فرغ قال له : زادك الله حرصاً على طواعيه الله و طواعيه رسوله » (٣) .

و جاء فى كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك بسند صحيح عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى قال :

« تزوج رجل امرأة عبد الله بن رواحة ، فسألها عن صنيعه ، فقالت : كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ، و إذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك » (٤) .

هذه شهادة للرجل من امرأته التى طلقها ، و من يكون أعلم بسر الرجل

---

(١) الاصابة فى تميز الصحابة ق ٤ ص ٨٤ .

(٢) و فى رواية عن ابن أبى ليلى .

(٣) الاصابة ، ق ٤ ص ٨٤ .

(٤) نفس المصدر .

من زوجته ، و لولا شدة تورعه و صلاحه لما وجدت امرأة الرجل تشهد لزوجها بالصلاح و الورع بعد ما كان قد طلقها .

و فى فوائد أبى طاهر الذهلى ، من طريق ابن أبى ذئب عن سهل عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال . نعم الرجل عبد الله بن رواحة . . . فى حديث طويل » (١) .

مرض عبد الله بن رواحة ذات مرة و اشتد عليه المرض . فذهب إليه النبى ﷺ عائداً له و دعا له بالتيسير فيما إذا كان أجله قد حضر ، أو بالشفاء إذا لم يكن كذالك ، فاستجاب الله دعاءه بالشفاء ، يقول ابن سعد فى الطبقات :

« حدثنا عفان ، حدثنا حماد عن أبى عمران الجونى قال : مرض عبد الله ابن رواحة فأغمى عليه فعاده النبى ﷺ فقال : اللهم إن كان أجله قد حضر فيسره عليه ، و إن لم يكن حضر أجله فاشفه، فوجد خفة فقال يا رسول الله ، أمى تقول واجبلاه ، واظهراه ، و ملك قد رفع مرزبة من حديد ، يقول : أنت كذا هو ؟ ولو قلت نعم لقمعنى بها » (٢) .

وكيف كان يموت عبد الله بن رواحة على فراش بيته و كان الله تعالى قد استجاب دعاءه وكتب له الشهادة ثم الجنة التى يدخلها ، وتحققت أمنيته فى وقعة مؤتة ، ومات أميراً شهيداً فرضى الله عنه و أرضاه فى الجنة .

فى ميدان الجهاد و القتال : إذا كان حسان بن ثابت يكتفى بوضع مواهبه الكلامية و طاقاته الشعرية فى مجال الدفاع عن الاسلام و الرد على المشركين و هجائهم ، و تقوية مواقف الرسول ﷺ ، دون أن يسهم بقواه المادية فى الجهاد

---

(١) أيضاً .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ / ص ٨٢ .

و الحضور بنفسه فی میدان القتال ، فان عبد الله بن رواحة کان من أشد الناس حرصاً علی المشارکة فی الجهاد بنفسه ، والسیر فی رکاب النبی ﷺ نحو قتال أعداء الاسلام ، و کان یتمنی أن یرزقه الله الشهادة فی سبیله ، لذلك فانه رکز عنایته کلها فی الجهاد ضد أعداء الاسلام ، و اعتبره أعظم القربات فی ذلك الوقت ، و أکبر عبادة ترضی الله و رسوله ، وهی عبادة لا تساویها أعمال تطوعیه أخری ، لا یعادلها القریض وقول الشعر ، و لو کانت له الأهمیة المعلومة فی تلك الظروف القاسیة التی کانت ترشق فیها نبال المشرکین المسمومة أعراض المسلمین ، وتستهدف سهامهم الکلامیة الجارحة شخصیه رسول الله ﷺ بألوان من المهاجاة و المهاترة و التهدید و التحدی ، فقد کفی مؤنة ذلك غیره من شعراء الاسلام و المسلمین ، و لکنه أراد أن یفرغ نفسه للجهاد و القتال . و یرغب عن سلاح الشعر إلی سلاح القوة و الحدید ، ویسیر مع النبی ﷺ حیثما سار نحو الغزاة و قتال أعداء الله ، فکان أول خارج إلی الغزو ، و آخر قافل معه ، (١) و شهد بدراً و أحداً و الخندق ، و الحدیبیة وخیبر ، وعمرة القضاء ، والمشاهد کلها مع رسول الله ﷺ ، و کان أمیراً فی غزوة موتة التی أکرمه الله فیها بالشهادة .

کان عبد الله بن رواحة شاعراً فی الجاهلیة والاسلام ، وفارساً کبیراً من فرسان المسلمین یحضر الوغی لقتال المشرکین و یشهد الغزوات و یتظاهر فیها بشجاعته و براعته فی استعمال السلاح و مواجهة الأعداء ، وقد أبلی فی الحروب الاسلامیة التی شارکها بلاءاً حسناً .

« یتبع »

---

(١) الاصابة فی تمییز الصحابة ، ق ٤ / ص / ٨٤ .

# الشيخ ثناء الله الأمرتسرى ، نبذة عن حياته و خدماته

— ٢ —

الأخ عبد المبين عبد الخالق الندوى
عمع دار المصنفين أعظم كراه ( الهند )

ميزات مؤلفاته :

ألف الشيخ الأمرتسرى الكتب التى ذكرنا بعضها ، ليست كلها على سبيل المثال بايجاز شديد ، فى الدفاع عن الاسلام و دحض الأفكار الباطلة للقاديانيين و المبتدعين و النصارى و المبشرين ، و للاستفادة العامة للسلمين ، كما هو ركز جهوده فى الجوانب الآتية :

الف : إصلاح عقائد المنحرفين الجامدين . بأسلوب موجز مقنع .

ب : و لا يستعمل فى مؤلفاته الألفاظ الركيكة ، و العبارات المبهمة .

ج : يستعمل نصوص القرآن والسنه وأقوال الأئمة من السلف الصالح فى الرد على مهاجمى الاسلام ، و يستخـدم الأدلة القوية ، و البراهين الساطعة ، التى تسكت الخصم .

د : كان يعبر عن هدفه بأسلوب سهل ميسر مفهوم ، غير معقد و مبهم يستعين بالاستعارة و الطرائف الأدبية حسب الظروف و المناسبة .

تأسيس جمعية أهل الحديث وجمعية العلماء ، عدا هذه الخدمات العلمية ومساهمته فى بعض الجمعيات والنوادى الأخرى الجليلة :

فقـد أسس الشيخ الأمرتسرى جمعية أهل الحديث الهندية ، بتعاون من زملائه ، و رأسها طول حياته بالاضافة إلى جمعيات أخرى ، مثل حركة ندوة العلماء

كما تقدم ذكرها ، فقد كان من أنصارها وله مساهمة كبيرة فيها ، كذلك جمعية علماء الهند كان من مؤسسيها بل داعيها الأول فى تعبير أصح (١) لحينما تقلبت السياسة ، و حدثت اضطرابات متنوعة فى طول الهنـد ، نتيجة للحرب العالمية سنة ١٩١٤م فأحس الشيخ حاجة ماسـة لقيادة إسلامية قوية ، و لهذا الغرض تألفت هذه الجمعية فى دلهى سنة ١٩١٩م و كانت تحت قيادته ، و الجمعيـة الاسلامية و جمعية إشاعة الاسلام فى بنجاب ، وندوة الصادقين سنة ١٩١٠م وقد حلت هذه الجمعيات مكانة مرموقة فى مجال العلم و الدين فى الأوساط الدينية ، و لا تزال تستمر فى دعوتها فى البلاد (٢) .

إن جماعة أهل الحديث تاريخها قديم جداً ، و أول من لقب بهذا الاسم هم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، لأن وجود هذه الطائفة واضحة منذ يوم النبوة قبل حدوث سائر الفرق الاسلامية ، لأن الرسول ﷺ شهد لهم بما ظهر على أيديهم من الحق بصحبة ما أتوا به عنه ﷺ ، فليست هذه الطائفة بجديدة كما يظن بعض الناس ، بل لا تزال من يومـه ، خلفاً بعد حلف غير مقطع إلى يومنا هذا (٣) .

أما فى الهند فهذه الجماعة توجد منذ القرن الرابع كما ذكر المقدسى المعروف بالبشارى فى رحلته إلى الهند فى سنة ٣٧٥هـ ضمن اقليم السند ، خاصة فى بلدة منصورة فهو يقول : ليس للمذكرين به صيت ، و لا لهم رسوم تذكر ، مذاهبهم أصحاب حديث (٤) .

---

(١) سيرة ثنائى ص ٢٩٢ . (٣) فتنة قاديانيت ص ٥٤ .

(٢) تاريخ أهل الحديث ص ٦ للشيخ أحمد الدهلوى خادم السنه ، طبع فى لاهور بنجاب ١٩٣٣م ، ١٣٥٢هـ .

(٤) أحسن التقاسيم ص ٤٨١ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٠٦م لندن .

فهذا دليل و اضح على وجود أهل الحديث فى الهند فى القرن الرابع، و ليست هذه الجماعة تولدت بجهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى كما يظن بعض الناس، و لا لأجل الامام ولى الله المحدث الدهلوى، و لا لأجل الشيخ محمد إسماعيل الشهيد الدهلوى رحمهم الله، ولكنهم كانوا من قائدى ومؤيدى هذه الجماعة فى وقتهم، كذلك الشيخ ثناء الله أيضاً كان أحد زعماء و قادة هذه الجماعة فى زمنه: عاملا بالحديث ونابذاً للتقليد، بعيداً عن التأويل فى الأسماء والصفات.

الجامعة السلفية:

قامت الجامعة السلفية (١) بنارس الهند فى نوفمبر سنة ١٩٦٣م، فكانت هذه الجامعة من أحلام الشيخ الأمرتسرى، فانه كم كان يتمنى فى حياته أن توجد مثل هذه الجامعة لهذه الجماعة فى الهند، و لكن كل أمر مرهون بأوقاته، فما تحققت هذه الأمنية فى حياته، إلا بعد وفاته، فقد ذاع صيتها فى أقل مدة، و الآن تلعب هذه الدار دوراً مهماً فى صياغة الجيل الجديد على نهج السلف، فالله يصونها من كل آفة.

مناظراته مع الفرق الباطلة:

لا يتم هذا البحث إذا لم تذكر مناظرة الشيخ الأمرتسرى مع أعداء الاسلام من كل طبقة، فان شخصيته كانت متنوعة الجهة والصفات، فانه ناظر كل الطوائف الكافرة من القاديانية و المسيحية و الآرية، و رد على البدع و الخرافات و قام بمحاربة العقائد الباطلة، والأفكار الضالة، وبذل سعيه فى نشر السنة المحمدية، وألف

(١) أسست الجامعة السلفية بيد سعادة فضيلة الشيخ الفوزان سفير المملكة العربية السعودية خلدها الله سنة ١٩٦٣م، و الآن حلت مكانة مرموقة بين الجامعات الاسلامية الكبرى فى الهند.

كثيراً حول المرزا غلام أحمد القاديانى ، و غيرها من الحركات المعادية للاسلام فقد كثرت المناظرات و التنبآت و التكهنات فى زمانه ، فرد على كل ذلك ، كانت الحاجة ماسة إلى عالم كبير وباحث كبير وناظر شهير ، له دراسة عميقة فى المذاهب و الديانات الأخرى ، فبرزت شخصية الشيخ ثناء الله و كان يستطيع أن يحسن المقارنة بين الديانات ، فكما رد على غلام أحمد القاديانى رداً عنيفاً رد كذلك على الفرقة الهندوكية وآرية سماج والمسيحية ، و على منكرى السنة .

و للرد على هذه الفرق المحرفة أصدر الشيخ ثلاث جرائد هى :

١- جريدة أهل الحديث الأسبوعية فى نوفمبر ١٥٣٠م ، كما تقدم ذكرها .

٢- مرقع قاديانى ، للرد على القاديانية خاصة فى يونيو سنة ١٩٠٦م .

٣- جريدة مسلمان الشهرية أولا ، والأسبوعية آخراً ، للرد على المسيحية و آرية سماج خاصة فى مايو ١٩٠٨م .

و فى هذه المناسبة أريد أن أنقل ما قال الكاتب الشهير العلامة رشيد رضا المصرى منشئ مجلة المنار عن هذه الشخصية الفذة :

« صديقنا العلامة ثناء الله صاحب المصنفات و المناظرات للوثنيين و النصارى و المبتدعين ، و أشهرها مناظرته لغلام أحمد القاديانى و مباهلتهما التى تبين بها أن القاديانى دجال كذاب ، و قد نشرت إحدى الجرائد الهندية الاسلامية فيها الحكاية التالية : هذه ترجمتها .

مولانا الشيخ ثناء الله من علماء أهل الحديث والكلام و الفقه فى أمرتسر بالهند ، له مجلة ومؤلفات فى الدفاع عن الاسلام ، وهو مع هذا مناظر كبير وفصيح اللسان قوى الحجة بليغ العبارة ، ادعى لمناظرة الطاعنين على الاسلام من الهند وخصوصاً جماعة آريا سماج ، وكذلك له مواقف محمودة مع مضللى النصارى و كذا الأحمدية القاديانية » .

## مباهلته مع المرزا غلام أحمد القاديانى :

وقد تباهل مع القاديانى غلام أحمد نفسه على أن الكذاب منهما فى دعوته يموت قبل الآخر ، فمات القاديانى فى الكنيف شر ميتة ، و لا زال ثناء الله حياً قائماً على المبطلين ( نحو أربعين سنة ) يناظرهم و يكسر شوكتهم (١) .

ويحكى قصة لحضوره فى المناظرة فيقول العلامة رشيد رضا المصرى المرحوم:

« دعى مرة لمناظرة مع الهندوك وركب القطار و ركب معه شاب هندكى ، فتعارفا تعارف المسافرين فقط ، و كان الشيخ ثناء الله يلهج لسانه بذكر الله عند كل مناسبة ، فاذا شرب بدأ باسم الله ، وإذا انتهى من شرابه حمد الله و إذا عطش حمد الله ، و إذا شمته المشمت أجابه يهديكم و يصلح بالكم ، و إذا سلم عليه مسلم أجابه وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وكان الشاب الهندكى يصغى إليه ويسأله عن ترجمة كل ما سمعه منه فيترجم له إلى أن نزلا فى المحطة ، فكانت سيارة تنتظر الشيخ ثناء الله و لم يكن فى انتظار الهندكى أحد ، فدعاه الشيخ و أركبه سيارته معه و لما استقلها قال : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون » فسأله الشاب عنها فترجمها له فتأثر بها حتى تغلغل فى سوداء نفسه .

انعقد مجلس المناظرة ، و لمجالس المناظرة فى الهند شأن يعرفه من حضرها و لما انعقد مجلس المناظرة تقدم الشيخ ثناء الله إلى منصة الخطابة و ظهر إلى مقابلته لمناظرته الشاب الهندى الذى رافقه بالأمس ، و سمع من ذكره لله ما أدهشه ، أقبل الشاب الهندكى إلى الشيخ المسلم مصافحاً ، و أعلن على رؤوس الأشهاد من مسلمين و هندكين و مسيحيين و ناظمين و رجال الادارة و حفظ النظام ، هذه الحقيقة التى عرفها بنفسه بقوله : « هذا رجل إلهى يذكر الله كثيراً و مناظرته جرم فى اعتقادى ، و إنما يناظره رجل مثله ، و أنا أناظر رجلا من طبقتى ، إنى أذكر الله ولكنى لا ألحق شأو هذا الرجل ، فارفضت الجلسة والناس

(١) مجلة المنار ، المجلد الثالث و الثلاثون لسنة ١٣٥١ﻫ ص ٦٣٩ .

يلهجون بفضل الله على الشيخ و إنصاف ذاك الشاب (١) .

و كم مرة حصل الشيخ على الجوائز فى المناظرة ، التى انعقدت فى بلدة لدهيانه فى بنجاب مع جماعة القاديانية ، و كان فيها الحكم السيخ المحامى الرسمى سردار كوربجن سنكه ، الذى استمع المحادثات و الاجابة من الجهتين فكانت هذه الحفلة كسابقة لكسب الجوائز للفائزين ، وبعد الردود والاجابات التى أصدرها الحكم فى حق الشيخ ثناء الله نال فيها ثلاث مأة روبية كجائزة ، و كان يقوم بجولات كثيرة فى طول الهند لغرض المساهمة فى المناظرة ، حتى فى مناظرة الشيعة و القاديانية و الآرية ، و قد أحرز قصب السبق و النجاح فى جميع رحلاته التى لا تعد و لا تحصى .

ذكر العادات و الخصائل :

و الآن نعود إلى ذكر عاداته و شمائله بعد ما فرغنا من ذكر علاقته مع الحركات و الجمعيات ، و المناظرات بايجاز ، لأن هذا البحث لا يتم إلا بذكرها ، فأولا نقدم مقتبساً مما وصفه السيد العلامة عبد الحى الحسنى وصفاً جميلا بأسلوبه القوى : يقول :

« كان جميلا وسيماً أبيض اللون ، معتنياً بصحته و ملبسه ، محافظاً على الأوقات ، مجتهداً دؤوباً فى العمل ، عنده دماثة خلق و مرونة فى الأخلاق وسعة فى المعلومات وحسن المعاشرة » (٢) .

و قد ذكر الشيخ عبد المجيد الشودرى فى كتابه الأردى عن خصائله و عاداته فيقول :

---

(١) مجلة المنار ، المجلد الثالث و الثلاثون لسنة ١٣٥١هـ ص ٦٣٩ .

(٢) نزهة الخواطر ج ٨ ص ٩٦ .

«كان الشيخ الأمرتسرى مقتصـــداً فى شؤونه كلها مقتدياً لسنة النبى ﷺ وما كان مبتذلا حتى يظن فيه أحد الفقر والمسكنة ، وما كان مترفعاً ولا متكلماً ، حتى يقال متكبر بل كان متخلقاً بأخلاق الدين و متواضعاً (١) .

ضيافتـــه :

و كان مضيافاً ومحساً إلى الجميع ربما يحضر عنده عشرات من الضيوف فكان يرحب بهم و يراعى مراتبهم ، و يخدمهم بالجـــد و الانبساط ، و يفرح بتقديم القرى للضيوف ، و يشترك معهم فى المأ كل ، وله فى هذا الفن قصة رائعة تدل على ضيافتـه .

حكى الشيخ خير الدين الحنفى مهاجر غزنى، و كان قد توطن فى بلدة «غيا» GAYA ، فى ولاية بيهار ، كان زميل الشيخ فى حلقة الشح مولانا محمود الحسن فى ديوبند ، قال : دهبت إلى وطنى المألوف للزيارة ، و عد الرجوع أحببت أن ألاقى الشيح ثناء الله ولكن خطر بالى بأن الشيخ رجل كبير ، قد ذاع صيته فى كل مكان ، و هو صــاحب منزلة عالية ، لا أرى هل هو يذكرنى أم لا ؟ و لكن غلبت الرفقة والمحبة فنزلت فى أمرتسر و توجهت إلى منزل الشيح ، صادفنى واحد عند الباب و أرسلت الخبر إليه بواسطته بأن خير الدين قد حضر ببابكم ويستأذن للقائكم ، فلم ألبث لحظات ، حتى رأيت الشيخ خرج مبتسماً فسلم على وصالحنى وعانقنى و رحب بى ترحيباً حاراً ، و أكرمنى و دهب بى إلى غرفته و فرح غاية الفرح ، وحاول أن أمكث عنده زمناً ولكن الظروف لم تسمح لى فاعتذرت إليه ورجعت من عنـــده فى أقرب وقت للقطار و كنت أنتظر وقت القطار و جلست فى قاعة الانتظار ، و فجأة رأيت الشيح يحضر و يحمل معه الزاد فأصر على الأ كل ،

(١) سيرت ثنائى ( بالأردية ) ص ١١٧ .

ثم ودعنی فأعجبت باخلاصه و مودته ، و حسن نيته و ضيافته علی رغم شهرته وكثرة اشتغاله ، و هذا التواضع يدل علو شأنه و رفعة مكانه (١) .

خطبتــه :

أما خطبته فكان يزينها بآيات من الكتاب ونصوص السنة النوية والأشعار المشهورة فی اللغات المختلفة من العربية و الأردية و الفارسية ، و كان خطابه ذا تأثير عجيب عـلى قلوب الناس لأنه كان خطيباً مصقعاً ، و حينما يقوم للخطبة أصغی إليه الناس « كأن علی رؤوسهم الطير » و كان يعتمد فی استدلالاته علی أسلوب علمی رزين محترزاً عن التكلف و الطعن و الركاكة ، يقول الدكتور عبد الحفيظ السلفی أحد رجال أهل الحديث فی مذاكرة علمية عقدت فی بلدة « آرا » : رأيت رجلا شاباً جميلا مليحاً وجيهاً عالماً كبيراً ، قد وقف علی منصة الخطبة ، فخطب و الحاضرون كلهم تسيل الدموع من أعينهم علی خدودهم و كان هذا الخطاب مصداقاً لقول النبی ﷺ : « إن فی البيان لسحراً » ما كانت أی حفلة مهمة تنعقد إلا و كان الشيخ خطيبها و لذلك فان خطابه العام كان أكثر من مجالس المناظرة التی لا يأتی عليها الحصر (٢) .

التطاحن الداخـلی وقضية الشيخ إلی الملك عبد العزيز بن سعود رحمهما الله :

هناك فتنة داخلية وقضية غير مرضية بتت وسيقت إلی الملك عبد العزيز ابن سعود ، لابد أن أعيدها لأصحاب العلم والانصاف ، حينما ألف الشيخ « تفسير القرآن بكلام الرحمن » الذی هو أول تصنيف علمی له ، كان سبب شهرته فی

(١) حياة ثنائی ص ١٢٢ برواية العلامة شاكر جياوی .

(٢) سيرة ثنائی ص ٢١٠ .

البلاد العربية ، و ذاع صيته بذلك فى مصر و العراق و سوريا ، و تلقاه الناس بيد القبول و الاعجاب و كان بين أسرته و بين الأسرة الغزنوية تطاعن و تباعد و اشتعل نيران الحرب خاصة بين علماء الأسرة الغزنوية التى تتعلق ببلدة أمرتسر و هى أسرة علمية معروفة بأهل الحديث ، فهذه الأسرة الغزنوية أصدرت الفتوى بكفر الشيخ ثناء الله على بعض أخطائه فى تفسيره المذكور ورمته بالالحاد والزندقة و أخرجته من جماعة علماء أهل الحديث ، و كان مقدماً فى هذا النزاع الشيخ عبد الجبار الغزنوى خلف الشيخ عبد الله الغزنوى و كتب رسالة باسم الأربعين فى أن ثناء الله ليس فى مذهب المحدثين (١) تعقب فيه على أربعين موضعاً ، و قال : إنه معتزلى بعقيدته و حصل التوقيع عليه من بعض العلماء الممتازين من الهند ، و كتب الشيخ « الكلام المبين فى جواب الأربعين » و أوضح فيه بالدلائل أن هذه الأخطاء ليست مما يفتى عليه بالكفر ، و أن هذا التفسير تفسير القرآن بالقرآن . ليس تفسيراً بالرأى بل السلف الصالح كتب مثل هذا ، حتى وصلت القضية إلى لجنة العلماء التى تشكلت لحل هذه القضية ، و كان فيها الشيخ عبد الله الغازيفورى و الشيخ المحدث شمس الحق الديانوى و الشيخ عين الحق الفلواروى ، هؤلاء الأعضاء الثلاثة بذلوا جهوداً مخلصة للتوفيق بين الشيخ الأمرتسرى و معارضيه (٢) .

و لكن حينما تخرج الشيخ عبد الله الروپری ، فأثار هذه الفتنة الميتة مرة أخرى و نقل الأربعين إلى اللغة العربية ، و لما سافر الشيخ الأمرتسرى إلى

(١) راجع للتفصيل الأربعين فى أن ثناء الله ليس فى مذهب المحدثين ، طبع بأمرتسر بالأردية ص ٢٩ و نقله إلى العربية الحافظ عبد الله الروپری .

(٢) راجع للتفصيل الكلام المبين فى جواب الأربعين ط ١٣٢٢ھ بأمرتسر .

الحرمين لأداء مناسك الحج سنة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م فسافر أيضاً بتلك الرسالة الشيخ عبد الواحد الغزنوى إلى الحجاز فى نفس السنــة للحج ، و قد وزعت تلك الرسالة بين العرب و الحجاج حتى انتشر هـــذا الخبر و وصل تدريجياً إلى جلالة الملك عبد العزيز بن سعود رحمهما الله فطلب مجلساً للعلماء والخواص فحضر فيه بالأخص الامام السيد العلامة رشيد رضا المصرى صاحب مجلة المنار والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن حسن آل الشيخ ، والعلامة بهجة البيطار السورى ، و الشيخ عبد الله بن بليد قاضى القضاة للحجاج و الشيخ عبد الله بن حسن إمام الحرم المكى ، فبعد البحث و النقاش أمر جلالة الملك أن يتخذ المجلس قراراً بشأن هـــذه القضية ، فكتب فيه هذا القرار التالى الذى نشر عدة مرات فى الجرائد .

بسم الله الرحمن الرحيم ، فى المجلس الشريف المنعقد على يد الامام عبد العزيز ابن السعود قد حضر الشيخ مولوى ثناء الله وحضر معه الشيخ عبد الواحد الغزنوى فطلب كل منهما إلى الامام أيده الله أن ينظر فيما كان بينهما من النزاع بحضرة جماعة من العلماء و قد حصل الاتفاق بعد النظر . على أن الشيخ ثنـــاء الله قد رجع عما كتبه فى تفسيره من تأويل الاستواء و ما فى معنى ذلك من آيات الصفات الذى تبع فيه المتكلمين و اتبع ما قاله السلف فى هذا الباب و أقر بأنه هو الحق بلاريب ، و التزم أن يكتب فى تفسيره ، و أما الشيخ عبد الواحد الغزنوى و من معه ممن كان قد تكلم فى حق الشيخ ثناء الله مما يوجب الطعن عليه فانهم يرجعون عنه وأن يحرقوا الأربعين التى كتبوها فى حقه ، و رجع كل منهما على تجديد عقد الأخوة من كل ما ينافى ذلك، حصل القرار على ذلك وتبايعوا عليه على يد الامام ، و العلماء الموقعين عليه والحمد لله للتوفيق و هو حسبنا ونعم

الوکیل ، و صلی الله علی محمد و آله وصحبه وسلم .

٢٧/ ذی الحجة ١٣٤٤ھ

بعد هذا القرار کان یجب أن تنتهی هذه الخصومة نهائیاً إلی الأبد .

و لکن الأسف ما کانت کذلك بل إن طبقة من العلماء الغزنویین رجعوا عن قرار جلالة الملك (١) .

الشیخ فی حیاته الأخیرة و هجرته إلی باکستان :

هناك بحث طویل لمؤامرة قتله ، نترکها مخافة الاطالة ، و قد کان ذلك فی ٤/ نوفمبر سنة ١٩٣٧م بأمرتسر فی حارة « کرامهان سنکهہ » کما هو لقی فی أیامه الأخیرة من اضطرابات و تقلبات ، و قد انجلی بها جهود الشیخ الذی کان معبراً عن صبره و قناعته و رضائه بالقضاء و إنابته إلی الله و بعد انقسام الهند إلی دولتین عام ١٩٤٧ نشأت موجة کبیرة لهجرة المسلمین إلی باکستان و حدثت مجازر عنیفة و حملات شدیدة علی المسلمین فی بلادهم ، وهتکت أعراض العفیفات و قتل الأطفال الصغار الأبریاء و النساء ، و حرقت أموال المسلمین ما لا یحتاج إلی بیان ، و هاجت نار الفتنة فی بلد الشیخ فآثر الهجرة إلی باکستان ، و عند الانتقال استشهد نجله الوحید الشیخ عطاء الله فی وقت عصیب علی أیدی الارهابیین ، و قد کان یقوم بحراسة بیته ، وحرقت مکتبته الثمینة الملیئة بالکتب النادرة ، و کان آثرها علی نفسه وماله ، و لقد تحدث العلامة الدکتور السید سلیمان الندوی عن هذه الواقعة الحزینة ، یقول : « الحادث الذی وقع فی ١٥/ أغسطس سنة ١٩٤٧م علی المسلمین فی بنجاب لا ینسی علی مر الأیام ، کم کانت هذه الرزیة شدیدة ، أقفرت المدارس و امحت آثارها ، و خزائن الکتب

(١) راجع « دکھے دل کی داستان » للشیخ الأمرتسری .

تهدمت من أمرتسر إلى ثغور دهلى ، وفى هذه الحادثة المؤلمة استشهد نجل الشيخ الأمرتسرى عطاء الله و كان ى حالة صلاة و ذهبت خزينة كتبه ضياعاً ، و قد أنقذ نفسه بألف حيلة و وصل إلى باكستان (١) .

و فاته :

و بعد انتقاله إلى باكستان جاءه مرض الكهولة ، و تعرض الشيخ لصدمات متوالية خاصة بعد استشهاد نجله الوحيد ، بالاضافه إلى ضياع كتبه النفيسة ، وهذه كلها سببت له الهم و الحزن ، و لم يمض على انتقاله إلى باكستان إلا مدة يسيرة إذ أصابه الفالج ى ١٢/ فبرائر ١٩٤٧م . و كانت الحملة شديدة لم يكتب له منه الشفاء، رغم جميع المحاولات العلاجية التى بذلت، و وافاه الأجل بعد ثلاثة أيام من إصابة الفالج فلحق بالرفيق الأعلى ى ٣/ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦هـ / الموافق ١٥/ مارس سنه ١٩٤٨م، فانا لله وإنا إليه راجعون ، سقى الله ثراه و أفاض عليه سجال رحمته .

هذه هى نبذة من حياة الشيخ ثناء الله الأمرتسرى ، ولا يسعنا نطاق المقام أن نطول ذكره .

و بعد ثلاثة أشهر من وفاته توفيت زوجته و لحقت بفقيدها .

غفر الله لهما وجعل الجنة مثواهما !

(١) ياد رفتكان ص ٤١٧ و معارف الشهرية مايو سنة ١٩٤٨م .

# لا داعى إلى اليأس و التشاؤم

سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

( كلمة ألقاها الأستاذ سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى زيارته القريبة لتركيا ، أمام مجموعة من المثقفين ، الأساتذة و الأدباء الأتراك فى أمسية قد طلته على هضبة تطل على مدينة استنبول العظيمة على ضفاف باسفور ، و ذلك فى ١٧ من شوال ١٤٠٦ﻫ ( ٢٤ من يونيه ١٩٨٦م )

و كان قد قضى هذا اليوم فى زيارة الآثار الاسلامية و الجوامع الكبيرة من بقايا عهد الخلافة العثمانية ، ثم استعرض واقع تركيا الحديث من التعرب و العلمانية ، و ما قطعه هذا البلد من مسافة طويلة فى الانتقال عن الثقافة الاسلامية العربية ، فأثار كل ذلك فى قلبه أحزاناً و تأملات ثم أسعفه القرآن و الايمان ، فكان مصدر هذا الحديث ) « التحرير »

أما بعد ! إخوتى ! قد حضرتنى آية من الآيات القرآنية و أنا فى الطريق ، ولا أعتقد أن هذه الآية إنما حضرتنى عفواً من غير توجيه من الله تبارك وتعالى و من غير تيسير له ، و الخواطر قد تكون ضيوف الله ، و يجب أن يحتفى بها ، لست أدرى كيف خطرت لى هذه الآية و أنا فى هذا البلد الاسلامى العظيم الذى كان فى يوم من الأيام قلب العالم الاسلامى الذى ينبض ، أو عقله الذى يدبر ، و الدم الذى يسرى فى العروق ، قال الله تعالى :

« أو كالذى مر على قرية و هى خاوية على عروشها ، قال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال كم لبثت ، قال لبثت يوماً أو بعض

یوم، قال بل لبثت مائة عام فانظر إلی طعامك وشرابك لم یتسنه، وانظر إلی حمارك ولنجعلك آیه للناس، و انظر إلی العظام کیف ننشزها ثم نکسوها لحماً، فلما تبین له قال : أعلم أن الله علی کل شئ قدیر » .

أعتقد فی ضوء تأملاتی المتواضعة المحدودة فی القرآن ، و أعتقد فی ضوء دراساتی القاصرة ، حسب ما یفتح الله به علی کل مسلم یتلو القرآن، أن الآیات القرآنیة أعمق معنی ، و أوسع مدی ، و أطول أمداً ، مما فسرها المفسرون فی أزمنتهم و عصورهم ، و مما تخیلها العلماء فی بیئاتهم و فی حدود دراساتهم ، و أنا أعتقد ، و هکذا یبدو لی ، أن الاشارة لیست هنا إلی عودة الحیاة الجسدیة، الحیاة المادیة الطبیة فحسب ، بل إلی عودة الحیاة المعنویة کذلك ، و عودة الدور الذی مثله مجتمع أو أمة ، أو شعب أو بلد ، و عودة الرسالة التی کانت تحملها هذه الأمة ، و عودة العقیدة الحازمة المتغلغلة فی الأحشاء التی کانت تحملها هذه الأمة ثم أصابها الضعف ، و عودة الانتصار الذی حققه هذا الشعب المسلم ، و هذا البلد الاسلامی فی الماضی ، فالآیة تشمل کل هذا، فلا نستطیع أن نقول إن هذا البلد قد ختم علیه ختماً ، وقد قدر له أن یعیش حیاة غیر إسلامیة، وهذا المجتمع قد قضی الله ببقائه یتسکع و یتردی فی الجاهلیة بشکل دائم .

ثم إن الله سبحانه و تعالی یشیر إشارة خفیة « وانظر إلی طعامك وشرابك لم یتسنه » و إذا کان الطعام و الشراب لم یتسنه (١) ، فکیف تتسنه و تتغیر الرسالات السماویة العلویة التی تقوم بها الحیاة الانسانیة ، و التی هی قوام البشریة وقیمة الانسانیة ، فان الله سبحانه وتعالی یقول : « وما کان الله لیضیع إیمانکم إن الله بالناس لرؤف رحیم » .

---

(١) یعنی لم تتغیر بطول الزمن الذی مر علیه .

قد قلت لبعض الشباب الأتراك فى زيارتى الأولى فى سنة ١٩٥٦م ، إن هذه الأمة التى قدر الله أن تبنى بناء الكعبة الأخير ، و لا تزال الكعبة المشرفة على هذا البناء الذى بناه السلطان مراد العثمانى ، و الأمة التى قدر لها أن تجدد بناء المسجد النبوى و يوسعه ، و هذا البناء الذى هو قائم الآن بناء السلطان عبد المجيد الثانى ، ما كان الله ليضيع إيمانها ، و ما كان الله ليجرد هذه الأمة عن هذه السعادة و عن القيادة ، فالآية إنما تحيي فى نفوسنا الأمل ، و تعيد لنا الثقة ، و تنعش فى قلوبنا ماجمد و ما برد وما مات من الآمال ، وما أحاط بها من التكهنات و القياسات ، فاذا كان الطعام و الشراب لم يتغير بطول الزمن ، و إذا كانت هذه القصور و الأبنية جديرة بأن تبقى على المدى الطويل ، فلماذا لاتبقى هذه الأمة بالاسلام ؟ إنه أقوى و أعمق جذوراً ، و أنفع للانسانية ، و الزم للحياة البشرية الصحيحة السليمة ، من هذه البنايات و من هذه القصور ، و من هذه المظاهر المدنية .

لا أراكم فى حاجة إلى أن أشرح الآيات فى ضوء تجاربى المحدودة أو فى ضوء جو محدود ، و إنما أشير إلى العالم الاسلامى كله ، فالعالم الاسلامى كانت له أجزاء انفصلت ثم عادت ، و كانت له فترات تاريخية حالكة ، ثم استنارت ، إننى لست يائساً حتى من أسبانيا ، و قد بدت و الحمد لله طلائع انبعاث الشعور فى النفوس لفداحة الخسارة حين حرمت هذه البلاد من نعمة الاسلام ، وأنا واثق بأن أسبانيا ستعود إلى الاسلام إن شاء الله ، و ستكون هناك انتفاضة إسلامية ، وقد أصبح الأسبانيون يشعرون بأنهم أصبحوا فى هامش الأمم لما انقطعت صلتهم عن الاسلام ، فكان للاندلس الاسلامية مركز قيادة دينية علمية ، أدبية ، شعرية ، فلسفية ، روحية ، لا يزال يذكر و يشكر فى التاريخ ، و لكن لما انقطعت صلتها

عن الاسلام ، و أصبحت فی قائمة الشعوب الاوربیه و الأقطار الأوربیة الطویلة فی الدرجة التاسعة أو العاشرة ، لیست لها شخصیة محترمة ، و لیس لها ابتکار ، و لیست لها أصالة و لا رسالة ، و أصبحت بلداً من البلدان الاوربیة الکثیرة التی لا یقصدها السائحون و الزوار الا لزیارة الآثار العربیة التی خلفها العرب أنفسهم ، مثل جامع قرطبة و قصور الحمراء ، إنی أعتقد أن کل قطر من أقطار العالم الاسلامی الذی حیل بینه و بین أن یقود المسلمین ، وبین أن یؤدی رسالته و بین أن یبرز خصائصه و ما أکرمه الله به من مواهب و طاقات ، سیأتی دوره فی فترة من الفترات و یوم من الأیام

إنی أعتقد أن هذه الآیة حضرتنی لمعان أسمی ، إنها تشیر إلی أن هذا الموت و الحیاة ، اللذین یتداولان فی الحیاة الانسانیة و فی تاریخ البشر ، لیسا محتمین أبدیین علی فرد أو علی أمة ، إنما هما عارضان عابران ، و إنما هما من مراحل الحیاة الکثیرة التی یتعاقب بعضها بعضاً ، فاذا جاء السبات ، و إذا جاء الموت الموقت ، فستتبعهما الحیاة باذن الله .

إنی أعتقد أن الشعوب التی تمر بمرحلة عصیبة إنما تمر بمرحلة انتقالیة ، وإنها تنتقل إن شاء الله فی یوم قریب إلی الاسلام ، و ما کان علیه هذا الجزء من العالم الاسلامی فی فهم للاسلام و تقدیر له . و من احتضان له ، و تفان فی سبیله و من قیادة للبشریة .

و أکتفی بهذه الکلمة ، و الحمد لله رب العالمین .

# أين دعاة الحرية من واقعهم الأسود !

الدكتور عبد العلي عبد الحميد
الدار السلفيــة بومبـائى

لا تزال تتردد فى الأوساط المعنية أصداء القرار الذى اتخذته الحكومــة الهندية للابقاء على قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، و الذى بها تم القضاء على أخبث و أخطر مؤامرة حيكت خيوطها للنيل من الشريعه الاسلامية الغراء، ونحن لا نستغرب رد الفعل الذى ظهر من المتطرفين من الهندوس الذين أثاروا نيران تلك الفتنة ، نتيجــه لخيبه أملهم ، إد يستطيع كل دى عقل و بصيرة أن يدرك مدى حقدهم الكامن و الشعور بالعداوة و البغضاء الذى تنطوى عليـه نفوس هذه الفئة ، ولكن العجب كل العجب أن يستسلم لهم و يخضع لارادتهم نفر من المسلمين و يقعوا فى شراكهم ، و يضموا أصواتهم إلى أصواتهم فى المطالبـة بمـا سموه « الحفاظ على حقوق المرأة المسلمة فى الهند » ، من دون إدراك للاهداف الحقيقية و المؤامرة الخفية ، و لو أن هؤلاء فكروا فى أنفسهم ، و نظروا بالعيون المتفتحه الواعيه لأدركوا الخدعة التى سمحوا لأنفسهم بالوقوع فيهـا ، فان هنـاك جوانب كثيرة أ كثر برزواً من قضية نفقة المطلقة تنتهك فيها حقوق الانسـان ، و تهدر فيها القيم الانسانية . فماذا يقول هؤلاء فى عمليات الاغارة و النهب والقتل التى تتكرر فى بلد أو آخر بصورة منظمة يروح ضحيتها مئات من المسلمين كل سنة، يسفك فيها دماؤهم، وتحرق بيوتهم، وتنهب ممتلكاتهم بغير حق إلا أنهم مسلمون ؟ لماذا لا يقوم دعاة الحرية و زعماء رعاية حقوق الانسان بتنظيم هيئات أو جبهات تعمل على وقف هذه العمليات الاجراميـــة التى يرتكبهـا ناس من أهل دينهم ؟

لماذا لا نسمع صوت احتجاج ضد المظاهرات التى كثرت فى الأيام الأخيرة ، و التى تنظم لاغاظة المسلمين و إثارة عواطفهم الدينية برفع شعارات ضدهم ؟ هل المحاولات القذرة لتحويل مساجد المسلمين إلى معابد هندوكية ، والمطالبة من المسلمين أن يغادروا الهند ، لأنها دولة الهندوس ، هى مظاهر واقعية لرعاية حقوق الانسان و الحرية الاجتماعية ؟

نحن نرحب بكل محاولة جادة لاصلاح المجتمع و حماية حقوق الانسان ، و لكن نريد أن يبدأ بالجوانب التى لها خطورة فى المجتمع ، والتى يؤدى التقصير فيها تقويض أركانه .

و لا شك أن أكبر مشكلة اجتماعية تواجه المجتمع الهندى الآن هو ما نطالع كل يوم ـ تقريباً ـ فى الجرائد و الصحف من حوادث تحريق الزوجات بأيدى أزواجهن و عائلاتهم ، و هذه المشكلة أدت إلى مشكلة أخرى خطيرة و جديرة بأن نسمى « مأساة انسانية » و هى كفيلة بأن تدفع المجتمع الهندى ـ الذى يحاول رئيس الوزراء التقدم به إلى القرن الحادى و العشرين ـ إلى عصر التخلف و الجاهلية .

فقد نشرت مجلة « الهند اليوم » INDIA TODAY الانجليزية فى عددها الصادر يوم ١٩٨٦/٦/١٥ تحقيقاً صحفياً يبرز ملامح هذه المأساة وعواملها الاجتماعية ، فالنفقات الباهظة التى يجبر عليها آباء البنات عند زواجهن ، والتى يؤدى العجز عنها إلى قتلهم أو إحراقهم دفعت كثيراً من الأسر فى جنوب الهند إلى قتل المولودة فى مهدها ، و يتولى هذه الجريمة البشعة الوالدان أنفسهما ، و قد كشفت إحدى الامهات عن الدوافع وراء هذا العمل الاجرامى ، فالتقاليد فى قريتها «أسيلام باتى» USAILAM PATTI فى محافظة مدوراى Madurai فى ولاية تامل نادو فى جنوب

الهند تفرض أن تدفع عائلة البنت إلى زوجها كصداق ألفي روبية نقداً و حوالى ٥٠ جراماً من حلي الذهب ، هذا إذا كان العريس فقيراً لا يملك قطعة من الأرض - مهما كانت صغيرة - فانه يرى نفسه جديراً بأن يطالب من الشخص الذي يريده زوجاً لبنته أن يدفع له عشرة آلاف روبية نقداً وحوالى ١٠٠ جرام من الذهب ، و إذا كان رجل يبحث عن شاب مثقف من خريجي الجامعات كزوج لكريمته فعليه أن يوفر مائة ألف روبية .

هذا و نفقات حفلة الزواج كلها على أسرة العروس فاذا كانت العائلة تريد في إقامة حفلة رائعة - حسب مستوى القرى و الأرياف - فعليها أن تصرف حوالى أربعين ألف روبية .

و إذا عجزت الأسرة عن دفع ما تم الاتفاق عليه ، أو ما هو معهود في المجتمع فتتحمل العروس العقوبة ، و أخفها أن تطرد من البيت .

هنا نسأل دعاة الحرية و زعماء حماية حقوق الانسان عما إذا كانوا عملوا شيئاً لحماية هذه الزوجات أو أنهم يبصرون القذاة في عيون إخوانهم فقط و يدعون الجذع في أعينهم .

و هذا الوضع المزرى أدى طائفة « كالار » التى تسكن فى منطقة «أسيلام باتى » إلى التفكير فى اتخاذ تدابير لازمة لحماية بناتها من أزواجهن ، ولم تجد سبيلا إلى ذلك فقررت التخلص منهن بقتلهن فى المهد ، و قالت إحدى الأمهات إن هذا أحسن للبنت من أن تترك فريسة للاعمال الوحشية ، و تعيش حياة تعاسة و شقاء فى عذاب دائم ، و ألم نفسى مستمر بين الضرب و اللعنات ، و السب و التعذيب فى بيت زوجها ، و ربما تنتهى حياتها بالانتحار أو بالاحراق .

و يسجل التحقيق الصحفى اعتراف أحد سكان هذه المنطقة - التى تتكون

من ٣٠٠ قرية يتراوح عدد سكان كل منها ٥٠٠ و ١٥٠٠ نفس - أنه لا توجد عائلة إلا و قد قامت بقتل بنت على الأقل فى خلال العشر سنوات الماضية ، و فى كل قرية قتلت ما بين ٢٠ - ٥٠ بنتاً فى الخمس سنوات الماضية .

و يقدر التحقيق الصحفى عدد المولودات المقتولات فى المهد فى خلال عشر سنوات مضت بحوالى ستة آلاف بنت ، وهناك عائلات قتلت أكثر من طفلة ، فتقول امرأة :

« اضطررت إلى قتل ثلاث من بناتى لأننا لم نكن قادرين على كفالتهن ، و البحث عن زوج لكل واحدة منهن كان أمراً عسيراً ، فان ذلك يتطلب أموالا طائلة لا نستطيع توفيرها بالاضافة إلى ذلك نحن نؤمن بأن الأم إذا قامت بقتل بنت فى المهد فالمولود التالى يكون ذكراً ، و لكنى قتلت ثلاث بنات و لم أسعد بذكر ، بل أنجبت أربع بنات أخرى ، و لم أستطع قتلهن ، و بعد ذلك رزقت بمولود ، و بعده ببنت أخرى » .

و هذه العملية الاجرامية يشترك فيها الأب و الأم معاً ، و أحياناً تضطر الأم أن تقوم بها لوحدها أرضاءاً لزوجها ، فقالت إحدى الأمهات - وهى تحاول السيطرة على عواطفها ، و كانت قتلت بنتاً كانت ثانى مولود لها :

« كيف أستطيع كفالة بنتين هذه الأيام الصعبة نحن فقراء لا نملك وسائل لكفالة بنتنا الأولى ، فهى عبء ثقيل علينا . . . لما عرف زوجى أننى ولدت بنتاً أخرى عزف عنى و لم يأت لزيارتى فى المستشفى ، كنت أعرف أنه يكرهنى . . يكرهنى لأننى أنجبت بنتاً ، و لكنى الآن أريد أن أخبره أننى تخلصت منها ، وذكرت سيدة أخرى أنها لما ولدت بنتاً قررت هى مع زوجها التخلص منها فوراً ،

فذهب الأب و جاء بذات سام و خلطاه بلبن و وضعاه فی فم الطفلة البريئـة ، و بعد قليل كانت جثة هامدة .

و لـكی تستطيع الأم أن تتخلص من وليدتها فی أقرب فرصه تتسلل من المستشفی بطفلتها منتهكة قوانين المستشفيات ، فحسب الاحصائات المتوفرة فی المستشفی الحكومی فی المنطقة تتم كل عام ولادة ١٢٠٠ طفل ، حوالی النصف منها بنات ، و تختفی منها ٩٥٪ ، وهذا يعنی أن حوالی ٦٠٠ بنت تولد فی المستشفی الحكومی كل عام تقتل منها ٥٧٠ بنتاً ! هـذا ما يحدث فی المستشفی الحكومی ، أما ما يحدث فی المستشفيات الخاصة أو بيوت التوليد ، أو فی البيوت الخاصـة ، فهو خارج عن ذلك .

و هذا التحقيق الصحفی يتعلق بطائفة معينة و منطقة خاصة ، و لـكن من المؤكد أن مثل هذه الحوادث تقع فی أماكن أخری و فی مجتمعات أخری ، و السبب فی ذلك هو التقاليد القديمة التی تفرض علی عائلة البنت دفع مال إلی من يتقدم للزواج بها .

و من الغريب أن يغمض الدعاة و زعمـاء الاصلاح الاجتماعی عن هذه الأعمال الاجرامية و يثيروا ضجة حول نكبات المرأة المسلمـة ، فاذا كان لديهم شعور بالانسانية ، و لم يكن ضميرهم مات نهائياً فعليهم أن يتحركوا إلی إصلاح هذا الجانب من المجتمع الهندوكی ، و يحرروه من لعنات التقاليد البالية التی تحول عقد الزواج إلی صفقة تجارية تباع فيها البنت و يشتری فيها العريس .

## صور و أوضاع :

# توافق فى عقلية معاداة الاسلام و منهجها

واضح رشيد الندوى

يوجد توافق عملى ، وتطابق عقلى غريب بين الذين يعادون الاسلام ، سواء كانوا فى الغرب أم كانوا فى الشرق ، و ينبع هذا التوافق و توجيه سائر القوى إلى جهة واحدة ، من وحدة الشعور ، و مواجهة خطر واحد ، فاتحدت الاستراتيجية و التفكير ، و العمل فى المقاومه ، كما اتحد المطق و الدليل العقلى .

كان من أهم عناصر الاستراتيجية التى اتخدها الغرب ضد الاسلام و المسلمين منذ أن قدرت له السيادة الفكرية و العسكرية ، التلفيق و تزوير التاريخ ، وعرض صورة بشعة لواقع العالم الاسلامى و وصف الاسلام خطراً للحضارة و الانسانيه لتبرير تصفيه العنصر الاسلامى ، و كانت الخطة تتكون من تمجيد الحضارة الأوربية والجنس الأوربى ، و وصف المجتمع الاسلامى ببؤرة الفساد ، ومصدر الارهاب ، و معاداة العلم و الحضارة ، و الحقوق الانسانية ، و ساهمت فى منح هذه الصورة ألوانها . الوسائل السياسية و الثقافيه

و لأجل ذلك سلطت الأضواء دائما على المجتمع الاسلامى ، و خاصة المجتمع العربى و روقبت حركات كل عربى و مسلم فى أوربا ، و خارجها .

و لو بحثنا ما هو الحافز أو الدافع إلى هذه اليقظة و الاحتراس فى هذه المسألة لوجدناه نابعاً من شعور خفى بأن الاسلام دين يهيمن على جميع الأديان و يكتسح جميع المذاهب والتيارات ، إذا لم توضع حواجز قوية فى سبيل زحفه ، و ذلك لأن الاسلام دين الفطرة ، و دين اليسر و دين الحياة ، ودين الأخلاق و دين الحرية و الانفتاح ، و دين المساواة ، لا يفرق بين أمة و أمة ، و أسود و أبيض ، بينما الأديان الأخرى طقوس و عادات ، و هى محصورة فى الحياة

التعبدية ، والرهبانية . منقطعة عن الحياة ، لا رسالة لها ولا دور فی بناء الأخلاق الاجتماعية ، و بناء الحياة العمليه ، فكلما أتيحت فرصة للدعوة الحرة و منح الخيار بقبول دين ، ظهر الاسلام و غلب ، عقلياً و طبعياً ، و قد اكتشفت صلاحية الاسلام للانتشار حركات التنصير والتهنيد المدعمة بالوسائل المادية فی إفريقيا و آسيا حين علمت أن الطاقات التی تبذلها هذه الدعوات تقل جزءاً يسيراً من سكان العالم إلی أديانهم رغم وسائل الاقناع والاغراء، والسلطة والاجبار ، أما الانتقال إلی الاسلام طوعاً فيستمر فی جميع أجزاء العالم، حتی البلاد التی يحكمها غير المسلمين ، والتی يواجه المسلمون فيها ضغوطاً شديده ويؤثر الناس الاسلام ويحتملون المكروه فی سبيله .

و قد اعترف بهذه الصلاحية للاسلام مسئول كبير فی وزارة الخارجيـــة الفرنسية و الذی عبر بشعوره عن شعور كل من يعـادی الاسلام و حدد سبب محاربة الاسلام فقال : « ليست الشيوعية خطراً علی أوربا وإن كان هناك خطر، فهو خطر سياسی عسكری فقط ، و لكنه ليس خطراً حضارياً تتعرض فيـــه مقومات وجودنا الفكری و الانسانی للزوال و الفناء .

إن الخطر الحقيق هو الخطر الاسلامی ، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربی ، فهم يملكون تراثهم الروحی الخـاص ، و يتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة ، فهم جديرون بأن يقيموا بها قواعد عالم جديد ، دون حاجة إلی التغريب ، أی دون حاجة إلی إذابة شخصيتهم الحضارية ، و الروحيـــة بصورة خاصة فی الشخصية الحضارية الغربية ، (الاسراء ) .

كان ذلك فی عام ١٩٥٢ حين كان الاستعمار الغربی ينكمش من معظم بقاع العالم ، و تكتسح اليقظة السياسية فی العالم ، و قد كان المستعمرون الغربيون قد أعدوا خطتهم لتطويق الاسلام و منعه من التحرك علی أساس هذا الخوف النابع من الشعور بصلاحية الاسلام المهيمنة علی قوی الكفر والضلال، عسكرياً وثقافياً ،

و لتاريخه الطويل الذى يدل على وجود هذه الصلاحية ، و ارتاح الغرب بوجود أذناب له فى داخل صفوف المسلمين من الذين كانوا يعكفون على إذابة الشخصية الاسلامية الحضارية و الروحية ، لصهرها فى بوتقة الغرب ، ليتلاشى هذا الخطر كلياً ، و لكن الصحوة الاسلامية الأخيرة ، قد هزت كيان المفكرين فى الغرب ، عند ما علموا أن الاسلام يتسرب إلى عقر دارهم ، و أن الاسلام يترقى فى أحضانهم ، فاستأنف هؤلاء المذعورون بالاسلام حملة جديدة ضد الاسلام ، و وجهوا نداء لمحاربته بينما كانوا يوجهون الدعوة للحوار ، وللتعايش بين الاسلام والمسيحية .

يعكس هذه العقلية بيان مستشار الادارة الأمريكة للشئون الاستراتيجية و العسكرية و أستاذ التاريخ العسكرى ، ادوارد لوتواك ، الذى شن حملة شعواء ضد العرب و المسلمين ، وأنذر بخطر انتشار الاسلام عن طريق العرب والمسلمين الذين يعيشون فى أوربا ، فوجه نداء لطرد جميع العرب ، أو اعتقالهم ، و احتلال البلدان الاستراتجية لمنع الزحف الاسلامى الذى يهدد حضارة البحر الأبيض المتوسط .

إن هذا البيان يعكس طبيعة الخوف ، و طبيعة الذعر و يدل على شعور المفكرين فى الغرب بالضعف فى قوتهم ، ودينهم وحضارتهم . رغم استيلائهم على العالم ، و رغم قيود مفروضة فى بلادهم على الحركة الاسلاميه ، إنه اعتراف بأن جميع هذه الوسائل غير مثمرة فوجهت دعوة إلى حرب علنية ضد العرب و المسلمين القاطنين فى البلاد الغربية لتهديدهم للحضارة الاوربية رغم كونهم فى أقلية قليلة و مقيدين بشروط مشددة للوطنيه و العمل .

يقول ادوار لوتواك ، و هو يخاطب دول أسبانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان : « أمامكم فى جنوب أوربا بديل واحد ، و هو إما أن تغلقوا حدودكم على العرب

بشكل كامل ، و تستسلموا على أساس الواقع أمام الفرصة الجديدة ، عليكم أن تراقبوا بشدة كل حركات العرب ، دون استثناء .

و يقول ، إذا لم تقوموا بشن حملة صليبية جديدة ، ستكون لديكم الفوضى العارمه ، و أن أوربا الجنوبية ، ايطاليا و أسبانيا ، و فرنسا و اليونان ، ستضعف اقتصادياً ، و تتحول بلدانكم إلى صحارى (١) .

فلو كان هذا المستشار الأمريكى واثقاً بدينه و معتزاً بحضارته لما ساوره خوف تضخم المسلمين و كونهم خطراً للحضارة و المسيحيه ، و مثل هذا الخوف بزحف الاسلام يساور زعماء الحركات الطائفية الهندوكية فى الهند الذين ينذرون بخطر انتشار الاسلام ، و تعرض الحضارة الهندوكية للخطر ، و قد تنبه هؤلاء المحافظون للهندوكيه لهذا الخطر باقبال عدد من القبائل الهندوكية فى الجنوب ، وفى الشرق على الاسلام ، واعتناق منهم للاسلام ، فأدركوا بهذا الاقبال على الاسلام رغم كون الحكم فى أيدى الهندوس . و رغم وجود ضغوط سياسية و اقتصادية على غير الهندوس ، أن الاسلام يحمل جاذبية و أن تعاليمه تسخر القلوب ، وخاصة عنصر المساواة و عدم التمييز فيه ، و عقيدة التوحيد قاهرة و مقنعة مقابل عقيدة الوثنيه ، و أن الشريعه الاسلامية المدونة التى كانت موضع التطبيق قروناً طويلة تستميل القلوب عن الطقوس و العادات التى تختلف من بلد إلى بلد ، و تقوم على التصور الطبقى .

كان هذا الشعور وراء كل حركة تشاهد فى الهند اليوم لوقف الزحف الاسلامى ، وهو فى الواقع شعور بالنقص فى الحضارة و العقيدة و لذلك أنشئت حركة للانتحال فى الحضارة ، فقد كان المتغربون ، يدعون أن كل خير و فضيلة فى الاسلام ، و فى العلوم و الحضارة الاسلاميــة ، يرجع إلى الأصل اليونانى

---

(١) جريدة أخبار العالم الاسلامى ـ مكة المكرمة .

والروى، فشنت فى الهند حركة للادعاء بأن كل مأثرة من مآثرة التاريخ فى الهند ترجع إلى العهد الهندوسى ، فادعى بعض زعماء الحركة المتطرفة أن جميع الآثار الاسلامية هندوكية فى الأصل بناها أجادهم ، و يجب أن ترجع إلى الهندوس ، و منها المعابد ، و القصور ، و الأبراج ، و القلاع و الحصون ، و أن الهند فى العصور الغابرة كانت أقدم من العلم الحديث و بجانب هذه الدعاوى يجرى عمل التشويه و التزوير .

وقد صدر ، أخيراً كتاب من معهد الدراسات لدين ديال أبادهيائى فى دلهى ، يصور الاسلام تصويراً إرهابياً و يتهمه بالعدوان ، و يؤيد موقف مشركى مكة ، و يبدى عطفه عليهم ، و يعتبر رسول الله ﷺ و صحابته معتدين ، و لا حاجة إلى نقل مضمون الكتاب المدسوس الذى يسير على نفس المنهج الذى سار عليه المستشرقون الحاقدون .

هذا الكتاب يعرض عقلية التحريف والتزوير للتاريخ الاسلامى التى تمسك بها الكتاب الغربيون ، يدل على أن أعداء الاسلام لا يؤمنون بعرض مذاهبهم عرضاً موضوعياً و إنما يؤمنون بتشويه وجه الاسلام و لا يؤمنون بالدعوة إلى دينهم و حضارتهم بل يؤمنون بتشوية الاسلام و حضارته لأن المقارنة تكون بين المتقاربين أما المقارنة بين المتفاوتين فغير معقول ، و غير مقبول ، و صدق الله العظيم « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

و بجانب الحركة الدعائية الحاقدة يصرح بعض الزعماء المتطرفين علناً بطرد المسلمين إذا تمسكوا بدينهم و حضارتهم ، و قد وصف كوپال غودسى أحد قادة حزب هندو مهاسبها ، وصف المسلمين بأرضة يجب إحراقها لكيلا تلتهم الأغلبية الهندوكية .

# الدكـتور عبد الرحمن رأفت الباشا

الأستاذ محمد حسن بريغش
عضو رابطة الأدب الاسلامى

إنه واحد من رواد الأدب الاسلامى المعاصر ، الذين حملوا الراية بصبر و ثبات ، و وقفوا على ثغر من ثغور الاسلام .

لقد عمل الفقيد ـ رحمه الله ـ على إبراز الأدب الاسلامى بقوة ، و ثابر على المناداة به ، و إبرار خصائصه ، و إحياء تراثه بجد و إخلاص ، و كان فى دراسته و تدريسه مثلا يحتذى فى الجد و الصبر و الثبات ، لقد عرفته مدارس سورية ، و جامعـــه دمشق منافحاً قوياً عن العربية ـ لغة القرآن ـ و عن الأدب الاسلامى .

ثم ترجم دعوته تلك إلى عمل رائد عنـــد ما أصبح أستاذاً فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، فبدأ يدرس الأدب الاسلامى ، ويبرز نصوصه و خصائصه ، و وجـــه عدداً من طلابه لدراسة هذا الأدب ، و جمع نصوصه من بطون الكتب ، وشتى المراجع و المصادر الأدبية و التاريخية .

لا سيما و أنه كان يعلم بأن هـــذا الأدب لم يلق العناية التى يستحقها ، و الاهتمام الجدير به من طلاب الدراسات الأدبية ، « و لم يلتفت إليه إلا النزر اليسير من الدارسين التفاتات عابرة لا تتكافأ مع مكانته من ديوان الشعر العربى ، و لا تنهض إلى مستوى منزلته فى حيـــاة المسلمين حتى أصبح يطلق عليه اسم

الأدب اليتيم (١) .

ثم راح يعدد الأسباب التى حالت دون إبراز هذا الأدب و هكذا كانت ثمار جهده هذا أن أخرجت كلية اللغة العربية ستة أسفار ضخمة تجمع النصوص النثرية و الشعرية و هى كما يلى :

١- شعر الدعوة الاسلامية فى عهد النبوة و الخلفاء الراشدين .

٢- شعر الدعوة الاسلامية فى العصر الأموى .

٣- شعر الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الأول

٤- شعر الدعوة الاسلامية فى العصر العباسى الثانى .

٥- القصص الاسلامية فى عهد النبوة و الخلفاء الراشدين (١) .

٦- « « « « « « (٢) .

و سميت هذه الأسفار « بموسوعة أدب الدعوة الاسلامية » و كانت أمنية الفقيد ـ رحمه الله ـ أن تصل هذه الأسفار إلى قريب من خمسه عشر مجلداً .

و تمثل هذه المجلدات الست الأرضية الصلبة التى تساعد الدارسين فى معرفة الأدب الاسلامى ، و دراسة خصائصه و رصد موضوعاته و أغراضه ، و صوره منذ فجره الأول .

و هو عمل جليل و كبير يحتاج إلى من يكمله ، و يتمم خطواته تلك لتشمل جميع العصور وشتى الفنون الأدبية .

و هو يعكس صورة الجهد الذى بذله الفقيد ، و التصور الذى نظر من خلاله إلى الأدب الاسلامى .

---

(١) من مقدمة الدكتور الباشا لكتاب شعر الدعوة الاسلامية فى عهد النبوة و الخلفاء الراشدين .

و كذلك كان له الفضل فی إقرار منهج الأدب الاسلامی فی كلية اللغة العربية ، و أصبح قسماً خاصاً يتخرج منه كثير من الباحثين و الطلبة الدراسين ، و تكتب فيه كثير من البحوث و الموضوعات التی تعالج قضايا كثيرة من الأدب الاسلامی .

لقد كان فی عمله هذا واسع النظرة ، قوی الخطوة صادق العزيمة لأنه يؤمن كما قال فی كتابه « نحو مذهب إسلامی فی الأدب و النقد » إنها مسؤولية كبری يلقيها الاسلام علی عاتق الأدباء ، و إشارة ضخمه ، إلی مهمة الأديب الاسلامی فی بناء المجتمع ، فأسلات الأقلام فی هذا الدين كشفرات السيوف ، و كل أديب يستحق هذا اللقب بجدارة يقف علی ثغر من ثغور الاسلام ، فاذا عرفنا أن الاسلام و المسلمين فی معركة دائمة ، و أن علی كل مسلم نصيبه من الجهاد و البناء ، أدركنا قيمه الأدب فی حياة المسلمين و أهميته فی بناء المجتمع المسلم ـ و علی هذا فليس الأدب نافلة فی الحياة ـ وإنما هو عنصر من عناصرها الأصيلة الثابتة ، و ليس الأدباء بسكان الأبراج العاجية ، و إنما هم حملة السلاح فی المعركة ( انتهی ) .

و ساهم أيضاً بجهد مشكور فی كثير من النشاطات الأدبية و لا سيما فی ندوة الأدب الأسلامی التی عقدت فی جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فی ١٦/ رجب ١٤٠٥ھ المواقف ١٦/ ابريل نيسان ١٩٨٥م ، و كان قلبها النابض ، بجهده و عمله و إخلاصه .

و كذلك شارك قبلها فی ندوة الحوار حول الأدب الاسلامی و مناهجه التی عقدت فی الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فی رجب عام ١٤٠٢ ، و كذلك شارك بالندوة التی عقدت قبل ذلك فی ندوة العلماء بلكهنؤ بالهند ، برئاسة سماحة

الشيخ أبى الحسن الندوى حفظه الله .

و كذلك ساهم بجهـــد كبير بتأسيس رابطة الأدب الاسلامى و انتخب فى المؤتمر الأول للرابطة نائباً للرئيس ، حيث كان رئيسها و لا يزال سماحـــة الشيخ أبو الحسن الندوى .

و كذلك انتخب عضواً فى مجلس الأمناء ، و رئيساً لمكتب الرابطـــة فى البلاد العربية .

كان رحمه الله جم النشاط ، صادق العزيمة ، لا يعرف الكلل حتى أصيب قبل وفاته بسنوات بالشلل النصفى ، و مع ذلك ظل على طريقه وفياً للهدف الذى يسعى إليه ، طالباً مرضاته الله عز و جل .

و لم يكتف بهذا الجهد ، بل كان نتاجه و قلمه صورة عما يدعو إليه ، و لذا صار يعرف بصاحب سلسلة « صور من حياة الصحـابة » و « صور من حيـاة التابعين » هاتان السلسلتان اللتان كتبتا بأسلوب أدبى مسرف يعطى نموذجاً للأدب الاسلامى الحديث ، هذا الأدب الذى يتميز بالأصالة ، و الاشراف ، و السمو ، فكانت كتبه هذه واسعة الانتشار ، كثيرة الطبعات ودخلت كمقررات مدرسية فى عدد من الدول .

رحم الله الفقيد ، الذى كان على ثغرة من ثغور الاسلام ، و ظل جندياً صامداً على هذا الثغر حتى وافته المنية .

يوم الجمعة ١١ ذو القعدة ١٤٠٦ﻫ الموافق ١٨ يوليو تموز ١٩٨٦م ميلادية فى مدينة استانبول بتركيا .

رحم الفقيد رحمة عامه ، و أسكنه فسيح جناته .

و إنا لله و إنا إليه راجعون

# الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

## فى ذمـــة الله

عقدت حفلة تأبينية فى جامعة ندوة العلماء فورما وصل إليها نبأ وفاة العـالم الجليل و الأديب الاسلامى الـكبير الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، بواسطة رسـالة أرسلها إلى سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، فضيلة الأستاذ محمد حسين بريعش عضو رابطة الأدب الاسلامى ، من الرياض .

تحدث فى هذه الحفلة سماحة العلامة الندوى وأبدى حزنه الشديد على حادث وفاة فقيد الأدب الاسلامى الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، وقال: إن المرحوم كان فى طليعة الملبين للدعوة التى وجهت إليه حول بعث الأدب الاسلامى من جديدة وإبراز ملامحه من خلال النصوص والـكتابات الاسلاميه التى لاتزال طرية جديد فى غضون الـكتب والمؤلفات، وأخبره بعقد مؤتمر الأدب الاسلامى فى ندوة العلماء لهذا الغرض ، فحضره و أسهم فيه بفعاليه زائدة، و نتيجه لهذا المؤتمر قامت رابطة الأدب الاسلامى على صعيد عالمى ، فكان رئيس قسمها الخاص بالبلدان العربيـة و أوربا و أمريكا و إفريقيا، كان قد سافر إلى استانبول فى تركيا لقضاء جزء من إجازته الصيفية ، وهناك استأثرت به رحمة الله تعالى . فانا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كان الفقيد من كبار الأدباء الذين قاموا بخدمات جليلة للدين عن طريق الأدب ، و ركزوا مجهوداتهم الأدبيه على إبراز الأدب الاسلامى وإثرائه بثرواتهم الأدبية و البيانية ، إنه قاد حركة الأدب الاسلامى وجعله هـــدفاً غالياً لحيـاته ، فاستطاع أن يقدم إلى الجيل الاسلامى الحـاضر صوراً رائعة للأدب الاسلامى من خلال مؤلفاته و موسوعته الأدبية .

و أشاد سماحته فى الأخير بمكانته الأدبية العاليـــة ، و قال : إن الدكتور عبدالرحمن رأفت كان أستاذاً كبيراً للأدب الاسلامى ومن كبار الكتاب الاسلاميين ، إنه جعل أدبه ذريعة لخدمة الاسلام فصبغه بصبغة إسلامية ممتازة ، لذلك فان الفقيد قد خلف فى حياته نموذجاً لكل من يشتغل بالعمل الأدبى، طلاباً وأساتذة، و ذلك دليل على علو مكانته و نيل عمله قبولا من عند الله تعالى ، رحمـــه الله و أعلى درجاته فى الشهداء و الصالحين .

كما قد ألقى كل من فضيلة الدكتور عبدالله عباس الندوى معتمد التعليم فى دار العلوم ندوة العلمـاء ، و فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الندوى رئيس كلية اللغة العربية و آدابها بجامعـــة ندوة العلماء ، كلمة اعتراف بفضل مجهودات المرحوم الأدبية ،وتأثيرها و غنائها فى الجيل الاسلامى الحاضر ، و مما قال الدكتور الندوى: إن المرحوم الباشا كان ذا بصيرة نافذة فى الأدب الاسلامى ، فقـــد تمكن من جمع مواد قيمة تتجلى فيها مكانته الأدبيـــة ، و أشـار إلى نضج فكره الاسلامى فى الأدب ، بدون أن يتأثر بالظروف السياسية الصعبة التى اجتازها ، و التى كانت تتطلب منه أن يخضع لها قوته الأدبية ، وبراعته الفنية ، ولكنه أبى إلا أن يخدم الاسلام و يموت فى سبيله .

و أشار فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوى إلى تربيته الأدبية التى تمت على يد جده العظيم حيث إنه فقد والده وهو ابن ثلاثة أشهر فقط، و قد كان من مواليد مدينة حلب فى الشام ، نشأ المرحوم على حلال إسلامية طيبة نتيجـة التربية التى تلقاها من جده العالم والحافظ ، و بعد ما أتم دراسته فى حلب و دمشق سافر إلى القاهرة حيث نال شهادة الدكتوراه فى الأدب العربى ، ثم عين كأستاذ للأدب فى كل من دمشق و حلب ، و منذ ٢٢/ عاما كان أستاذاً للأدب العربى بكلية اللغة العربية لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، و فى الأخير كان رئيس قسم الأدب العربى بكلية اللغة العربية فيها ، رحمه الله و أسكنه فسيح جناته .

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المجلد الحادي والثلاثون ★ ربيع الأول ١٤٠٧هـ — نوفمبر ديسمبر ١٩٨٦م ★ العدد السادس

المراسلات:

البعث الإسلامي ندوة العلماء، ص ب ٩٣. لكهنؤ (الهند)

**ALBAAS-EL-ISLAMI**

Nadwat-ul-Ulama, P. O. Box 93,

LUCKNOW ( INDIA )

في هذا العدد

الافتتاحية

الافتتاحيـــــة :

## واقع المسلمين فى عصر الصحوة !

تساؤلات كثيرة يثيرها غير المسلمين من شعوب العالم بوجه خاص ، حول هذه الأمة الاسلامية التى يملأ أفرادها أرجاء الدنيا ، و يعتبرون علامـــة متميزة أزاء الأمم و الشعوب الأخرى ، و يعاملون على ذلك معاملة متميزة فى كثير من شئون الحياة .

و يمكن أن تتركز هذه التساؤلات كلها فى نقطة واحدة ، و هى :

أ هذا هو الاسلام الأصيل الذى يتمثل فى حياة المسلمين اليوم ؟ أ ذلك هو الذى غير مجرى التاريخ فى القرن السـابع الميلادى ، و قضى على الفسـاد ـ بالمعنى الواسع ـ الذى شمل كل جزء من أجزاء الحياة الفردية والجماعية حينذاك ؟

و من الصعب أن نؤكد أن الاسلام الذى نتظـاهر به اليوم فى سلوكنـا و حياتنا هو الاسلام الأصيل الذى أنقذ البشرية الشقية من التردى و استبدلهـا بأمة إسلامية حملت راية العدل و الوحدة و التضامن و القوة فى القرون الماضية ، و أقامت مجتمعاً نموذجيـاً مثالياً على المستوى العالمى ، جمع البشر كلهم تحت راية الايمان و العقيدة و الحب و الأخوة ، و قضى على كل الفوارق من اللون و الجنس و اللغة و الوطن ، و على جميع الفروق فى العرق و النسب و الانتماءات المادية ، و قرر للفضيلة و التفاضل أساساً واحداً ليس غير ، و هو أساس التقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، و ( لا فضل لعربى على عجمى و لا لعجمى على عربى و لا لأبيض على أسود و لا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ) .

بل الحق ـ و الحق يقال ـ إن المسلمين اليوم لا يمثلون الاسلام الأصيل الكامل فى شئ ، إنهم لا يعبرون عن الخصائص الاسلامية فى كل جانب ، وليس تمسكهم بشريعـــة الله فى المعنى العملى بحيث يؤهلهم للقيادة العالمية و يضعهم على

القمة ، و يصنع منهم أمة الوحدة و الأخوة ، و يقف بهم كخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر ، و يجعلهم مثالا للاعتصام بحبل الله و عدم التفرق ، ذاك أن واقع الاسلام الذى أكرمهم بالميزة و رفع شأنهم عالياً شامخاً و وصفهم بأمة الخير و الدعوة و القيادة و الخلق العظيم ، فارقهم إلى حد كبير و وقف بهم على الهامش حينما رضوا بأن يتابعوا حضارات مادية ، ويعيشوا حياة لين و نعومة و ترف ، و يستهينوا بشعائر الدين تجاه عادات و تقاليد الأمم المادية ، و بتعبير آخر : منذ أن وقعوا فريسة المؤامرات و المخططات التى دبرها أعداء الاسلام ، و زحفوا على المسلمين بشتى أنواع الغزو الحضارى و الفكرى ، ذلك الذى قلل من شأن الحضارة الاسلامية و أكد أنها كانت صالحة فى وقتها إلا أنها لا تكاد تغنى عن الانسان فى عصر يزخر بالأسباب و الوسائل والابداع و الاتساع فى كل جانب حيوى ، فردى و اجتماعى ، و لقد استساغ هذا الفكر المسلمون بعد ما أثرت فيهم التفسيرات المادية للحياة وبدأوا ينظرون إلى كل جديد و حديث بعين الاعجاب و التقدير .

فكان من الطبيعى أن يهمل المسلمون كثيراً من تعاليم دينهم و توجيهات الاسلام فى المجالات الفردية و الجماعية ، و الدينية و السياسية ، و الاقتصادية والثقافية و الخلقية ، و يطبقوها على أنفسهم تطبيقاً دقيقاً ويخضعوا لها فى ممارساتهم العامة و الخاصة ، و ذلك هو الاهمال الذى أدى بهم فى آخر المطاف إلى أن يصبحوا أضعف أمة لا يقام لها وزن فى ميزان الأمم و الشعوب ، و يحدروا بكل ظلم و اضطهاد و شقاء ، دون أن يصلحوا لأى نشاط عملى كبير على مستوى الشعوب و الأمم ، الواقع الذى نشاهده اليوم على جميع المستويات و فى كل بلد يسكنه المسلمون ، و لا غرو فاننا نحن المسلمين نمثل اليوم كل داء و فساد فى كل مناسبة إلا الاسلام الصحيح و العقيدة الاسلامية السليمة ، فان ذلك غدا عندنا اليوم كعنقاء المغرب ، و إن جذور الداء التى تأصلت فى حياتنا الحاضرة

تتلخص فی كلمة « التفرق » التی أدت دورها فی تفتيت عضد الأمــة الاسلامية و تقطيع أوصالها فی زمنها الأخير ، ولعل هذا المرض العضال كان العنصر الغالب فی المجتمع الانسانی الذی سبق الاسلام ، سواء كان مجتمعاً متحضراً راقياً أو كان بعيداً عن الحضارة و التقدم و الاتساع العلمی ، ففی المجتمعات الجاهلية تتوفر أمثلة التفرق والتصارع إلی أبعد حد ممكن يتصوره الفكر الانسانی ، وما حروب داحس و الغبراء و أيام الجاهلية و المعارك القبلية إلا شهادة علی ما كان المجتمع الانسانی يعانی منه ، من العداوات الحزازات و المصارعات و المشاحنـــات المتأصلة الجذور و المتعمقة الأصول ، و لو لا نعمـــة الاسلام التی فاجأتهم و قفزت إليهم عن طريق الغيب لكان الانسان الجاهلی قد أتی عليه الزمان و دارت عليـه الدوائر ، و لم يعد له عين و لا أثر .

كذلك أصحـاب الديانات التی سبقت الاسلام ، كان الصراع بينهم شديداً و المنافسات القبلية و الجنسية بالغة إلی آخر المدی ، وذلك رغم وجود الحضارات التی كانوا يمثلونها و يحملون لواءها ، و ادعائهم بالدين و العلم و الثقافة ، كاليونان و الرومان والفرس ، فقد تحدث عن تلك المعارك الدينية التی تحولت إلی حروب أهلية فی الدول الرومية ، سماحة العلامة الشيخ أبی الحسن علی الحسنی الندوی فی كتابه القيم « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » و كفی ذلك برهانا علی الانحلال الخلقی و الاجتماعی و التفرق المشين الذی عاشه الانسان المتحضر فی هاتيك الدول و الحضارات ، يقول الدكتور الفرد ، ج ، بتلر ، فی كتابه « فتح العرب لمصر » :

إن ذينك القرنين (٦-٧) كانا عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين ، نضال يذكيه اختلاف فی الجنس و اختلاف فی الدين ، و كان اختلاف الدين أشد من اختلاف الجنس ، إذ كانت علة العلل فی ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانيـة و المنوفيسية ، و كانت الطائفة الأولی — كما يدل عليهـا اسمهـا — حزب مذهب

الدولة الامبراطورية وحزب الملك و البلاد ، وكانت تعتقد العقيدة السنية الموروثة و هى ازدواج طبيعة المسيح ، على حين أن الطائفة الأخرى و هى حزب القبط المنوفيسيين — أهل مصر — كانت تستبشع تلك العقيدة وتستفظعها ، وتحاربها حرباً عنيفة فى حماسة هوجاء يصعب علينا أن نقررها أو نعرف كنهها فى قوم يعقلون ، بله يؤمنون بالانجيل .

و حاول الامبراطور هرقل ( ٦١٠—٦٤١ ) بعد انتصاره على الفرس سنة ٦٣٨ جمع مذاهب الدولة المتصارعة و توحيدها و أراد التوفيق ، و تقررت صورة التوفيق أن يمتنع الناس عن الخوض فى الكلام عن كنه طبيعة السيد المسيح ، وعما إذا كانت له صفة واحدة ، أم صفتان ، و لكن عليهم بأن يشهدوا بأن الله له إرادة واحدة وقضاء واحده و فى صدر عام ٦٣١ حصل وفاق على ذلك وصار المذهب المنوثيلى مذهباً رسمياً للدولة و من تضمهم من أتباع الكنيسة المسيحية ، وصمم هرقل على إظهار المذهب الجديد على ما عداه من المذاهب المخالفة له متوسلا إلى ذلك بكل الوسائل ، و لكن القبط نابذوه العداء وتبرأو من هذه البدعة و التحريف ، وصمدوا له واستماتوا فى سبيل عقدتهم القديمة ، و حاول الامبراطور مرة أخرى توحيد المذاهب وحسم الخلاف ، فاقتنع بأن يقر الناس بأن الله له إرادة واحدة ، و أما المسألة الأخرى ، و هى نفاد تلك الارادة بالعمل ، فأرجأ القول فيه و منع الناس أن يخوضوا فى مناظراتها ، و جعل ذلك رسالة رسمية ، و بعث بها إلى جميع جهات العالم الشرقى ، و لكن الرسالة لم تهدىء العاصفة فى مصر و وقع اضطهاد فظيع على يد قيرس فى مصر استمر عشر سنين ، وقع فى خلالها ما تقشعر منه الجلود ، فرجال كانوا يعذبون ثم يقتلون إغراقاً ، و توقد المشاعل و تسلط نارها على الأشقياء حتى يسيل الدهن من الجانبين إلى الأرض ، و يوضع السجين فى كيس مملوء من الرمل و يرمى به فى البحر ، إلى غير ذلك من الفظائع » ( ماذا خسر العالم بانحطا المسلمين ص ٣٨-٣٩ ، طبعة ١٣) .

نستطیع أن نقدر مدی تفاقم داء التفرق و التدهور الخلق الذی سری إلی الطبیعة وصار جزءاً منها لا یتجزأ ، حتی فشلت جمیع المجهودات و أخفقت جمیع التدابیر المادیة و الخلقیة فی إیقاف موجة العداوات و الکراهیة التی طغت علی کل عنصر ، و استولت علی المشاعر و العواطف ، وکادت لا تنتهی إلا بنهایة البشر ، ولکن الله سبحانه بعث الاسلام رحمة للعالمین جمیعاً ، ونعمة للبشر طراً ، و غیر الأوضاع وقلب العقول و الأفکار ، و أصلح القلوب ، فاذا بالعداوات و الخلافات تتبدل بالصداقات و المواخاة ، و بالفرقة تتحول إلی وحدة ، وتتحد الصفوف و تتضامن الأفکار و وجهات الأنظار ، وتبدل الأرض غیر الأرض ، و إذا بالبشر یولد من جدید ، و ذلك ما عبر الله عنه بالنعمة وفسره الله تعالی بالاعتصام بحبل الله وأمر الناس بذلك ، و حذرهم من التفرق الذی عاشوا نتائجه إلی مدة طویلة ، و من علیهم بنعمة الاسلام الذی ألف بین القلوب و وحد الصفوف وجعل المسلمین کلهم کجسد واحد إذا اشتکی منه عضو تداعی له سائر الجسد بالسهر والحمی ، وعبر عن هذه الوحدة بالبنیان یشد بعضه بعضاً (و اعتصموا بحبل الله جمیعاً و لا تفرقوا و اذکروا نعمة الله علیکم ، إذ کنتم أعداءاً فألف بین قلوبکم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وکنتم علی شفا حفرة من النار فأنقذکم منها) .

ثم نعود الیوم إلی أمة الاسلام ونعیش معها فترة من الوقت فاذابها أمة ضعیفة منهوکة القوی ، منهارة الأعصاب ، وهی تئن تحت وطأة الداء القدیم الذی یعود تاریخه إلی ما قبل مجیئ الاسلام ، داء التفرق و التشتت و الخلافات و الشقاقات ، و قد تمکنت منها جرثومة الداء فأصبحت الأمة الاسلامیة ، بجمیع أجزائها و جوانبها تمثل الفرقة و الانقسام ، والخلاف و الشقاق ، علی کل مستوی و فی کل مجال ، و لا یکاد یتحد أفرادها علی قضیة واحدة مهما تکن تمت إلی الصمیم فی العقیدة و الشریعة ، فضلا عن أن تتحدفی الآراء و الأفکار ، و فی المذاهب و المسالك ، وتمتد خیوط هذه الخلافات و النزاعات من المسائل الفرعیة

و الأمور العائليـــة إلى القضايا العقـائدية و النظرات الايمانية نحو الـكون و الحياة و الانسان .

من مأساة الأمة الاسلامية أنها تعيش اليوم – على اختلاف بيئاتها و أوساطها و تباعد أوطانها و بلدانها – قضية واحدة فحسب، وهى قضية الخلاف و التفرق ، فاذا رأى مسلم رأيه فى أمر ما يعارضه غيره فى ذلك ، و إذا اتحدت جماعـــة من المسلمين على نقطة دينية وفكر بناء تتصدى جماعـــة أخرى ترفض تلك النقطة وتنقض ذلك الفكر ، وحتى إذا قام فرد من أفراد الأمة بنشاط فى نطاقه المحدود ويريد أن يخدم مصلحة إسلامية ويعمل عملا مفيداً فى وسطه الذى هو فيــــه ، يواجهه من نفس نطاقه أو خارج وسطه من يتحداه ويسفهه ، ويتهمه بتهم يخجل بمجرد سماعها رجل الشارع ، زد على ذلك الرذائل الخلقية التى يعيشها المسلم من التظاهر بالأخلاق المزورة ، و النفاق ، و الخيانة ، و التربص بالدوائر على غيره ، وتحين الفرص لايذائه و الشماتة بأخيه، وهدم أعماله ، و اتهامه بالزور ، والشهادة بغير ما أنزل الله ، وقلة الثقة بالدين ، و إهمال شعائره ، و اتخـاذ الدين وصلة للاغراض الرخيصة ، إلى غير ذلك مما لا يجهله الرجل العادى ، فضلا عن أصحاب العقل و المعرفة و الدين .

أما الصحوة الاسلامية فهى فى الحقيقة رد فعل للبحث عن الحق و الهدوء و الأمن و السلام ، ونتيجة فشل الفلسفات و الحضارات المادية فى توجيه الأمن النفسى و تقديم الحلول للمشكلات الانسانية ، ولا شك فان غير المسلمين من كل طبقة و مجتمع وبلد يجربون الاسلام ممن طال بهم التيه والقلق والحيرة و الشقاء ، و المسلمون أولى بأن يمثلوا للنـاس الاسلام العملى الذى يعيش فى واقع الحياة و المجتمع ، و أجدر بأن يصدقوا ما يعلقه الناس بالاسلام من آمال و تطلعات ، حتى تجد الصحوة إلى قلوب الناس سبيلا ، فيدخلوا فى دين الله أفواجاً ، و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ؟

سعيـد الأعظمى
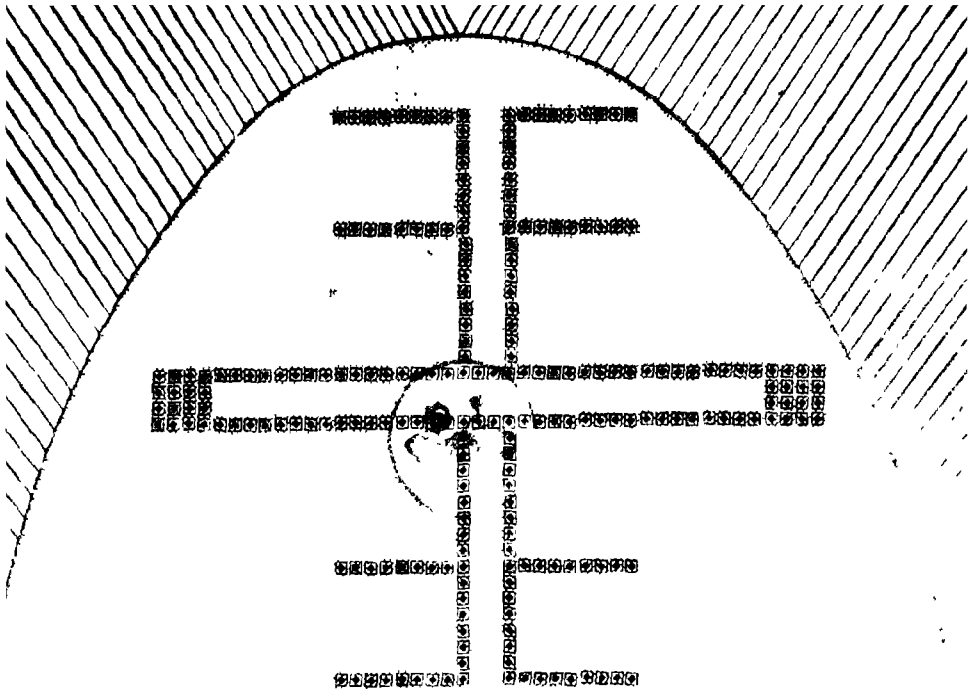
التوجيه الاسلامي

# منهج الامام السرهندی فی الاصلاح و التربیة

سماحة الشیخ السید أبی الحسن علی الحسنی الندوی

اختار الله للدعوة الاسلامیة فی الهند أصحاب قلوب رقیقة، لأن الشعب الهندی هو رقیق الشعور قوی العاطفة، یفعل فیه الحب و الحنان، ما لا یفعله المنطق والبرهان فاختار الله للدعوة الاسلامیة فی الهند، أصحاب قلوب لینة خفاقة، وعیون دامعة فیاضة، هؤلاء الذین كانت عیونهم تدمع لكل مفجوع مكوب، وكانوا یؤون كل طرید و شرید، و یلجؤن كل من أقصته الأسرة و طردته القریة.

كان الفرق بین البرهمی وغیر البراهمی أكبر من الفرق بین الانسان و الحیوان، إن الكتب التی تناولت هذا الموضوع، (النظام الطبقی و الاجتماعی فی الهند) كثیرة (١)، ثم كان غیر البراهمة طبقات، ثم هنالك سیدات مات أزواجهن فكن یحرقن أنفسهن مع أزواجهن، و كان ذلك من العادات التی تفردت بها الهند.

فكان أولئك الربانیون یلجئونهم فی ملاجئهم العلمیة و الروحیة، یطعمونهم معهم، و یجلسونهم علی مائدة واحدة، ما كان هنالك من المألوف أن یؤاكل إنسان إنساناً، ولا یزال هذا فی الهند، إذا سافرتم فی القطار ترون صدیقین من غیر المسلمین یتحدثان ویتلاطفان، فاذا حضر الطعام صرف هذا وجهه إلی الغرب، وهذا وجهه إلی الشرق، بدأ یأكل هذا و بدأ یأكل ذلك، كأنه لا لقاء بینهما،

---

(١) لیراجع للتفصیل كتابا المؤلف «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمین» و «السیرة النبویة».

فهؤلاء الدعاة والمربون كانو يعاملون أولئك اللاجئين معاملة أولاد و كانوا يجلسونهم على مائدة واحدة، و يفضلونهم على أنفسهم و أولادهم ، و بذلك انتشر الاسلام انتشاراً هائلا فی هذه البلاد التی تشبه قارة .

و كانوا مع هذا الزهـــد و الابتعاد عن قبول الصلات الملوكية ، يشرفون على الحـكومة و يراقبونها من بعد ، كالنار يصطلى بها الانسان و يستدفیء بها ولا يمسها فيحرقه ، و كان ذلك إلهاماً من الله تعالى .

أنا أومن بأن الداعية المخلص، لا يكون داعيـــة إلا إذا كان ملهماً مؤيداً من الله ، فكانوا يراقبون الدولة و يراقبون اتجاهاتها و ميولها، و يرون هل المجتمع الاسلامی إلى خير أم إلى شر ، و إلى صلاح أم إلى فساد ، و هل هناك اتجاه موافق للاسلام أم معارض للاسلام ؟ فاذا كان هناك اتجـاه معارض للاسلام جروا الحبل من بعيد و باحتياط ، وأشاروا على الملك بما هو صالح للعباد والبلاد ، و بما فيه تأييد للدين و تقوية للمسلمين ، و قد تكون لهم يد خفية فی اختيار ملك أو عزل و نصب .

فاذا سنحت لهم فرصة لكلمة حق عند سلطان جائر ، كانوا من أفصح الناس و أشجعهم ، أحكى لكم قصة واحدة :

إن محمد تغلق عرف فی تاريخ الهنـــد بالجبروت و الطغيان - بل بالجنون و الهوس - و يسمى فی تاريخ الهند « السلطان العاقل المجنون » إنه كان رجلا علامة، وهو أول ملك من ملوك الهند اطلع على مؤلفات شيخ الاسلام بن تيمية و أعجب بها ، إنه كان فی آخر القرن الثـامن و كان شديد الانكار على المنكرات و البدع ، وقد عسكر مرة بقرب عالم ربانی اسمه الشيخ قطب الدين منور ، وجاء العلماء و الشيوخ يسلمون عليه ، ولزم الشيخ بيته فلم يأته، و غضب الملك وطلبه

إلى دهلى عاصمة البلاد، و لما حضر البلاط و دخل الديوان رأى الأمراء والوزراء والحكام ورجال البلاط واقفين سماطين (١) متحشمين مسلحين، فى هيئة تنخلع منها القلوب، و كان معه ولده نور الدين وكان حديث السن لم يزر بلاط الملك فى حياته، ففزع لهذا المنظر الغريب وامتلأ رعباً، فناداه الشيخ قطب الدين بصوت عال قائلا : يا ولدى العظمة لله! ، يقول نور الدين : إنى استشعرت فى قوة غريبة بعد هذا النداء، و زالت الهيبة من نفسى ودابت . وبدأ الجميع عندى كأنه قطيع من ضأن أو معز ، و سأل الملك الشيخ و عاتبه قائلا : « إننا مررنا بزاويتكم فلم تشرفونا بزيارتكم و موعظتكم » فأجاب الشيخ : إن هـــذا الفقير لا يجدر بمقابلة الملوك ، إنه يعيش فى عزلة و يدعو للملك و لجميع المسلمين . فعليكم أن تعذرونى فى هذا الأمر، و بعد انصرافه قال الملك لوزرائه : إنه صافح كثيراً من الشيوخ و العلماء فكانت أيديهم ترتعش خوفاً و إشفاقاً . أما هذا الشيخ فما و جدت فى كفه ليناً وضعفاً . وما رأيت فى يده ارتعاشاً ، بل صافحنى بقوة و حرارة زائدة و اعتزاز نفس .

و قدم إليه الملك مأة ألف « تنكة » ( قطعة ذهب ) فقال الشيخ : سبحان الله! تكفينى أقتان من أرز و سمن بفلس واحد ، ماذا أفعل بهذا المال الكثير ؟ و لكن قيل له : إن الملك يسخط إذا لم يقبل هذه الهدية وينقم منه، فقبل الشيخ ألفى روبية و قسمها بين إخوانه و أصحابه و ذوى الحاجة. هذه قصة من القصص الكثيرة (٢) .

(١) أى صفين متقابلين .

(٢) نقلنا القصة بطولها من كتاب المؤلف « المسلمون فى الهند » إتماماً للفائدة و إكمالا للحديث .

و الآن أتحدث إليكم عن دور الاصلاح و التنظيم ، لما رسخت الحكومة الاسلامية فى الهند وانتشر الاسلام انتشاراً واسعاً فى جميع أنحائها، تأثر المسلمون بمواطنيهم الهنود ، فانتقلت إليهم عادات الجاهلية ، و انتقلت إليهم بعض العقائد الخرافية ، وتسرب إليهم الشرك و البدع و تغلغلت فيهم الفلسفة اليونانية والفلسفة الهندية القديمة ، و عن طريق هاتين الفلسفتين انتقلت إليهم اتجاهات و نزعات لا يقبلها الاسلام ، فهنالك جاءت مرحلة الاصلاح و التنظيم ، و لما جاءت هذه المرحلة ، قيض الله فى هذه المرحلة الدقيقة رجالا غيارى متألمين للاسلام، وهبوا نفوسهم و أرواحهم و مواهبهم و ذكاءهم لقيادة المسلمين فى هذه البلاد .

و اتفق أن أكبر ملك عرفه تاريخ الهند ، هو الملك المغولى السلطان جلال الدين أكبر بن همايون بن بابر مؤسس الحكومة المغولية فى الهند ، اتجه اتجاهاً معارضاً للاسلام . و نشأ فيه عداء للاسلام و عاد شديد للدين الاسلامى و صاحب الرسالة عليه الصلاة و السلام ، و عطف شديد على البراهمة وعقائدهم و عاداتهم .

هذه مرحلة أدق من مرحلة الجاهلية المحضة ، إذا كانت بلاد لا تعرف الاسلام فقضيتها قضية سهلة ، إذا تعرفت بالاسلام فقد تعرفت بالاسلام الحقيق والدين الخالص ، و لكن إذا ثار الملوك و الحكام على الاسلام ، و انحرفوا عن الجادة و ارتدوا عن الاسلام أو عارضوه ، فهنا العقدة الكبرى .

إن « أكبر » كان أولا مغرماً بدراسة الديانات ، كان من سوء حظه أنه كان أمياً أو شبه أمى ، لم تسمح حياته الخاصة بدراسة و ثقافة — و لكن مع ذلك عنده غرام بالمقارنة بين الديانات — و الانسان إذا كان جاهلا و ليست عنده الوسائل الكافية للمقارنة الأمينة ، و الوصول إلى النتائج الصحيحة ، فهذه محنة

عظيمة ، و هذا الرجل كان يجمع بين طبيعتين متناقضتين ، جاهل و لكنه كان مفرط الذكاء ، سريع الانفعال عصبياً ، ومغرماً بالمقارنة بين الديانات ، لجمع علماء أهل السنة و علماء الشيعة و علماء الطوائف الاسلامية التى انحرفت عن الاسلام ، و علماء البراهمة و البوذيين و المجوس و المسيحيين ، و كان يثير موضوعاً خلافياً يناظر فيه هؤلاء العلماء فكانوا يتنافرون كالديك ويتناطحون كالتيوس . و كان يتفرج على ذاك ويتسلى به ، كما كان الملوك فى العصر القديم يتفرجون على قتال التيوس و بعض الطيور ، هذه المناظرات قد غرست فى قلبه الشكوك و صار ينسلخ عن الاسلام رويداً رويداً حتى انسلخ تماماً .

ثم العامل الثانى الذى أثر فيه و عدل به عن الاسلام ، هو حب العلماء الزائد للدنيا و تنافسهم فى الجاه و المال ، كان فى بلاطه علماء يعتبرون من كبار العلماء فى عصره ، و لكنهم مع الأسف الشديد ، كانوا متنافسين تنافساً شديداً فى الجاه ، و كان كل واحد يريد أن يستأثر بالملك و كان بعضهم ادخر مالا عظيماً ، وكان بعضهم استخرجت من مقبرة أسلافه لبنات من ذهب كان قد خبأها ، فلما اطلع هذا الرجل على هذه المناظرات و اطلع على مواضع الضعف فى هؤلاء العلماء الكبار ، الذين كان أحدهم المحدث الأكبر و الآخر قاضى القضاة و المفتى الأكبر ، رأى أنهم لصوص الدنيا ، و أنهم لا يقلون عن عباد الدنيا فى حب المال ، فانسلخ عن الاسلام .

و أقول لكم — أيها الاخوان — عن تجربة و اختبار ، إن الذى يرتد عن الاسلام يكون أكثر عناداً للاسلام ، و أكثر معارضة للاسلام و المسلمين من أتباع كل ديانة ، مسيحيين كانوا أو يهوداً ، و هذا الذى تشهدونه اليوم فى بعض البلاد العربية و الاسلامية ، التى يحكمها الذين ولدوا فى الاسلام و نشأوا فى بيت

مسلم و فى بيئة مسلمة ، ثم كرهوا الاسلام و أبغضوه لتأثير أجنبى أو بفعل ثقافة أو فلسفة ، فهم دائماً أشد عناداً للاسلام من الهنادك و المجوس و المسيحيين .

و نعود إلى القصة فنقول ، إن « أكبر » عادى الاسلام عداءاً شديداً ، حتى يروى عنه أنه كان لا يستطيع أن يسمع اسم محمد ، كانت تثور ثائرته إذا سمع هذا الاسم الكريم ، فكان لا يملك نفسه ، و قد أصدر الأوامر الشديدة بأن كل من سجل عليه أنه ذبح بقرة فانه يقتل ، إنه أحل الخنزير و أحل الخمر ، و لكنه حرم ذبح البقر ، و حرم على رجال بلاطه أن يسموا أولادهم محمداً أو أحمد .

هذه فترة دقيقة جداً ، تقرر مصير الهند و تقرر مصير المسلمين فى هذه البلاد التى فتحوها بدمائهم ، هذه البلاد التى هجروا فيها و فى سبيلها أوطانهم ، هذه البلاد التى عاشت فيها أجيال ، و نبع فيها علماء و مؤلفون ، و نهض فيها دعاة ومربون ، هل يتجرد المسلمون فيها عن دينهم ؟ هل يلفظ فيها الاسلام نفسه الأخير ، هل يكتب عليه الفناء ؟ .

هنالك قام رجل له فضل على كل مسلم فى الهند ، هو الشيخ أحمد بن عبد الاحد العمرى السرهندى ( ٩٧١ـ١٠٣٤هـ ) ــ رحمه الله تعالى ــ و كان عالماً كبيراً مشاركا فى علوم كثيرة ، و كان إذا أراد أن يكون له مركز كبير على كان يمكن أن يتصدر مجلس السلطان أكبر ، و كان هناك من دونه فى العلم و من دونه فى الذكاء ، و لكنه ملكته فكرة واحدة : حرام على هذه البلاد أن ترتد عن الاسلام و أن يحرم المسلمون فيها حقهم ، أن يعيشوا كراماً أحراراً شرفاء ، يزاولون شعائرهم الدينية ، و يحافظون على خصائصهم و شخصيتهم الاسلامية ، ملكته هذه الفكرة حتى حالت بينه و بين كل لذة ، فوهب نفسه و حياته لها ،

ترونه فی رسائله ( و أصلها بالفارسية ، و قد نقلت إلى العربية ) كيف يبكى دماً و كيف يبكى على الاسلام — إن رسائله دافقة بالحياة ، الانسان إذا قرأ هـذه الرسائل يشعر بأن فيها شعلة إيمانية ، و لهيباً من إيمان و صراحة و حزن، فيقول فى إحدى رسائله ، كتبها إلى أحد كبار الدولة « واويلاه ، واحزناه وامصيبتاه ، إن أتباع محمد عليه الصلاة و السلام الذى هو حبيب رب العالمين ، بهذا المكان من الذل و الهوان ، و الكفار و المشركون و الوثنيون يتمتعون بالحرية ، و هذا فى عهد رجل يتسمى بالاسلام » إنه يعتزل عن مركز الحكم ، يجلس بعيداً و لكنه لم يزل متصلا برجال البلاط و الأمراء ، يكتب إليهم الرسائل البليغة التى تسيل عذوبة ، و تشتعل ناراً فى وقت واحـد ، و التى تعتبر من أقوى الرسائل الدعوية و الاصلاحية فى المكتبة الاسلامية . إنه لم يزل يثير غيرتهم الايمانيـــة و يلهب فيهم جمرة الايمان التى كانت مدفونة تحت الرماد فيزيل عنها التراب . ويقول للواحـد منهم : « أنت مسلم و الحياة عارضة . و الملك لا يعيش دائماً ، و هـذا الحكم لا يدوم ، اتق الله فى نفسك ، اتق الله فى أمتك ، اتق الله فى بلادك » هذا كان دأبه على مر الأيام حتى استطاع أن يجر إليه عدداً كبيراً من الأمراء و الوزراء و كانت سياسة البلاد تمر بمرحلة دقيقة جداً، لأنه إذا ثار ضد هذا الملك الجبار ، الملك الذى ارتد عن الاسلام ، و قد سمعنا قصة ارتداده و ثورته على الاسلام، فان معنى ذلك أن هذه البلاد ستذهب إلى الهنادك ، فيستولون عليها لأنهم بالمرصاد ، فلم يوافق على أن يعـارض الحكومه بالسيف ، لأن هذه الحكومة إذا ضعفت فمعنى ذلك أن الهنادك يستولون عليها ، و أنهم سيخلفون المسلمين ، فكان من الاحتياط و من الحكمة و كان من السياسة ، ألا تضعف شوكة المسلمين المادية و العسكرية ، فاقتصر على الدعوة . و اقتصر على الرفق و على الحكمة .

فلما مات هذا الرجل خلفه ابنه و خليفته نور الدين جهانكير و كان أحسن سيرة و أسلم عقيدة من أبيه الراحل .

طلب السلطان الامام السرهندى إلى مقره ، و أكد على حاكم سرهند أن يوجهه إليه كما استطاع ، فتوجه الامام مع خمسة من أصحابه و مريديه ـ كانوا إذ ذاك عنده ـ و لما قرع سمع السلطان بمجيئ الامام بعث الأمراء و الأعيان ليستقبلوه فى الطريق و نصب له خيمة بجوار قصره و طلبه فى البلاط للمقابلة ، و لما دخل عليه فى البلاط لم يأت بالآداب و التقاليد التى كان يلتزم بها الوافدون على السلطان ، فلفت بعض أبناء الدنيا ممن لا يخاف الله نظر السلطان إلى أن الامام لم يراع أدب الدخول عليه ، ولم يأت بالتحية المعتادة للملوك (١)، فسأله السلطان عن السبب ، فقال إنى لم أزل متقيداً بالآداب والأحكام التى دعا إليها الله و رسوله ـ ﷺ ـ و لا أعرف غير هذه الآداب ، فغضب السلطان و قال اسجد لى (٢) ، فقال الامام ما سجدت لغير الله قط ، و لن أسجد لغيره أبداً ، فتغيظ السلطان و زاد غضبه و أمر بفرض الاقامة الجبرية عليه فى قلعة كواليار (٣)

---

(١) كانت هذه التحية تقليداً سائداً فى البلاط منذ عهد الملك أكبر ، و كانت تعد من التأدب بالآداب الملوكية و كانت على ثلاثة أصناف ، أولها الكورنش و هو أن يضع يمينه على جبينه و يطأطئ رأسه إلى الصدر ، و ثانيها التسليم و هو أن يضع ظاهر الكف من يمناه على الأرض ويقوم و يضع باطنه على الرأس ، و ثالثها السجدة كما يسجد فى الصلاة .

(٢) حضرات القدس ص ١١٧ .

(٣) أيضاً ص ١١٦ .

لقد کانت هذه الاقامة الجبریة فی سجن کوالیار تنطوی علی حکم و مصالح دینیة کثیرة تسبب له الحب و القبول فی الناس و تزیده زکاء نفس و سمو روح و إشراق باطن ، فشمر هذا السجین کسجین مصر عن ساق الجد و الاجتهاد فی الدعوة و الارشاد فی أولئك المسجونین الذین کانوا معه ، و نادی وراء جدران السجن بأعلی صوته « یا صاحبی السجن أ أرباب متفرقون خیر أم الله الواحد القهار » مما اهتزت له أرکان القلعه و ارتجت الجدران ، و سمع صداه فی الخارج ، یذکر بعض المؤرخین أن آلافاً من السجناء من غیر المسلمین اهتدوا علی یدیه ، و دخلوا بصحبته و تربیته وإرشاده و دعوته فی الاسلام ، وإن مئات من السجناء و المسلمین تابوا علی یدیه و بایعوه و تمتعوا بصحبته (١) حتی بلغوا درجات الاحسان .

کان لمرافقته دخل کبیر فی نشأة النزعة الدینیه الجدیدة فی الملك جهانکیر و عنایته بتعمیر المساجد المنهدمة من جدید ، و شغفه باقامة المدارس الدینیة فی المناطق المفتوحة ، و ما ظهر منه عام ١٠٣١ھ بمناسبة فتح قلعة کانکره من عواطف إسلامیة ، و إظهار شعائر الاسلام فیها (٢) فقد أمر ببناء أول مسجد فی القلعة و ذبح البقرة ، و هو یدل علی حدوث التحول والتقدم فی التدین الذی یمکن معه القول بأنه کان غیضاً من فیض مرافقة الامام السرهندی و صحبته .

(١) کتاب Preaching of Islam ( الدعوة إلی الاسلام ) لمؤلفه البروفیسور آرنلد Arnold ص ٤١٢ الطبعة الثالثه «دائرة معارف الأخلاق والدیانات» ص ٧٤٨ ج ٨ .

(٢) انظر « تزك جهانکیری » ص ٣٤٠ و راجع للتفصیل الباب السابع منه و لیلاحظ أن هذه القلعة کانت قد فتحت علی ید قائد هندکی .

و لم یزل الشیخ مذکراً للملك و ناصحاً و مشجعاً یرشده و یوجهه و یراسله ، و قد طلب مرة من أمرائه أن یرشح له عدداً من العلماء یذاکرهم فی الأمور الدینیة ، فلما علم الشیخ بذلك قال : لا : إن العلماء إذا اجتمعوا فانهم یتنافسون و یتناظرون ، فهذا یفسد الملك ، و هذا الذی حدث فی العهد السابق و أضر بالاسلام ، رجل زاهد فی الدنیا ، متعمق فی الدین راسخ فی العلم ، أفضل من أن یختار عدد من العلماء ، وهم یتصارعون و یتناظرون ویظهرون براعهم وحذقهم و هذا لا أراه الا رأیاً ، و کان کما قال ، و لم یزل نور الدین جهانکیر یتدرج من صالح إلی اصلح و من حسن إلی أحسن حتی محا کثیراً من آثار أبیه السیئة و أزال کثیراً من بدعه و محاربته للاسلام .

وخلف الملك نور الدین جهانکیر نجله شهاب الدین الملقب بشاه جهان وهو الملك المسلم الخاشع لله ، وهو الذی لما تربع علی عرش الطاؤس الذی أنفق علیه الملایین نزل وخر لله ساجداً یثبت عبودیته و إسلامه ویحمد الله علی الملك الذی آتاه ، و لم یزل الشیخ و الحبل فی یده یقبضه و یرخیه ، إذا رأی من المصلحة أن یرخیه أرخاه ، و إذا رأی من المصلحة أن یجره جره .

و خلف الشیخ أحمد ابنه النجیب المتمم لعمله و الأمین علی دعوته الشیخ محمد معصوم بن أحمد بن عبد الأحد السرهندی ( ١٠٠٧ ـ ١٠٧٩ھ ) و له فضل کبیر فی تربیة السلطان « عالمکیر » أورنك زیب بن شاهجهان الذی یعد من أکبر ملوك المسلمین ، لیس فی الهند فقط بل فی تاریخ الاسلام ( یعنی بعد نور الدین و صلاح الدین و بعض ملوك المسلمین الصالحین ) هو الذی دون « الفتاوی الهندیة » و جعلها قانوناً للدولة ، و هو الذی طبق الأحکام الشرعیة بدقة وعنایة ، و حفظ القرآن الکریم ، و جمع أربعین حدیثاً و شرحها ، و له عوائد والتزامات

لا يقدر عليها كثير من العلماء و العباد فضلا عن الملوك والسلاطين ، هذا الرجل قلب تيار الحياة و أرسخ قواعد الاسلام فى هذه البلاد و ربط مصيرها بالمسلمين و بالعلم والدين و أزال خطر زوال الاسلام و جلاء المسلمين ، كما وقع فى أسبانيا قبل قرنين ، و هذه ناحية من نواحى جهاد الشيخ أحمد و تجديده الأولى .

و بغض النظر عن حياة أورنك زيب الشخصيه التى اتفق المؤرخون على أنه كان فيها متديناً ، متورعاً ، متمسكاً بالشريعة ، عاملا بها ، محافظاً على نوافل الطاعات ، فضلا عن الفرائض و الواجبات ، نكتفى بما يتعلق بالسياسة الشرعية التى فى مملكته الواسعة و تنظيم الشعائر الاسلامية و تنفيذ الأحكام الشرعية ، و بما له من أثر عميق فى المجتمع الاسلامى الهندى و الاصلاح الاجتماعى .

يقول المؤرخ فى حوادث العام الثانى من ولاية السلطان الموافق عام ١٠٦٩ هـ .

أسس التقويم المتبع فى الادارة و الولاية منذ عهد السلطان جلال الدين أكبر على أول « فروردى » التى تدخل فيها الشمس برج الحمل ، و يزدهر الربيع و كان تاريخ جلوس السلطان قريباً من هذا التاريخ ، فوضع التقويم بدءاً من شهر « فروردى » إلى شهر « اسفنديار » (١) ، و سمى الشهور « شهوراً إلهية » ، ولما كان هذا الأمر يشبه طريقة السلاطين المجوس عباد النار ، بدأ السلطان - مراعاة للشريعة الاسلامية - التقويم الهلالى العربى للشهور و السنين لجلوسه و إمارته و مهرجاناته ، و أمر بتقديم التقويم العربى الهلالى على التقويم الشمسى ، و أمر بالغاء الاحتفال بمهرجان نوروز .

و يعلم جميع الناس أن الشهور الهلالية تتغير دائماً ، و تحدث مشاكل

(١) و هما شهران فى التقويم الايرانى القديم .

و تعقيدات فى استخدام التقويم الهلالى ، و لكن هذا السلطان المتدين لم يبال بمشاكل هذا التقويم ، و ينتهى عن الاحتفال بمهرجان « نوروز » لتشبهها بطريقة عباد النار المجوس - أصلا - وقرر بداية تاريخ الجلوس الثانى بغرة شهر رمضان ، و هكذا بدأ تقويماً حديداً للجلوس ، و أبدل مهرجان نوروز ، بمهرجان عيد الفطر (١) .

و يذكر المؤرخ وقف السلطان للدخل الكبير الذى كان يأتى الدولة من طريق غير شرعى ، فيقول :

« أمر السلطان بالغاء « راهدارى » - ضريبة الطريق - الذى كان يؤخذ على جميع الحدود و الثغور ، و توضع جميع وارداته فى خزانة الدولة ، فكان دخلها و دخل حراج « بلغارى » الذى يسمى « ته بازارى » . ، يزيد على مئات الآلاف و يدخل الخزانة السلطانية ، كما ألغى السلطان جميع الواردات التى كان دخلها من الخانات و الخمارات و الغرامات و ما يقدم إلى الموظفين و الحكام إظهاراً للشكر و غير ذلك مما يبلغ الملايين من الروبيات ، و كان دخلا كبيراً للدولة » (٢) .

كانت الحسبة منصباً خطيراً فى الحكومات الشرعية ، و شعاراً ظاهراً من شعائر الخلافة الاسلامية ، و ألف كثير من العلماء لبيان مسئوليات هذه الوظيفة المهمة و نوعية العمل فيها كتباً بعنوان « الحسبة فى الاسلام » و كانت هذه المهمة الخطيرة مهجورة معطلة فى الحكومات المسلمة فى الهند ، و أحيا السلطان هذه السنة أيضاً .

---

(١) أيضاً ص ٨٣-٨٤ .

(٢) أيضاً ، ص ٩ .

يقول المؤرخ :

« عين السلطان الشيخ عوض وجيه محتسباً ، و أمره بأن ينهى الناس عن جميع المحرمات ، خاصة عن شرب الخمور ، وتناول الحشيش و جميع المسكرات ، وجميع الفواحش ، ويمنعهم ـ قدر المستطاع ـ من جميع السيئات والمنكرات » (١) .

و يقول المؤرخ فی حوداث و وقائع السنوات من عام ١١ للجلوس إلى ٢١ للجلوس ، الموافق عام ١٠٧٨هـ

« كان السلطان يزداد ـ كل يوم ـ اهتماماً باجراء الأحكام الشرعية وتنفيذها ، و مراعاة الأوامر و النواهی الالهيـــة ، فكان يصدر فرامين مفصلة لالغاء دخل « راهداری » و « بانداری » الذی كان يبلغ مئات الآلاف من الروبيات كل عام ، و كان يدخل فی الخزانة السلطانية ، و كان يأمر باغلاق الحانات والخمارات ، و مكامن الريبة و الفساد » (٢) .

و يزيد قائلا :

« أمر السلطان بالغاء الرقص و الغناء و نهى عن اجتماع الناس تحت قصر السلطان لزيارته ، و رؤية طلعته من نافذة فی أعلى القصر ـ و كان هذا تقليداً من التقاليد السلطانية المخترعة ، و يسمى « جهروكه درشن » و ترك نفسه الجلوس على النافذة ، استنكاراً لهذه التقاليد غير الشرعية .

كان السلاطين المسلمون فی الهند ـ حسب معتقدات الهنادك وعادتهم القديمة

(١) أيضاً ص ٩٢ ، ذكر مؤلف « نزهة الخواطر » اعتماداً على كتب التاريخ بالفارسية ، إن عالمگير نسخ عام ١٠٦٩هـ ثمانين نوعاً من الخراج والضرائب ، التی كان دخلها السنوی للخزانة السلطانية ثلاثة ملايين روبية .

(٢) أيضاً ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ باختصار .

يثقون كثيراً بالتنجيم و المنجمين ، و يعينون الأيام و الشهور لأعمالهم الخاصة حسب ما يقرر المنجمون فى ضوء علم التنجيم ، فقضى السلطان عالمكير على هذه العقيدة و العادة المتبعة ، و أهم من ذالك أن الأحكام القضائية كانت تقتصر على محاكم الحكام و الأمراء و أحكامها، فعين السلطان عالمكير قضاة شرعيين وأعطاهم السلطة المطلقة فيما يتعلق بالقوانين الشرعية .

« الشعراء و المنجمون الذين كانت لهم مكانة و اعتبار فى الدولة ، ( خاصة فى عهد السلطان شاهجهان ) منعوا من ممارسة أعمالهم ، وعين القضاة للشؤون الداخلية و المرافعات الجزئية و الكلية ، و حصل لهم من التمكن و الاستقلال فى شؤونهم ما بعث الأمراء و أعيان الدولة على الغبطة و الحسد » (١) .

أما الناحية الثانية من نواحى التجديد فقد عارض الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى البدع و العقائد الشركية و الشعائر الجاهلية المجوسية و الفلسفة اليونانية ، اشد المعارضه ، و هو الذى شن الحرب على فكرة وحدة الوجود التى كان لها سحر عجيب على العقول و النفوس ، و نفوذ عميق فى العلوم و الآداب ، وكون معسكراً كبيراً له قيمته وأهميته إزاء معسكر وحدة الوجود الذى كاد يكون المعسكر الوحيد فى الهند وفى البلاد العجمية ، فعارض هذه الفكرة معارضة شديدة وحاربها حرباً شعواء لا هوادة فيها ولا رفق .

---

(١) أيضاً ، ص ٢٧١٧ ، و راجع كتاب كذلك ( Aurangzeb & His Age ) لمؤلفه الفاضل ظهير الدين الفاروقى « أرنك زيب و عصره » الباب بعنوان A Reformer .

# تأملات فى آيات من كتاب الله

-(٢)-

الأستاذ محمد إبراهيم شقرة
مدير المسجد الأقصى

كثير من آيات الكتاب تحكى لنا بإيجاز قصة وقعت ، أو حادثة كانت لا نعرفها إلا بالوقوف عليها من أسباب النزول ، لذا فان من القواعد التى اعتمدها المفسرون فى تفسير القرآن الكريم ، معرفة سبب النزول ، لأن يعين و يكشف عن المعنى المراد الذى قصدت إليه الآية القرآنية التى قد تكون غامضة المعنى ، فاذا وقفنا على سبب النزول بانت لنا خفاياها و وصلنا إلى معناها الدقيق المراد ، فكتاب الله عز وجل لا يؤخذ إلا بطريقة خاصة ، فان جهلت هذه الطريقة فقد جهلت الآية نفسها ، و تفسيرها بغير هذه الطريقة تقول على القرآن ، و قول فيه بالرأى ، و كلاهما مذموم لا يحسن بمؤمن يؤمن بكتاب الله ويرجوه ليوم الحساب أن يأتى واحداً منهما.

و نحن مع القرآن فى آياته نقف من كل آية على وجه من وجوه الاعجاز ، و هى وجوه تتقارب أقـــدارها لأنها من معين واحد هو معين الوحى ، بيد أن أعلى هذه الوجوه فى ظنى أنها جميعها كانت لخلق مجتمع الصحابة الأمثل وقد كان.

لما حاصر الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يهود بنى قريظة إحدى و عشرين ليلة ، سألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بنى النضير ، على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات و أريحا من أرض الشام ، فأبى أن يعطيهم ذلك إلى أن ينزلوا على حكم سعـد بن معاذ ، فأبوا و قالوا : أرسل إلينا أبالبابة و كان مناصحاً لهم ، لأن عياله وماله و ولده كانت عندهم ، فبعثه رسول

الله ﷺ فأتاهم فقالوا: يا أبا لبابة ماترى ، أتنزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه إنه الذبح فلا تفعلوا ، قال أبولبابة : و الله ما زالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله و رسوله ، فنزل فيه قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أماناتكم و أنتم تعلمون » فلما نزلت هذه الآية شد نفسه على سارية من سوارى المسجد و قال : و الله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله على ، فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى خر مغشياً عليه ، ثم تاب الله عليه ، فقيل له يا أبا لبابة ، قد تيب عليك فقال : لا والله لا أحل نفسى حتى يكون الرسول ﷺ هو الذى يحلنى ، فجاءه فحله بيده ، ثم قال أبو لبابة : إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالى ، فقال له رسول الله ﷺ : يجزيك الثلث أن تتصدق به .

هذه قصه من قصص القرآن ، أوجزتها لنا آية إيجازاً شديداً ، فأصبحت قادرة بذلك الايجاز على استيعاب كل قصة تشبه هذه القصة من قريب أو من بعيد ، و كل مخالفة أو ذنب يرتكبه الانسان المسلم يحس معه أنه قارف إثماً دخل به فى دائرة الخيانة لله و لرسوله ، و القصة أو الحادثة كانت تفسيراً للآية ، فاذا ما قرأها المرء أحس أنه يقرأ قصة أو حادثة لا للزمان الذى وقعت فيه و إنما لكل زمان يأتى من بعدها ، يقع فيه ما يماثلها أو يحاكيها ، فاذا هى قصة جديدة طريفة حتى لكأنما وقعت فى ساعة قراءة الآية التى نزلت بسببها ، والصحابى الواحد الذى كانت تدور حوله أحداث القصة القرآنية يكون هو الذى يشخص لقارىء الآية تلك ، ليعلم قارئها كيف يجب أن يكون من هذه الآية ، فيكون رضى الله

عنه المعلم العملى الذى يحمل من بعد موته للأمة القناعة الحاملة على التقيد والامتثال لكل ما تحتويه الآية أو الآيات .

و نحن فى هذه الآية مع أبى لبابة رضى الله عنه ، ذلك الصحابى الذى كان عنده بعض مودة لبنى النضير ، فيأتيهم بأمر رسول الله ﷺ ، وعند ما يستشيرون يشير لهم بيده إلى حلقه إنه الذبح ، فلا تفعلوا ، فما زالت قدماه عن موضعهما حتى أحس بعظم الخيانة التى ارتكبها ، فتأخذ عليه الندامة أقطار نفسه ، و تثقل الخطيئة على صدره ، و ينظر فى أمره هو بنفسه ، ماذا يكون من بعد ، إنه ليعلم أن الوحى سينزل بأمره هذا ، فالفضيحة واقعة و لا ريب ، و لكن لا يدرى متى ينزل الوحى بها ، فهل ينتظر حتى يسبقه الوحى بهذا ، أم يعجل فيعلن هو عنه بتوبة نصوح لم يسبق لمثلها ؟

صراع يحتدم فى قلبه ، ولكنه صراع فى قلب مؤمن ، فى قلب صحابى ائتمنه رسول الله ﷺ ، فزل تلك الزلة بمناصحة اليهود التى أحس بها قبل أن تزول قدماه من موضعهما ، هذا لعمرى هو الايمان الذى يتضاءل أمامه كل إيمان بعد ذلك العهد النبوى المثالى ، فليعاقب هو نفسه عقوبة تمحو تلك الزلة ، و تغسل ندامة قلبه ، و تكون مثلا لكل من يعلم بخطيئته ، فماذا يكون فاعلا ؟

يأتى إلى سارية فى مسجد الرسول ﷺ فيربط نفسه بها ، و يختار سارية فى المسجد ، لأنه المكان الذى يغشاه الصحابة كلهم ، وسوف يتساءلون عن نبأ أبى لبابة فيأتيهم الجواب من حاله الذى هو عليه ، فلا يخفى على احد البتة ، فتكون التوبة بمثل هذه الطريقة سبيلا إلى إعظام و إكبار من يفعل فى نفسه مثل فعل أبى لبابة فينال بذلك التوبة و القبول عند الله ، و الاكبار و الاعظام من الناس ، فجمع بين حب الله له وحب الناس ، و إن كان لا يخطر فى مثل بال أبى لبابة ذلك ،

ولو خطر شئ منه لكشفه القرآن و أبانه ، كما كشف خيانته و أبانها أول مرة ، وهل يخطر ببال إنسان ـ إلا أن يكون إيمانه لا يعدله شئ ـ أن يعرى خطيئته للناس بحيث يرونها جميعاً و قد سترها الله عنهم .

ولا يكتفى أبو لبابة بربط نفسه، فبعد أن تأتيه التوبة من السماء ، ويقال له لقد تيب عليك ، فيقول: لا و الله لا أحل نفسى حتى يكون الرسول هو الذى يحلنى ، فجاءه صلوات الله عليه فحله بيده .

لقد أراد أن يكرمه الرسول مرأى من الناس، فينال شرف التوبة على يديه ، بأن يحل وثاقه بيده الشريفـــه ، فكان له ما أراد ، ثم لا يريد أن يظل مقيماً بأرض تذكره بذنبه الذى اقترفه ، لقد عزم على هجرها حتى لا يظل ذكر ذاك الذنب يعذبه و يؤرقه ، و يفسد عليه سرور صحبته لرسول الله ﷺ ، و كان له مال فأراد أن ينخلع من ماله كله تعبيراً عملياً عن شكره لله عز وجل ، أن قبل توبته .

إن فى هذه القصة عبرة لنا معاشر المسلمين اليوم ، فماذا يا ترى نحن قائلون لربنا و نبينا يوم القيامة ، والخيانة لله و لرسوله تحيط بنا من كل جانب، ولا نرى فيها ما يحملنا على المبادرة و الاسراع بالتوبة قبل أن تحل الساعـــة التى لا تنفع فيها التوبة .

إذا كان أبو لبابة قضى سبعة أيام حتى تيب عليه ، فكم على الواحد منا أن يقضى ليتوب الله عليه ، لكن عفو الله واسع و الرجاء فيه لا ينقطع ، فلنبادر إليه بالتوبة ، و هو الذى يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن كثير .

# تطور الفكر الاسلامى فى مصر

الدكتور مهى محمد الشناوى

دخل الاسلام مصر فى العام العشرين من الهجرة ، و كانت مصر هى أول دولة فى أفريقيا يتم إسلامها ، و من مصر انتشر الاسلام إلى شمال أفريقيا كلها ، وقد اتجه المد الاسلامى بعد الشمال الأفريقى إلى أوربا بدلا من الاتجاه إلى وسط وجنوب أفريقيا ، و بقى بذلك الاسلام محصوراً فى الشمال الأفريقى حتى وقتنا هذا .

خلال هذه القرون الأربعة عشر اختمر الاسلام و تفاعل بعمق داخل الذات المصرية ، و رغم أن الشخصية المصرية شخصيه سالمة ووديعه إلا أنها تثور من وقت لآخر ثورة عارمة ، كما حدث عند اغتيال السادات و فى ثورة يوليو و فى ثورة ٢٩ و فى الثورة العرابية الخ . يصف كرومر هذه الشخصية المصرية بأنها مثل رمال الصحراء تدوس عليها و تدوس ثم تدوس و تظن أنها صحراء ميتة لا حياة فيها ثم فجأة تثور هذه الرمال و تطمر من يدوسها . هكذا فجأة و دون أن تعرف سبباً لثورتها ، قال هذا الكلام قبل حدوث ثورة ١٩ .

ومنذ الحرب العالمية الثانية تتشكل فى مصر مبادىء الفكر الاسلامى بخطوات ملحوظة ، و تنتقل هذه الأفكار بالاشعاع إلى المنطقة .

بانتهاء الحرب العالمية الثانية انتهى عصر الامبراطوريات الاستعمارية ، سواء البريطانية أو الفرنسية ، و بذلك أيضاً انتهى دور المقاومة الوطنية ضد المستعمر ، و بدأت مرحلة تشكيل و تلوين البيت الوطنى بعد استقلاله ، كانت قضية العدالة الاجتماعية ، سواء اشتراكية أو شيوعية أسرع إلى الظهور ، و قد ساعدها المستعمر

القديم فى الظهور فى مصر و السودان و العراق و عدن ، أى فى كل مكان خرجت منه بريطانيا الاستعمار القديم ، و كانت المخابرات البريطانية تنشق كثيراً من خلايا هذه الشيوعية فى هذه البلدان التى جلت عنها و ذلك بقصد النكاية فى أمريكا ذاتها باعتبارها استعماراً جديداً حل محلها فى هذه المناطق ، و فى نفس الوقت كان الذى يصرف و ينشط هذه الخلايا بل ربما كان يشكل معظم أعضائها أيضاً كانوا أجانب غير مصريين و كانوا يهوداً بالذات أمثال كورييل و شوارتز و غيره .

فى الوقت الذى كان الصهاينة ينشئون التيار الشيوعى المصرى كان، هناك تيار إسلامى أصيل و مصرى خالص بدأت بذرته على يد مدرس ابتدائى هو الأستاذ حسن البنا خريج دار العلوم ، لا الأزهر ! بدأ حركته هذه عام ٢٨/ و بدأ داعية إسلامياً شبياً على المقاهى فى مدينة الاسماعيلية قلعة الوجود الأجنبى حيث مقر شركة قناة السويس الدولية .

كانت حركته تبشيرية بالاسلام استهدفت رجل الشارع مباشرة فى سلوكه اليومى و تصرفاته و معاملاته ، متخذة من القدوة بحسن البنا أسلوباً عملياً و كان لسحر الشخصية و لقدرة الاقناع لدى حسن البنا أكبر الأثر فى تحويل واضح من مجتمع متغرب تغريباً شبه كامل إلى مجتمع بدأ يتذكر أصله الاسلامى فجأة .

و لكن عند ما اغتيل حسن البنا فى ١٢/ ٢/ ٤٦ لم يكن قد ترك كتابات فكرية توضح خطه الفكرى و خصوصاً فكره السياسى ، كل ما تركه كان بعض الأعمال الوعظية من أوراد و أدعية و مذكرات الدعوة و الداعية ، و هى كتابات لا تكفى لحل المشاكل و لا التحديات .

أدت وفاته بهذا الوضع إلى فراغ عقائدى و عدم تماسك أجنحة التنظيم

الخاص بالاخوان و عدم القدرة على مواجهة عبد الناصر و لا القدرة على تحليل ناصر ، و لا حتى اتخاذ موقف موحد من ناصر فكانت ضربة ناصر عام ٥٤ للاخوان ضربة قاصمة عصفت بهم كتنظيم ذى كوادر و صفوف ، و حولتهم إلى أفراد مختفين و منعزلين .

القطبيـة : من داخل السجن صنع سيد قطب مانفستو Manfistu الثورة الاسلامية بطريقة فردية جداً، فكثيرون كانوا يدعون أن كلا منهم يتبع خط البناء عبد القادر عودة ، محمد الغزالى، البهى الخولى ، الهضيبى ، محمد طه بدوى ، الخ .

ولكن سيد قطب الذى لم ينضم للاخوان إلا فى الخمسة عشر عاماً الأخيرة من حياته أو بالأصح هم بقايا الاخوان الذين انضموا إلى فكره بعد إعلان المانيفستو « معالم على الطريق » ، فسيد قطب كان أديبـــاً يمارس ألوان الأدب العادى ، و ذهب إلى أمريكا لمدة ٦ سنوات فى بعثة وربما تأثر باللوثرية ودورها فى الاصلاح المسيحى ، وربما رسم لنفسه أن يلعب دوراً مشابهاً ، فانقلب فجأة من خط الأدب العام إلى خط التفكير الاسلامى ، ولكن كل أفكاره نشأت فى ظل السجن و التعذيب ، و نظر إلى العـالم من خلال تعسف عبد الناصر و تفرعنه ، و ربما ما كان ليبدع هذا المانفستو لو لم يعذب و يعـايش التعذيب للآخرين و لو لم يذهب إلى قلعة الغرب فى أمريكا .

يدور فكر سيد قطب حول أربع كلمات : العبودية ، الحاكمية ، الجاهلية ، الجهاد ، و هى كلمات هامة لم يتعرض لها حسن البنا ، رغم أن حسن البنا و سيد قطب كليهما خريجا دار العلوم ، و درسا منهجاً واحداً تماماً ، مما يدل على أن هذه الأفكار نشأت بعد مقتل البنا فقط .

و الواقع أن العبودية و الحاكمية سبق إليهما المودودى ، و نقل سيد قطب

نظرة المودودى فى هذين التعريفين نقلا حرفياً ، و إن كان زاد عليـــه تعريف الجاهلية و تعريف الجهاد .

فالعبودية و الحاكمية كلمتان لم تردا فى القرآن بالنص : و لكن المودودى استخلص مفهومها من القرآن بأن العبودية تكون كاملة لله وتكون لله وحده، وأى عبودية و لو جزئية لغير الله هى شرك ثانوى أو ضمنى ، وأن الحاكمية هى وظيفة الله و الله وحده ، وأى حاكمية تسبغ على غير الله هى شرك بالله ، بهذا التعريف للمودودى بدأت الثورة الفكرية .

سيد قطب قرب الجماهير من لهيب هذه الثورة بالتعريفين الجديدين عند الجاهلية و الجهاد ، قال : إن الجاهلية ليست فقط الجاهليـــة العربية القديمة ، يمكن أن تكون هناك جاهليه معاصرة شبيهة أو أقسى منها ، و أن الجهاد فى سبيل الله هو قتال ، وأى تلطيف لقتال هو مداهنة ، و أن الدعوة إلى المجاهدة ضد الأغراض كجهاد أكبر هو سوء نية مقصودة ضد الجهاد الاستشهادى و الرسالى لأن المواعظ و الخطب و الكتابة أسلحة لا تؤثر فى من يستغل قوة الله و فضل الله ، ويجعل الناس يعبدونهم دون الله ، و لو كان هؤلاء ينتصحون بالكلام لكانت مهمة الأنبياء سهلة و كانت كافية لجعل الجميع مؤمنين الآن بعد آلاف السنين من رسالات الله بالأنبيــاء .

إن دور البيان و الكلام هو مجرد الرد على النظريات الكافرة أما التحويل عن الكفر فيكون بالجهاد لا بالكلام ، ( هذا الفصل عن الجهاد إلى الآن يختفى من طبقات بعض دور النشر ! ! ! ) فهو يرى أن السيف و الكتاب كليهما مكمل للآخر ، و نزع السيف عن الكتاب تضييع له .

**أصداء « معالم على الطريق » :**

عند ما ظهرت هذه الأفكار فى المانفستو المسمى به « معالم على الطريق »

ظهرت ردود الأفعال الآتية :

١ ـ الأزهر ( الشيخ حسن فامون ) و دار الافتاء ( الشيخ السبكى ) قالا : إن الثورة على الحاكم تؤدى إلى فتنة أشد من فساد الحاكم ، أى بررا الفساد بادعاء فساد أكبر غير منظور إلا عندهما هما . و اعتبرا أن أفكار سيد قطب هى أفكار الخوارج خصوصاً نص الحاكمية لله، التى وردت فعلا فى نصوص الخوارج .

٢ ـ الاخوان : أخطر من موقف الأزهر موقف الاخوان ذاته ، الهضيبى قال لزينب الغزالى أن سيد قطب خيب أمله فيه ، و رغم أن الهضيبى كان فى السجن أيضاً مثل سيد قطب إلا أنه رد على معالم فى الطريق بكتاب « دعاة لا قضاة »، قال : إننا لا يجوز أن نحكم على عصر بالجاهلية، و قال : إنها ليست جاهلية بقدر ما هى جهل فقط ، و انتقد فى كتابه « دعاة لا قضاة » المودودى و هو يقصد نقد زميله سيد قطب ، و ظل هذا موقف الأخوان للآن حتى إن التلمسانى عام ٨٢ و بعد إعدام سيد قطب بسنوات يصرح بأن سيد قطب يمثل نفسه فقط ، بل إن بعضاً من الاخوان اتهموا سيد قطب بالخروج على الدعوة بالكامل، فاضطر أخوه محمد قطب أن يدافع عنه هذه التهمة فى جريدة الاخوان اللبنانية « الشهاب » .

## فكر شكرى مصطفى :

الجيل الذى ولد و تربى فى ظل الناصرية و لا يعرف إلا الفكر الناصرى انقلب إلى عداء ضخم وانضم بشدة إلى التيار الاسلامى ، و ذلك كله بفعل التعذيب و الفرعنة و لجهل عبد الناصر بالتاريخ .

عند ما أنزل ناصر عذابه و هوله عام ٥٤ بالاخوان ، كان هناك جيل

أطفال لم يدخل السجن عام ٥٤ ، و لكن فى عام ٦٥ عند ما كرر ناصر عذابه للمرة الثانيــة دخل جيل شكرى مصطفى مع جيل الشيوخ فى سجون التعذيب ، و منذ هذا التاريخ بدأ جيل الأطفال و الشباب يعادى عداء تصاعدياً ثورة يوليو ناصر ثم السادات حتى انتهى باغتيال السادات ، فى حين أن جيل الشيوخ كان قد تأقلم مع ناصر و السادات ، و استوزرا منهما الكثير .

هذه الزيادة المطردة فى عداء الشباب ازدادت زيادة فجائية عام ٧٧، هذه المرة بدون سجن ولا تعذيب ، ففى عام ٧٦ قامت مظاهرات ١٨-١٩ يناير ضد الحكومة البوليسية لممدوح سالم تريد أن تسوق الناس بالعصا الغليظــة ، هذه المظاهرات أرعبت السادات على مصير الثورة ذاتها ، هو سماها ثورة الحرامية و فهمها الناس إنه يتهم الثوار بسرقة الخبز من المتاجر بينما هو فى عقله الباطن رآها تسرق الحكم ذاته منـه ، فى أكتوبر من نفس العام ذهب إلى القدس احتماء باليهود من أهل وطنه ، كما كان يفعل ملوك طوائف الأندلس ، هذه الرحلة زادت كراهية الناس له من إخوان إلى خارج الاخوان أيضاً حتى انتهت هذه الموجة بالاغتيال .

عبر هذه الرحلة من تعذيب ٥٤ إلى تعذيب ٦٥ إلى ثورة ١٨-١٩ ينـاير ٧٧ إلى رحلة القدس تطور الفكر الاسلامى كالآتى :

١ ـ كان تضـارب الحكم على ما همستو سيد قطب سواء من الأزهر أو الاخوان سبباً فى بروز مراكز حركة حديدة ، لكلها مراكز شبابية .

٢ ـ قال شكرى مصطفى الذى دخل التعذيب عام ٦٥ ، ان سبب الانحطاط هو عدم الاجتهاد ، و أن العالم الغير مجتهد إنما يضع نفسه حاجزاً بين النـاس و بين الله ، وحث أن القرآن و السنة بالعربية كلاهما ، فيجب العودة إليهما مباشرة دون وساطة أئمة و لا حتى الأئمة الاربعة ، بل إنه حمل الأئمة الاربعة

قدراً كبيراً من مسئولية الانحطاط بقفل باب الاجتهاد بعدهم ، بمـــا تصوره الناس فيهم من قدسية او تفوق فكرى يستحيل تكراره أو تجاوزه ، وقوى شعوره هذا ضد العلماء الدينيين فتوى شيخ الأزهر شلتوت بأن فوائد البنوك ليست ، رباً و فتوى الشيخ الشعراوى بأن شهادات الاستثمار ليست حراماً ، و فتوى سعاد جلال بأن البيرة لا تدخل فى الكحوليات المحرمـــة ( سماه الناس الشيخ ستلا ) ، و قال شكرى مصطفى : إن قفل باب الاجتهـاد لا يتم إلا باتفاق بين الحكام و العلماء بقصـــد منع الناس من الاطلاع على فساد الحكام .

و تطرق من كرهه للعلماء إلى كرهه لمساجد الدولة ، تلك المسـاجد مساجد العلماء حيث يعبد فيها معبود خاص يجند له هذا المسجد و هذا العالم ، و دعا إلى الصلاة فى المساجد الأهليه فقط ثم تطرق من كرهـــه للعلماء الرسميين إلى كرهـه لمساجدهم إلى كرهه للتوظف فى الحكومة أو جيشها أو بوليسها ، و أن الحكومة تتخذ من الحرب ضد اسرائيل تكئة لرصد الناس حلف الحاكم بدعوى محاربة اسرائيل بينما المقصود هو الخضوع للحاكم ، و من ثم فانه يجب كره اسرائيل و كره الحاكم كحليف واقعى لاسرائيل ، وتمادى فى فكره لدرجة شجبه للتعليم ، لأنه أداة لسيطرة الحاكم على المحكوم و أن يجتمع النبي و النبي نفسه كان أمياً ، و أن فطرة الامى أسلم من فطرة المتعلم ، و أكثر تقبلا للايمان و أخلص للاسلام .

و بناء على هذه الصورة التى رسمها شكرى مصطفى دعا إلى العيش على حافة المجتمع لا فى قلب المجتمع ، دعا إلى مذهب العزلة ، وسمى نفسه جماعة المسلمين ، و لكن المباحث البولسية أطلقت عليه التكفير والهجرة ، أما الهجرة فقد استمدوها من قوله بالعزلة و أما التكفير فهى تضخيم لفكرته عن جاهلية المجتمع التى قال بها

قبله سيد قطب ، و اهتمت المباحث المحلية و الدولية بدراسة و مقاومة فكر شكرى مصطفى ، لأنه يدعو إلى مقاطعة الحكومة كما كان يدعو غاندى و لكن بأسلوب المقاومة الايجابية بدلا من مقاومة غاندى السلبية ، و ارتبطت حركة شكرى مصطفى بمقتل الشيخ الذهبي ، و قد قيل : إن قتل الشيخ هو من تدبير المباحث و ألصق زوراً بالجماعة و لكن المعقول أكثر أن تكون المباحث قد تخللت الجماعة و أن هؤلاء المتخللين دبروا اغتيال الذهبي توصلا إلى دور للحكومة لتصفية الجماعة .

و قد أصدر الشيخ عبد الحليم محمود بياناً لم ينشر فى مصر ، بأن فكر الجماعة يجب أن يقيم منفصلا عن حادث مقتل الشيخ و أن سبب تكفير الشباب للساسة هو أن الأخيرين يستمدون أصولهم الفكرية خارج نطاق الاسلام ، و جرم فيه الشيخ حكم المحكمة لعدم فصلها من الجريمة و قال : إن الأزهر لم يعط الوقت و لا حرية مناقشة فكر شكرى ، و قد ظلت هذه الجماعة تركز على أن « فترة الضعف تستدعى الهجرة » مثلما فعل مسلمو مكة .

و من لم يهاجر خارج مصر هاجر المجتمع فى شقق مفروشة تؤجرها الجماعة بالمساعدات المالية التى تصلها ممن هاجروا خارج مصر ، و هجروا وظائف الحكومة حتى لو باع الجامعى منهم بطاطاً على عربة يد ، و نفوا عن أنفسهم أى رغبة فى التصادم مع الدولة أو استخدام أى عنف ، فسيس موقفهم على أن « الاخوان ساقوا جموعهم إلى المشانق » فليس أمامهم إلا الاعتزال ، الواقع أنه لا يوجد عنف منسوباً إليهم إلا حادث الشيخ الذهبي ، و هذا يجعلنى أرجح أنه فتح من تسرب المباحث إلى عضوية الجماعة ، و أحدد زمن هذا التسرب و سببه فى فترة دخول طلال الأنصارى من أتباع سرية إلى الجماعة ، و كانت المباحث تتبع مشتركى حادث الفنية العسكرية .

و لقد ثبت - مع الأسف - أن ماهر بكرى و هو الرجل الثانى لشكرى مصطفى كان يدعو إلى تعاون الجماعة مع المباحث العامة ضرباً فى عناصر الحركة الاسلامية خصوصاً ضد فريق سرية ، وأن هذا التعاون مع المباحث كان من خلف ظهر شكرى مصطفى .

و خطأ جماعه شكرى مصطفى أنهم كانوا يعتبرون السادات أرحم كثيراً من عبد الناصر ويصدقون ادعاءه الديموقراطى ، إلى أن فوجئوا بالقبض على ١٤ منهم و بمصادرة مخطوط شكرى عن الخلافة رغم أنه لم يقرأه أحد .

و هكذا اتخذ السادات من طيبته المصطنعة و ادعاءه عن القومية ستاراً لتنفيذ ما نفذه عبد الناصر بالعنف . حطم السادات جماعة المسلمين كما حطم ناصر جماعة الاخوان ، وحطم السادات فلسفتها عن فترة الاستضعاف التى علاجها العزلة ، وهى من بنات أفكار سيد قطب ، و عجل باجهاض الدعوة إلى الخلافــه و هى جنين عند جماعة المسلمين ، و هذا الضرب أبعد مدى و أعمق كثيراً من ضرب عبد الناصر فى التيار الاسلامى ، و إن كان إلى الآن لم يلتفت إليه أحد !

ولذاك اتعظ أتباع جماعة الجهاد التى جاءت بعد ذلك و جعلوا تكتيكهم هو اضرب قبل أن تضرب ، و لكن قبل الانتقال إلى جماعه الجهاد نتكلم عن جماعة الفنية العسكرية المعاصرة لحركة شكرى مصطفى .

حادث الفنية العسكرية :

هو يردفه لحادث المنصة بعد ذلك ، و هو أول محاولة لاصطياد الحاكم قبل أن يتمشى الحاكم بهم ، وهو نتيجة التقارب المصرى الأمريكى بعد حرب ٧٢ و إن لم يكن فيه العامل الاسلامى كسبب واضحاً ، خطط لحادث فلسطين ( سرية ) من مواليد قرية تق الدين البنانى ثم أتباعه فى صرب التحرير الاسلامى الذى قام

كمصحح لحركة الاخوان، كانت حركة الاخوان هي تربية الشعب إسلامياً، فساق الحاكم الاخوان إلى السجون و التعذيب، فجاء ضرب التحرر بفكرة أن الأسلمة تبدأ من أعلى إلى أسفل، من الحاكم إلى المحكوم، أو بدقة إبعاد الأمير أي الحاكم، فينصلح المحكوم لأن الحاكم هو الذي يعوق حركة الاسلام في المجتمع ولم يلجأ إلى أسلوب العزلة عن المجتمع، بل العكس لجأ إلى الاختلاط به حتى لا تلفت عزلتهم الأنظار و لكن تفتت تنظيم سرية ثم تفتت تنظيم شكري فيما بعد سهلا تغلغل البوليس السياسي في التيار الاسلامي منذ هذا الوقت .

يمثل يوم ١٥/ مايو عام ٧١ الذي سماه السادات سراح الاخوان المسلمين القدامى ، وذهب التلمساني إلى سراى عابدين ليقرر الشكر على هذا ، في نفس هذه الفترة أدخل السادات إلى السجن التيار الجديد تيار الفنيه العسكرية و تيار شكري مصطفى أى التيار الذي يرى مباغتة الحاكم و إبعاد الحاكم و أخذ على نفسه شخصياً تصفية هذا التيار بنفسه ، في الوقت الذي كان سمح فيه للاخوان القدامى باعادة إصدار مجلة « الدعوة » بدون تصريح ، و أخذ المثقفون ( عبد العظيم رمضان مثلا ) و اليساريون المصريون يعتقدون أن هناك صفقة بين السادات و الاخوان القدامى لتبرير اتفاق قادم مع أمريكا و إسرائيل ، و لاحظوا عودة إخوان من المنافي البترولية بعد ٢٠ عاماً كمليونيرات يشاركون في الانفتاح الاقتصادي ( الشريف لقمة مسرة للمقاولات ، مودرن موتورز القادسية باسكندرية ، و أن إعلاناتهم هي التي تصرف على المجلة ) و استغلوا حجة العمل في السعودية ضد الشيخ الغزالي و الشعراوي ، و قالوا : إن الانفتاح هو رأسمالية بلا قانون ولا تنظيم ، وبذا فهي « أنثى إسلامية » ، و إن المجتمع الانفتاحي لا يمكن أن يحي الدين ، و إن عثمان

« روكفلر مصر » هو الذى يقود هذه الحلة ، الخلاصة أنهم ربطوا بين قدامى الاخوان و الانفتاح و السادات و أمريكا .

الجماعات الاسلامية :

بدأت فى الظهور بعد هزيمة ٦٧ و بدون أى تخطيط من الاخوان القدامى ، بتخطيط تلقائى خالص من الاسلام مباشرة ، ظلوا أقلية إلى حرب ٧٢ عندما نمت بسرعة جداً نتيجة تدهور الناصرية و الماركسية ، و لكن كان هناك تصاعد أكبر و أكبر بعد كامب ديفيد حيث أصبحوا هم رمز المعارضة و مركزها، ليسوا أبناء الاخوان و لكنهم أبناء الاسلام .

و يتركز فكر هذه الجماعات فى إعادة الخلافة و مجتمع الخلافه .

أول موقعة لهم كانت ثورة الطلبة عام ٦٨ ضد الأحكام الخفيفة الصورية على قادة الطيران ، كانت هذه الثورة أول مظاهرات خارج تنظيم الدولة وضد الدولة وأعادت الثقة إلى الطلبة بأنفسهم وإلى الشعب ليطالب بالديموقراطية ، وضد إسرائيل و الحكومة و الدكتاتورية فى صف واحد ، ثم قامت مظاهرات أعنف عام ٧١ ( عام الحسم الذى لم يحسم فيه السادات شيئاً محتجا بالضباب أى بانشغال روسيا عنه فى حرب باكستان و الهند .

إلى جانب الموقف السياسى هذا ، وقفت الجماعات الاسلامية موقفاً اجتماعياً حولت فيه تماماً مجتمع الطلبة إسلامياً ، تغلب تماماً على مشاكل الجامعات ذات الأعداد الوفيرة ، بطبع الكتب الأجنبية طبعات رخيصة و عمل المجموعات تقوية بدلا من الدروس الخاصة ، و عمل معسكرات إسلامية فى المعانى و تحريم حفلات المجون واللهو من الجامعة ، وتخصيص أوتو بيسات خاصة للطالبات وصفوف خاصاً لهن فى الدرجات ، وعمل جمعيات دراسية فى المساجد ، و كانت أول محاولاتهم لتغير

المجتمع خارج نطاق الطلبة ، هو إقامة صلاة عيد جماعية مع وعده أطفال الأسرة للصلاة و بيع السواك و الكتب الدينية على الأرصفة ، و قد اعتاد محمد الغزالى ويوسف القرضاوى أن يحضروا من بلاد البترول بالطائرة ليحضروا هذه الصلوات.

و تأثرت أجهزة كثيرة فى الدولة بهذا التيار حتى أن محافظ اسيوط محمد عثمان إسماعيل ( محام سابق ) انهم باحتضان هذه الجماعات ( عزلة مبارك ومنع صلوات العيد ) .

و أثارت جهات أجنبية و مباحثية فى وجهة هذه الجماعات مشكلة الأقباط وهم ٣ ، ٦٪ من السكان ، و نشرت جرائد أمريكية - فقط أمريكية - إعلانات قبطية ضد السادات ثم طعن اثنان منهم فى مسجد المينار و أطلقو رصاصاً من مدافع فوق سطح المنازل ، وكانت أسلحة النصارى تصلهم عن طريق محافظ جنوب سيناء عزيز غالى .

و موقف الجماعات الاسلامية من مشكلة القبط هى أن الأقباط ذميون ولهم حقوق الذميين وهى معالى عادلة جداً و أحسن الآن المرات مما يعامل به المسلمون فى الدول الأوربية .

على هامش الجماعات الاسلاميـــة ظهرت ظاهرة المشايخ كشك و المحلاوى و أمثالهم و هى ظاهرة خاصة بالعالم الثالث ، حيث تنتشر الأمية فتصبح الأشرطة و التلفزيون هم صناع النجوم و ليست الكتب ولا المجلات ، و الحكومة تفهم هذا و تستخدم التلفزيون فى غسل فخ الناس ، والسادات استغل الشيخ الشعراوى تلفزيونياً فى تفسير القرآن بحيث لا يصطدم بالدولة إطلاقاً ، و استخدمه فى فترة كامب ديفيد بالذات ، و عينه وزيراً ، و دافع الشعراوى عن السـادات مستقلا الفصاحة العربية فى عبارة « لا يسأل عما يفعل » .

أما الشيخ كشك و أمثاله ، فلهم فصاحة شعبية خاصة بالأميين وتضفى عليهم صورة روبين هود .

خيبت هذه الأشرطة أمل الجماعات الاسلامية الثورية ، فكان موقف محمد عبد السلام فرج صاحب الفريضة الغائية هو التعبير عن خيبة الأمل هذه، وخلاصة أفكاره هى :

١- إن الاكتفاء بالدعوة وبالأشرطة و التلفزيون ، إنما هو يمكن الحاكم من كتم صوت الخطيب عند اللزوم أى أنه تمكين للحاكم من رقبة المحكوم، أو وضع الرقبة فى قبضة الحاكم .

٢- إن تغلغل الاخوان فى النقابات و الوظائف الحساسة إنما هو يقوى النظام و يسنده ، أو على أقل تقدير يؤجل سقوطه .

٣- وقال عن هجرة مصطفى شكرى : إنها قد تصبح هروباً ولو عند عامة الناس .

٤- قال عن جدلية مرحلة الاستضعاف ثم مرحلة التمكن : إن مثل هذا التقسيم إنما يؤدى إلى المقصلة و السجن .

وانتهى من تأملاته إلى أن جهود المودودى وسيد قطب والنا كلها غير كافية .

و إن المطلوب هو أسرع و أعنف هجوم على السلطة ، و إن الجهاد فرض عين على كل فرد ، لأن العدو موجود داخل الدار و ليس خارج الدار فقط ، بل أنه فى داخل الدار هو الذى يملك السلطه ، و أما القول بأن الجهاد فرض كفاية ، لا فرض عين ، فهو عند ما يكون الأمر خاصاً بتوسع دار الاسلام ، وإن العدو إذا كان فى الحكم ، فينبغى محاربته تماماً كمحاربة الصليبيين وينبغى استنفار الناس ضده فى العالم كله .

أى أنه يركز على الفرق بين محاربة العدو و هو محصور خارج الدار و بينه

و هو داخل الدار ذاتها، و أهمية هذا تتضح من المثال الآتى ، يقولون : نحارب لاسترداد القدس ، نعم! هذا أمر مقدس و لكن هل الأولى محاربة العدو الموجود خارج الدار فى القدس قبل محاربة الموجود داخل الدار ، و هل الدم الذى يهدر فى هذه الحالة ، أليس سيكون لتمكين العدو الموجود داخل الدار ، ثم إن الحكام هم المسئولون عن وجود الاستعمار وليست الأمة ، إذن يكون محاربة الاستعمار لا معنى لها ولا تؤدى إلى نصر بدون محاربة الحكام أولا .

أى أن صاحب الفريضة الغائبة ليس لديه أدنى ثقة فى الحكومة ، ولكن يخاطب المعارضه بينما أن شكرى مصطفى كان يخاطب الحكومة ، لجماعة الجهاد خطوا خطوة أبعد ، فتنظيم الجهاد لا يلوم الاستعمار ، لأن هذا هو المتوقع من الاستعمار ، ولكن يجرم الحكام ولا يلومهم ، ويدعو إلى تكرار الجهاد كلما فشل و يرى أن سقوط دولة الحكام هو الذى سيحقق كل شئ مطلوب إسلامياً .

هو يرى أن تحرر القدس يتطلب أولا تحرير دمشق وعمان وبغداد والقاهرة إلخ ، يؤخذ على تنظيم الجهاد تكنيكياً عـــدم التنسيق بين فريق القاهرة و فريق الصعيد و عدم التفكير فى الاغتيال إلا منذ عشرة أيام فقط قبل الحادث ، و أنه أجهض ثورة إسلامية و حصرها فى مغامرة اغتيال فرد ، هو السادات ، دون تغيير نظام .

« يتبع »

# وضعية العلوم الانسانية فى العالم الاسلامى اليوم

## فى الجامعات و مراكز البحوث و تأثيرها على الحياة

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى
وكيل كلية اللغة العربية و آدابها ، بدار العلوم ندوة العلماء لكهنو

يرجع أخذ المسلمين للعلوم الانسانية فى العصر الحديث إلى جهتين مختلفتين ، جهة إسلامية ، وهى تشتمل على كتاب الله وحديث رسوله ﷺ و آراء ودراسات أورثها علماء المسلمين القدماء إياهم ، وجهة أخرى وهى ما كتبه ويكتب علماء الغرب فى العصر الحديث

أما الجهة الاسلامية ، فانها مصدر تراث عظيم يتصف بالعزارة و الاستيعاب ولا يقل قيمة عما نجده لدى غيرنا ، بل ويفوق عليه فى تغطيه حاجات الحياة ومقتضياتها كما أنه يملك أصالة إسلامية ، لأن علماء المسلمين بحثوا فيها و صاغوها على طراز رفيع و أصيل معتمدين على الاستفادة من كتاب الله المجيد و حديث رسوله العظيم ، المصدرين الجليلين الذين أحاطا بحياة المسلمين بما فيها شتى جوانبها المتنوعة ، أما القرآن الكريم فنجد أمثلة رائعة فى سوره المختلفة ، مثل سورة لقمان ، و سورة النور ، و سورة الحجرات و غيرها ، نجد فيها إيضاحا للنواحي الخلقيــة الانسانية و السلوك الفردى و الاجتماعى و شرحاً للآداب الانسانية و بياناً لضرورة التفكير فى خلق السموات و الأرض ، وحثاً على السير فى الأرض و النظر فى آيات الله ، و أحاط الحديث النبوى الشريف أيضاً بجوانب كثيرة من حياة الانسان الفردية و الاجتماعية ، ولفت النظر إلى ما خلقه الله فى هذه الأرض ،

فانما نجدها فی مختلف أبواب کتب الصحاح ، ویدل علی إحاطة تعلیمات الرسول ﷺ فیما یتصل بالمعارف الاجتماعیة العامة ، حثه علی العمل الیدوی و کلامه فی تأبیر النخل و إباحته له بقوله أنه من أمر دنیاکم ، و بیانه لآداب مختلفة للحیاة حتی تعجب رجل مشرك من إرشاداته فی شئون الغائط و الاستنجاء و إعطائه لتعلیمات مختلفة فی علاقات الانسان بالانسان و علاقة عضو أسرة بعضو آخر من الأسرة .

و بذلك کله نشأت للمسلمین معارف إنسانیة کانت نواة غضة استنق العلماء منها علوماً واسعة، نشأ بها المسلمون علی منهج متکامل متناسب حامل للروح الاسلامیة بتأثیر ما استفادوه من کتاب الله و حدیث رسوله ﷺ و من الدراسات النابعة منهما ، و استنتاجات علماء المسلمین من المهتمین بالعلوم الانسانیه ، کانت زاداً کاملا للمسلمین فی قرونهم السابقه ، و ذات قیمة إبداعیه و جامعة لکثیر من جوانب حیاة الانسان ، و ذات قیمة مزدوجة ، فهی تغطی جوانب حیاة المسلمین وتسعفها و تساعدها ، ثم إنها تصبغهم بالصبغة الاسلامیة الخاصة ، و هی صبغة أسلافهم العظماء ، وبذلك نجد تصورات المسلمین الجدد وسیرتهم وثقافتهم امتداداً لتصورات آبائهم وسیرتهم و ثقافتهم الخاصة ، بل إنها امتداد أیضاً لسیرة المتبعین للانبیاء السابقین . وذلك بسبب التقارب و التلاقی الذی یوجد بین هؤلاء و أولئك ، فقد ذکر الله سبحانه و تعالی أحداث الأمم السابقة و عرض جوانب من حیاتهم و نشاطاتهم الانسانیة الحسنة و البغیضة باستحسانه للحسن وتقبیحه للقبیح منها ، فکان فی ذلك تعلیماً و تحذیراً یجعل الحسن منها أسوة للاختیار ، و یجعل السیئ منها ذریعة للاعتبار للاجیال الاسلامیة المتأخرة . فقد ذکر قوم عاد و ذکر أنهم کانوا یبنون بکل ریع آیة لیعبثوا و إذا بطشوا بطشوا جبارین، وذکر ثمود ومهارتهم

فى نحت الجبال واستكبارهم وقيامهم بالافساد ، وما إلى ذاك من أحوال شتى لأمم مختلفة مثل حادث السد العظيم الذى كان بناه قوم سباء ، وأصبحت هناك جنتان عن يمين و شمال ، وبلدة طيبة ورب غفور ، ولكنهم أساءوا السيرة فذهبت شوكتهم .

على كل فقد ذكر الله تعالى أمثلة للخير و الصلاح و أمثلة للشر و الفساد وحث على اختيار أمثلة الخير وربط المتأخرين بالمتقدمين بتقليدهم لهم و مشابهتهم بهم وسماهما أمه واحدة ، و قال : « إن هذه امتكم أمة واحدة » و قال : « إن هذه أمتكم أمه واحدة و أنا ربكم فاعبدون » ( الأنبياء — ٩٢ ) و قال : « قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » ( آل عمران - ٩٥ ) .

و استمر المسلمون فى الاستفادة بما حصل لهم من المعارف فى هذا المجال و استمروا فى الدراسه و البحث للمزيد ، و قاموا بتوسعه العلوم وجمع المعلومات و الاستفادة بها ، و ذلك فى الوقت الذى كانت الأمم الأوربية تتسكع فى مجاهل الحياة ومتاهاتها حتى احتلط أبناؤها بالمسلمين فى أسانبا المتصلة بديارهم و رأوا تقدم المسلمين فى علوم الحياة و ما يمتازون به من التحلى بالعلم و المعلومات و اهتمامهم باستزادتها و توسعتها ، فلما رأوا ذلك التفتوا إليها عن طريق طلابهم الذين قصدوا إلى مدارس المسلمين ومراكزهم التربوية فى أسانيا و اهتموا بالاقتباس و الاستفادة منها ، و استمر بهم ذلك حتى استفادوا منها شيئاً مفيداً ونقلوا منها معلومات إلى كتبهم فى الأخلاق و الثقافة ، و الاجتماع و التاريخ و الجغرافيا مع الاعتراف بسبق المسلمين فيها مثل الخرداذبة و الادريسى عالمى الجغرافيا ، و ابن ماجد صاحب النبوغ فى الملاحة ، و البيرونى صاحب الريادة العلمية فى جميع المواد الثقافية و الاجتماعية المفيدة الكثيرة ، و ابن خلدون الذى ترك آراء خالدة فى العلوم الانسانية و الأدبية و الاجتماعية بكتابه « المقدمة لتاريخه » ، و غيرهم ، فهذا هو

سبق المسلمين فى العلوم الانسانية على غيرهم بحيث لا يمكن أن تعمى عنها العيون وليس عنها غنى للدارس فيها .

و لكن الفلك دار و بدأ المسلمون بعد ذلك يتهاونون فى الجد ويقتفون بما أورثهم أسلافهم ويقصرون عن الجهد والسعى، فى استزادة المعلومات وتوسعتها و اهتمت الأمم الأوربية بالعكس منهم بكل ذلك . و اجتهدت فيها كل الاجتهاد حتى تبدل الوضع تدريجياً، وصار تلامذة الأمس أساتذة اليوم فى جوانب عديدة من العلوم الانسانية، وتقدمت أوربا تدريجياً تقدماً كبيراً و استكشفت علوماً جديدة لحازت بذلك القوة و الثروة والعتاد الهائل .

ولكن طبيعه الأمم الأوربية و معتقداتها ورغباتها فرضت عليها حينما أخذت من مواد تلك العلوم من المسلمين أن تأخذها بمنهجها الخاص أو تصغها بصغتها ، إنها كانت أولا أمماً نصرانيه معادية للاسلام ، ثم إن ظروفها الانسانية الخاصة بها قد وصلت بها إلى ظهور ثورات طاغية قضت على معتقداتها القديمة ومناهجها السابقة و أحدثت تغييراً شاملا فى حياتها و أبدل حياتها من الالتزامات الدينيـــة تحرراً و إلحاداً من الاحتفاظ بالقديم ، و انطلاقاً إلى كل ما هو متطرف جـــديد و لم تحتفظ أوربا من قديمهـا إلا العداء للمسلمين مع أنها كانت مدينـة لهم بما اقتبستـــه و استفادت به منهم .

فالفروق الأساسية فى حياة أوربا ونفسيتها العدائية للمسلمين جعلتها منهج الحياة ومنهج العلوم الانسانيه فيها مختلفاً اختلافاً بيناً عن منهجها فى المسلمين، كما أن الالحاد والاباحية فى حياة أوربا جعلا حياة المسلمين غير متفقة أى اتفاق مع حياة أوربا .

وعكف علماء أوربا فى القرون الأخيرة على مزيد من البحث و السعى للاستزادة من العلم ، حتى فتحوا آفاقاً جديدة فى العلوم الكونية والعلوم الانسانية ،

ولكن روح معارفها و علومها كانت نابعة من الأوضاع والأحوال التى مرت وتمر من خلالها ، وهو أحوال مختلفة متصفة بالنصرانية و الالحاد و الاباحية و الشعور بالعزة القومية و العنصرية و الاستيثار و العقلية الاستعمارية .

ثم إن مفكرى أوربا و فلاسفتها انطلقوا انطلاقاً بعيداً ولجأوا فى علومهم إلى نظريات متطرفة لا يتفق مع ما يلتزم المسلمون و كان لها تأثير كبير فى طبع منهج فكر علمائها وطبع اتجاهات حياتها و تحويلها من الأخلاقية الانسانية الملتزمة إلى أخلاقية بهيمية هاملة .

وكان من أهم هؤلاء المفكرين الذين تركوا أثرا بعيداً فى علوم أوربا الانسانية دروين الذى وصل النوع البشرى بنوع القرود وجمعهما على أساس النوع السلالى الواحد ، فاشتبه بذلك النسل البشرى بنسل بهيمى هامل ، و كان منهم فرويد الذى نادى بفلسفة النفسية الجنسية ، ونسب كل اتجاهات الانسان و ميوله إلى هذه النفسية ، و أخضع كافة عواطفه لهذه النفسية حتى الطفل الذى لم يجاوز مدة فطامه إذا امتص ابهامه فهو لا يفعل ذلك فى نظر فرويد إلا بدافع جنسى ، وتلقى الفكر الأوربى هذه الفلسفة بالتقدير و العناية فتركت صبغة واضحة على تفكير علماء العلوم الانسانية فى أوربا .

وظهر ماركس بفكره الثورى و كان مبنياً على فلسفة هيجل للجدل التاريخى ، و بذل ماركس جهده فى تنفيذ فكره المادى الجدلى الملحد فى المجالين السياسى و الاقتصادى ، ونجح نجاحاً كبيراً فى صبغ العقلية الأوربية بهذا الفكر و تأثرت العلوم الانسانية فى أوربا فى المناطق الخاضعة لها بهذا الفكر .

ثم ظهرت دعوات و أفكار متطرفة عديدة ، و اتصلت بعضها مع بعض و أثرت على النفوس و الاتجاهات مثل الوجودية و الأبيقورية فى منهج السيرة

و السلوك و الميكاولية فى منهج السياسة و أفكار أخرى على هذا المنوال . وكلها طبعت ميول الناس و تصوراتهم فى الحياة و أثرت على الجوانب الانسانية السائدة فى أوربا و المناطق الخاضعة لها عقلياً و مدنياً .

و نشأت علوم إنسانيه متأثرة بها و نشأت الحضارة الحديثة متأثرة بها ، ونشأت فلسفة جديدة للحياة ، لها طبيعة خاصه تختلف عن القديم و تخالف ما ورثه المسلمون من تراث عقلى وعلمى و ثقافى و دينى وما ورثوه من أخلاقية إسلامية للحياة مقتبسة من تعاليم القرآن الكريم و الحديث النبوى الشريف ، أما منهج المسلمين فقد كان نابعاً من القرآن الكريم و الحديث الشريف و أفكار العلماء المسلمين المؤمنين بتعليماتهما ومنهجهما قائماً على أساس التوحيد والطاعة لله و لرسوله وحب الآداب الانسانيه الفاضلة ، ومتصفاً بالحركيه و العملية و الوحدة الكلية بالعكس عن المناهج الأخرى .

فنشأت المجتمعات الاسلامية فى ظل تعاليمها الاسلامية و التربية الفاضلة خاضعة للدين الاسلامى و للمعانى الانسانية و الملتزمه لا الحيوانيه الحرة ، و لقد جعل الاسلام وصايته على جوانب الحياة الانسانية كلها ، و أعطى توصيات لكافة شئون هذه الحياة وصبغ العلوم الانسانية كلها بصبغة الله ، و من أحسن من الله صبغة

فالمنهج الغربى فى العلوم الانسانية منهج مختلف عن منهج الاسلام فيها اختلافاً بيناً واسعاً ، يسيطر فيه على علوم السياسة والأدب والاجتماع أفكار روسو ، وماركس ، و فولتير . و سارتر و غيرهم . و على علم الاقتصاد الفكر اليهودى و الفكر المادى الملحد و الفكر الاشتراكى الماركسى ، و على الجغرافية الميول الاستعمارية من امبريالية ، و شيوعية ، و العنصرية ، و الوطنية . هكذا علوم إنسانية أخرى فيه ، إنما يسيطر عليها اتجاهات الفكر الأوربى المتطرف ، و المجتمعات الأوربية قد مرت

من خلال تأثيرات الرهبنة المسيحية أيضاً، ومن خلال تأثيرات الثورة ضد الدين وتأثيرات الثورة على الأوضاع القائمة فى أوربا من امبريالية مستبدة والاستقراطية الظالمة أيضاً، مما أفضت إلى رد فعل فى النفوس و العقول بأفكار و أوضاع مضادة، فجاء الالحاد بتأثير رد فعل الظلم الدينى، و جاء انتقام الفقراء من الأغنياء بتأثير رد فعل الاستقراطية و الظلم الاقتصادى، و أثر كل ذلك على العقلية الأوربية و على العلوم الانسانية تبعاً لطبيعة هذه العقلية.

أما المسلمون أو غير الأوربيين، فلم يمروا من خلال ظروف مثل الظروف الأوربية فى قرونها الأخيرة، قرون نهضتها الجديدة، فلم يكونوا بحاجة إلى أن يأتسوا بأسوة علماء أوربا فى عقليتهم.

فقد تفضل الله عليهم بأن أبدلهم من المساواة مواساة و من الديمقراطية أخوة إنسانية و شعوراً إنسانياً و من الحرية البهيمية حرية ملتزمة باتباع أوامر الله و رسوله، إنهم لم يمروا خلال التجارب القاسية التى مرت منها أوساط أوربا فى تاريخها الطويل، فكيف يناسبهم و يحسن لهم أن يضعوا نفوسهم مع نفوس أوربا، ويروا أمراضهم مثل أمراضهم و يصفوا علاجهم مثل علاجهم، اعتماداً على ما تواصل إليه الفكر الغربى و التجارب الغربية للحياة.

فقد كان من مبادىء العلوم الانسانية لدى المسلمين أن تتركز على التراث الحاصل من سيرة الرسول ﷺ و تعليماته، ثم من الصحابة رضى الله عنهم، و أتباعهم و السائرين على سننهم من العلماء و الأدباء و الباحثين و قادة الفكر و السياسة و الاجتماع، ثم يستفيدوا ما يوافق طبيعتهم و ينفعهم فى حاجاتهم و مقتضياتهم فى الحياة من علوم أوربا قديماً وجديداً، و علوم الأمم الشرقية المجاورة لهم، فذلك أوفق بمكانتهم التاريخية العظيمة و كرامتهم الانسانية و لكن

الأمم الشرقية والاسلامية التى قضت القرون الأخيرة فى التخلف الشنيع، وضآلة الوسائل و فى المهانة و الضعف أمام الأمم الأوربيـــة التى دخلت عليها فى حالة ضعفها و مهانتها فاتحـة و غازية و احتلت بلادها لمصالحها و أهدافها الاستعمارية ، وابتزت ثرواتها وأخضعت شعوبها للتبعية لها والانقياد لها فهالتها الأوضاع ، وعرفت حقا أنها نتيجة جهود الأمم الأوربية فى كسب المعارف النافعـــة للحياة و قيامها باستغلالها لأهدافها ، و نتيجة تخلف الأمم الشرقية فيها و تكاسلها عن كسبها ، و استغلالها. و لكنها ظنت مع ذلك أن أوربا لائقة بالتقليد و الاتباع فى كل مجالات الحياة و صنوف العلم و فى كل ما تتصف بها من تقدم علمى و منهج علمانى و سلوك إباحى، فسارعت أمم من الشرق إلى اتباع أوربا فى كل جوانب حياتها و صورها و أشكالها مثل الأمة اليابانية و الأمة الصينية و غيرها ، و ذلك لأنه لم يكن لدى هذه الأمم مانع فى ذاك الاتباع والانصهار فى البوتقة الأوربية، لأنها لم تكن تحمل منهجاً سماوياً للحياة الخلقية لا يجوز استبداله أو تمويعه .

أما الأمة الاسلامية، التابعة للدين الاسلامى السماوى الخالد فما كان يجوز لها أن تستبدل الأدنى بالذى هو خير ، و لا أن تقوم بتغيير أو تمويع لمقوماتها و قيمها، أما ما عدا ذلك من أمور الدنيا فلا بأس بها ، فقد سمح الرسول ﷺ فيها بقوله ، إنه من أمر دنياكم ، وهى المعارف التجريبية التى لا تنفع ولا تضر فى المجالات الأخلاقية . و الثقافية و الدينية ، فكان على المسلمين أن يحذروا كل الحذر عند استفادتهم من أوربا فى مجالات العلوم الانسانية من الوقوع فيما يضرهم، و يدخل عليهم الفساد ، فان أخلاقية الحياة و منهجها فى الاسلام خاضع للتعليمات السماوية السامية لا للتجارب البشرية الحرة، فالانسان فى نظر الاسلام عبد لخالقه و هو لم يخلقه عبثاً ، ثم إنه فرض عليه حدوداً و مبـادىء للسلوك و السيرة ،

وهى تحيط بحياة الانسان المسلم إحاطة شاملة ، والله خالق الانسان وهو يعلم حدوده وطبيعته و مدى صلاحيته الطبيعية فى الحياة حقاً، فالانسان المسلم إذا أطلق عنانه ، فى تقليد الأمم الأوربية المتحررة من طاعة الله و رسوله ، وأراد أن يسير فى كافة منطلقاته ، فلا بد من أن يصطدم فى جوانب من المجالات الانسانية بعراقيل تصده أو تصرفه عن التزامه بمنهاجه الاسلامى السماوى، فهو إما يكون تابعاً للمنهج العلمانى الملحد تبعية عمياء، فيكون فى مؤخرة الركب الحضارى الحديث، وإما يختط لنفسه طريقاً يتفق مع تراثه و منهجه الأخلاق الأصيل الذى يباركه كتاب الله و حديث رسوله ﷺ ، فيكون رائداً و قائداً لا يقل عن غيره .

لكن الذى حدث هو أن هذا الانسان المسلم استيقظ بعد سبات استغرق عدة قرون فى الوقت الذى كانت أوربا بدأت تختار جميع الطرق المفضية إلى القوة و العلم ، فاندهش أمام بريق الحضارة الأوربية الحديثة، و أمام تقدمها فى العلوم الكونيـــة ، و أمام اشتغالها الزائد بالبحث فى العلوم الانسانية كذلك ، و أمام إحرازها للقوة فى الوسائل و للثروات المادية ، و للابداع فى العلوم الميكانكية ، ثم أمام سلطانها السياسى والفكرى، وأصيب بمركب النقص أمامها ، فلم ير لنفسه إلا أن ينجرف فى التيار الأوربى ويتسع حظاها فى الحياة بدون أن يفرق بينما يوافقها وما لا يوافقها، وبدون أن يغربل ما يتلقاه من الغرب فى غرباله الاسلامى الخاص ، فلا يتلقى فى مجالات الثقافة و الفكر و مناهج الحياة إلا ما يتفق مع شخصيته الخاصة و منهجه الاسلامى النبيل ، فسارع فى اتباع الانسان الأوربى فى ثقافاتها ونظرياتها كلها ، و ترك حبل نفسه على غاربها ، و اقتبس أفكار أوربا اقتباساً بالجملة فى جامعـاته ومعاقل علمه وتعليمه، واختار النظم التربوية بكاملها، ونقل كتب العلوم الانسانية نقلا حرفياً ، و إذا وضع كتباً بديلة منها وضع على شاكلتها بدون أن تخضع مضامينها للنقد الاسلامى أو تغربلها غربلة تصبح متلائمة مع روحها و أهدافها .

و لا تزال الحالة فی جامعات العالم الاسلامی الیوم کما کانت فی السابق فی طریق الاستفادة من أفکار أوربا و دراسات رجالها و کشوفهم فی علوم الثقافـــة والفکر، لا یحاول المشرفون علی النظم التعلیمة فی الجامعات و المعاهد أسلمة هذه العلوم حتی یحفظوا أجیالهم الصاعدة من المیوعة والانصهار فی بوتقة الثقافة الأوربیة التی إنما وضعها أشواب من علماء أوربا و مفکریها و فلاسفتها المتحررین الذین لم یکن یربط بعضهم مع بعض رباط أخلاقی و فکری نظیف .

ومما یؤسفنا أننا إذا قمنا بجولة استطلاعیه علمیة من الشرق الاسلامی الأقصی إلی الغرب الاسلامی الأقصی، وقمنا بمسح النظم السائدة فی جامعاتنا و مؤسسات تعلیمنا و تربیتنا . و استعرضنا مناهج التعلیم فیها بل ومقرراتها لن نخرج من المسح إلا بأنها کلهـا نسخ طبق الأصل للنهج الأوربی بعلاته و خصائصه المتعارضة مع طبیعة الشرق و طبیعة الاسلام .

فاذا استعرضنا علمی الاقتصاد و السیاســة ، و علمی التاریخ و الجغرافیا ، و فنی الأدب و النقد ، و علم النفس و علم التربیة ، و علمی الثقافة و التمدن ، لوجدناها أکثر أنحاء المعارف الانسانیة تأثراً بعقلیة أوربا الجاهلیة و فکرتها للحیـاة، غیر أن جاهلیة أوربا هذه جاهلیة متعلمة ولیست جاهلیة أمیة، بخلاف العهد الکافر قبل الاسلام ، فقد کان العرب فیه جاهلیین و أمیین .

ومقررات هذه الأنحاء من العلوم و المعارف فی الجامعات والمعاهد التعلیمیة تشهد بذلك .

أما علم الاقتصاد فأشد ما خضع للعقلیة الیهودیة الربویة أو الفکرة المارکسیة الجدلیة الملحدة ، و لقد کانت قضیة إنشاء المؤسسات اللاربویة قبل بضع سنوات حلماً من الأحلام الکاذبة، بل تصورات المتخلفین الدراویش ، و لـکن الله أراد

أن يبطل الباطل و يظهر الحق فأصبحت البنوك اللاربوية حقيقة واقعية لا يمكن إنكارها، فقد أصبحت طائفة منها تعمل بنجاح فى بقاع من العالم، وكان ماركس يرى أن الدين أفيون الشعوب و حجر عثرة فى سبيل التحرر من الحواجز المثبطة عن قضاء متطلبات الحياة، ولكن نجاح المؤسسات الاسلامية فى الاقتصاد والساسية أبطل هذا الرأى .

أما السياسة فقد تخبطت فى الغرب بين أفكار روسو حيناً و « ماركس » حيناً آخر ، و « ميكاولى » حيناً ثالثاً . و قد تركت بأفكارها هذه أثراً كبيراً على عقلية من استفادوا من كتابات الغربيين أو اطلعوا على تطبقاتهم العملية ، ودلك لأن الكتب المشتملة على آرائهم و أفكارهم تفعل فعلها فى نفوس المستفيدين بها ، و سارت السياســة بمسارهم حتى أصحت كأنها لا يمكن لها أن تسير على المنهج الاسلامى النزيه ، و أنه لا يمكن أن ينجح إلا باختيار فرع من فروعها المطبقة فى الغرب ، فأبناؤنا فى جامعاتنا يتلقون هذه المعانى و الاتجاهات فى مراكزهم التربوية و من أساتذتهم .

لقد كان رسول الله ﷺ ينهى عن أن يسند منصب من المناصب إلى طالبه ، و بذلك سد باب الطمع و الأثرة و الحرص فى المال و الجاه ، و لكن الفكر الغربى للسياسة يبيح لراغب فى منصب من الماصب أن لا يطلبه طلبا فقط بل و يبذل له كل سعيه ، فيقوم المرشح بكل وسائل الطلب من دعاية و تطبيق إلى حد التزوير و لزراية بغيره ، ليصبح على كل حال رئيساً على القوم ، و إدا صار رئيس القوم فقد يلجأ حينئذ إلى اختيار سبل الاستغلال فى مجالات الجاه والمال ، وقد يستعمل كل أسباب الظلم والمكر والاحتيال للبلوغ إلى مآربه ، ومن المؤسف أن أذهان الناس تعودت ذلك أيضاً ، فلا يرجون له بديلا ، أما الفكرة الاسلامية

فالدعاية الأوربية ضدها ، جعلتها من الأوهام التى لا إمكان للعمل بها فى الحياة الراقية المتقدمة الحاضرة .

أما علم التاريخ فأهم أنحاء . هو تاريخ أوربا ، فانه لا بد لكل دارس فى المدارس أن يطلع عليه جزئياً أو كلياً ، و لا بأس بعد ذلك فى أن يبقى جاهلا عن تاريخ أمته و بلاده ، أما تاريخ الاسلام و المسلمين فيأتى فى مؤخرة الركب.

و كذلك الجغرافية يقرأ الطالب المسلم فى جامعاته جغرافية أوربا و أمريكا، و كل بلد توجد فيه أهمية سياسية أو اقتصادية كبيرة، أما جغرافية مهد الاسلام و بلاد المسلمين فلا حاجة إليها لأنها لا تنفع كغيرها سياسياً أو اقتصادياً ، وكثيراً ما يقرأ الطالب جغرافية الأجانب أكثر مما يقرأ جغرافية وطنه ، و هو إذا قرأ جغرافية وطنه فلا يقرأ منها إلا جوانب سياسية و اقتصادية وحدها، أما الجوانب الخلقية أو الدينية و المميزات الانسانية و الأدبية فلا تنال أهميـــه فى نظر مقررى المنهج أو واضعى المقررات .

و قد مررت أنا شخصياً من تجربة فى هذا المضمار : أردت تأليف كتـاب على جغرافية شبه الجزيرة العربية، وبحثت عن المصادر فلم أجدها كما وجدت مصادر لغيرها فى ذلك الوقت، أما ما أصبح يوجد منها الآن فانما وضع أكثره بعد اشتهار هذه الجزيرة بثرواتها المعدنية و البترول ، أما الأدب و النقـــد فحدث عن البحر ولا حرج ، إنمـا يوجد فى أصنافها الحديثة كل شئ إلا الاسلام ، فقد استولى عليها أصحاب أفكار متعارضة عن الأخلاقية الاسلامية والدينية، و منهم المعجبون بأمثال فرويد و وولتير و أبيقور و سارتر و هيدوجر و غيرهم .

أما علم النفس و التربية ، فنجد أنهما خاضعان لفرويد و دروين و غيرهما ، و هكذا الثقافة و التمدن إنما يسيران فى ركب أخواتهما من المعارف المذكورة .

و إذا كان هذا الوضع فى جامعات أوربا و معاهـــدها ، فالذى حدث فى تاريخها الأخير الذى امتلأ بالمعارك السياسية والاجتماعية و معركة الدين و الدولة و الفوضى الخلقية كان يحتم لها هذا المصير ، أما الشرق الاسلامى الذى يملك خير مقومات الفضيلة فى الحياة فلم يكن بحاجة إلى أى شئ من ذلك ، ففى كل مجال من المجالات الانسانية صدرت له من إسلامه تعليمات و مبادئ كان و لا يزال يستطيع أن يبنى عليها كل جانب من جوانب حياته الانسانية بخير منهج وخير طريق .

أما هذا الخليط الفكرى المائع الذى يصدر إلى الشرق من الغرب عبر العلوم الانسانية ولا تزال جامعاتنا تتلقاه بكل تقدير وإعجاب، فانه لا يبنى الأمم الشرقية والاسلامية إلا كما يبنى حائط من خليط الحصى و الرمال لا يلبث إلا ويتساقط .

وأكبر مسؤلية فى ذلك تقع على جامعاتنا التى لم توفق فى مناهجها ومقرراتها إلى الآن لاستبدال الأصيل الصالح بالذى هو مائع و فاسد .
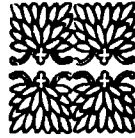
# الارهاصات و البشارات

## بولادة النبي ﷺ

بقلم : علي القاضي
الموجــه العام التربية الدينيــة
وزارة التربية و التعليم

لقد كانت الدنيا كلها تتطلع إلى وجود نبي يصلح ما فى الكون من فساد ، و يعيد إلى أرجاء الكون الانسجام فى عادة الله تعالى ، يصلح الناس و يعلمهم الكتاب و الحكمة .

و كانت البشارات تأتى إلى الناس برسول قد قدر الله زمانه و سيدركهم إبانه ، و لقد كانت البشرى فى بلاد كثيرة كالهند و الصين ، مما يدل على أن هذه البلاد جاء إليها رسل ، وكانت الكتب التى لديهم تشتمل على ما يدعو إلى توحيد الله تعالى .

كتب الهنود :

و أقدم الكتب التى اشتملت على هذه البشارة بمحمد ﷺ ـ كتب الهنود القدماء فان كتابهم ( فيدا ) قال عنه بعض المطلعين المسلمين :

« إن فى فيدا ما يدل على التبشير بوجود الرسول محمد خاتم النبيين ﷺ ، جاء فى كتاب طوالع البعثة المحمدية للاستاذ عباس العقاد ما يأتى : يقول الأستاذ عبد الحق : إن اسم الرسول العربى أحمد مكتوب فى الساما فيدا من كتب البراهمة بلفظه العربى ، وقد ورد ذلك فى الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثانى ، و نصها « إن أحمد تلقى الشريعة من ربه و هى مملوءة بالحكمة و قد قبست منه النور كما يقبس من الشمس » .

و يستفاد من هذا أنه ورد ذكر أحمد فى كتابه الفيدا ، كما ورد هذا الاسم الكريم فى التوراة و الانجيل ، و ذكر الأستاذ عبد الحق : إن وصف الكعبة

ثابت فى كتب الآثار ( فافيدا ) و يسميهـا الكتاب بيت الملائكة ، و يذكر من أوصافها : أنها ذات ثمانية جوانب و أبواب تسعة ، و الأستاذ عبد الحق يعبر عن الأبواب بالأبواب المؤدية إلى الكعبـة و هى باب ابراهيم و باب الوداع و باب الصفا و باب على و باب عباس وباب النبى و باب الزيارة وباب الحرم ، و يفسر الجوانب الثمانية فيذكر أنها جبال تكتنف البيت الحرام وهى جبال خليج و قعيقعان و جبل هندى و جبل لعلع و جبل كدا و جبل أبى حديد و جبل أبى قبيس .

و قد ذكر الأستاذ عبد الحق إشارة تبشر بالنبى ﷺ فى كتابه « زندا فستا » أنه وصف فى هذا الكتاب ببعض الأوصاف التى جاءت فى القرآن الكريم ، فقد وصف بأنه رحمة للعالمين و ذكر أنه يدعو إلى الواحد الأحد الذى ليس له كفء و ليس له أول ولا آخر و لا قريع ولا صاحب ولا أب و لا أم ولا صاحبة و لا ولد و لا مسكن و لا جسد و لا لون و لا رائحة .

و هذه أوصاف للذات العلية و هى من الوحدانية فى الذات و فى الصفات و وحدة الخلق والتكوين واضحة ، ونتيجة لهذا وحدة العبادة ، فلا يعبد إلا الله تعالى .

يقول الأستاذ العقاد : ويشفع رأى الأستاذ عبد الحق ذلك بمقتبسات كثيرة من كتب الزرادشتية تنبئ عن دعوة الحق التى يجئ بها النبي الموعود ، وفيها إشارات إلى البادية العربية و يترجم نبذة منها إلى اللغة الانجليزية و معناها : إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون و ينهض رجل من العرب يهزم أتباعه فارس و يخضع الفرس المتكبرين ، و بعد عبادة النار فى هياكلهم يولون نحو كعبة ابراهيم التى تطهرت من الأصنـام و يومئذ يصبحون ـ وهم أتباع النبي ـ رحمـة للعالمين و سادة لمدراس و مدين و طوس و بلخ و هى الأماكن المقدسـة للزرادشتيين و من جاورهم ، و إن نبيهم ليكون فصيحاً يتحدث بالمعجزات .

و قد تحققت هذه النبوءات فعلا ، إذ تضعضع الشعب الفارسى و دخل العرب أرض فارس و أصبح الفارسيون حملة العلم الاسلامى الذى كان رحمـــة للعالمين ، و ذلك لا يكون إلا من و حى السماء .

محمد فى التوراة :

جاء ذكر محمد ﷺ فى التوراة بالاشـارة الواضحة ، و مع أن التوراة قد جرى فيها التغيير و التبديل إلا أنه لم يمح ما فيها من إشارات بينات إلى رسالته عليه الصلاة والسلام ، مما جعل اليهود يعرفونه على وجه اليقين ، كما يعرفون أبناءهم ، و قد استفتحوا به على المشركين قبل أن يبعث ، فلما بعث كفروا به فلعنة الله على الكافرين .

و قد عنى الأستاذ عبد الحق ببيان النصوص العربية التى فيهـا البشارة إلى النبى ﷺ و كان ترجمتها ( إن الرب جاء من سيناء ونهض من سعير لهم و سطع من جبل فاران و جاء مع عشرة آلاف قديس و خرج من يمينه نار شريعــة لهم ) .

و جبل فاران بمكة و قد قال عبد الحق فى ذلك : إن الشواهد القديمة تنبئ عن وجود فاران بمكة ، و قد قال المؤرخ جيرون واللاهوتى يوسيبوس (إن فيران هى عنـد العرب على مسيرة ثلاثة أيام إلى الشرق من أيلة ، و ينقل عن النص العربى المترجم : إن اسماعيل سكن برية فاران بالحجـاز ، ثم يقرر أن سفر العدد من العهد القديم جاء فيه : إن بنى إسرائيل ارتحلوا من برية سينـاء فحلت السحـابة فى برية فاران ، ويستنبط من ذكر عشرة آلاف ، الذين ذكروا على أنهم محمد و أصحابه عند ما خرجوا من غزواتهم إلى مكة و إلى الشام ، فقد بلغوا هذا العدد و كانوا من الصحابة الأطهار .

و يسترسل الكاتب المحقق فى بيان ما جاء فى التوراة من إشارات فيذكر عبارات نبي من أبناء ابراهيم مثلى تثبت أنه محمد عليه الصلاة و السلام ، إذ أنه لم يأت نبي بعد موسى بشريعة كاملة تبين كل الأحكام غير القرآن الكريم الذى نسخ بعض الأحكام التى جاءت فى التوراة ، و هكذا نجد أن التوراة قد بشرت بالنبي و إن إشارات التبليغ قائمة فيها ، حتى بعد أن عراها التغيير و التبديل .

و هذا يبشر بالنبي المنتظر و يبين مكان الرسالة و منبعثها الذى تعم منه مشارق الأرض و مغاربها ، ففاران كما جاء فى اختيار المؤرخين و المحققين من الكتاب الأقدمين ، كان بينه و بين أيلة مسيرة ثلاثة أيام ، و كما جاء فى أقوال كثير من المؤرخين كانت حول مكة أو بمكة .

محمد فى الانجيل .

لقد انحرفت النصرانيه و خرجت عن مبادىء المسيح و غلا المسيحيون و استدلوا بأدب المسيح و سماحته استعلاء واستكباراً فى الأرض و عتواً وفسدوا ، فكان لا بد من بشير و نذير يهدى إلى الحق و إلى طريق مستقيم .

و مع التغيير و التبديل فى الانجيل ، إلا أن هناك إشارات واضحة إلى أن هناك نبياً سيبعث فى آخر الزمان ، و تشير الدلائل إلى أنه محمد ﷺ .

جاء فى الاصحاح الثالث و العشرين من انجيل متى على لسان المسيح يخاطب بنى اسرائيل ( هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً ، لأنى أقول لكم ، إنكم لا تروننى من الآن ، حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب ) فهو يدل على أن هناك من يأتى بعده مباركا باسم الرب ، و لم يأت بعده إلا محمد عليه الصلاة والسلام ، كما جاء فى الاصحاح السادس من انجيل يوحنا الذى صرح بألوهية المسيح فيما يزعمون ، جاء فيه على لسان المسيح ( إنه خير لكم ان انطلق لأنى إن لم انطلق لا يأتيكم المعزى و لكن إن ذهبت أرسله إليكم و متى جاء إليكم يبكت العالم على خطيئته

و على بره و على دينونته ، فأما على خطيئتـه ، فلأنهم لا يؤمنون بي و أما على بره فلأنى ذاهب إلى أبي و لا ترونني أبداً ، و أما على دينونة الله فلأن رئيس هذا العالم قد دين و إن لدى أموراً كثيرة أقولها لكم ولـكن لا تستطيعون أن تحملوها الآن ، و إنما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى الحق جميعـه ، لأنه لا يتكلم عن نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به و يخبركم بأمور آتية و ذلك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى و يخبركم و بعد قليل لا تبصرونني ) .

و إذا طرحنا من هذا الكلام عبارات الأب و الألوهيـة المدعاة ، تبين أنه ينبئ عن المعزى الذى يجئ بعده و أنه يطلق ليخلى له الطريق و أنه يبكتهم على خطيئته وهو إنكار نبوة المسيح ويبكتهم على ادعائهم ألوهية المسيح لله سبحانه و تعالى المنزه عن الصاحبة و الولد ثم إنه يصرح بأنه يدعو إلى الحق جميعـه ، لأنه أتى بالشريعة كاملة غير منقوصة ، خالدة صالحـة لكل زمان و مكان ، و لـكنها لما كانت الخالدة فهو إذن محمد ﷺ .

ربيعة بن نصر :

ربيعة بن نصر ملك من ملوك اليمن ، رأى رؤياً هالته وقد رواها ابن هشام فى سيرته و هى تبشر بالنبي عليه الصلاة و السلام يقول ابن هشام ( كان ربيعـة بن نصر ، ملك اليمن بين أضعاف ملوك التتابعة فرأى رؤياً هالتـه و فظع بهـا ، فلم يدع كاهناً و لا ساحراً و لا عائفاً ولا منجماً من أهل مملكته الا جمعه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيت رؤياً هالتنى و فظعت بها فأخبرونى بها و بتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها . قال : إنى أن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فانه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقـال له رجل منهم : فان كان الملك يريد هذا ، فليبعث إلى سطيح و شق ، فانه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه ، فبعث إليهما و تقدم إليه سطيح قبل شق ،

فقال له : إنى قد رأيت رؤياً هالتنى و فظعت بها فأخبرنى بها ، فانك إن أصبتها أصبت تأويلها قال : أفعل ، رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت أرض تهمة فأكلت منها كل ذات حممة ، قال الملك : ما أخطأت منهـا شيئاً يا سطيح فما عندك من تأويلها قال : أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش فيملكون ما بين أبين إلى جرش ـ بلدان باليمن ـ فقـال له الملك : و أبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجع فتى هو كائن، أ فى زمانى هذا أم بعده ؟ قال : لا! بل بعـــد حين أكثر من ستين أو سبعين من السنين ، قال الملك أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع و سبعين من السنين ، ثم يقتلون و يخرجون منها هاربين ، قال الملك :و من يلى ذلك من قتلهم و إخراجهم قال : يليه ارم بن ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يدع أحداً منهم باليمن، قال الملك أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع، قال : ومن يقطعه ؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر ، قال الملك : و هل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ! يوم يجمع فيه الأولون و الآخرون و يسعد فيه المحسنون و يشقى فيه المسيئون ، قال الملك : أ حق ما تخبرنى ؟ قال : نعم و الشفق والغسق والفلق إذا اتسق ، إن ما أنبأتك لحق .

ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح و كتمه ما قال سطيح لينظر أ يتفقان أم يختلفان قال : نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين أرض و أكمة أكلت منها كل ذات نسمة ، فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا و أن قولهما واحد ، إلا أن شقاً قال : وقعت بين روض و أكمـــة فأكل منها كل ذات نسمة و قال سطيح وقعت بأرض تهامة فأكلت منها كل ذات حممة ، فقال له الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئاً ، فما عندك من تأويلها ؟ قال : أحلف بما

بين الحرتين من انسـان لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان و ليملكن ما بين أبين إلى نجران ، فقال له الملك و أبيك يا شق ، إن هـذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أ فى زمانى أم بعد ؟ قال : بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن و يذيقهم أشد الهوان ، قال الملك : و من هـذا العظيم ؟ قال : غلام يخرج عليهم من بيت يزن فلا يترك أحد منهم باليمن ، قال الملك : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتيه بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل، يكون الملك فى دينه إلى يوم الفصل، قال الملك : و ما يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الولاة و يدعى فيه من السماء بدعوات و يسمع منها الأحياء و الأموات و يجمع فيه بين الناس بالميقات يكون فيـه لمن اتق ، الفوز و الخيرات ، قال الملك : أحق ما تقول ؟ : قال أى و رب السماء و الأرض و ما بينهما من رفع و خفض إن ما أنبأتك به لحق، ما فيـه أمض ( شك ) فوقع فى نفس ربيعة ما قالا ، فجهز بيته و أهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب لهم إلى ملك من ملوك الفرس يقال المسابور بن حرزار فأسكنهم الحيرة ، و يستمر ابن هشام فى ذكر التاريخ بعـد ذلك حتى يصل إلى مولد النبى ﷺ إلى مبعثه .

إرهاصات النبوة :

لقد رأت السيدة آمنة أم النبى ﷺ رؤيا و هى أن تسمى ابنهما محمداً وقد توافقت هذه الرؤيا مع رؤيا أخرى رآها جده عبد المطلب الذى كان قد اشتهر بالنسك فى قومه و كان نسكه نسكا فيه ما يجمل بالمروءة .

قيل لعبد المطلب: لم سميته محمداً ؟ فقال : رأيت فى منامى كـأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره ، لهـا طرف فى السماء و طرف فى الأرض و طرف فى

المشرق و طرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، و إذا أهل المشرق و المغرب يتعلقون بها .

و أراد عبد المطلب أن يعرف مدى هذه الرؤيا التى رآها ، فسأل من يعبر له رؤياه ، فقيل له : إنه يكون مولود من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء و الأرض . اجتمعت رؤياه و رؤيا الأم الرؤوم التى قصتها على الجد الكريم عند ما بلغت بالمولود الذى بلغته بأنه مولود ، فارتضى الاسم الذى أفهمتبه رؤيا الأم و هو محمد .

و لم يكن هذا الاسم معروفاً عند العرب ، و لقد ذكر علماء السيرة أنه لم يسم به أحد فى الجاهلية إلا ثلاثة تسموا بهذا الاسم فى عصر ولادة النبي عليه الصلاة و السلام .

و كان سبب تسمية هؤلاء باسم محمد : أن الآباء سمعوا بذكر محمد ﷺ و قرب زمانه و أنه يبعث فى الحجاز ، فطمعوا أن يكون ولداً منهم ، و هم : محمد ابن سليمان ابن مجاشع جد الفرزدق الشاعر و محمد بن أحيحة الجلاح و محمد بن حمران بن ربيعة .

و كان آباء هؤلاء قد وفدوا على بعض الملوك وكان عندهم علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ و كان كل واحد منهم خلف امرأته حاملا ، فنذر كل واحد منهم إن ولد له ولد أن يسميه محمداً .

و كان من أسماء النبي عليه الصلاة و السلام أحمد ـ وهو الاسم الذى بشر به فى الانجيل و بشر به موسى عليه السلام و هو أفعل تفضيل من الحمد و الثناء ـ فهو كثير الحمد و كثير الثناء و الذكر لله تعالى .

يوم مولده :

وضعت آمنة الطاهرة حملها الطاهر الذى لم يثقل فأضاء الوجود بوجوده وقد

ظهرت إرهاصات يوم مولده تتلخص فى :

- خرت الأصنام و تزايلت عن أماكنها و تمايلت على وجوهها - لأنه جاء هادمها و ليس ذلك منها بارادة و لكنها بارادة القاهر الحاكمة على كل شئ .

- ظهر النور حتى أضاء قصور الشام .

- جاء فى سيرة ابن اسحاق « كان هشام بن عروة يتحدث عن أبيه عن عائشة قالت : كان يهورى قد سكن مكة يتجر فيها ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ قال : فى مجلس قريش « يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : و الله ما نعلمه فقال الله اكبر أما إذا أخطأتم فانظروا و احفظوا ما أقول لكم ، ولد فى هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخير ، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات .

- روى ابن اسحاق عن حسان بن ثابت قال : إنى لغلام تبعة ابن سبع سنين أعقل ما رأيت وسمعت إذ بيهودى فى يثرب يصرح ذات غداة : يا معشر يهود ، فاجتمعوا له و أنا اسمع ، قالوا : ويلك مالك ، قال : طلع نجم أحمد الذى يولد الليلة .

و حسان بن ثابت ولد قبل النبي ﷺ بسبع سنين ، فانه كانت سنه عند هجرة النبي صلوات الله و سلامه عليه إلى يثرب ٦٠ سنة و النبي عليه الصلاة و السلام كانت سنه ثلاثاً و خمسين .

- ذكر مخزوم بن هانئ المخزومى : إن أيوان كسرى ارتج ليلة مولد النبي ﷺ و سقطت منه أربع عشرة غرفة و خمدت نيران فارس التى يعبدها المجوس و لم تخمد قبل ذلك بألف سنة .

- رأى أحد رجال كسرى فى منامه - إن ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد

قطعت دجلة و الفرات فلاة بلا بلاده ـ فلما قص الرؤيا على كسرى أفزعه فتصبر ـ و إن لم يصبر ـ فجمع كبار دولته و قال لهم : أتدرون فيم بعثت لكم ؟ قالوا : لا إلا أن يخبرنا الملك ـ فبينما هم كذلك إذ ورد إليهم كتاب بخمود النار ، ثم أخبرهم بما رأى أحد رجاله و ما هاله و قد تأولوا هذه الرؤيا و خمود النار بان حدثاً يكون من بلاد العرب .

و بعد :

فها هى ذى إرهاصات مولد النبي ﷺ الذى بعثه الله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ـ وقد أدى رسالته ـ و عاد الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له و إلى السير على المنهج الذى جاء به محمد ﷺ من عند الله وقد جعلوا القرآن دستوراً يسيرون على هديه و الرسول معلمهم يسيرون على نهجه .

و نحن الآن فى حاجة ماسة إلى أن نعود إلى رسالة محمد ﷺ ننهل منها و تسير على هديها فنهدى أنفسنا و نفتح الطريق أمام هذا العالم الحائر المغرور ، حتى يجد فى رسالة محمد ﷺ الطريق السليم الذى يخرجه من ظلمات الشرك ومناهج البشر القاصر عن الوصول بالانسان إلى طريق الأمن و السلام .

و بذاك يمكن المسلمين أن يحملوا رسالة العدل و الأمن و المساواة ورسالة عيادة الله وحده فى هذه الحياة ، فيكونون جديرين بأن يكونوا خلفاء فى هذه الأرض يسيرون بمنهجه ، يحقون الحق و يبطلون الباطل و يشيعون فى هذا العالم الأمن و الأمان و صدق الله العظيم القائل :

( و أن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) .

## دراسات و أبحاث :

### من روائع تراثنا :

# غراس الأساس لابن حجر :

( الحلقة الثانية الأخيرة )

تحقيق و تعليق : الدكتور توفيق محمد شاهين
جامعة الأزهر

### مخطوط غراس الأساس :

فى دار الكتب المصرية نسختان مخطوطتان بخطين مختلفين ، من ( غراس الأساس) للعلامة ابن حجر رحمه الله تعالى، سمعت عنهما منذ ثلاثين عاماً خلت، حين أشار إلى ذلك الأستاذ المرحوم الشيخ أمين الخولى ، فى مقدمة لأساس الزمخشرى ، وكنت وقتها طالباً فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف ، وعلق الشيخ الخولى على الاشارة إلى الغراس بما أرى أن فيه تجاوزاً أو مبالغة . . علقت عليها فى آخر هذا الكتاب المحقق، وشاء الله أن أصورهما ـ حديثاً ـ تمهيداً للتحقيق فى هذه الأيام ، و النسختان فى مكتبة طلعت بقسم المخطوطات تحت رقم ٢٦٣ لغة ، بدار الكتب المصرية .

و أرسلت رسائل إلى أمهات المكتبات فى العالم العربى وفيما وراء البحار ، وجاءت معظم الردود تفيد بأنهم لا يملكون المخطوطة ، وما سمعوا بها . . و من ثم اكتفيت بما حصلت عليه من دار الكتب المصرية، مستعيناً فى التحقيق بأساس البلاغة ، و مستشيراً لأمهات القواميس العربية كالصحاح ، و القاموس ، و المعجم الوسيط . . . الخ ، كما استأنست بالنسخة (ب) لتحقيق النسخة (أ) .

و الغراس يدلنا على رسوخ قدم ابن حجر فى العربية ، لأنه استدراك على علامة فحل هو الامام الزمخشرى رحمه الله تعالى ، و إن ذاعت شهرة ابن حجر

فى العلوم الدينية وبخاصة علوم الحديث الشريف . . إلا أن الغراس علامة واضحة على تمكنه من العربية و علومها ، و البلاغة و فنونها ، و كعالم فاضل أنصف الأساس ، و وصفه بالنفاسة ، و اختيار الألفاظ المستعملة ، و الأمثال السائرة ، و أنه كتاب حافل جامع كامل ، امتاز على غيره ببيان الحقيقة من المجاز ، وتجنب الاسهاب و الايجاز .

وتعقب الغراس للاساس قام على أساس المجاز وحده : أى ما ذكر فى الأساس بأنه وضع جزماً على سبيل المجاز وهو ليس كذالك ، فاذا أهمل الغراس مادة كانت على الحقيقة لا المجاز ، يقول ابن حجر : « مرأيت الاقتصار منه ـ الأساس ـ على ما جزم بأنه وضع على سبيل المجاز ، مكتفياً بالكتب المصنفة فى اللغة ، فانها أوعب لها من هذا الأساس ، فمن لم يجد فى هذا المختصر شيئاً فليجزم بأنه وضع على سبيل الحقيقة ، معتمداً على هذا الامام البليغ المطلع » .

وسبب جزم ابن حجر فى أحكامه يرجع إلى إعتماده على الكتب اللغوية ، التى حوت و وعت ، كما أنه سلم بالاطلاع و البلاغة للزمخشرى ، فابن حجر ليس مفترياً ، و الزمخشرى ليس مقصرا .

فما اتفقا فيه على أنه مجاز يعلى من شأن العالمين الفاضلين ، ويعلى من شأن مؤلفيهما ، و يزيدنا ثقة و إعجاباً بعلمهما ، و بالمادة نفسها ، للاتفاق على قدر كبير مشترك بينهما .

و ما اختلفا فيه و انفرد به ابن حجر . . فهو استدراك لوجه الله تعالى ، و إنصاف للحقيقة . ومحال أن يغض ذلك من قدر الزمخشرى ، لأنه من باب ( جل من لا يسهو ) و ( الكمال لله وحده ) . . .

و علماؤنا بصراء و أمناء وفضلاء فى استدراكاتهم على بعضهم ، لأن علمهم

كان حسبة لله تعالى ، فنقدم بناء ، والاستدراك لوجهة نظر ، أو ذكر شئ لم يصل عليه إلى الآخرين ، و احتاطوا للامر بقولهم حينئذ : ( أظنه ، أو لا أحققه ، أو لا أدرى ، أو الله أعلم ، و اعترضوا بأدب ، كقولهم : وهم ، زعم ، وغاب عنه ، و عندى ، ولا أقول بذلك ، وليس الأمر كما قال ) . . .

كما لم يغمطوا حقاً لمستحق ، و لا فضلا لسابق ، ولا رأياً لراء ، و إنما ساقوا حججه ، و فندوا بأدب أدلته ، ودعوا له بخير ، و صرحوا باستفادتهم من السابقين ، و اعترفوا بذلك تواضعاً و أمانة . ومثل ذلك كان صنيع ابن حجر فى هذا الكتاب ( غراس الأساس ) ، فى استدراكاته على أساس الزمخشرى رحمهما الله تعالى .

منهج الغراس :

رتب الامام ابن حجر ( غراس الأساس ) ترتيباً أبجدياً فى مواده ، كما هو الشأن السائد فى عصره ، و كما هى طريقه الأساس ، حتى يسهل الانتفاع به ، وقد وضح ذلك بقوله : « و طريقتى فيه : أن أذكر بعد كل حرف مفرد ما يثنيه ، و أسلك طريق الترتيب ، حتى فيما يثلثه و يربعه : فأترجم مثلا : « الباء » ، ثم أقول : ( با ) ، فأورد ما أوله ( با ) ، ثم أنتقل إلى ( بب ) ، وهلم جراً ، و أراعى الترتيب بما ذكرت : فأقدم ( باب ) على ( باس ) وكذا أصنع فى كل حرف ، طلباً للايجاز ، ورغبة فى النجاز » .

و للامام ابن حجر شخصيته المتميزة فى الغراس ، فهو أصيل فى كتابه ، وليس كلا على الأساس :

فهو و إن اعتمد على الأساس إلا أنه يتأنق فى شرح العبارة بأسلوبه ، ولا ينقل حرفياً إلا لماماً من عبارات الأساس حين يستحسن التعبير أو الطرفة ،

فيسوقها كشاهد و دليل صادف محله و لاعتماده على كتب اللغة ـ كما أشار فى مقدمته ـ زاد ـ أحياناً ـ فى الشرح ، و ذكر فروع المادة ، لبيان المعنى ، وتوضيح المقام ، كما فى مادة ( ب ص ص ) ، و ( دغم ) كما يتوسط أحياناً فى الشرح ويكتفى به إن وضح المقـام ، أو يوجز إيجازاً غير مخل ، كما فى مادة ( رجع ، ورفو ، و دعجاء ، و دمل . . . ) .

و يعرض عن الاستشهاد بالقراءات الشاذة ، كما فى قراءة ابن الزبير ، لقوله تعالى : « و لأرقصوا خلالكم » ، بدلا من « و لأوضعوا خلالكم » ، كما فى الأساس ص ٢٤٥ .

ويترك ما يجر إلى خلافات المتكلمين ، مثل « جاء ربك » ، فى مجاز (جيأ)ﺀ.

ولا يصرح بذكر الأشخاص فيما يوهم اللز ، كما ذكر الأساس فى مادة (رقط) أن عبيد الله بن زياد كان أرقط شديد الرقطه .

ويمسك عن ذكر الاستشهاد بما يوهم الجرح أو الحرج ، ورعاً وتقى ، كما فى مادة ( جشم ) وبيت النـابغة ( الأساس ١٥٣ ) ، و حكاية أبى الدقيش حين زواجه من الجارية ( الأساس ٢٤٩ ) ، فى مادة ( ركض ) .

و اتفق مع الزمخشرى فى كثرة كاثرة من المواد على الحقيقة و المجاز ، وتلك علامة صحة للكتابين : ( الأساس و الغراس ) ، و آية فقـــه و علم للامامين ، كما ذكرنا .

و اختلف معه فيما جاء فى الأساس على أنه حقيقة ، و اعتبره صاحب الغراس مجازاً ، حين استشار أمهـات الكتب اللغوية ، مثل المواد : ( إخوان ، و أف ، و أفق ، و أهل ، و بتر ، و بش ، و دحو ، و دد ، و درق ، و داخ ، و ربت ، و رمن ) فى أبواب الألف و الباء ، و الدال و الراء ، مثلا .

كما اختلف معه فيما جاء فى الأساس مستعملا على سبيل المجاز ، و اعتبره الغراس حقيقة ، مثل :

(برطال ، و بره ، و بز ، و دسر ، و دغدغ ، و ذرف ، و رأل ، و رغف ، و ركو ، و رمس ، و رمع ، و رهيأ ) مثلا فى باب الباء ، و الدال ، و الذال ، و الراء ، فقط .

و سنذكر فى آخر الكتاب إحصائية بما اتفق عليه الامامان بأنه من باب الحقيقة لا المجاز . . و ما خالف فيه الغراس الأساس فى أنه من باب الحقيقة أو المجاز ، إن شاء الله تعالى .

عملى فى التحقيق :

بدأت فى نسخ النسخة ( أ ) على أسس إملائية حديثة ، و ذكرت المادة فى أول السطر بين قوسين ، و احترمت النص فلم أتدخل إلا باضافة يسيرة إذا كانت ضرورية ، توضيحاً للمعنى ، أو إتماماً للجملة ، أو سقطاً . . . وجعلت ذلك بين معقوفتين ، أما ما كان من تعليق ، أو شرح كلمة بها غموض ، أو تنبيهاً على تحريف أو تصحيف ، أو بتر ، أو طمس . . فجعلت ذلك فى الهامش برقمه ، ومنبهاً بالتالى على الاختلاف بين المتن ، و بين ما رجعت إليه من مراجع ، كالأساس ، أو النسخة (ب) ، أو القواميس الأخرى ، و فى مقدمتها : الصحاح ، و القاموس المحيط ، والمعجم الوسيط ، وبذلت كل وسعى - علم الله - فى تشكيل الكتاب كله ، فأخذ جهداً مضنياً ، وآمل أن يفيد فى شكله الحديد ، و أن يخلو من الأخطاء ، وجل من لا يسهو . .

نسختا الغراس . . نسخهما و وصفهما :

ما عثر عليه من هاتين المخطوطتين كان بخطين مختلفين ، كما ذكرنا . ويظهر

أنهما منقولتان عن أصل واحد ، لأن ما يكون فى إحداهما من تحريف أو تصحيف (١) فاننا نجده ـ غالباً فى الأخرى . و ذكر الناسخان أنهما نقلا عن خط المؤلف .

و عند الدراسة وجدت أن إحدى النسختين أفضل من الأخرى مع رداءة خطها ، لأنها خلت من السقط ، ويمكن قراءتها لوضوحها، فرمزت لها بحرف (أ) ، و اعتمدتها أساساً للتحقيق . و رمزت للثانية بحرف ( ب ) و استأنست بها فى التصحيح مع القواميس اللغوية .

و عنوان النسختين يؤكد أن الكتاب منسوب للامام ابن حجر العسقلانى ، لا لغيره ، كما يؤكد عنوانهما (٢) .

و الناسخ للنسخة ( أ ) هو العبد الضعيف : محمد بن عبد اللطيف الحنبلى ، غفر الله تعالى له ، ولوالديه ، و لمشايخه ، و لجميع المسلمين . وفرغ من النسخ فى شهر جمادى الآخرة سنة ١١٤٧ ، نهار الجمعة المبارك .

---

(١) التحريف : تغير فى معنى الكلمة ، بسبب التغيير فى شكل رسم الحرف ، كرسم الراء دالا ، أو جعل النون زاياً عند عدم استدارة النون ، فتكتب ( عجن ) عجز مثلا .

و التصحيف : هو التغيير فى الكلمة بسبب نقط الحروف المتشابهة ، كالباء ، والتاء ، والثاء ، والسين ، والشين ، و الطاء ، والظاء . . .

(٢) و مخطوطة غراس الأساس بذلك من أعلى النصوص المخطوطة ، لحملها عنوان الكتاب ، و اسم المؤلف ، وجميع مادة الكتاب وختامه ، كما ورد فى رسالة «تراثنا المخطوط» للدكتور على الخطيب ، نقلا عن شيخ المحققين الأستاذ عبد السلام هارون ، أمد الله فى حياته ، و جزاه عن العربية و الاسلام خير الجزاء .

أما النسخة ( ب ) فناسخها هو : الفقير الحقير ، الراجى عفو ربه القدير : محمد بن القاضى عمر ، الشافعى مذهباً ، الدويكى نسباً ، غفر الله له ولوالديه ، آمين . و ذكر أنه فرغ من الكتابة نهار السبت ٢٧ من شعبان المبارك ، ولم يذكر السنة .

و هذه النسخة بخط مغربى أوضح من ( أ ) و لكن فيها سقط كثير ، و من ثم اتخذتها استئناساً ، لتصحيح ( أ ) مع القواميس المطبوعة .

و المخطوطة ( أ ) تقع فى خمس وتسعين لوحة ، كل لوحة فيها صفحتان ، و مسطرتها ١٦×٩ سم ، وكل صفحة تحتوى على تسعة و عشرين سطراً ، و فى كل سطر حوالى إحدى عشرة كلمة .

## كلمة بإيجاز عن الحقيقة و المجاز :

فصل علماؤنا ـ رحمهم الله تعالى ـ القول فى الوضع ، وأفردوا له كتباً (١) ، و إيجاز موجز ما قالوه فى ذلك :

أن الوضع جعل دليلا على المعنى ، فيفهمه منه العارف بوضعه له ، أو هو تخصيص الشئ بالشئ : بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثانى ، بشرط القصد .

و الأرجح : أن العرب وضعت المفردات لا المركبات .

و الأظهر : أن اللفظ موضوع بازاء المعنى من حيث هو ، بقطع النظر عن كونه ذهنياً أو خارجياً ، وحصول المعنى فى الخارج والذهن من الأوصاف الزائدة .

و أن اللغة لم توضع كلها فى وقت واحد ، بل وقعت متتابعة متلاحقة .

وقال بعض العلماء إن ألفاظ اللغة كلها من الحقيقة ، و قال آخرون : بل

---

(١) لمزيد بيان راجع المزهر ١/٣٨ ، والخصائص ١/٤٢٨ ، وخلاصة الوضع للشيخ يوسف الدجوى ، و كتابنا : المشترك اللغوى : نظرية و تطبيقاً ، ص ٤٦ ، ط . مكتبة وهبة القاهرة .

كلها مجاز. والحق مع الفريق الثالث القائل : بأن بعض الألفاظ من باب الحقيقة، و البعض الآخر من المجاز .

و الأصل فى اللفظ : أن يستقر على حاله الأول ، ما لم يدع داع إلى أن يترك ويتحول عنه ، كما يقول العلامة ابن جنى رحمه الله (١) .

و قد تنسى خطوات النقل أو تحفظ ، و قد يهمل المعنى الأصلى أو يبق أو يذهب فى زوايا النسيان : فكلمة ( النسخ ) كانت كما تذكر القواميس لمشتار العسل ، ونقلت لنسخ الشمس للظل ، ثم انقبلت للمعنى الشرعى بعدئذ للنسخ .

و النحاة هم أصحاب الفضل الأول فى نشأة البلاغة . . . كانت فى البداية نظرات متناثرة ضمن مباحثهم النحوية ، ثم أتيح لمن أعقبهم أن يصوغ من هذه النظرات العابرة قواعد بلاغية ، ذات صبغة علمية (٢) .

و العلوم اللغوية تمازجت فى القرون الأولى ، وجمعت كتب التراجم و الطبقات بين النحويين و اللغويين ، كطبقات النحويين للزبيدى ، و طبقات النحويين و اللغويين لابن قاضى شهبة ، و إنباه الرواة للقفطى . . . و كان للغويين أثر بارز فى مد تيار البلاغة بينابيع من دراسة اللغة ، و كان تعليم اللغة ، و شرح مفرداتها ، و بيان مقاييس الاشتقاق و الاعراب ، وبيان خصائص الأسلوب . . كشئ واحد متكامل مترابط ، و إنما جاء الفصل تسهيلا على المتعلمين ، و الشداة .

و لابن جنى كلام موجز عن الحقيقة و المجاز ، فالحقيقة عنده : ما أقر فى الاستعمال على أصل الوضع فى اللغة . و المجاز ما كان بضد ذلك : أى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له فى اللغة .

---

(١) الخصائص ٢ / ٤٥٧ .

(٢) مقدمة أثر النحاة فى البحث البلاغى د . عبد القادر حسين .

و عنده : أن المجاز يعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة ، وهى :

الاتساع ، و التوكيد ، و التشبيه ، فان عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة . فمن ذلك قول الرسول عليه الصلاة و السلام فى الفرس : « هو بحر » ، فالمعانى الثلاثة موجودة فيه : فقد زاد فى أسماء الفرس ( البحر ) و هذا من الاتساع ، و لأن جريه يجرى فى الكثرة مجرى مائه ، و هذا هو التشبيه . و أما التوكيد ، فلانه شبه العرض بالجوهر (١) و ذكر ابن الأثير : أن واحداً من الثلاثة كاف فى المجاز .

فبلاغة المجاز - ترجع إلى توكيد المعنى ، و إلباسه ثوب المبالغة المقبولة ، مع إبرازه فى صوره محسوسة ، ثم التعبير عنه بألفاظ موجزة .

و يذكر ابن جنى أن للجاز أبلغية عن الحقيقة ، وذكر قوله تعالى : « واسأل القرية » (٢) كمثال لذلك : ففيه الاتساع لاستعمال لفظ السؤال مع ما لا يصح فى الحقيقة سؤاله . و فيه التشبيه ، لأنها شبهت بمن يصح سؤاله ، و أما التوكيد ، ففيه إحالة لأبيهم يعقوب بأن عليه أن يصدقهم ، لأن الجواب من عادتهم كبشر ، ولو سأل الجمادات لأصدقته الخبر (٣) فمن حقه أن يصدقهم فيما ادعوه .

ويقول ابن القيم - رحمه الله - عن مجال المجاز والتأويل ، فى فوائده البديعة :

و المجاز و التأويل لا يدخل فى المنصوص ، و إنما يدخل فى الظاهر المحتمل له . وهنا نكتة ينبغى التفطن لها ، وهى : أن كون اللفظ نصاً يعرف بشيئين :

أحدهما : عدم احتماله لغير معناه وضعاً ، كالعشرة .

---

(١) الخصائص ٢ / ٤٤٦ .

(٢) يوسف : ٨٢ .

(٣) الخصائص ٢ / ٤٤٧ بتصرف .

و الثانى : ما اطرد استعماله على طريقة واحدة فى جميع موارده ، فانه نص فى معنـاه ، لا يقبل تأويلا و لا مجازاً ، و إن قد تطرق ذلك إلى بعض أفراده وصار هذا بمنزلة خبر المتواتر ، لا يتطرق احتمال الكذب إليه ، و إن تطرق إلى كل واحد بمفرده .

و هذه عصمة نافعة تدلك على خطأ كثير من التأويلات السمعيات التى اطرد استعمالها فى ظاهرها و تأويلها و الحالة هذه غلط ، فان التأويل إنما يكون لظاهر قد ورد شاذاً مخالفاً لغيره و من السمعيات ، فيحتاج إلى تأويله لتوافقها

فأما إذا اطردت كلهـا على وتيرة واحدة صارت بمنزلة النص و أقوى ، و تأويلها ممتنع ، فتأمل هذا » (١) .

و ابن فارس يرى أن أكثر اللغة حقيقة لا مجاز (٢) بينما يذكر ابن جنى أن أكثر اللغة مجاز لا حقيقة (٣) و لا طائل من مناقشة الرأيين ، فحسبنا أن قدراً مشتركاً بين علماء اللغة والبلاغة قد استقر على أن من اللفظ ما هو حقيقة ، و منه ما هو مجـاز . و الفيصل فى ذلك الاستعمال ، وتتبع التاريخ الاستعمالى للفظة ، و ما ذكره علماؤنا الأجلاء ، حتى لا نشكك فى علمهم ، و لا نحط من قدر ما تركوه لنا من كتب و قواميس ، إبتغاء وجه الله تعالى ، و إعلاء للحضارة الانسانية التى جاء بها الاسلام ، وجزى الله الخير إمامنـا الزمخشرى على سبقه فى هذا المضمار، وجزى الله الخير ابن حجر، فى استدراكه وتوثيقه لقاموس الزمخشرى .

و نحن بحاجة إلى المجاز ، لأنه وجه جمالى و كمالى للغة العربية ، وتفنن فى

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ١ / ١٥ .

(٢) الصاحبى ١٦٧ .

(٣) الخصائص ٢ / ٤٤٧ .

القول ، و ضبط للقاعدة و الرأى . و أبو عبيدة ( ت ٢١٠هـ ) يرى أن المجاز أحياناً يأتى بمعنى التفسير : أى إيضاح الغامض ، أو تأويل المشكل ، أو بيان الغريب ) (١) و الطور الدلالى للفظ سبق قطعاً وعقلا الطور الجمالى فى البلاغة .

و لتحديد دلالة الألفاظ فى العربية أثره وخطره ، إذ ( تتوقف كثير من القضايا فى الحياة على فهم النصوص فهماً صحيحاً دقيقاً : فنى ميدان الحقوق و القانون مجال كبير للاختلاف على دلالة الألفاظ فى المعاهدات الدولية ، و الاتفاقات التجارية و المعاملات الاقتصادية . و فى ميدان الدين و خاصة الفقه الاسلامى تحتل النصوص موقعاً خاصاً ، ويتعلق على فهمها تحديد الأفكار فى العقائد والأحكام فى قضايا المعاملات و العبادات ، ويقع لذلك الاختلاف فى فهم مراد الشارع ، و تحديد معانى الألفاظ فى القرآن و الحديث الشريف ) (٢) أقول : و فضلا عن ذلك تذوق الكمال الجمالى ، و اتساع فنون القول . . .

و الباحث فى القواميس العربية ، و أمهات كتب الأدب يحس ويلمس - أحياناً كثيرة - التعبير الحقيقى و المجازى . . إلا أن الفضل للامام الزمخشرى فى الفصل بينهما فى الألفاظ الشائعة و المستعملة فى قاموسه القيم : . و الأسلوب الأدبى فى العبارات القاموسيه عند ابن حجر ، شهادة له بطول الباع فى اللغة و الأدب بجانب علوم الدين .

و بهذا العرض الموجز تحت هذا العنوان نلمح جهد الامامين الفاضلين : الزمخشرى و ابن حجر فى خدمة العربية لغة الضاد ، و القرآن الكريم ، و بالتالى ندرك أهمية تحقيق هذه المخطوطة القيمة : ( غراس الأساس ) التى هى ذخيرة نفيسة من دخائر تراثنا العظيم

(١) أثر النحاة فى البحث البلاغى د . عبد القادر حسين ص ٣٤٦ .

(٢) فقه اللغة للمبارك ص ١٣٤ .

إشارات مجازية لم تتبلور عند السابقين قاموسياً :

و إنصافاً للحقيقة ، فاننا حين نراجع أمهات اللغة وقواميسها ، وما كتب فى أصول اللغة ، نجد المجاز مبثوثاً بين ثناياها فى إشارات و وضوح ، و لعل هـذه الاشـارات كانت السبب فى كتب البلاغة و تأليفها فى مواضيع تكاملت بعدئذ ، كالسؤال عن قوله تعالى : « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » ، و كان سبباً فى بحث باب التشبيه .

و كلنا نهتز للمعنى الرائق الأدبى، حين نسمع التعبير الجمالى، أو نعثر على طرفة أدبية تعلق بالقلب و العقل .

و مع إشارات الكتب المعنية إلى المجاز قبل الزمخشرى إلا أننا لم نجد من فصل هذا عن ذاك بطريقة واضحة للتمكين من المادة و اللغة ، و صحيحة و فاصلة حين استقرت أزماناً ، و درج عليها العلماء من غير نكير، فكأنها إجماع لغوى .

و صلة البلاغة ، و العلوم اللغوية ، و أصول اللغـة ، بغيرها من المواد لا ينكرها عالم أو متعلم ، فكلها مجال و حقل متداخل لا يعهم بعمق إلا إذا مس بعضها و تداخل معه ، و من ثم وجدنا العالم باللغه يتشابك مع العـالم بالشريعة ، و يكمل بعضهما الآخر ، و كان القراء من أعلم الناس باللغة وعلومها و أصولها ، كما ذكرنا ذلك فى كتابنا : ( المشترك اللغوى ) .

ولا ينكر أى عالم فضل ابن فارس اللغوى حين ينفذ إلى أصل المعنى اللغوى فى تحديداته ، وحين يرجع أصل اللفظة إلى أصل أو أصول، تتشابك مع بعضها كشجرة مغصنة مورقة ، حلت كثيراً من مشـاكل اختلاف معانى اللفظة الواحدة فى الاشتراك اللفظى أو المعنوى ، و قد أشرنا لذلك فى كتـاباتنا (١٤) ففصل

(١٤) راجع كتابنا : أصول اللغة العربية الثنائيـة و الثلاثية أو كتابنا « طرق تنمية اللغة العربية ، ط مكتبة وهبة بالقاهرة .

ابن فارس و غیره فی هذا المجال مذکور غیر منکور .

وقد ینکر منکر علی ابن فارس ذلك فی معجمیه القیمین ، إرجاع المادة لأكثر من أصلین ، و لکن النفس تمیل إلی تصدیقه ، و إلا کیف نحل مشکل کلمة « عرف » فی قوله تعالی عن الصالحین : « و یدخلهم الجنة عرفها لهم » ، فقد قال فیها المفسرون : عرف هنا من المعرفة : أی أنهم یعرفون طریق الجنة وحدهم لصالحهم وإلهامهم ، وقال بعضهم : بل عرفها من عرف الطیب والرائحة، لأن الجنة یشم رائحتها الصالحون من مسیرة أعوام ، کما ذکر ذلك حدیث الرسول ﷺ .

و ما جاء فی کتب علماء اللغة ، و مرویات الأدب ، و القوامیس اللغویة فیه الشیء الکثیر للتتبع عن الحقیقة و المجاز . . فاذا جاء الزمخشری وصار فارسها المرجب . . فله الفضل و السبق ، و التقدیر و الشکر ، و إذا جاء ابن حجر فی هذه المخطوطه یستدرك علیه ، فیرفع ذلك من قدر الزمخشری و « أساسه » فیما اتفقا فیه و یعلی من شأن ابن حجر بالتالی و علو کعبه بالتالی فیما اختلفا فیه فی باب المجاز .

و لست أهلا بعلمی المتواضع ، و جهدی الفردی ، لأن أقوم بتتبع حیاة الألفاظ و استعمالاتها ، و عمل أطالس لغویة ، و کتابة تاریخ حیاة و استعمال ، و تحرك اللفظة فی حالیها : الکمال و الاستعمال، و بالتالی الجمال ، و إنما یحتاج ذلك لتکاتف علماء و جهود مجامع ، لأن الأصل الجامع للفظه ( الحقیقة اللغویة ) إنما یستنبطه العقل استنباطاً من جمیع دلالات اللفظ ، و المعنی الذی لا یتخلف عن أی دلالة هو المعنی الجامع ، و لمعرفة الخطوات فی هذا الصدد نرید تحدیداً للمفاهیم أولا ، و إنما یعرف ذلك من کتب و علوم اللغة المعتبرة، و علم الوضع . و تتبع الاستعمال ، و تناصر مجامع و جهود علماء .

و لنأخذ مثالا لكلمة «فن»(١)، ونرى استعمالاتها ومعانيها فى ظل تنوع الاستعمال حقيقة ومجازاً فى إيجاز، كما تحكى القواميس واللغويون : فلفظ (الفن): اسم لكل ضرب من الضروب، فى المعنى الوضعى، و كل من يتوسع فى شئ و يتصرف فى ضروبه يقال : إنه افتن، و الاسم منه ( مفن ) و كل مشتق معنوى بعد هذا من المعنى الأولى يدل على المعنى تضمناً أو التزاماً، مثل: (التفنين) و هو بلى الثوب بلا تشقق، وقد نقل هذا الأزهرى عن الليث.

و ( الفنن ) اسم للغصن المستقيم فى الشجرة، و جمعها أفنان، و تكون أيضاً بمعنى الألوان إذا كانت جمعاً لفن، و هل يفسر قوله تعالى : « ذواتا أفنان » بظل الأغصان على الحيطان، كما فسره عكرمة رضى الله عنه، و يمكن أن يفسر بالأغصان لأن الأغصان ضرب من ضروب الشجرة، وهذا مجاز مباشر، والتفسير الأول أقرب لأنه يفسر بالحقيقة دون المجاز، وخصل الشعر والجمم تسمى أفانين.

و جاء فى حديث أهل الجنـــة : « مرد مكحلون أولو أفانين » فمن جعل وجه المجاز تشبيه الخصلة بالغصن -كالأزهرى- فقد جعل الاشتقاق مجازاً بالواسطة فيقال، الخصلة تسمى فننا، لأنها من ضروب الشجرة، و لا وجه أن يقـال : الخصلة فنن، لأنها من ضروب الشعر، و هذا هو المجاز المباشر.

و أخذوا من المجاز التخصيصى صيغة مبالغة من الفنن هى ( فينان )، صفة للشعر الطويل الحسن، و المرأة الكبيرة السيئة الخلق توصف بأنها ( مفننة )، وكذلك الرجل الذى هذه صفته، و هذا مجـاز بالتخصيص، لأنه مقصور على

(١) لمزيد بيـان فى هذا الصدد راجع : القواميس العربية المعتبرة، و كتب اللغة، و بحث للاستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى فى كتابه : اللغة العربية بين القاعدة و المثال ط نادى القصيم ١٤٠١هـ.

تفننها فی سوء الخلق، أما تقیید ذاك بکبر السن، فلان کبر السن مظنة للتخریف و الاتیان بضروب منه ، و لذا سمیت العجوز أفنوناً ـ بضم الهمزة ـ و الأفنون أیضاً صفة للحیة ، للونها ، أوجریها ، أو لدغها .

و علی کل فلا بد من عودة المجاز إلی ضرب من الضروب ، والدلیل علی ذلك أن الغصن الملتف یسمی أفنوناً ، لأن التفافه أعطی ضروباً ، وکذلك الجری المختلط من جری الفرس و الناقة یسمی أفنوناً ، لأنه أعطی ضروباً من الجری .

و الفنة : اسم للطرف من الدهر ، لأنها ضرب منه ، و وجه المجاز : أنهم سموا الشیئ بصفة من صفاته .

والفن : العناء ، ویقال : فننت الرجل إذا عنیته، لأنه أحوجه إلی ضروب العناء ، هذا وجه المجاز .

و المطل : ( فن ) ، لأنه من ضروب العناء ، و کذلك الطرد و الغبن .

و ففن الرجل بمعنی فرق إبله کسلا و توانیاً، و لهذا الاستعمال مجازان : فی أن التفریق یعطی ضروباً ، و تخصص ذاك بالعجز والتوانی ، والتخلیط یسمی تفنیناً : لأنه ضروب .

و المفن : رجل یأتی بالعجائب ، لأن العجائب ضروب .

و الفنان : الحمار الوحشی ، لأنه یأتی بضروب من العدو ، أو لأن أقلام جسمه ذات ألوان .

و التزیین فن، لأنه یعتمد علی الضروب ، و العجوز المسترخیة أفنون ، لأن الاسترخاء ضروب من التجاعید ، و الداهیة أفنون ، لأن الدهاء ضروب من الحیلة و الحذق .

و الأفنون : أول السحاب و الشباب لأنه أول ضروبهما .

هذا موجز فی الاشتقاق المعنوی لهذه المادة ( فن ) و هکذا ترد کل معنی إلی أصله ، لأن الفن ضرب من الضروب .

و یمکن التاریخ لبعض المعانی المجازیة : فما کان مجازاً بالواسطة فهو استعمال متأخر ، و ما کان قریباً منها إلی الأصل فی الاستعمال القدیم فهو الاستعمال السابق ، وهذا یحوج للفصل بین الحقیقة و المجاز بجهد خلاق تسهیلا للعلم والتعلیم .

و هذا أمر یحوج إلی تأمل و طول نظر و بصر باللغة کما رأیت فی هذه المادة . . فمن مجاز الزمخشری فی أساسه ، و تصحیح ابن حجر فی غراسه ندرك جهدهما و فضلهما وقیمة مؤلفیهما ، جزاهم الله الخیر ، و دافع لخدمة لغة الضاد : لغة الوحی و وعائه .

و بعـــد ! فان مخطوطاتنا بعامة بحاجة إلی عنایة و رعایة ، کی تری النور مصونة ، و تضیف إلی أمجادنا أمجاداً أخری ، و تضع فی صرح الحضارة الانسانیة لبنات تعلی من بنیانه ، و تعلی من قیمته و شأنه .

و ما جهدی المتواضع إلا خطوة علی الدرب ، وشمعة علی الطریق فی هذا الجـانب .

و الله یقول الحق و هو یهدی السبیل .
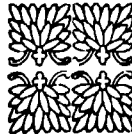
# أخطاء المستشرقين حول أبي العلاء المعري

## —(٢)—

بقلم : أديب العربية عبد العزيز الميمنى
تعريب الأخ آفتاب عالم الندوى

نتائج قصور التفكير و الكتابة السهلة :

قد تعرض أحياناً لأوهام عجيبة لقصور التأمل وعدم الدقة فى التفكير، وفيما يلى بعض الأمثلة من هذا القبيل :

١— إنه يقول (١) : ما عثرت قط على أخويه : أبو الهيثم و (أبو المجد) محمد فى رسائله و غيرها من تأليفاته .

و الحقيقة أن أبا الهيثم لم يرد ذكره فى تأليماته قط دون محمد حيث نجد ذكره ، راجعوا الرسائل ص١١٢ حيث يذكره بقوله : وأما سيدى أبو المجد فشغله من قلة الفائدة يكاد يمنع نومه إلخ ، و من الغريب أن يفى ذكره من قام بترجمة رسائله و طباعتها و نشرها ، يبدو أن هذه التغفلة ترجع إلى وجهين :

(الف) لا يعلم مرجليوت أن محمداً المذكور أعلاه كنيته أبو المجد ، رغم أن هذا التصريح قد ورد فى « الأدباء » و « خريدة القصر »

(ب) يزعم أن أبا المجد (٢) هو مستمل ( كاتب ) ولكنه لا يعتمد على دليل ، لأنه لا تقتضى أى مناسبة ذكر المستملى فى رسائل المامون ، ثم إن ذكره بلفظ « سيدى » غير ملائم بكثير . و ينطبق ذلك كله على محمد أبى المجد تماماً ، لأنه كان أخاً كبيراً له .

---

(١) م ، ص ٤٣ .    (٢) م ، ص ٢٤ .

٢- يقول (١) : علاقاته مع المغربى و أبى القاسم قد مهدت له الطريق للدخول فى بغداد سرياً .

حاولت كثيراً لكننى لم أقف على أن ابن جلبات حى إلى ذالك الحين ، ولا يوجد ذكره إلا فى « ميمية مسقط » و يذكر فى « يتيمة الدهر » أنه كان شاعراً فى مجلس شابور ، بينما تفيدنا « الميمية » أن عضد الدولة كان قد ولاه منصباً جليلا فى بغداد ، و تم إقصاؤه عن هذا المنصب بعد ما توفى عضد الدولة و لأجل داك أظن أنه لازم بيته ( فى معرة ) .

و قد تعرض مرجليوت لأخطاء كثيرة عن المغربى ، و هو لم يعرف أن هناك مغربيين، أحدهما أب وهو أبو الحسن على ، و آخرهما ابن وهو أبو القاسم حسين الذى كان صديقاً حميماً لأبى العلاء و مقراً بفضله وثنائه ، ولم يكن آنذاك وصل أبو القاسم إلى بغداد ، لما أنه ولد فى الشام و غادر مع أبيه إلى مصر فى عنفوان شبابه حيث قضى بقيه أيام شبابه ، ثم وصل فاراً إلى حسان بن مفرج بعد ما قتل الحاكم العلوى والده سنة ٤٠٠هـ وظل يبيت المؤامرة ضده عدة أعوام ، ثم وصل بعد ٤٠٠هـ بسنين إلى نواحى بغداد ، هذا ماتواردت عليه جميع التواريخ العربية مثل ابن القلانسى و ابن الأثير و غيرهما .

٣- يدعى (١) : أن الجيوش المصرية لما فرضت الحصار على « حلب » أرسل المغربى إلى جماهير « معرة » رسالة سياسية كان من تأثيرها أن جماهير « معرة »

---

(٣) م ، ص ٢٥ .

(١) ترجمة « الرسائل » ، و فوجئت فيما بعد بأن « نكلسن » هو أيضاً يدعى ذلك فى دائرة المعارف ص ٧٥ .

بأسرهم انحازوا إلى المصريين . حتى إن المصريين جاؤا للدفاع عن أهل المعرة و إنقاذهم عندما نفذ الحلبيون ( آل حمدان ) الهجوم عليهم .

يرجع هذا الخطأ إلى أوهام تالية :

(الف) إنه لم يفرق بين المغربيين إذ كان المولع بالسياسة فيهما أبو الحسن ، وأما الذى كتب الرسالة فهو أبو القاسم، ولم يك أهلا بالمساهمة فى السياسة لصغر سنه راجعوا « وفيات الأعيان » .

(ب) أرسل أبو القاسم هذه الرسالة من مصر دون حلب ، راجعوا رد المعرى المعروف « برسالة المنيح » ص ٩ .

( ج ) ولا يستند إلى دليل القول بأن أهل المعرة خذلوا الحمدانيين و ساندوا المصريين ، لأن أبا العلاء قرض أول قصيدته اللامية فى هذا الزمان نفسه يمدح فيها سعيد الدولة حفيد سيف الدولة ، ومما يؤيده أيضاً أن أبا العلاء أنشد عشرات من الأبيات أبدى فيها كرهه واستنكاره للمصريين، وإليكم بعض الأبيات من هذا القبيل:

يقولون فى المصر العدول و إنما　　حقيقة ما قالوا العدول عن الحق
و لست بمختار لقومى كونهم　　قضاة و لا وضع الشهادة فى رق

كما أنه يذكر علاقته و ميله إلى الحمدانيين و يقول (١) :

لا تأمنن فوارساً من عامر　　إلا بذمة فارس من وائل

يقول التبريزى إن ملوك حلب هم من آل وائل ، و ملوك العراق والجزيرة هم من آل عامر بن صعصعة ، فكأنه يشكو عامراً و يشكر وائلا ، كما أن ذلك يشير إلى أن راكباً لوائل يعادل عدة فرسان عامر .

( د ) رسالة أبى العلاء المعروفة برسالة المنيح لا تمت إلى السياسة بصلة ما

---

(١) سقط ١ - ١٥٧ .

و قد تناولنا مادته بالبحث و الدراسة فى كتابنا .

و قد حاول طه حسين الرد على مرجليوت و لكنه وقع بنفسه فى غلطة الخلط بين اسمى الوالد و الولد (١) .

٤- يزعم : أن أبا أحمد عبد السلام كان قد شهد محاضرات ابن السيرافى و استمع إليها ، و هو من يسميه بالسيرافى الصغير

فهذا لا يمت إلى الصحة بصلة لأن أبا أحمد كان من تلاميذ السيرافى دون ابن السيرافى ، كما تدل عليه الحكاية الآتية بوضوح .

يروى عن « إصلاح المنطق » (٢) أن أبا العلاء يقول : إن عبد السلام البصرى الذى كان أمين مكتبة دار العلم ببغداد وصديقاً مخلصاً لى ، قال لى : كنت ذات مرة فى مجلس أبى سعيد السيرافى إذ مر القارىء بالبيت التالى ، و كان يقرأ أمامه « إصلاح المنطق » لابن السكيت .

و مطوية الاقراب أما نهارها فسكيت و أما ليلها فذميل

فقال له أبو سعيد اجعل « المطوية » مجرورة لأن الواو وا و رب ، قلت : أيها الشيخ ! لكن البيت الأول يدل على أنها مرفوعة و البيت الأول كما يلى :

أتاك بى الله الذى أنزل الهدى و نور و إسلام عليك دليل

فأمره بالرفع و كان يشهد المجلس ابنه أبو محمد ( ابن السيرافى ) فأثار ذلك غضبه و حفيظته حتى قام من المجلس وباع دكانه للسمن ، شد متزره وانقطع لطلب العلم ، و ما زال يواصل جهده حتى أحرز الفضل و برع فيه و تمكن من القيام بشرح « إصلاح المنطق » هذا و عبد السلام و ابن السيرافى متقاربان فى السن ، مما يتضح به أن عبد السلام كان تلميذاً للسيرافى دون ابنه أبى محمد (ابن السيرافى) .

---

(١) ذكرى أبى العلاء . (٢) ابن خلكان ٢ - ٣٥ .

٥- يقول (١) : لما كان أبو العلاء فی بغداد كتب إليـــه خاله أبو طاهر يأمره بأن ينقل « شرح كتاب سيبويه » للسيرافی .

هذا من أشنع أخطائه شوه به صورة الجزء العاشر للرسائل والجزء العشرين للسير و التراجم ، و لذلك هو يعد أبا بكر أحمد الصابونی (٢) - و الصحيح أنه محمد ، راجعوا الرسائل ص ٤٥ - من أصدقاء أبی العلاء ببغداد ، وكذلك هو تعرض لخطأ فاحش فی ترجمة ١٠ ، ١١ ، و ١٥ من الرسائل ، ومما يستغرب أن الأديب الفاضل المصری الأعمی طه حسين أيضاً ، قد أغفل هو الأخير هذه الغلطات الكبيرة و تابع مرجليوث بدون بصيرة و قلده تقليداً أعمی (٣) .

لعل هذا الخطأ نشأ من عـــدم فهمه لعنوان الرسالة العاشرة الذی ألفاظه ، حسب ما يلی : « وكتب إلی أبی طاهر المشرف بن أبی سبيكة وهو ببغداد يذكر له أمر شرح السيرافی و ما جری فيه من التعب » ويمكن أن يكون مصدر هذا الخطأ جامع الرسائل ، و لكن مرجليوث أحق بأن ينسب إليه هذا الخطأ لأنه اعتبر عن خطأ مرجع ضمير « له » أبا العلاء بصرف النظر عن الدلائل الظاهرة .

و ما أحسن قول النحاة : إن الضمائر من المبهمات ، و إنی أری أن تعد من النكرات بدلا من المعارف لكيلا يقع فی مثل هذا الخطأ من هو قليل البضاعة فی العلم ، و قـــد وقع مرجليوت فی هـذا الخطأ ، لأن أبا العلاء قد تحققت رحلته إلی بغـــداد ، و مما يبعث علی الاستعجاب أن مرجليوت لم يدرك أن هذه الرسائل الأربع التی تتعلق بشرح ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ من الرسائل إنما هی منخرطة فی سلك واحد ، كما أن عنوان الرسالة يشير إلی أن أبا طـاهر هو

---

(١) م، ص ٢٥ . (٢) م ، ص ٣٦ .

(٣) ذكری ص ١٣٢ .

الذى رجع من بغداد ، و أما مرجليوت فهو يزعم أن أبا طاهر كان حينئذ فى حلب ، و كتب من هناك إلى أبى العلاء ببغداد يأمره بنقل الشرح ، معنى ذلك أنه لم يعتن بالمواد إطلاقاً ، فان أبا العلاء يكتب فى رسالته العاشرة « و فهمت ما ذكره من أمر النسخه المحصلة و هو أدام الله عزه الكريم المتكرم و أنا المثقل المبرم ، جرى بى التفضل على الرسم و ألححت إلحـــاح الوسم ، فأما الشرح ، إن سمح القدر و إلا فهو هدر » و فى الرسالة نفسها ورد ذكر أبى عمرو استرآبادى الذى كتبت إليه الرسالة الحادية عشرة تحقيقاً لهذا الغرض ، و لو كان أبو العلاء بنفسه موجوداً فى بغداد لما كتب الرسالة إلى أبى عمرو ، و يستطرد فى رسالته العاشرة يقول : « وإنا نهدى إلى الشيخ سيدى وإلى جميع أصدقائه سلاماً تتأرج الكتب بحمله و تروض المجدبة من سبله » ها أسأل مرجليوت هـــذه « السبل المجدبة » تختص بالمقيم أو بالمسافر ؟ و يكتب فى رسالته الثانية عشرة التى عنوانها يشير إلى عودة أبى طالب من بغداد بوضوح ، « و بقى للمفارقة من أن تكمل تعريفى من غير نقيمة ، ما وزن فى القيمة لأبادر بانفـاذه ، فلو حضرت لم أبلغ ما بلغـه ، ولا سوغت من قضاء المأربة ما سوغه » .

رغم أن هـــذه الرسائل كلها تشير إلى عودة أبى طاهر من بغداد كيف يدعى مرجليوت أن أبا العلاء هو الذى كان فى بغداد ، و قـد ركب أبو العلاء على باخرة خاله و هو عائد من بغداد مما يدل على أنهم كانوا يضعون دائماً باخرة خاصة تتفرد بشئونهم التجارية بنهر الفرات ، وظن مرجليوت عن خطأ أن هذه الباخرة أعدت لأبى العلاء خاصة ممـا لا يستند إلى أى دليل كما لا يقبل المنطق و البداهة أيضاً أن يأمر أحد باعداد باخرة لسفره الذى لا يرجو العودة منـه ، و هو واقع يعترف به مرجليوت نفسه .

ينشد أبو العلاء و هو يذكر الطبيعة السياحية لخاله .

كأن بنى سبيكة فوق طير يجوبون الغواشر و النجادا
أباالاسكندر الملك اقتديتم فما تضعون فى بلد وسادا

و مما يهم ذكره أن البائس الفقير أبا طاهر لم يكن شغله إلا التجارة ، فأين هو من شرح السيرافى الذى هو أصل مهم من أصول النحو ، لا شك أن أبا العلاء كانت له حاجة ماسة إليه بما أنه صدر حديداً ولم تتوفر نسخها فى الشام، فكان يتحتم عليه أن يكتب إليه يطلب منه الشرح قبل عودته من بغداد ، أما بعد عودته فقد توفر له بعدد وفير ، كما ذكره بنفسه (١) و مما يؤكد ذالك أيضاً أنه لم يعد يعشق كتب النحو بعد عودته من بغداد كما كان يعشقها قبل كما ذكر فى اللزوم ، و أما كيف يمكن أن يكلمهم بالحصول على الشرح من غير لقاء مسبق فمعلوم أن أبا العلاء كان يتمتع بعلاقات ودية مع أهل بغداد قبل المغادرة إليها (٢)، وله مراسلات عديدة إليهم ، و قد اعترف مرجليوت نفسه أنه كان لأبى طاهر أصدقاء فى بغداد و كان يكتب إليهم لحسن السلوك مع أبى العلاء ، و إكرامه ، و يؤكد ذالك أن أبا طاهر كان يتردد إلى بغداد .

« يتبع »

---

(١) الرسائل ص ٣٨ ، « إذ كانت عند طلاب العلم بمدينة السلام كشجر العرى لا يسقط ورقه » .

(٢) راجع رسالته إلى القاضى أبى الطيب .

# عبد الله بن رواحة الأنصارى

—( ٢ )—

سعيد الأعظمى الندوى

## عبد الله بن رواحة يبايع رسول الله ﷺ على حرب الأحمر و الأسود :

لقد كانت بيعة العقبة التى شهدها اثنا عشر نقيباً من الأنصار ، مبدأ دخول الأنصار فى الاسلام ، و انتشاره فى المدينة ، و كان عبد الله بن رواحة نقيب بنى الحارث الخزرج فى هذه البيعة التى تمت فى منى على يد رسول الله ﷺ قبل الهجرة ، و منذ ذلك الوقت اشد الأذى على المسلمين بمكة فأذن لهم رسول الله ﷺ فى الهجرة إلى المدينة فبادروا إلى ذلك و تجهزوا فى خفاء وستر ، و استمر ذلك إلى مدة تزيد على سنة واحدة .

أما البيعة التى بايعوا النبى ﷺ عليها فى ليلة العقبة فكانت على حرب الأحمر و الأسود ، و لذلك حينما تمت بيعة النقباء و بينهم عبد الله بن رواحة استأذنوا النبى ﷺ أن يميلوا على أهل منى من المشركين بأسيافهم ؟ فقال ﷺ : لم نؤمر بذلك ، فرجع النقباء إلى المدينة ، ورجع معهم عبد الله بن رواحة ، ولكنه كان يتطلع إلى أى فرصة تسنح له للوفاء بالعهد الذى قطعه لدى المبايعة . فيحضر الوغى بنفسه ويقاتل أعداء الاسلام لاعلاء كلمته .

و آن للنبى ﷺ و أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن يهاجرا إلى المدينة رغم جميع العراقيل التى وضعتها قريش فى طريقهما ، و العقبات التى أقاموها فى

سبیل هجرتهما ، و لقد كانت الفترة بین بیعة العقبـــة و مهاجرة رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر تقریباً (١)

مواخاة بین عبد الله بن رواحة و المقداد :

و قد كانت المواخاة بین المهاجرین و الأنصار أول عمل قام به الرسول ﷺ بعد وصوله إلى المدینة ، وآخى بین اصحابه من المهاجرین و الأنصار ، وقال: « تآخوا فی الله أخوین أخوین » (٢) وآخى بین عبد الله بن رواحة و المقداد ، «كما أخرج البغوی من طریق ابراهیم بن جعفر عن سلیمان بن محمد عن رجل من الأنصار كان عالماً ، أن رسول الله ﷺ آخى بین عبد الله بن رواحه والمقداد » (٣) .

قال السهیلی : آخى رسول الله ﷺ بین أصحابه حین نزلوا بالمدینة لیذهب عنهم وحشة الغربة ، و یؤنسهم من مفارقه الأهل و العشیرة ، ویشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الاسلام و اجتمع الشمل و ذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه « و أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فی كتاب الله » یعنی فی المیراث ، ثم جعل المؤمنین كلهم إخوة فقال « إنما المؤمنون إخوة ، یعنی فی التوادد وشمول الدعوة » (٤) .

صلته القریبة الخالصة برسول الله ﷺ :

وضع فیه الرسول ﷺ ثقته و أحبه ، فكان ذا صلة قریبة ماسه بالنبی ﷺ ، یكتب الوحی والرسائل و یرافقه فی أسفاره ، و فی غزواته ، وقد استخلفه ذات مرة على المدینه فقام بالمسئولیـــة خیر قیام ، و كان یستمع إلى أحادیث الرسول ﷺ و یرویها عنه كبار الصحابة فقد ذكر أبو نعیم أن عبد الله بن رواحة

---

(١) روى ذلك اللیث بن سعد عن عقیل عن ابن شهاب الزهری ، أنظر « امتاع الأسماع » للمقریزی ص / ٤١ .

(٢) السیرة النبویة لابن هشام ، ج ٢ / ص ١٥٠ .

(٣) الاصابة فی تمییز الصحابه للعسقلانی ، القسم الرابع ص / ٨٣ .

(٤) راجع الروض الأنف .

روى عنه ابن عباس و أسامة بن زيد و أنس بن مالك ، كما أرسل عنه جماعة من التابعين ، كأبى سلمة بن عبد الرحمن و عكرمة وعطاء بن يسار (١) .

وجاء فى طبقات ابن سعد : « كان يكتب للنبى ﷺ ، وهو الذى جاء ببشارة وقعة بدر إلى المدينة وبعثه رسول الله ﷺ فى ثلاثين راكباً إلى أسيربن رفرام (٢) اليهودى بخيبر فقتله ، وبعثه بعد فتح خيبر لخرص عليهم » (٣) .

و روى ابن عبد البر فى الاستيعاب يقول !

« وروينا من وجوه من حديث أبى الدرداء، قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فى اليوم الحار الشديد حتى إن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه، وما فى القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحه »(٤) .

فى غزوة بدر :

كانت غزوة بدر فى رمضان السنة الثانية من الهجرة فكانت الوقعة العظيمة التى فرق الله تعالى بها بين الحق و الباطل و أعز بها الاسلام ودمغ بها الكفر و أهله ، و إن كان رسول الله ﷺ لم يحتفل لها احتفالا كبيراً ، ولكن حقق الله فيها للرسول ﷺ وللمسلمين - رغم قلة عددهم - انتصارات كثيرة و أكرمهم بالآيات و المعجزات التى أعطاها الله تعالى رسوله ﷺ و أراها من معه من المؤمنين فزادتهم بصيرة و يقيناً ، فكانت غزوة بدر من أكرم الغزوات و المشاهد ، و هى التى شهدها الملائكة الذين قاتلوا المشركين ، و حضرها كبار الصحابة من المهاجرين و الأنصار وفيهم عبد الله بن رواحة رضى الله عنه .

و كان قد بنى لرسول الله ﷺ عريش من جريد يقيم فيه ويخطط للقتال

(١) راجع الاصابة فى تمييز الصحابة للعسقلانى القسم الرابع ص ٨٣ .

(٢) و فى بعض الروايات : أسير بن رزام .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، القسم الثالث ص ٩٠١ .

مع العدو ، وقام على بابه سعد بن معاذ متوشح السيف، وخرج رسول الله ﷺ إلى موضع الوقعـــة وعين مصارع رؤوس الكفر من قريش مصرعاً مصرعاً ، وعدل رسول الله ﷺ الصفوف و رجع إلى العريش و أبو بكر رضى الله معه ، وخطب رسول الله ﷺ قبل أن يبدأ القتال فحمد الله و أثنى عليه ثم قال :

## خطبة رسول الله ﷺ يوم بدر :

« أما بعد ، فانى أحثكم على ما حثكم الله عليه ، و أنهاكم عما نهاكم عنه ، فان الله عظيم شأنه ، يأمر بالحق ويحب الصدق ، ويعطى على الخير أهله ، على منازلهم عنده ، به يذكرون و به يتفـاضلون ، و إنكم قد أصبحتم بمنزل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه، و إن الصبر من مواطن البأس مما يفرج الله به الهم ، و ينجى به من الغم ، و تدركون النجاة فى الآخرة ، فيكم نبى الله يحـــذركم و يأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عزوجل على شئ من أمركم يمقتكم عليه ، فان الله يقول « لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم » .

أنظروا الذى أمركم به من كتابه ، و أراكم من آياته ، و أعزكم (به) بعد ذلة ، فاستمسكوا به يرضى به ربكم عنكم ، و أبلوا ربكم فى هذه المواطن أمراً تستوجبوا الذى وعدكم به من رحمته و مغفرته ، فان وعده حق و قوله صـــدق و عقابه شديد ، و إنما أنا و أنتم بالله الحى القيوم ، إليـــه ألجأنا ظهورنا ، و به اعتصمنا و عليه توكلنا ، و إليه المصير ، يغفر الله لى و للمسلمين (١) .

## عبد الله بن رواحه يشير على النبي ﷺ :

و لما انتهى رسول الله ﷺ من تعديل صفوف المسلمين فى ساحة القتال ولم يقبل المشركون من قريش ما قد عرض عليهم من الرجوع إلى مكة و الامتناع عن القتال ، ناشد رسول الله ﷺ ربه ما وعده من النصر و هو يقول : اللهم إن تظهر على هذه العصابة يظهر الشرك و لا يقم لك دين ، و فى رواية قال :

(١) إمتاع الأسماع للمقريزى ص / ٨١ .

اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، و أبو بكر يقول : يا نبي الله بعض مناشدتك ربك ، فان الله منجزلك ما وعدك و قد نام رسول الله ﷺ نوماً خفيفاً فى العريش ثم انتبه فقال : أبشر أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هـذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع (١) .

و فى خلال مناشدة رسول الله ﷺ ربه أشار عليه عبد الله بن رواحة و قال : إن الله أجل و أعظم من أن ينشد وعـده ، فقـال رسول الله ﷺ يا ابن رواحة : ألا أنشد الله وعده ، إن الله لا يخلف الميعاد (٢) .

مبارزته مع سادة قريش :

و تزاحف الفريقان وعزم الناس على القتال ، ودنا من حوض المسلمين الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، و أعلن قائلا : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فشد حتى دنا منه فاستقبله حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف و أطن (٣) قدمه بنصف ساقـه و هو دون الحوض فحبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر يمينه ، و اتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض .

و هنالك خرج عتبه بن ربيعة وشيبة بن ربيعه و ابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة فبادر إليه فتية من الأنصار ثلاثة وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث و ثالثهم هو عبد الله بن رواحة فقالوا : من أنتم ، فقالوا : رهط من الأنصار ، قالوا : ما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا فقال رسول الله ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، وقم يا علي ، وتمت المبارزة التى تلاها قتل سادة قريش الثلاثة .

و لم يفتر عبد الله بن رواحة برفض قريش إياه لدى المبارزة ، و إنما ظل

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزى ، ص ٨٤ . (٣) قطع بحيث سمع له طنين .

قائماً بالعهد ، يقاتل المشركين حتى كتب الله للمسلمين الانتصار الرائع العظيم ، وهزم المشركين شر هزيمه .

عبد الله بن رواحة يحمل بشرى بدر :

« و قدم زيد بن حارثة و عبد الله بن رواحة من الأثيل إلى المدينة ، فجاء شد الضحى ( يعني عند ارتفاعه ) فنادى عبد الله بن رواحة يا معشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله . وقتل المشركين و أسرهم . ثم اتبع دور الأنصار فبشرهم ( بالفتح و السلامة ) (١) .

وجاء فى السيرة النبوية لابن هشام ، قال ابن اسحاق :

« ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العاليه (٢) بما فتح الله عزوجل على رسوله ﷺ و على المسلمين » (٣) .

وقدم زيد بن حارثة يبشر أهل المدينة ، فلم يصدق المنافقون ذلك وشنعوه ، وتلقى الناس رسول الله ﷺ بالروحاء يهنئونه بفتح الله ، و دخل المدينة من ثنية الوداع فى يوم الأربعاء الثانى و العشرين من رمضان عام / ٢ من الهجرة ، فتلقاه الولائد بالدفوف وهن يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وأذل الله بوقعة بدر رقاب المشركين و المنافقين و اليهود (٤) .

غزوة أحد و عبد الله بن رواحة : و من حديثها أن كفار قريش لما رجعوا إلى مكة و رجع أبو سفيان بن حرب بعيره جاء إليه البقية من زعماء قريش فكلموه

(١) إمتاع الأسماع ، للمقريزى ص ٩٩ .
(٢) وهم بنو عمرو بن عوف و وائل وخطمة .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ / ص ٢٩٦ .
(٤) راجع إمتاع الأسماع . وقعة بدر .

وقالوا: إن محمداً قد وترکم وقتل خيارکم فلا ينبغى أن نترکه و أتباعه بل لا بد من أخذ الثأر بمن أصاب منا ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ و خرجت بحدها وحديدها و أحابيشها و من بنى كنانة و أهل تهامة و خرجوا معهم بالنساء فى الهوادج ، التماس الحفيظة .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ استشار أصحابه حتى استقر الرأى على القتال وحضر المسلمون معه فى ساحة القتال و فيهم المهاجرون و الأنصار و من بينهم عبد الله بن رواحة ، وسوى رسول الله ﷺ الصفوف ودفع اللواء إلى مصعب ابن عمير و تقدم به بين يدى النبى ﷺ ، ثم قام فخطب الناس و أوصاهم بالطاعة والصبر واليقين والجد و النشاط و بجهاد العدو وما فيه من أجر و مثوبة ، و لقد أبلى المسلمون فى الحرب بلاءاً حسناً ، وتظاهر المهاجرون و الأنصار كلهم بالشجاعة و قاتلوا العدو ببسالة منقطعة النظير .

**موتوا على ما مات عليه النبى ﷺ :** وشاع أن النبى ﷺ قد استشهد ، صاح بذلك ابليس اللعين ، وحزن بالنبأ المسلمون وداخلهم اليأس . فبدأوا يقولون : ما نصنع بالحياة بعده ، وقالوا : موتوا على ما مات عليه النبى ﷺ ، ومر مالك بن الدخشم على خارجة بن زيد بن أبى زهير وهو قاعد ، فى حشوته (١) ثلاثة عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل فقال له : أما علمت أن محمداً ﷺ قد قتل ، فقال خارجة : فان كان محمد قد قتل فان الله حى لا يموت ، لقد بلغ محمد ﷺ فقاتل عن دينك ، ومر على سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير الأنصارى أحد النقباء ، وكان ذلك عبد الله بن رواحة ـ فيما يقال ـ وبه اثنا عشر جرحاً كلها قد خلص إلى مقتل ، فقال علمت أن محمداً قد قتل ؟ فقال سعد : أشهد أن محمداً قد بلغ رسالة ربه فقاتل عن دينك ، فان الله حى لا يموت (٢) .

---

(١) يعنى أمعاءه التى تحشو بطنه .
(٢) راجع كتب السيرة ، و إمتاع الأسماع للمقريزى .

نساء الأنصار یبکین علی حمزة : و استشهد حمزة رضی الله عنه عم رسول الله ﷺ فحزن علیه لما قد مثله المشرکون إیذاءاً له و استهانة بشأنه ، وبکی الناس رجالا ونساء علی قتلاهم ولکن حمزة رضی الله عنه لم یبك علیه أحد ، فلما رأی ذاك رسول الله ﷺ وسمع النوائح علی القتلی ذرفت عیناه وبکی ثم قال : لکن حمزة لا بواکی له .

و هنالك ذهب سعد بن معاذ إلی نسائه فساقهن إلی بیت رسول الله ﷺ فبکین علی حمزة رضی الله عنــه بین المغرب و العشاء ، وسمع رسول الله ﷺ صوت البکاء فقال ما هذا ، فقیل نساء الأنصار یبکین علی حمزة فقال : رضی الله عکن وعن أولادکن ، وأمر أن ترد النساء إلی منازلهن ، وجاء معاذ بن جبل رضی الله عنه بنساء بنی سلمة ، وجاء عبد الله بن رواحة رضی الله عنه بنساء بلحارث بن الخزرج ، فقال ﷺ : ما أردت هذا ، ونهاهن عن النوح أشد النهی (١) .

و أراد ابن رواحه أن یعزی رسول الله ﷺ علی حادث حمزة رضی الله عنه فقد کان هو عم رسول الله ﷺ ، وعامل به العدو أشنع ما یعامله عدو عدوه ، فمثلوه وبقروا عن بطنه ولاکوا کبده ، وکل ذاك لکی یثیروا حزن رسول الله ﷺ و حفیظته و یتناولوه بأشد ما یمکن من الایذاء و الاستهانة ، فصنع عبد الله ابن رواحه قصیدة رثاء علیه وعزی بها رسول الله ﷺ یبدأها بالبکاء علیه :

بکت عینی وحق لها بکاها　　و ما یغنی البکاء و لا العویل
علی أسد الإله غداة قالوا　　أحمزة ذاکم الرجل القتیل (٢)

و سنورد القصیدة بکاملها حیث نتحدث عن شعره ، ( باذن الله تعالی ) .

یتبع

---

(١) راجع ، إمتاع الأسماع ص ١٦٤ — ١٦٥ .
(٢) انظر السیرة النبویة لابن هشام ج ٣ ، غزوة أحد .

## صور و أوضاع :

# صحوة المسلمين و غفوة حكامهم

الأستاذ واضح رشيد الندوى

نشرت مجلة «نيوزويك» فى أحد اعدادها الأخيرة مقالا عن وضع العالم الاسلامى لأحد خبراء التنصير العالمى الذى يراقب على حملات التنصير ، و يتابع ما يبذله المسلمون من جهود للدعوة الاسلامية فى كل بلد إسلامى وما تتخذه الحكومات فى البلاد الاسلامية من مواقف إزاء الحركات الاسلاميـــة ، و يضم المقال اعترافاً صريحاً بأن صحوة إسلاميـــة تكتسح العالم الاسلامى فعلا ، و قام الكاتب بتحليل الأسباب الحقيقية لهذه الصحوة ، و ذكر من بينها موقف الدول الأوربيه ازاء العالم الاسلامى و فشل النظم القائمـة فى حل مشاكل الشعوب ، و انبعاث الشعور الذاتى فى عامة المسلمين نتيجة لجهود العلماء و رجال الدين الذين يستغلون إخفاق الحكومات القائمة فى إسعاد شعوبها .

و قد أشار كاتب المقال أيضاً إلى صراع بين الشعوب المسلمه التى تطالب بتطبيق الشريعة ، و الحكام الذين يعكفون على صد هذا التيار الجارف أو تحويله فيعامل بعض الحكام هـذه المطالبة بالعودة إلى الاسلام و تعاليمه ، معاملة لينة بحكمة و حذر ، فتقبل بعض مطالبها وتغفل مطالبها الأخرى أو تؤخرها . و يعامل حكام آخرون معاملة الخشونة و الرفض و إنكار هذه المشاعر ، فيوجد فى كل بلد اسلامى مثل هذا الوضع بأقدار مختلفة و أحجام متفاوتة .

تسلك دول تخضع لحكام يأخذون تعليماتهم من الغرب و تأبى قلوبهم عن مسايرة هـذا التيار ، سياسة القمع و الكبت و الاضطهاد كما يحدث فى اندونيسيا حيث يحاول الحاكم العسكرى أن يسوق المسلمين إلى ديانة جديدة سماها « بينج شيلا » على نهج الدين الالهى للامبراطور المغولى أكبر ، و أطلق الحريات

للعمل لحركات التبشير ، و منحها فرص النفوذ فى الأوساط الحكومية ، وصد كل منفذ للدعوة الاسلامية و إيقاف كل عامل عن العمل ، و يدل على هذا الوضع فى اندونيسيا حيث يعامل الشعور الاسلامى معاملة قسوة و قمع ، تقرير لمنظمة العفو الدولية، التى أشارت إلى وجود عدد كبير من المسلمين الحركيين فى السجون المظلمة ، يواجهون التعذيب و التنكيل ، و يعامل الحاكم الاندونيسى الدعوة الاسلامية بيد من حديد ، إلا أن الحكام فى باكستان و بنغلاديش و الملايزيا يواجهون هذا التيار بحذر و يحاولون قبول المطالب .

لكن الحركة الاسلامية و إرهاب العاملين فى سبيلها تواجه صعوبات فى كل بلد من الحكام رغم الاعلانات الصارخة بمنح الحريات للدعوة و العبادة و الرأى و تتخذ الوسائل لصدها ، رغم أن نتائج هذه التدابير القاسية لا تبعث على التفاؤل للحكام . وإنما تبعث روحا جديدة فى العاملين للاسلام كما أن نتائج جهود حركات التنصير فى البلدان التى تتمتع فيها بمواضع النفوذ ، و مساندة الوكالات الأجنبية لا تشجع العاملين ، لأن عدد المسلمين الذين يقبلون النصرانية ضئيل للغاية بالنسبة للجهود المكثفة .

وأشار كاتب المقال إلى أن العودة إلى الاسلام لم تعد تقتصر على الشعور و العبادة ، بل تعدت إلى مظاهر إسلامية كالحجاب و اللحية ، و التمسك بتعاليم الاسلام .

و ثمة تقارير مماثلة من الدول الافريقية حيث ينتشر الاسلام رغم ضآلة الوسائل ، فلا تشق النصرانية فيها طريقها إلى الأمام إلا بصعوبة رغم كل إغراء و دعاية .

وقد أحست حركات التنصير بهذا الواقع ، وبدأت تقارير المنظمات المسيحية العاملة فى المنظمة ، تشير إلى القوة الكامنة للاسلام التى تجذب القلوب ، و تنوه

بخطر قدوم الاسلام، فمال بعض المفكرين إلى محاربة هذا التيار و مال آخرون إلى الاعتراف بالواقع و تعديل الموقف و اتخاذ خطوات حسب الظروف .

ومن هذا القبيل الدعوة إلى حوار بين الاسلام و المسيحية وإعادة النظر فى طرق الدعوة التقليدية ، و مراجعة التصورات عن العالم الاسلامى و قد أوجدت هذه اللقاءات التى جرت بين العلماء المسلمين و العلماء المسيحيين نوعا من التفاهم و تخفيف الكراهية بينما واصلت وسائل الاعلام الأوربيــة حملة الكراهيـة ضد الاسلام و المسلمين .

كانت مواقف المسيحية فى العالم الاسلامى تقوم على سوء التقدير ، و سوء التصوير و الثقة الزائدة بالوسائل كما كانت تقوم على الكذب و التلفيق لكتابها و مفكريها ، وبدأت هذه التصورات الخاطئة تتكشف و تتجلى باللقاءات والاختلاط و انتشار الدعوة ، و يتوقع أن قوة الاسلام النامية ستنال مزيداً من الاعتراف ، و تحظى بمزيد من الدراسة ، و يوجد تعايش بين القوتين العالميتين .

و لكن العقبة الكبرى فى سبيل الدعوة الاسلامية اليوم لا تزال ، موقف جحود الحكام المسلمين و النظم السائدة التى تفرض على الشعوب الاسلاميـــة الأفكار و المذاهب التى ثبت فشلها ، و تمنعها من الانطلاق حسب رغبتها ، فلو اعترف الحكام المسلمون بالواقع أتيحت للاسلام فرصة التطبيق العملى ، و ظهرت المنطقة الاسلاميـة على الخريطــة بفضل التعاليم السماوية كمنطقـــة حرة عن المشاكل التى يعانى منهـا العالم المتحضر من جرائم و استغلال الانسان ، و القمع و الكبت ، منطقة نزيهة مطهرة وضيئة ، منسجمة مترابطة يعيش فيهـا كل فرد كعضو الأسرة بكرامة و شرف لتهافتت الانسانيـة على قبول الاسلام و نظامــه وهجرت النظم التى جلبت لها الشقاء و الويلات ، ولكن غفوة الحكام أو شقوتهم لا تزال تحول دون تحقيق هـــذا الحلم . ولا يزال الحكام يعيشون فى خلاياهم لا يرون النور ، و لا يلمسون التغير و يعكفون على إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء .

# ظلام فی نور الحضارة

من الآراء الكاسحة التی روجها الكتاب الغربيون ، و استساغتها عقول المتغربين فی العالم الاسلامی ، رأی يقول بأن القرون الوسطی كانت قرون الاستبداد و قهر الحريات ، و سفك الدماء ، و الجهل المتفشی و الصراع ، و يطبق هـذا الرأی علی بلاد المسلمين ، و المسلمين عامة ، و يخضع لهذا الرأی الكاسح جميع حملة الأقلام و منهم الاسلاميون الذين يصورون ذلك العهد بالجمود ، و التصلب فی الرأی ، و الانزواء ، فی العلماء ، ورجال الدين ، و الظلم و الاستبداد ، وقهر الشعوب فی الحكام و الملوك .

لا شك أن العصر الماضی كان عصر الحكم الفردی . و لم تكن فيـه فرص كسب المال و تحسين المستوی متاحه لكل شخص ، كما تتاح اليوم لانتشار مراكز العلم ، و وسائل الاعلام ، و مؤسسات التمويل ، و المعـامل ، و شيوع الخبرة العلمية و الفنية ، و علمه طبيعه التبادل فی العلم ، و الاقتصاد .

و لكن رغم انتشار هـذه الفرص ، و قيام نظم تدعی بالاشتراكية و الديموقراطيه و المساواة والحرية ، لو استعرض محلل وباحث وضع العالم المعاصر بدون تحيز وجد أن كل ما كان يوصف به العصر الماضی ، يوجد اليوم بشكل أو آخر ، إلا أنه يوجد بمظهر جديد و بعنوان جديد ، و تحدث وقائعه باستمرار فی مناطق مختلفة و بنطاق أوسع و أقسی .

و لمعرفه حقيقة الحرية ، و المساواة ، و كرامة الانسان ، تكفی دراسه تقارير منظمة العفو الدولية ، التی تقتنی من واقع العالم المعـاصر ، أحداث الاستبداد ، و القهر ، و التدخل ، و الحرمان ، و القسوة التی يعامل بها شعب من الشعوب

و جالية من الجاليات ، لاختلاف فى العقيــدة ، و لاختلاف فى منهج الحياة ، و لاختلاف فى الفكر السياسى ، وهو شائع فى جميع أنحاء العالم غربيه و شرقيه ، فالحروب مثلا و سفك الدماء و إجراءات القسوة ، أصبحت ظاهرة متفشيـــة للعالم المعاصر ، تنغمس فيها الحكومات الكبرى والصغرى، فتتدفق سيول النازحين و اللاجئين من بلد إلى بلد ، و يخرج أصحاب الكفاءات و الصلاحيات و العقول النابغة من بلد إلى بلد بحثاً عن اللجوء السياسى، و فيهم أدباء ، وساسة ، ومفكرون و صناعيون ، و وزراء سابقون، كما تتوجه جيوش مجهزة بالأسلحة الفتاكة والمواد الكيماوية المدمرة لقهر الشعوب ، و هى أيضاً ظاهرة من الظواهر الاجتماعية للعالم المعاصر ، و يصادفها كل من له إلمام بأخبار العالم .

كذلك المؤامرات والدسائس لقلب نظم الحكم، وحملة الكراهيه والاغتيالات السياسية ، شائعة اليوم بحجم لا يوجد له نظير فى تاريخ العهود المتوسطة فتتأرجح بها كفة الميزان ، و تتغير الوجوه ، و الاعلام و السياسة ، يكثر وقوع مثل هذا الانقلاب فى بلدان لا يتمكن زعماؤها من إعداد دستور ، أو سياسة معينة، فتظهر أيد أخرى تلغى ما فعله الأوائل . و تصب عليهم اللعنات ، و توجه البلاد إلى جهة جديدة و تخرج رجالا من الزنزانات و تزج بآخرين إليها .

كانت الحروب والغارات تقوم فى العهود السابقة ولكن الهجوم على مخيمات اللاجئين ، و قتل النائمين المسالمين فى بيوتهم ، وقتل الأولاد ، و الأطفال ، حتى الجنين ، بمآت و ألوف ، و إحراق المعامل و المصانع ، و المعابد ، و المساجد ، و إهانة المقدسات و حرمان طوائف عن العمل و كسب العلم والمعرفة و كسب المال لاختلاف فى العقيدة ، و الفكر ، و التميز على أساس العنصر و اللون ، لم يكن شائعاً بهذا النطاق الواسع الذى يشيع به اليوم ، حيث تؤمن به و تمارسه

حكومات متقدمـــة ، راقية ، تدعى بالحرية و المساواة و تلقى نظرة احتقار على العهد القديم .

إن واقع العالم المعاصر ، واقع مؤلم ، للغاية ، مهما ادعى أصحاب العقول التابعة للغرب بتقدم و حضارة ، فان التمييز العنصرى شائع فى أمريكا ، و أوربا و فى أفريقيا يمارسه البيض المتحضرون ، بمساعدة الدول المتحضرة و أن القضيـة الدينية شائعة فى سائر البلدان الأوربية ،التى استعمرت البلدان الاسلامية ، فشوهت وجهها ، و طمست معالمها ، و أن الحروب و سفك الدماء يجرى بتأييد الولايات المتحدة و الاتحاد السوفياتى ، وقد انغمست أمريكا ، فى أسوء مسرحيـة دامية فى فيتنـام و هيروشيما و ناجاساكى ، و لبنان ، و تنغمس روسيـا فى أفغانستان و تستعبد شعباً كاملا و تمارس الوسائل الوحشية حكومات تستظل بظلهـا ، فى أثيوبا و كيوبا ، و سبق أن قهرت روسيا تشيكوسلفاكيا و رومانيا و بولندا و سحقت ألوفا من الناس و قمعت حريتهم ، و تقمع فى بلاد الحريات الدينيـة و الأدبية و السياسية

هذه أمثلة شائعة ، أما ما يجرى تحت الستار و تخفيه وسائل الاعلام فهو أيضاً يبلغ من الضخامة ما لا يبلغه وقائع العام الماضى ، و لكن تمجيد الحضارة المعـــاصرة رغم الحروب ، رغم قتل الحريات ، رغم فرض نظم لا ترغب فيها الشعوب ، رغم إبادة ملايين من الأبرياء ، رغم تفشى الخلاعة والمجون و الانحلال الخلقى ، رغم تفشى الفقر فى مساحات شاسعة من الدول التى يحكمها أذناب الغرب بنظم غربية متوافر فى كل مكان و لدى كل شعب ، لأن صلاحيـــة التمييز بين الخير و الشر ، و التفكير الحر قد تلاشت ، وضعت غشاوة على العقول .

Phone ; 72338 73884

REGD No. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI



قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوي من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء .
رئيس التحرير : سعيد الأعظمي